الإمارات العربية المتحدة
وزارة التربية والتعليم

المدرسة الإماراتية

2021-2022

مونيكا زاك

الوَلَدُ الذي عاشَ مع النَّعام

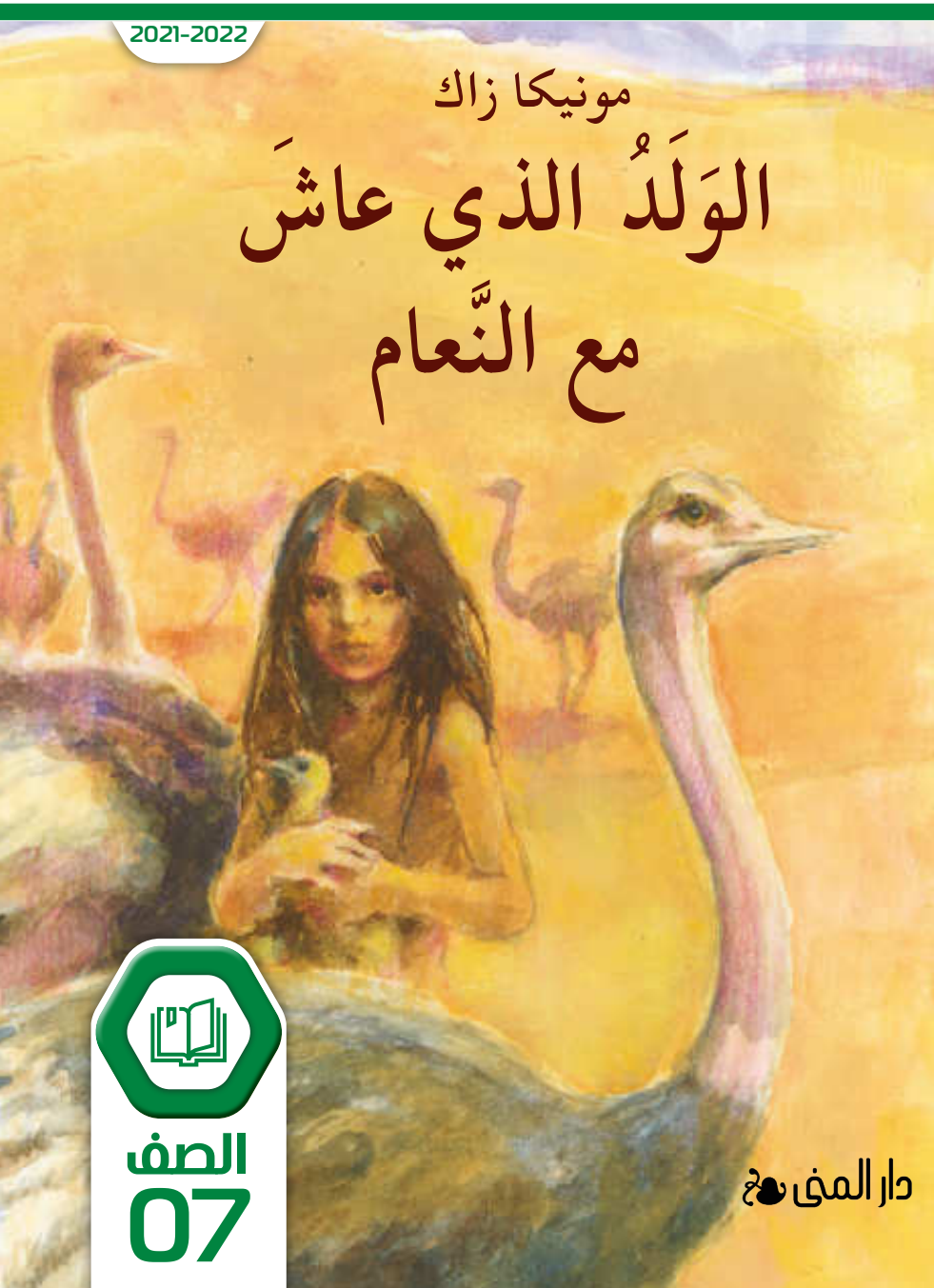

الصف 07

دار المنى

الوَلَدُ الذي عاشَ معَ النَّعامِ

ISBN 9789188863454
Arabic edition © Bokförlaget Dar Al Muna AB, 2020
Copyright © Monica Zak 2001
Original title in Swedish:
Pojken som levde med strutsar
Arabic text © Bokförlaget Dar Al Muna
Typesetting: Joachim Trapp

Bokförlaget Dar Al Muna AB
Box 127, 18205 Djursholm, Sweden
www.daralmuna.com

مونيكا زاك

الوَلَدُ الّذي عاشَ مَعَ النَّعامِ

تَرجمة : راوية مرّة

دار المنى

الفهرس

الفصلُ الأوّلُ

بَيضاتُ النَّعام في الرَّمْلِ **11**
أسئلةُ الفصلِ 15

الفصلُ الثاني

مَدفُونٌ في الرِّمالِ **17**
أسئلةُ الفصلِ 21

الفصلُ الثالثُ

حينَ طَلَبَت أمُّ هَدارةَ من راعي الجِمالِ دَولةَ أنْ يطلبَ العَونَ مِنَ اللّٰهِ **23**
أسئلةُ الفصلِ 26

الفصلُ الرابعُ

في مُواجَهةِ المَوتِ **28**
أسئلةُ الفصلِ 33

الفصلُ الخامسُ

الأفْعى السّامَةُ **35**
أسئلةُ الفصلِ 42

الفصلُ السادسُ

الابنُ المُفَضَّلُ **44**
أسئلةُ الفصلِ 48

الفصلُ السابعُ

المَكانُ المَمنوعُ **50**
أسئلةُ الفصلِ 55

الفصلُ الثامنُ

منْ دون مـــــاءٍ **57**
أسئلةُ الفَصلِ 65

الفصلُ التاسعُ

هجومُ بناتِ آوى **67**
أسئلةُ الفصلِ 74

الفصلُ العاشرُ

هل تعنينَ أنّني لَستُ طائرَ نَعامٍ حَقيقيًّا؟ **75**
أسئلةُ الفصلِ 81

الفصلُ الحادي عشرَ
في جَزيرةٍ مقطوعةٍ وسَطَ الصَّحراءِ **82**
أسئلةُ الفَصلِ 88
الفصلُ الثاني عشرَ
ثلاثُ خيامٍ مَهجورةٌ **89**
أسئلةُ الفَصلِ 94
الفصلُ الثالثَ عشرَ
اليدانِ في المَغـــارةِ **96**
أسئلةُ الفصلِ 105
الفصلُ الرابعَ عشرَ
أَخيرًا، كائنٌ يُشبهُني **106**
أسئلةُ الفصلِ 110
الفصلُ الخامسَ عشرَ
الهُجـــومُ **112**
أسئلةُ الفصلِ 120
الفصلُ السادسَ عشرَ
قتلُ أَسَد **121**
أسئلةُ الفَصلِ 128
الفصلُ السابعَ عشرَ
غزالةٌ على وَشَكِ المَوتِ **129**
أسئلةُ الفصلِ 136
الفصلُ الثامنَ عشرَ
هُجومُ اللَّبُؤَةِ **138**
أسئلةُ الفصلِ 145
الفصلُ التاسعَ عشرَ
صَيّادٌ ومُتَحَرٍّ صَحْراويٌّ **147**
أسئلةُ الفصلِ 157
الفصلُ العشرونَ
نانابولوكا **158**
أسئلةُ الفصلِ 166
الفصلُ الواحدُ والعشرونَ
أَسيرٌ **168**
أسئلةُ الفصلِ 173

الفصلُ الثّاني والعشرونَ
الهَـــــــــرَبُ **174**
أسئلةُ الفصلِ 181
الفصلُ الثّالثُ والعشرونَ
جَنّةٌ لطيورِ النّعام **182**
أسئلةُ الفصلِ 187
الفصلُ الرابعُ والعشرونُ
فريقُ البحث عَنِ الوَلَدِ البرّيِّ **188**
أسئلةُ الفصلِ 198
الفصلُ الخامسُ والعشرونَ
لقاءٌ معَ صديقٍ قديمٍ **199**
أسئلةُ الفصلِ 205
الفصلُ السّادسُ والعشرونَ
عَنْ ولدٍ برّيٍّ في فرنسا **206**
أسئلةُ الفصلِ 215
الفصلُ السّابعُ والعشرونَ
مناقيرُ تحبُّ المساعدةَ **216**
أسئلةُ الفصلِ 220
الفصلُ الثّامنُ والعشرونَ
أكثرُ شُهرةً من كاسبر هاوزر **221**
أسئلةُ الفصلِ 228
الفصلُ التّاسعُ والعشرونَ
وعاءٌ فخّاريٌّ مليءٌ بالتّمرِ **229**
أسئلةُ الفصلِ 238
الفصل الثلاثون
شياطينُ الصّحراءِ تنتقمُ **239**
أسئلةُ الفصلِ 246
الفصلُ الواحدُ والثّلاثونَ
بضعةُ ملايينَ منَ الجرادِ **247**
أسئلةُ الفصلِ 253
الفصلُ الثّاني والثّلاثونَ
كارثةٌ **254**
أسئلةُ الفصلِ 259
الفصلُ الثّالثُ والثّلاثونَ
أسيرٌ **260**

أسئلةُ الفصلِ 266
الفصلُ الرّابعُ والثّلاثونَ
هذا بُنيَّ! هذا هَدارةُ 267
أسئلةُ الفصلِ 274
الفصل الخامس والثلاثون
التّحوُّلُ إلى إنسانٍ 275
أسئلةُ الفصلِ 281
الفصلُ السادسُ والثلاثونَ
فتاةٌ عيناها كالنّجومِ 282
أسئلةُ الفصلِ 292
الفصلُ السابعُ والثلاثونَ
يومُ السّعدِ ربَّما 293
أسئلةُ الفصلِ 302
الفصلُ الثامنُ والثلاثونَ
آثارُ طيورِ النّعامِ 303
أسئلةُ الفصلِ 308
كلماتٌ أخيرةٌ
لقاءٌ بأحد أبناءِ هَدارةَ 309
أسئلةٌ عامّةٌ على الرّوايةِ 313

معتمد
مجتوى هذا الكتاب معتمد
من وزارة التربية والتعليم

حَولَ كاتب :

(مونيكا زاك) : كاتبةٌ سويديّةٌ ولدتْ عامَ 1939 ، درستِ الصّحافةَ في جامعةِ ستوكهولم ، ومارستْ مهنةَ الصّحافةِ سنواتٍ عديدةَ . أبحرتْ مع زوجِها من السّويدِ بقاربٍ شراعيٍّ عبرَ المحيطِ الأطلسيِّ في رحلةٍ قادتْها إلى جزرِ الهندِ الغربيّةِ ، وأمريكا اللاتينيّة ، وأمريكا الوسطى . وفي أثناءِ الرّحلةِ وُلِدَ ابنُها الأوّلُ ، وبدأتْ منذ ذلك الحينِ في إبداعِ كتبٍ للأطفالِ والفتيانِ ، وألّفتْ ما لا يقلُّ عن 52 كتابًا ، وقد تُرجمتْ أعمالُها إلى 17 لغةً .

استقتْ مادّةَ مؤلّفاتِها من مشاهداتِها في أثناءِ تجوالِها حولَ العالمِ ، ومن ممارستِها مهنةَ الصّحافةِ ، وكانت تركّزُ اهتمامَها على الحكاياتِ ، والتّراثِ الشّعبيِّ لمختلفِ البلدانِ ، وروايتُها التي بين يديك خيرُ دليلٍ على ذلك .

تعيشُ الكاتبةُ في ستوكهلم ، ولها أثرٌ ملموسٌ في الحياةِ الثّقافيّةِ .

مسرد شخصيّات الرّواية:

- **هَدارَة:** الولد الذي عاش مع النّعام
- **فاطمة:** أمّ هدارة التي ضاع منها في الصّحراء
- **محمّد** فاضل: والد هدارة
- **دولة:** الشّيخ المتديّن راعي الجِمال في قبيلة فاطمة
- **ماكو:** أنثى النّعام أمّ هدارة في الضّياع وبعده
- **حوج:** ذَكَر النّعام زوج ماكو
- **ظَبْي:** الغزالة صديقة هدارة في الصّحراء، والمَهْر الذي طلبته خرّوبة
- **سيدي إبراهيم:** دليل الصّحراء، ومتقصّي الآثار
- **لوك أوكونر:** الصّياد الأجنبيّ
- **بوب جونسون:** المنتج السّينمائيّ
- **غاي ميكلوس:** عضو الفريق السّينمائيّ الذي يتقن اللغة الحسّانيّة
- **هارولد جوزيف:** مصوّر الفريق السّينمائيّ
- **بوبوط:** الرّاعي آسر هدارة
- **الشّيخ مَعالين:** المعلّم الذي علّم هدارة اللغة الإنسانيّة
- **خَرّوبَة:** فتاة عيناها كالنّجوم زوجة هدارة، وأمّ أولاده التي أعادته إلى مجتمع الصّحراء.
- **عليّ:** بطل قصّة هدارة التي رواها لخروبّة
- **الجنّيّة:** من شخصيّات قصّة هدارة
- **الملك وابنته:** أبطال قصّة هدارة الخياليّة

نواتجُ التَّعلُّمِ

- ARB.2.2.01.025 يبينُ أثرَ الإطارِ المكانيّ والزّمانيّ في بنيةِ القصةِ، وطبيعةَ الصراعِ وتطورَ الحبكةِ في قصصٍ مختارةٍ يختلفُ فيها الإطارُ الزمانيُّ والمكانيُّ.
- ARB.2.2.01.024 يفسّرُ اللغةَ المجازيّةَ، والمعاني الدلاليّةَ للكلماتِ والعباراتِ المستخدمَةَ في النصّ الأدبيّ معلّلًا استخدامَ الكاتبِ هذه اللغةَ.
- ARB.2.2.01.026 يحلّلُ الأثرَ الّذي تتركُهُ سماتُ الشّخصياتِ: الشّجاعةُ الصدقُ الوفاءُ على سيرِ خطِّ الحبكةِ والحلِّ.
- ARB.2.2.01.027 يحلّلُ نصًا أدبيًّا مُبيّنًا فكرةَ النّصّ، وعناصرَهُ الفنيّةَ الأخرى.

الفصلُ الأوّلُ

بَيضاتُ النَّعامِ في الرَّمْلِ

نَعَقَ غُرابٌ في اللّحظةِ التي بَدأ فيها أفرادُ قَبيلةٍ مِن بَدوِ الصَّحراءِ بِطَيِّ خِيامِهم . تَوقّفَ أفرادُ تِلكَ المَجموعةِ مِنَ النّاسِ عنِ العَمَلِ ليُصغُوا السَّمعَ . نَعيقُ غُرابٍ في الصَّباحِ الباكِرِ عَلامةُ شُؤمٍ . رُغمَ ذلكَ اتَّخذوا قَرارًا بِالبَدءِ بِرحلتِهم عَبرَ الصَّحراءِ . لَمْ يَكنْ لَديهِم خِيارٌ آخرُ لأنَّ جِمالَهم وماعِزَهم باتَت تُعاني مِنَ الجُوعِ .

خِلالَ سَنواتٍ كَثيرةٍ تَلَت أُجبِرَتِ الشَّابَّةُ التي تُدعى فاطِمةَ على تَذَكُّرِ الصُّراخِ المَبحوحِ لذلكَ الغُرابِ في ذلكَ الصَّباحِ الباكِرِ .

كانَ علينا أنْ نَستمِعَ إلى ذلكَ التَّحذيرِ ، فَكَّرتُ مِرارًا .

كانَ عَلينا أن نَمتَنِعَ عنِ الرَّحيلِ .

لكنّ فاطِمةَ لَمْ تُدرِكْ في ذلكَ الصَّباحِ ، أنّ ذلكَ اليَومَ سيُصبحُ اليَوْمَ الأكْثَرَ شُؤمًا في حَياتِها بأكْمَلِها . حِينَها ، عِندَما باشَروا رِحلَتَهم ، كانَت لا تزالُ أُمًا سَعِيدةً ، وكانَت صَغِيرةً جِدًّا في السِّنِّ ، بل لَمْ تَكُنْ أكْثَرَ مِنَ طِفلةٍ هي أيضًا . عِندَما بدأت تِلكَ المَجموعةُ مِنَ النّاسِ والجِمالِ والماعِزِ بالسَّيرِ على طَرِيقِ رِحلتِها بِبُطءٍ ، كانَت هي تَجلسُ على ظَهرِ جَمَلِها الذي

كانَ يُؤَرجِحُها بِرِفقٍ هي وطِفلَها الذي كانَ لا يَزيدُ عُمرُه على السَّنتينِ وكانَ يجلسُ في حِضنِها .

عانَقَتهُ

شَمَّتْ رائحةَ شَعْرِه .

غَنَّت له .

لم تَكُن تُغنِّي لَهُ قَصائدَ شِعريّةً بل كلماتٍ مَليئةً بِالفَرَحِ كانَت تَفورُ مِنَ داخِلِها فكانَت تُتَمتِمُها في شَعرِه ذِي الرّائحةِ الزَّكِيّةِ .

أنتَ ابني الأوَّلُ ،

أنتَ ابني الوَحيدُ .

اسمُكَ هو هَدّارةُ

أنتَ تَملَؤُني بِسعادةٍ كَبيرةٍ

واسِعةٍ كهذه الصَّحراءِ .

جِمالُنا باتَتْ نَحِيلةً ،

لَم يَعُدْ هُناكَ عُشبٌ تَرعاه .

لذلِكَ نَبحَثُ الآنَ عن مَكانٍ

فيهِ ماءٌ

وكثيرٌ مِنَ الأوراقِ الخَضراءِ .

هَدّارةُ ، يا طِفلي الوَحيدَ ،

أنتَ جَميلٌ

كَنُجومِ الصَّحراءِ كُلِّها . . .

الجَمَلُ الذي رَكِبَتْهُ فاطِمةُ سارَ في مُؤخِّرةِ القافِلةِ . كانَت مَشغُولةً جِدًّا

بأغنِيَتِها إلى دَرَجةٍ مَنَعَتها مِنَ مُلاحَظةِ أنَّ جَمَلَها كانَ مُتأخِّرًا جِدًّا عن الآخَرينَ . لَفَتَ نَظَرَها لَمَعانٌ أبيضُ في الرَّملِ جَعلَها تَستيقظُ مِن حُلمِها وتَتوقَّفُ عن الغِناءِ لتُمعِنَ النَّظَرَ . ما رأتهُ هُناكَ جَعلَها تُشِعُّ فَرَحًا وسَعادةً . فقد رَأت حُفرةً في الرَّمْلِ مَليئةً بِبيضاتٍ كَبيرةٍ ، بَيْضاءِ اللّونِ مائلةٍ إلى الصَّفارِ ، لامِعةٍ .

– تَوقَّفُوا! انتَظِروا! لقد وَجَدْتُ عُشَّ نَعامٍ ، صَرَخَت مُنادِيةً على الآخَرينَ .

لكنَّ الآخَرينَ لَمْ يَسمَعوا نِداءَها .

كانَتِ البيضاتُ تَلمَعُ في الشَّمسِ . كانَت عِبارةً عن طَعامٍ يَكفي لإشباعِ الجَميعِ لِعدَّةِ أيّامٍ مُقبِلةٍ . شَدَّت فاطِمةُ لِجامَ جَمَلِها وجَعَلَتْهُ يَتوقَّفُ ويَبركُ على الأرضِ . قَفَزَت مِن فَوقِ ظَهرِ الجَمَلِ ووَضَعَت طِفْلَها إلى جانِبِ العُشِّ . كانَت ما تَزالُ في غايةِ السَّعادةِ . أرادَت أنْ تَلُمَّ البَيضاتِ لتُفاجِئَ بها الآخَرينَ . لكنْ في اللَّحظَةِ التي انحَنَت بها لِتلتَقِطَ إحداها وَقَعَت أَوَّلُ حادثةٍ مَشؤومةٍ مِن حَوادثِ ذلكَ اليَومِ المَشؤومِ .

فقد رَكَضَ جَمَلُها حتى اخْتَفى وَراءَ أَوَّلِ كَثيبٍ رَمْلِيٍّ كَوّنَتهُ الرّيحُ .

– ابْقَ هنا ، قالَت فاطِمةُ لِطفلِها ، لا تَخَفْ ، سأَلحَقُ بِالجَمَلِ لأُمْسِكَ به وأعودَ به إلى هنا .

وهَكذا رَكَضت فاطِمةُ باتِّجاهِ الكَثيبِ الرَّمْليِّ . ابنُها هَدارةُ الّذي لَمْ يكنْ عُمرُه يزيدُ عنِ السَّنتينِ لَوَّحَ بِيدَيه تِجاهَ أمِّهِ التي كانَت تَركُضُ بِسُرعَةٍ جَعلَت ثَوبَها القاتِمَ اللَّونِ يَتطايرُ مِن حَولِها .

عِندَما باشَرَت فاطِمةُ بالرَّكْضِ كانَ الهَواءُ ساكِنًا ، لكنّ الرّيحَ كانَت

قد حَبَسَت أنفاسَها وحَسْبُ . ففي اللّحظةِ التّاليةِ هَبَّت مُقتحِمةً الصَّحراءَ بِزئيرٍ غاضِبٍ .

كانَت تِلكَ هي العاصفةَ الرَّمليّةَ الأولى التي تَهُبُّ هذا العامِ .

قامَتِ العاصِفةُ بِجمعِ غُيومٍ رَمليّةٍ وَرَمَت بها تِجاهَها . لَمْ تتمكَّنْ فاطمةُ مِن رؤيةِ شَيءٍ بِسببِ الرَّملِ الذي كانَ يَملأُ الهَواءَ مِن حَولِها . لَمْ يَكنْ بِوُسعِها سوى أن تختَبِئَ تحتَ قِماشِ الثَّوبِ الأَسْوَدِ الذي غَطَّت به وَجهَها وشَدَّتهُ بِيدَيها حَولَ جِسمِها . رغمَ ذلكَ تَسرَّبَ الرَّملُ في كُلِّ مَكانٍ مما أجبَرَها على إغلاقِ فَمِها وعَينَيها .

هدّارةُ ، وَلَدي ، ماذا جَرى لكَ الآنَ؟ إنَّهُ السّؤالُ الوَحيدُ الذي كانَ يشغَلُ بالَ فاطمةَ . هَدارةُ ، يا طِفليَ الصّغيرَ ، هَدارةُ ، وَلَدي . . .

حاوَلَت أن تَقِفَ وتسيرَ عائدةً إلى طفلِها لكنّ الرِّيحَ رَمَتها أرضًا . حَاوَلَت مَرّاتٍ عَديدةً لكنّ العاصِفةَ والرّمالَ التي كانَت تضرِبُها كالسَّوطِ مَنعاها مِنَ الاستِمرارِ .

شَعَرَت كأنَّ تِلكَ العاصفةَ الرَّمليّةَ دامَت دَهرًا . فيما بَعد ، عِندَما كانَت تَتحدَّثُ عمّا جَرى خِلالَ هذا اليَومِ التَّعيسِ ، كانَت تَقُولُ إنَّ تِلكَ العاصفةَ كانَت أفظَعَ عاصِفةٍ رَمليّةٍ مَرَّت بها ، وإنَّها استمرَّت لمدةِ سَبعةِ أَيّامٍ وسَبعِ لَيالٍ . وكانَت دائمًا تَقُولُ إنَّها لَمْ تَشعُرْ أبدًا ، لا قبلُ ولا بعدُ بذلِكَ اليأسِ الذي شَعَرَت به عِندَها . حينَ هَدأَتِ العاصِفةُ في نِهايةِ المَطافِ ، وحِينَ أزالَت فاطِمةُ قُماشَ الثَّوبِ عَن رأسِها ونَظَرَت حَولَها ، لَمْ تَتعرَّفْ إلى مَعالِمِ المَكانِ مِن حَولِها .

كُلُّ ما هُناكَ كانَ قد تغيَّرَ مَظهرُه .

فقدِ انتقَلَت الكُثبانُ مِن مَكانِها وصارَت للرَّملِ أشكالٌ جَديدةٌ .
لم يَكنْ هُناكَ أيُّ أثرٍ للصَّبيّ .
أطلقَت حِينَها فاطمةُ صَرخةً مِن أعماقِها .

عِندَما وجدَها الآخَـرونَ كانَت تَركضُ في حَلَقاتٍ حَولَ نَفسِها صارِخةً :
– لقد ضاعَ هَدّارةُ! وَضَعتُهُ قُربَ بَعضِ بَيضاتِ النَّعامِ . والآنَ لا يُمكنُني العُثورُ عليه!
بَكَت وحَفَرَت بيدَيها في كُلِّ الكُثبانِ التي رأتها .
بَحثوا عنِ الطِّفْلِ أيامًا عَديدةً . لَمْ يُغادِروا المَكانَ إلّا بعدَما نَفِدَ الماءُ الذي كانوا يَحمِلونه مَعَهم .
لم يَتمكَّنوا مِنَ العُثورِ لا على الطِّفلِ ولا على بَيضاتِ النَّعامِ .

أسئلةُ الفصلِ

1 . "نَعيقُ غُرابٍ في الصَّباحِ الباكِرِ عَلامَةُ شُؤْمٍ "ما رَأْيُكَ في هذا القَولِ؟ وَكيفَ تَراهُ انْعَكسَ على أَحداثِ الفصلِ الأوَّلِ؟

2 . عُدْ إلى الفَصلِ واقْرَأْ على زُمَلائِكَ الجُزْءَ الَّذي صَوّرَ بِدايَةَ التَّحوُّلِ المَشْؤومِ في هذا اليوم على فاطِمَةَ وابنِها هدارة . ما رَأْيُكَ في الصّورَةِ الَّتي رسَمَتْها الكاتِبَةُ لِلَحظةِ التَّحوُّلِ هذهِ؟

3 . اِبْحثْ عَنْ صورَةٍ تَشْبيهيَّةٍ أُخْرى كانَ لَها تَأْثيرٌ عَليكَ وعلى مَشاعِرِكَ ، ثمَّ اكْتُبْها هنا .

4 . تحاوَرْ مع زملائِك : هل أخطأتْ أمُّ هدارةُ حين تركتْه وحيدًا من أجلِ إعادةِ الجَمَلِ؟ لو كنتَ مكانَ أمِّ هدارةَ كيف تتصرّفُ في هذا الموقفِ؟

5 . اقْرَأْ على زُمَلائِكَ آخِرَ جُملةٍ في هذا الفصلِ . هلْ تَرى أنّ هذهِ الجُملةَ دَفَعَتْكَ إلى قِراءَةِ الفَصلِ الثّاني؟ لِماذا؟

6 . (يُطْلَقُ على مِثْلِ هذهِ الجُمَلِ الَّتي تَأْتي في نِهايَةِ فُصولِ الرِّوايَةِ ، وتَحْمِلُ القارِئَ على الاسْتِمرارِ في القِراءَةِ لمعرفَةِ ما سَيَحدثُ لاحِقًا مُصْطلحُ Cliffhanger ، وتُتَرْجَمُ عادَةً بِـنِهايَةٍ شائِقَةٍ ، أو نِهايةٍ تَحْبِسُ الأَنْفاسَ) . اِنْتَبِهْ وأنْتَ تُكْمِلُ قِراءَةَ الرِّوايَةِ إلى نِهاياتِ الفُصولِ ، وَحدِّدْ أيَّ هذهِ النِّهاياتِ شَكّلَ نِهايَةً شائِقَةً ، تَدْفَعُ القارِئَ لِمُتابَعَةِ القِراءَةِ .

7 . "أنتَ جَميلٌ كنُجومِ الصَّحراءِ كُلِّها" . . . "لكِنَّ العاصِفَةَ والرِّمالَ الَّتي كانَتْ تَضْربُها كالسَّوْطِ مَنعاها مِنَ الاسْتِمرارِ"
اشْرحْ كَيفَ نقلَ كُلُّ تَشْبيهٍ مِنَ التَّشبيهَينِ السّابقَينِ التّغيُّرَ في الأجواءِ والمشاعِرِ والتَّوقُّعاتِ .

8 . " هَبَّتْ مُقْتَحِمَةً الصَّحراءَ بِزَئيرٍ غاضِبٍ" . ضَعْ ما تَحْتَهُ خَطٌّ في جُمْلةٍ مُفيدَةٍ مِنْ إنْشائِكَ .

الفصلُ الثاني

مَدفونٌ في الرِّمالِ

عادَتِ النَّعامةُ التي تُدعى ماكو إلى عُشِّ بَيْضِها ورَأتِ الطِّفْلَ البَشَريَّ الذي كانَ يَجلِسُ هُناك ، صَبِيٌّ صَغيرٌ بَدينٌ ، ذُو شَعرٍ أَسْوَدَ ناعِمٍ وأنفٍ غَريبِ الشَّكلِ . لَمْ يَكنْ يَرتدي سِوى قَميصٍ أَسْوَدَ قَصيرٍ . كانَتِ النَّعامةُ قد شَعَرَت بِالخَطَرِ القادِمِ . كَما أحَسَّ الجَمَلُ بأنَّ عاصِفةً رَمليّةً كانَت في طَريقِها إلى ذلكَ المَكانِ ، ولذلِكَ عادَ باحِثًا عن مَكانٍ يَحميه مِنَ الخَطَرِ ، كذلِكَ شَعَرَتِ النَّعامةُ بما كانَ على وَشكِ الحُدوثِ . رأت ماكو الطِّفلَ البَشَريَّ وفَكَّرَت بأنّه بحاجةٍ إلى مَن يحميه . تَصرَّفَت بالضّبطِ كَما كانَت ستتصرَّفُ لو كانَ لديها صِغارٌ خَرجوا لِتَوِّهم مِنَ البَيضِ . فقد فَرَدَت جناحَيها وجَلَسَت فَوْقَ الطِّفلِ لتُغطِّيَهُ .

بعدَ فَتْرَةٍ وَجيزةٍ أتى زَوجُها الذي يُدعى حوج .

جلسَ طائرُ النّعامِ بجانبِ أنثاهُ وفَرَدَ أَجْنِحَتَهُ الأكبَرَ حجمًا فَوْقَها وفَوْقَ الطِّفلِ .

عِندَما وَصَلتِ العاصفةُ القاسيةُ إليهم مَدَّ طائرا النَّعامِ عُنُقَيهِما بمُحاذاةِ الأرضِ . كادَت الرّيحُ أن تقتلعَهم مِن مَكانِهم وانتَشَرَ الرَّمْلُ الهائجُ فَوْقَهم

حتّى غَطّى ثلاثَتَهُم وكأنّه غِطاءٌ سَميكٌ .

لن يَذكُرَ الصّبِيُّ أيًّا مِن هذه الأحداثِ في المُستقبَلِ .

ولن يخبِرَه والداه بالتّبني ، أيْ طائِرا النَّعامِ بأيٍّ منها لاحقًا .

عِندَما هدأتِ الرّيحُ حَفَرَ طائرا النَّعامِ لِنفسيهما طَريقًا مِن تَحتِ الطَّبقةِ الرَّمْلِيةِ التي كانَت قد غَطّتهُما معًا ، مَدّا عنقَيهما وهزّا أَجْنِحتِهما ونَظَرا بِقلقٍ إلى الصّبِيِّ . كانَ يجلسُ هُناك باكيًا . حزَّ بُكاؤُه في نفسِ النَّعامةِ ماكو لأنَّ أطفالَها لَمْ يعرفوا البُكاءَ أبدًا . لَمْ تَكُنْ تَعلمُ ماذا ستفعلُ لتُسكِتَه ، لكنّها لَكزَتهُ بِمنقارِها وجعلَتهُ يَقِفُ على ساقَيه . وَقَفَ الصّبِيُّ واهِنًا ، وحِينَ سارَت لَم يتبعْها كَما يفعلُ أيُّ فَرخِ نعامٍ . لذلكَ قالَت لِزَوجِها إنَّ عَلَيهِ أن يتمدَّدَ على الأرضِ . دَفَعَت بَعدَها بالطِّفلِ تِجاهَ زَوجها . بطَريقةٍ أو بأخرى نجحَت في دَفعِ الصّبِيِّ إلى فَوقِ ظهرِ ذَكَرِ النَّعامِ . كانَ الصَّبِيُّ على قَدْرٍ كافٍ مِنَ الذَّكاءِ جَعَلَهُ يُمسِكُ بريشِ الذَّكَرِ عِندَما قامَ هذا مِنَ مَكانِه ، ولذلكَ بَقِيَ الصَّبِيُّ مُعلَّقًا فَوْقَ ظَهرِه .

بَدأَ ذَكَرُ وأُنْثَى النَّعامِ بالسَّيرِ بَطيئًا تارِكَينِ ذلكَ الكَثيبَ بمتاعِهما العَجيبِ . كانا يعلمانِ أَنَّ هُناكَ صَخرةً ضَخمةً على بُعدِ مَسافةٍ مِن هُناك . كانَت تِلكَ الصَّخرةُ هي الهَدَفَ الذي سارا باتِّجاهِه . كانا مُتشنِّجَينِ وقَلِقَينِ .

هل سَيصِلانِ إلى الصَّخرةِ في الوَقتِ المُلائم يا تُرى؟ كانا يَعلمانِ أنَّ العاصفةَ قد هَدأَت لِفترةٍ قَصيرةٍ فقطْ لِتَلتَقِطَ أنفاسَها ، وأنّها ستَنقَضُّ عليهِما ثانِيةً في وَقتٍ قَريبٍ .

وَصلا بعدَ بُرهةٍ إلى الصَّخرةِ السَّوداءِ التي كانا قد احتمَيا بها مِرارًا في السّابقِ . كانَت قِطعةٌ مِنَ الصَّخرةِ قد أفلَتَت مِن مَكانِها ، وها هي الآنَ تقفُ مائلةً تجاهَ السُّورِ الصَّخريِّ للجَبلِ مُشكِّلةً مَغارةً صَغيرةً . وَصَلا إلى فَتحةِ المَغارةِ في اللَّحظَةِ التي انقضّتْ فيها العاصِفةُ على الصّحراءِ عاويةً مِن جَديدٍ . تمدَّدَ ذَكرُ النَّعامِ على الأرضِ مرّةً أخرى وأنزلَ الصَّبيَّ عن ظهرِه إلى الأرضِ داخِلَ المغارةِ التي قدّمَتْ قَدْرًا لا بأسَ به مِنَ الحِماية . فلا الرِّيحُ ولا الرَّمْلُ المتطايرُ كانا يَصلانِ إلى داخِلِ المَغارَةِ .

– ما علينا سِوى أن نَنسى عُشَّ البَيضِ ذاك ، قالَت ماكو لِزوجِها حوج . حينَ تَعصِفُ الرّيحُ هكذا ينتقلُ الرَّمْلُ مِنَ مَكانٍ إلى آخرَ . لن نَجدَ العُشَّ مَهما بَحثْنا عن مَكانِه .

– أجلْ ، أعلمُ ذلك ، قالَ زوجُها حوج . يجبُ أن نَضَعَ بَيْضًا مِنَ جَديدٍ .

– لكنْ ، ماذا سنَفعلُ بهذا؟ قالَتِ النَّعامةُ . بهذا الطِّفلِ . يبدو بائسًا لا عونَ له . أخشى أن يُباشِرَ البُكاءَ مُجدَّدًا .

الحقيقةُ هي أنَّ طُيورَ النَّعامِ خَرساءَ . فهي تفتقدُ للأوتارِ الصَّوتيّةِ ولا يُمكِنُها إصدارُ الأصواتِ . لذلكَ نجدُ أنَّ المُحادثاتِ التي تدُورُ بينَ ماكو وحوج هي أحاديثُ صامتةٌ لأنَّ أفكارَهما تَنتقِلُ بَينَهما مِنَ الواحدِ إلى الآخَرِ .

لم تَكدِ النَّعامةُ تنتهي مِن جُملةِ «أخشى أنْ يُباشِرَ البُكاءَ مُجدَّدًا» حتّى أجهشَ الصَّبيُّ بالبُكاءِ . نَظَرَ طائرا النَّعامِ بحيرَةٍ كُلٌّ مِنهما باتِّجاهِ الآخَرِ . بُكاءُ الأطفالِ كانَ أمرًا لا خِبرةَ لهما به على الإطلاقِ .

فَجْأةً صَمَتَ الطِّفلُ . كانَ يحدِّقُ إلى شيءٍ تَحرَّكَ على الأرضِ . كانَ شَيْئًا طُولُه حوالَي العَشرةِ سنتيمترات وكانَ يَتَحَرَّكُ باتِّجاهِه .

كانَ ذلكَ الشَّيْءُ عَقْرَبًا أزْعَجَتهُ تِلكَ الزِّيارَةُ المُفاجِئةُ لِمَغارتِه . وكانَ العَقرَبُ يَزْحَفُ الآنَ باتّجاهِ الصَّبيِّ . ضَحِكَ الصّبيُّ لأنّهُ وَجَدَ أنَّ الحَيَوانَ الذي كانَ يَزحفُ باتِّجاهِهِ لَهُ شَكلٌ مُثيرٌ للضّحِكِ . مَدَّ يَدَهُ المُكتنِزةَ نَحْوَ العَقْرَبِ . رَفَعَ العَقْرَبُ ذيلَه المزوّدَ بزباني سامّةٍ بسُرعَةِ البرقِ لِيلدَغَه . لكنَّ أُنْثَى النَّعامِ كانَت أسْرَعَ فوجَّهَت ضَربةً قاضِيةً للعَقْرَبِ بِمنقارِها الضَّخمِ .

أمسَكَ الصّبيُّ بالعَقرَبِ المَيِّتِ ووَضَعَهُ في فَمِه .

هذا الحَدَثُ هو أوَّلُ الأحداثِ التي بَقِيت في ذاكِرةِ الصَّبيِّ .

سَوفَ يَتذكَّرُ في المُسْتَقْبَلِ مَغارةً وحَيَوانًا مُضحِكًا زَحَفَ نَحوَه . وفي وقتٍ لاحِقٍ سيتعرَّفُ إلى ثَمانيةِ أنواعٍ مِنَ العقارِبِ التي تَحمِلُ في مُؤخِّرةِ ذَنَبِها أنواعًا قاتِلةً مِنَ السُّمومِ ، وذلكَ ليتعاملَ مَعَها بِحَذَرٍ . لكنَّ ذِكرى الطُّفولةِ تِلكَ كانَت خاليةً مِنَ الذُّعرِ ، مَليئةً بِالبَهجةِ . كانَ الحَيَوانُ مُضحِكًا . قَتَلَتهُ أمُّهُ النَّعامةُ وأكلَهُ هو . كانَ طَعمُهُ لَذيذًا .

كانَت ذِكرى أولى سَعيدةً .

دامَت العاصِفةُ وَقتًا طَويلًا وقَطَعَ طائرا النَّعامِ الأملَ بإيجادِ عُشِّهما والبَيضِ الذي كانَ فيه . بَدَلًا مِنَ التَّحسُّرِ على ما كانَ راحا يَعتنيانِ بالطِّفلِ الذي وَجَداه . كانَت خَنافسُ سَوداءُ اللَّونِ تَزحَفُ مِن مَخابِئها تَحْتَ الرَّملِ في أثناءِ اللَّيلِ فيقتُلُها طائرا النَّعامِ ويرميانِها للصَّبيِّ . أسعَدَهُما اكتشافُ

الأسنانِ المَتينةِ في فَمِ الصَّبيِّ التي مَكَّنتهُ مِنَ المَضغِ جيّدًا . وكانا يَحفرانِ في الرَّملِ الذي تَجمَّعَ عندَ مَدخَلِ المَغارةِ ويجدانِ يرقاتٍ زهريّةَ اللَّونِ كانَ يدفعُ كلٌّ منهما بها بِمنقارِه نَحوَ الصَّبيّ ، كانَ يأكلُها أيضًا . لكنّ اليرقاتِ كانَت تزحَفُ فَوْقَ لِسانِه وتَجعلُه يَضحَكُ قَبلَ أنْ يَتمكّنَ مِنَ ابتلاعِها .

وفي تِلكَ المغارةِ تَعلَّمتِ النَّعامةُ الأمُّ الفَرقَ بينَ صِغارِ النَّعامِ وصِغارِ البَشَرِ ، وهو أنّ صِغارَ البَشَرِ يَضحَكُونَ . كانَت تَفرَحُ كَثيرًا عِندَما كانَت تَستمِعُ إلى ضحكةِ وَلَدِها الصّغيرِ . وكانَت تومِئُ بِفَرَحٍ إلى زَوجِها كُلّما رأتِ الصَّبيَّ يأكُلُ طَعامَه . كانَت كَكُلِّ أمٍّ تحبُّ أن تَرى طِفلَها وهو يأكُلُ .

وفي الخارِجِ لَم تتوقَّفِ العاصفةُ عنِ التّداعِي فَوْقَ الصَّحراءِ .

أسئلةُ الفصلِ

1 . يَذْكُرُ هذا الفَصلُ أنَّ الحَيواناتِ لها القُدْرَةُ على الإحْساسِ بِقُدومِ العَواصِفِ قَبْلَ أَنْ تَقَعَ . اِبْحَثْ في هذا الأمْرِ ، واشْرَحْ إذا كانَ حَقيقَةً عِلْمِيَّةً أَمْ مُجَرَّدَ افْتِراضٍ لا صِحَّةَ لَهُ . ناقِشْ زُمَلاءَكَ وَمُعَلِّمَكَ في النَّتائِجِ الَّتي تَوَصَّلْتَ إلَيها .

2 . كَيفَ يَقَعُ التّواصُلُ بَينَ أَفْرادِ النَّعامِ في الحَقيقَةِ؟ وَلِماذا نَتَقبَّلُ نَحْنُ -القُرّاءَ- مَسْأَلَةَ المُحادثاتِ بينَ (ماكو وحوج) ، وَنَستمِرُّ في القِراءَةِ؟ ما الَّذي يَقولُهُ ذلكَ لكَ عنْ عالَمِ الخَيالِ؟

3 . كانَ البقاءُ في المغارَةِ الصَّغيرَةِ مُهمًّا منْ أجلِ أنْ تتكوَّنَ عَلاقَةُ أُلْفَةٍ بينَ هدارة وَأُمِّهِ (ماكو) وأبيهِ (حوج) . سَجِّلْ هُنا بعضَ مَظاهِرِ تَحَقُّقِ هذهِ الأُلْفَةِ بَيْنَهما .

4 . ضَعِ العِبارَةَ الآتيَةَ في جُملةٍ مُفيدَةٍ منْ إنْشائِكَ : «يَلْتَقِطُ أَنْفاسَهُ»؟

5 . اكْتُبْ سَطرًا لِبِدايَةِ قِصَّةٍ مُتَخَيَّلَةٍ ، وَضَمِّنْهُ هذهِ الجُملةَ «كانا مُتَشَنِّجَينِ وقَلِقَيْنِ» .

6 . أَعْرِبْ (شَفويًا) الكَلماتِ الَّتي تَحتَها خَطٌّ فيما يَأْتي :

- وَصَلا **بَعْدَ** بُرْهَةٍ إلى الصَّخْرَةِ **السَّوداءِ** الَّتي كانا قَدِ احْتَمَيا بِها **مِرارًا** في السّابِقِ .
- وَصَلا إلى فَتْحَةِ المغارَةِ في اللَّحْظَةِ الَّتي انْقَضّتْ فيها **العاصِفَةُ** على الصَّحراءِ عاوِيَةً مِنْ جَديدٍ .
- دامَتِ العاصِفَةُ **وَقْتًا** طَويلًا ، وقَطَعَ **طائِرا** النَّعامِ الأَمَلَ بإيجادِ عُشِّهِما والبَيْضِ الَّذي كانَ فيهِ .

الفصلُ الثالثُ

حِينَ طَلَبَت أمُّ هَدارةَ من راعي الجِمالِ دَولةَ أنْ يطلبَ العَونَ مِنَ اللّٰهِ

كانَت فاطمةُ تَركبُ جَمَلها في مُؤخِّرةِ القافِلةِ . لكن لَمْ يَعُدْ لديها صَبِيٌّ صَغِيرٌ تَحضنُهُ بَينَ ذِراعَيها . بَكَت . لماذا عاقبَها اللهُ بهذه الطَّريقةِ؟ لكنْ بالرّغم مِن أنَّهُ قد مَضَت عَشرةُ أيّامٍ على اختفاءِ هَدارةَ ، وبالرُّغم مِن أنَّ كلَّ أفرادِ عائلتِها قالوا لها إنَّ عليها أن تُدرِكَ أنَّ وَلَدَها هَدارةَ ، طِفلَها الصَّغيرَ ، قد ماتَ إلّا أنَّها رَفَضَت أن تُصدِّقَ ذلك . كانَت تَتَلفَّتُ حَولَها طَوالَ الوَقتِ بينَما كانَ جَمَلُها يَتَحَرَّكُ بِبُطءٍ إلى الأمامِ ، خَلفَ الآخَرينَ . كانَت تنظرُ لِتَرى ما إذا كانَ هَدارةُ سَيَظهَرُ للعَيانِ في مَكانٍ ما ، خَلْفَ صَخرةٍ أو خَلفَ شَجَرةٍ أكاسيا . كانَت تَعلمُ أنَّ ذلكَ الأمرَ كانَ مُستحيلًا لكنَّها لَمْ تَتمكَّنْ مِنَ الامتناعِ عن النَّظَر ، وعن الأمَل .

تَوقَّفوا عندَ بئرٍ لِتشرَبَ جِمالُهم وماعِزُهم ولِيرووا عَطَشهم هُم أيضًا . نَصَبوا خيامَهم وقَرَّروا البَقاءَ في ذلكَ المَكانِ ؛ لأنّهُ كانَ فِيهِ ما يكفي مِنَ العُشبِ لِتَرعى قُطعانُهم . عِندَما وَصَلَت مَجموعةٌ مِنْ بَدوِ الصَّحراءِ إلى

البئرِ ذاتِها امتلأتْ نَفْسُ فاطمةَ بالأملِ . الرّجُلُ الذي قادَ تِلكَ المَجمُوعةَ مِنَ النّاسِ وقَطيعَ جِمالِهم الضَّخمَ ، كانَ يُدعَى دَولةَ ، وهوَ رَجُلٌ مَشهورٌ جِدًّا في هذا الجُزءِ مِنَ الصَّحراءِ . كانَ مَشهورًا لأنّهُ لَمْ يكدْ يوجدُ شَخصٌ آخرُ يُلِمُّ بذاتِ القَدْرِ مِنَ المَعرفةِ التي كانَ دَولةُ يُلِمُّ بها عن الجِمالِ . لكِنَّهُ كانَ مُشهورًا وحائزًا على التَّقديرِ لِسَبَبٍ مُختلِفٍ تَمامًا ، وهوَ صَلواتُ أيّامِ الجُمعةِ . كانَ البدوُ الرُّحَّلُ كُلُّهم في هذا الجزءِ مِنَ الصَّحراءِ يعتقدونَ أنَّ دَولةَ كانَ يَتَمتَّعُ بِصِلةٍ خاصّةٍ مَعَ اللّهِ . كانَ النّاسُ يَتجمَّعونَ حَوْلَهُ كُلَّ يَومِ جُمعةٍ لِيستمِعوا إلى صَلواتِه وتراتيلِه التي كانَ يُوجِّهُها إلى اللّهِ عزَّ وجلَّ .

وَجَدَتْهُ فاطِمةُ واقِفًا في وَسَطِ قَطيعِ جِمالِه . كانَ دَولةُ رَجُلاً زِنجِيًّا طَويلَ القامةِ ، ذا يَدينِ هائلتَي الحَجمِ .

– لا يَعرِفُ زَوجي وأفْرادُ عائلتي الآخَرونَ أنَّني أتيتُ إليكَ ، قالَت فاطِمةُ . فَهُم يقولونَ إنَّهُ لن يُفيدَ التَّوسُّلُ إلى اللّهِ لكي يَرُدَّ لنا وَلدَنا . يقولونَ إنَّهُ لا يوجدُ هُناك ذَرَّةُ أمَلٍ .

– اللّهُ رَحمنٌ رَحيمٌ قادِرٌ على كُلِّ شَيءٍ ، قالَ دَولةُ وتحَسَّسَ مقدّمةَ رأسِ أحَدِ جِمالِه .

عِندَما سَمِعَت فاطمةُ كَلِماتِه هذه تَجَرّأت وطَلَبَت مِن دَولةَ أن يتوسَّلَ إلى اللّهِ في ذلكَ المَساءِ وأنْ يسألَهُ حِفظَ حَياةِ وَلدِها . كانَ وَجهُ دَولةَ مُلثَّمًا بِقطعةِ قُماشٍ بَيضاءَ ولم يَظهرْ مِن وَجهِه للعَيانِ سِوى العَينينِ والأنفِ الضَّخمِ . رأت فاطمةُ الدِّفءَ واللُّطفَ يُشِعّانِ مِن ذلكَ الوَجهِ . نَظَرَ إليها وقالَ بِصوتِهِ العَميقِ :

– تعالَي إليَّ في المَساءِ . سأتوجّهُ اللَّيلةَ بدُعائي إلى اللّهِ .

عِندَما هَبطَ اللَّيلُ كغِطاءٍ أَسودَ فَوقَ الصَّحراءِ ، تَجمَّعَ البَدوُ الذين كانوا قد نَصبوا خِيامَهَم بالقُرْبِ مِنَ البِئرِ . أحضرَ كُلٌّ مِنهم شُجيراتٍ جافّةً وأغصانًا مَيتةً وجَعلوا مِنها كَومةً ضَخمةً . عِندَما أُشعِلَتِ النارُ نَهَضَ دَولةُ مِن مَكانِه . وَجَّهَ وَجهَهُ نَحْوَ السَّماءِ ورَفَعَ ذِراعيه إلى أعلى . راحَ يَقرأُ بِصوتِه القَوِيِّ :

«بسمِ اللّهِ الرّحمنِ الرّحيمِ

سبّحَ للّهِ ما في السّمواتِ والأرضِ وهوَ العزيزُ الحكيم . له مُلكُ السَّمواتِ والأرضِ يُحيي ويُميتُ وهوَ على كُلِّ شَيءٍ قَديرٌ . هو الأوَّلُ والآخِرُ والظّاهِرُ والباطِنُ وهوَ بِكُلِّ شَيءٍ عَليمٌ . هو الذي خَلَقَ السَّمواتِ والأرضَ في سِتّةِ أَيّامٍ ثمّ استَوى على العَرْشِ يَعلمُ ما يَلِجُ في الأرضِ وما يَخرُجُ منها وما يَنزِلُ مِنَ السّماءِ وما يَعرُجُ فيها وهو مَعكُم أينَ ما كُنتم واللّهُ بما تَعملونَ بَصيرٌ .

صدقَ اللّهُ العظيمُ»

كانَت والدةُ الصَّبيِّ المَفقودِ الذي يُدعى هَدّارةَ جالسةً على الأرضِ ، يحيط بها أفْرادُ عائلتِها . كانَت قد تَدَبَّرَتِ الأمرَ ، واختارَت مَكانًا لَها في المُقدِّمةِ ، بالقُربِ مِنَ النّارِ والرّجُلِ المُتَوسِّلِ إلى اللّهِ . كانَت تَستمعُ بِشَغَفٍ لِكُلِّ كَلمةٍ يَقولها .

قامَ دَولةُ بِالصّلاةِ ثمّ وَجَّهَ دُعاءَه إلى اللّهِ . كانَ العَرَقُ يَتَصَبَّبُ مِن

وَجهِه . كانَ يبدو كأَنَّهُ وَقَعَ في غَشيةٍ ، وأدرَكَت فاطمةُ أنَّهُ كانَ يُرَدِّدُ آياتٍ مِنَ القُرآنِ الكَريمِ . لكِنَّهُ نَطَقَ في النِّهايةِ بِالكلماتِ التي كانَت تَنتظِرُها وتأمَلُ بِها . قالَ دَولةُ فيما كانَت عَيناه تُحدِّقُ إلى السَّماءِ المَليئةِ بِالنُّجومِ :

– يا رَبّي ، يا اللّهُ يا حَبيبي ، أطلبُ إليكَ وبِكُلِّ أسمائِكَ الحُسنى ، وأتوسَّلُ إليكَ يا قادِرُ على كُلِّ شَيءٍ أن تُعينَ والِدَتَهُ على إيجادِ وَلَدِها المَفقودِ .

تابعَ دَولة صَلاتَه ، ساعةً بعدَ ساعةٍ . كانَ يتوقَّفُ عنِ الصلاةِ بينَ فَتْرَةٍ وأخرى ليتضرّعَ إلى اللّهِ .

وفاطمةُ يَحْدوها الأملُ في أن يستجيبَ اللّهُ لصلواتِهم ودُعائِهم وتَعثرَ على ابنِها على قيدِ الحَياةِ ، لكنَّ زوجَها همَسَ في أذنِها :

–عَليكِ أن تفهَمي أنَّ وَلَدَنا قد ماتَ . عَليكِ أن تَكُفّي عنِ الأملِ . عَليكِ أن تَكُفّي عنِ الحُزنِ . لا يُمكِنُ لِطفلٍ أنْ ينجُوَ مِن عاصِفةٍ رَمليّةٍ كتلكَ ، خاصّةً أنّ عُمرَه لا يَزيدُ عنِ السّنتَينِ .

أسئلةُ الفصلِ

1 . بِمَ كانَ يَتَميَّزُ رَجلُ الصّحراءِ (دولة) عَنْ بَقيَّةِ رِجالِ الصّحراءِ؟

2 . ماذا طَلَبَتْ أُمُّ هدّارةَ مِنْ (دولة)؟

3 . «عندَما هَبَطَ اللَّيْلُ كَغِطاءٍ أسْوَدَ . . . . . .» أَكْمِلْ هذهِ العِبارَةَ بِجُمْلَةٍ مِنْ إِنْشائِكَ .

4 . ضَعِ العِبارَةَ الآتيَةَ في جُمْلَةٍ مُفيدَةٍ مِنْ إِنْشائِكَ : «أَنْ تُعْطيَني بُرْهانًا»

5 . اِسْتخرِجْ مِنَ الجُمَلِ الآتيةِ مفْعولي الزَّمانِ والمكانِ :

- كانَ النّاسُ يَتجمَّعونَ حَولَهُ كُلَّ يَوْمِ جُمُعَةٍ لِيَستَمعوا إلى صَلَواتِهِ وَتَراتيلِهِ .
- تَعالَي إليَّ في المَساءِ . سَأَتَوَجّهُ اللَّيلةَ بِدُعائي إلى اللهِ .
- تابَعَ (دولة) صلاتَهُ ساعَةً بعدَ ساعَةٍ .

الفصلُ الرابعُ

في مُواجَهةِ المَوتِ

انضَمّت ثلاثُ نَعاماتٍ شابّاتٍ إلى السِّربِ الذي كانَ يتألَّفُ مِنَ الزَّوجينِ والطِّفلِ البَشَريّ . أرادَت كُلٌّ مِنهُنَّ أنْ تَبيضَ لكنَّهُنَّ انتظَرْنَ الوُصولَ إلى مَكانٍ آخرَ . لَمْ يَكُنْ لأيٍّ مِنهُنَّ رَغْبَةٌ بِبناءِ عُشٍّ في ذلكَ المَكانِ الذي اخْتَفى فِيهِ بَيْضُ النَّعامِ تَحْتَ تَلٍّ مِنَ الرَّمْلِ .

تَنقَّلوا خِلالَ اللَّيلِ . صَعِدَ البَدَرُ بِبُطءٍ في سَماءِ الصَّحراءِ حينَ بَدأوا مَسيرَتهُم بَحثًا عن مَكانٍ جَديدٍ يَبنونَ فيهِ أعشاشًا جَديدةً يَبيضون فيها . تَمكَّنَت ماكو مُجدَّدًا مِن وَضعِ الصَّبيِّ على ظَهرِ الذّكرِ حوج . تَمدَّدَ الوَلَدُ على بَطنِه مُمسِكًا بِريشِ الجَناحينِ الغَزيرِ . ساروا في صَفٍّ مُستقيمٍ طَويلٍ . كانَ حوجٌ يَسيرُ في المُقدِّمةِ حامِلًا الصَّبيَّ فَوْقَ ظَهرِه وخَلْفَهُ سارَت ماكو . خَلْفَ حوجٍ وماكو سارَتِ الإناثُ الثّاباتُ الثّلاثُ .

ساروا على الحافّةِ العُليا لكَثيبٍ رَمليّ . رأوا في البَعيدِ ألسنةَ لَهيبِ نارٍ ومعَ الرّيحِ الخَفيفةِ وَصَلَت إليهم رائحةُ البَشَرِ والجِمالِ سَمِعوا أغانيَ وصَفيقَ أيدٍ مُنتَظِمِ الإيقاعِ ، دُونَ أنْ يعلمُوا ما الذي كانوا يسمعُونه . انتَشَرَ الذُّعرُ بَينَهم . أسْرَعَ حوجٌ خُطاه حتّى يَبتَعدَ عن بَنِي آدمَ . أفلَتَ

الوَلَدُ عِندَها قبضَتَيه ، وَقَعَ على الأرضِ وَراحَ يَصرُخُ .

– هذا لن يَنفَعَ أبدًا . هذا الوَلَدُ حالةٌ مَيئوسٌ مِنها . إنَّهُ لا يُحسِنُ القِيامَ بأيِّ شَيءٍ . لا يقدرُ على المَشيِ ولا على الرَّكضِ . فَرخُ نَعامٍ في هذه السِّنِّ يُجيدُ السَّيرَ ، والرَّكضَ وإيجادَ طَعامِه بِنفسِه . هذا وَلَدٌ مُتَخَلِّفٌ . لا بُدَّ أنَّهُ يعاني مِن عِلَّةٍ خَطيرةٍ .

– اصمُتِ الآن ، قالَت ماكو بِحَزم . ارقُدْ هنا .

وهكذا دَفَعَت هَدارةَ بِحنانٍ إلى ذَكَرِ النَّعامِ الرّاقدِ وجَعلَتهُ يتَسَلّقُ إلى أعلى ظهرِه ويتمسَّكُ بريشِهِ بِقُوّةٍ .

تابَعُوا مَسيرَتهُم في صَفٍّ مُستقيم . كانَ حوجُ يتذمَّرُ بلا انقطاعٍ لكنَّ ماكو لَمْ تَكترِثْ لِلأمرِ . فقد حَصَلَت على طِفلٍ جَديدٍ وكانَت مُصَمِّمَةً على الاحتفاظِ به .

عِندَما ابتعَدوا عنِ البَشَرِ والجِمالِ بما فِيهِ الكِفايةُ تَمَدَّدُوا على الرَّملِ لِيناموا .

تَمَدَّدَت ماكو فَوقَ الطِّفلِ إذ إنَّ هذا صارَ أمرًا تعَوّدَته . صارَ لهَدارةَ تَحتَ ريشِها النّاعِمِ سَريرٌ دافِئٌ مُريحٌ ، ولذلِكَ استغرَقَ في النَّومِ بِسُرعَةٍ .

عِندَما استيقَظَ الجَميعُ عندَ الفجرِ حاوَلَت ماكو أن تُعلِّمَهُ الكَلامَ بِواسِطةِ الأفكارِ .

– اسمي ماكو . أنا أمُّك ، قالَت له .

لم تَحصُلْ على جَوابٍ مِنه . هل كانَ عاجزًا عنِ الحديثِ بِواسِطةِ الأفكارِ؟ ماذا لو كانَ مُتَخَلِّفًا بالفِعلِ؟

كانَت الإناثُ الثّلاثُ الشّاباتُ تَزدادُ فُضوليَّةً وتَوَدُّ مَعرِفةَ المَزيدِ عن

الطِّفل . إذ إنَّهُ لَمْ يَكُنْ يُشبِهُ شَيْئًا أو أحَدًا رأيْنَهُ مِن قَبلُ . كُنَّ يَتَقَدَّمنَ مِنهُ ويَتجمَّعنَ حَولَه . كُنَّ فُضوليّاتٍ كَكُلِّ طُيورِ النَّعامِ ، وحاوَلَت كُلٌّ مِنهُنَّ التَّعرُّفَ إليهِ عَن قُربٍ إذ تَعُضُّهُ وتقرُصُهُ بِحَذَرٍ بِمنقارِها . عَضَّتهُ إحداهُنَّ مِن أُذنِه والأخرى مِن يَدَيهِ الصَّغيرتينِ . حالما فَعَلْنَ ذلكَ كانَت شَفَةُ هَدارةَ السُّفلى تَتَقَوَّسُ ثمّ يباشِرُ بالبُكاءِ . كانَت ماكو تَشْعُرُ كأنَّ بُكاءَه سِكّينٌ يَقطَعُ في جَسَدِها لذلكَ وَبَّخَت زَوجَها والإناثَ الثّلاثَ .

– ألا تُلاحِظون أنّ الطِّفلَ يَخافُ؟ مَمنوعٌ على أيٍّ مِنكُنَّ أن يَقرُصَه . عليكم أن تفعَلوا مِثلي فَتداعِبونَه كُلٌّ بِمنقارِه . هو يُحِبُّ ذلك .

انحَنَت ماكو فَوقَه وتَحَسَّسَت ذِراعَهُ الصّغيرةَ المُكتنِزةَ بِمنقارِها بِلُطفٍ . تَوَقَّفَ الطِّفلُ عنِ البُكاءِ وابتسَمَ لها . سَوَّت بعدَ ذلكَ قَوامَها وبَدا عليها بِوُضوحٍ أنّها كانَت راضيةً عن نَفسِها .

– هكذا سَتفعلون . ثمَّ ، أضافَت مُهدِّدةً ، إذا رأيتُ أحَدًا مِنكُم يقرُصُه أو يَعُضُّهُ فَسأُعاقِبُه بِنفسِي .

تابعَ سَربُ النَّعامِ مَسيرَتهُ تارِكًا خَلْفَهُ الكُثبانَ الصّفراءَ ودَخَلَ في مِنطقةٍ مسطّحةٍ تَمامًا ، مغطّاةٍ برملٍ رماديِّ اللّونِ خشنِ الملمسِ وببَعضِ الأحجارِ السّوداءِ المرميّةِ هنا وهُناك .

كان الذكّرُ حوجُ يسيرُ موطَّدَ العزمِ ، إذ كانَ يبحثُ عن مَكانٍ يبني فِيهِ عُشَّه الجَديدَ يتوفّرُ فِيهِ ما يَكفي مِنَ الطّعامِ . كانوا يَسيرون بِبُطءٍ بسَبَبِ هَدارةَ .

لكن كُلّما حَاوَلَ حوجُ التَّذمُّر ، كانَت ماكو تُجيبُه :

– أنتَ تعلمُ قانونَ النَّعام جيّدًا . على السِّربِ أن يسيرَ بالسُّرعةِ التي تُناسِبُ أبطأَ عُضوٍ فيه . ألا تَرى أنّ الصَّبِيَّ يَسيرُ سيرًا أفضَلَ يَومًا بعدَ يَومٍ؟ لن يَحتاجَ إلى الرُّكوبِ على ظَهرِكَ قَريبًا بل سيتمكَّنُ مِنَ السَّيرِ بِنفسِه .

كانَ حوجُ يتظاهرُ بالمُوافقةِ على رأيِ زَوجَتِه . لكِنَّهُ كانَ قد صَمَّمَ في قَرارةِ نَفسِهِ على التَّخلُّصِ مِنَ الصَّبِيِّ في أقربِ وَقتٍ مُمكِنٍ . ذلكَ الطِّفلِ البشريِّ . ذلكَ العبءِ الإضافِيِّ العديمِ الفائدةِ .

سَنَحَت له فُرصةٌ مُناسِبةٌ لذلكَ بعدَ بضعةِ أيّامٍ . إذ ذَهَبَت الإناثُ لِلبحثِ عن أوراقٍ خَضراءَ صالحةٍ لِلأكلِ ومُحاولةِ إيجادِ غَديرٍ أو مُستنقَعٍ للشُّربِ . بقيَ حوجُ لِحراسةِ الطِّفلِ . كانَت ماكو قد طَلَبت مِنه أن يَلتقِطَ يَرَقاتٍ ويُقدِّمَها له ، لكنَّ حوجًا لَمْ يفعلْ ذلك .

تأخّرت الإناثُ وكانَت أشِعّةُ الشّمسِ تَنْصَبُّ عليهما بِقسوةٍ . كانَ يومًا مِنَ الأيّامِ الصّافيةِ جِدًّا ، وبدأتِ الصّحراءُ تَعُجُّ بسَراباتٍ لامِعةٍ . كانَت الصّحراءُ مِن حَولِهم مُسطَّحةً ، لكنّ الأرضَ بَدَت فَجْأةً وكأنّها مُغطّاةٌ بِمياهٍ زَرقاءِ اللّونِ . لا بُدَّ أنَّهُ كانَ قد تبقَّت في ذِهنِ الطِّفلِ ذِكرياتٌ تَتعلَّقُ بِالينابيعِ والأغادِيرِ ؛ إذ إنَّهُ انتصَبَ واقِفًا حينَ رأى اللّونَ الأزرقَ اللاّمِعَ . كانَ عَطِشًا لِدرجةِ أنَّهُ صَعُبَ عَلَيهِ أن يبلَعَ رِيقَه . كانَ مُتشوِّقًا إلى ذلكَ الأزرقِ الفاتِحِ . وَقَفَ على ساقَيه وسارَ بِخُطًى قَصيرةٍ قَلِقةٍ باتِّجاهِها . غيرَ أنّها كانَت تَنتقِلُ مِنْ مَكانٍ إلى آخرَ طَوالَ الوَقتِ . كانَ السَّرابُ الأزرَقُ اللاّمِعُ يَسبِقُه دائمًا . جَعَلَهُ العَطَشُ يَمُصُّ إبهامَهُ .

اسْتَمَرَّ بالسَّيرِ بِخُطًى غَيرِ واثِقةٍ باتِّجاهِ ما كانَ يَجِبُ أن تكونَ مياهًا . بما أنّها اسْتَمَرَّت بالانتقالِ كلّما أرادَ الاقترابَ مِنها ، بدأ يَركضُ حتّى يلحَقَ بها بسُرْعَةٍ .

وَقفَ حوجُ في مَكانِه مُحَدِّقًا .

رأى الطِّفلَ يُغادِرُ المَكانَ بِخُطًى غَيرِ واثِقةٍ .

رأى الطِّفلَ يرْكُضُ .

رأى الطِّفلَ يقعُ ويبقى مُمَدَّدًا في مَكانِه على الأرضِ . لا بُدَّ أنّ المَوتَ سيأتيهِ قَريبًا . كانَ حوجُ مُقتنِعًا بذلك .

رَفَعَ الطِّفلُ نَظَرَه ورأى رَملاً رَماديَّ اللّونِ وسَماءً ساخِنةً كالجَمرِ . وَضَع إبهامَه في فَمِهِ مِنَ جَديدٍ ، وَراحَ يَمُصُّ بحدّةٍ ، لكنْ من دونِ فائدةٍ . كانَ عَطَشُه يَزدادُ طَوالَ الوَقتِ . أغْمَضَ عَينَيهِ وبَقِيَ مُمَدّدًا على الأرضِ دُونَ حَرَكَةٍ . لَمْ يَعُدْ يَقوى حتّى على مصِّ إبهامِه . لذلكَ لَمْ يرَ النَّسرَ الذي وَجَدَهُ فَريسةً ، فَراحَ يدورُ مُحَلِّقًا فَوْقَه . حَلَّقَ النَّسرُ وحَلَّقَ فَوقَ الطِّفلِ . كانَ الطائِرُ قد قَرّرَ الانتظارَ إلى ما بعدَ مَوتِ الفَريسةِ حتّى يَحُطَّ عِندَها ويُباشِرَ بالتهامِها .

رأى حوجُ الطِّفلَ مُستلقِيًا على الأرضِ بلا حَرَكَةٍ على الرّمالِ الرّماديّةِ اللَّونِ ، ورأى النَّسرَ الذي كانَ يُحلِّقُ فَوْقَه فأدارَ ظَهرَه وباشَرَ بالرَّكضِ تارِكًا المَكانَ بِخُطًى طَويلةٍ رَشيقةٍ .

شَعَرَ وكأنَّ حِملاً ثقيلًا رُفِعَ عن ظَهرِه . أخيرًا سيعُودُ كُلُّ شَيءٍ إلى ما كانَ عَلَيهِ في السّابِقِ .

أسئلةُ الفصلِ

1 . يَستَخْدِمُ كَثيرٌ مِنَ الكُتّابِ تِقْنِيَّةً في الكِتابَةِ تُعْرَفُ بِمُصْطَلَحِ "المُفارَقَةُ الدِّرامِيّةُ" ، وتُعَرَّفُ أنَّها : تِقْنِيَّةٌ أَدَبِيَّةٌ تَتَحقَّقُ في النَّصِّ عندَما يَعرِفُ القارِئُ مَعْلوماتٍ مُهِمَّةً ومَصيريَّةً بِالنّسبةِ إلى إِحْدى شَخصيّاتِ الرِّوايَةِ ، بَيْنَما الشَّخصيَّةُ نَفْسُها تَجْهَلُ هذهِ المَعْلوماتِ . أَينَ تَجِدُ هذهِ التِّقْنِيَّةَ في هذا الفَصلِ؟ اقْرَأِ المَقْطَعَ على زُمَلائِكَ .

2 . تُستخْدَمُ هذه التِّقْنيَّةُ كَثيرًا في الأفلامِ أيْضًا ، خاصَّةً أفلامَ الرُّعْبِ ، حينَ يَعْرِفُ المُشاهِدُ أمرًا ، وَيَجْهَلُهُ البطَلُ . ما الَّذي تُحقِّقُهُ هذه التِّقْنِيَّةُ في رَأيِكَ ، سَواءٌ أكانَ في الرِّواياتِ أمْ في الأفْلامِ؟

3 . ما القانونُ الَّذي ذُكِرَ في هذا الفصلِ منْ قانونِ النّعامِ؟

4 . ظَهَرَتْ عاطِفَةُ الأُمومَةِ بِوضوحٍ على (ماكو) في هذا الفَصلِ ، اكْتُبْ ثلاثَةَ أَدِلَّةٍ تُؤَيِّدُ ذلكَ :

5 . تَغيَّرَ المكانُ في هذا الفصلِ تغيُّرًا واضِحًا . اقْرأ الجُزْءَ الَّذي يُوَضِّحُ هذا الانتقالَ في المكانِ .

6 . ما مَوقِفُ (حوج) مِنَ الطِّفْلِ هدارة كما تُوضِّحُهُ أَحْداثُ هذا الفَصلِ؟ هَلْ تُؤَيِّدُهُ أمْ تُعارِضُهُ؟ ناقِشْ زُمَلاءَكَ في ذلكَ .

7 . أَعربْ (شَفويًا) الكَلِماتِ الَّتي تَحْتَها خَطٌّ فيما يَأْتي :

- تَنَقَّلوا خِلالَ اللَّيْلِ . صَعِدَ البَدْرُ بِبُطْءٍ في سَماءِ الصَّحراءِ حينَ بَدَؤوا مَسيرَتَهُمْ بَحثًا عَنْ مَكانٍ جديدٍ يَبْنونَ فيهِ أَعْشاشًا جَديدَةً .

الفصلُ الخامسُ

الأفْعى السّامَّةُ

عادَت النَّعامةُ ماكو راكِضةً باتِّجاهِ المَكانِ الذي تَرَكَت فِيهِ حوجًا والصَّبِيَّ . فَكّرت بالاسم الذي ستُطلِقُه عَليه . كانَت قد فَعلَت ذلكَ منذُ أنْ وجدَتِ الطِّفلَ في الرَّمْلِ . فكّرَت بكَثيرٍ مِنَ الأسماءِ ، لكنّها لَمْ تجدْ حتّى الآن اسمًا يَليقُ به .

لا بُدَّ أن تجدَ له اسمًا جَميلًا .

جَعلَت الأسماءَ تَتردَّدُ في ذِهنِها وهي تَرْكُضُ . ماجدٌ . عثمانُ . قدري . أو رُبّما حَسَنٌ . لا بأسَ باسمِ حَسنٍ . يجبُ أنْ تَتشاوَرَ معَ حوجٍ ، إذ لا بُدَّ مِن أن يُشارِكَ في الأمرِ .

رَكَضَت بسُرعَةٍ وخِفّةٍ ، فليسَ هُناكَ حَيَوانٌ أسْرَعُ مِنها سوى الفَهدِ الصَيّادِ .

الفهدُ الصيّادُ هو أسْرَعُ الحَيَواناتِ في هذه الصّحراءِ .

حاسّةُ النَّظَرِ لديها جيّدةٌ أيضًا . كانَت تتلفَّتُ يَمينًا ويَسارًا وهي تعدو ، وَفقًا لِعادتِها ؛ إذ إنَّها لا تتوقَّعُ حدوثَ مَكروهٍ الآنَ . لَيْسَ هُناكَ ثَعالبُ في الجِوارِ الآنَ . لَيسَ هُناكَ أُسودٌ ولا فُهودٌ صَيّادةٌ .

الحَذَرُ لَمْ يحرِمْها مِنَ الشُّعور بِالفَرَحِ . لَمْ يَدقَّ قلبُها أسْرَعَ مِنَ عادتِه . ازدادَ توقُّها كُلّما اقتربَت مِنَ المَكانِ الذي تَرَكَت فيهِ حوجًا والصَّبِيّ . إنها تَشْعُرُ بذاتِ الفَرَحِ الذي تَشْعُرُ به عادَةً عِندَما تقتربُ مِنَ عُشٍّ مَليءٍ بِصغارِها هي . رَكَضَت بخطواتٍ طَويلةٍ بِاتّجاهِ الواحةِ التي ملأَتها السّراباتُ . غيرَ أنّها لَمْ تَكُنْ تكترِثُ لتلك السّراباتِ التي كانَت تبدو كمُستنقعاتِ ماءٍ ضَخمةٍ لامعةٍ وَسطَ الرِّمالِ .

لَفَتَ نَظَرَها فَجْأةً نَسْرٌ مَشؤومٌ كانَ يَحومُ في حَلَقاتٍ تَضيقُ في السّماءِ تَدريجيًا . النُّسورُ تحومُ دائمًا بهذه الطّريقةِ إذا كانَت تَنتظِرُ مَوتَ أحَدٍ ما .

عِندَها رأَت كُتلةً سَوداءَ على الأرضِ ، كتلةً سَوداءَ هامِدةً بلا حَرَكَةٍ .

دَبَّ الذُّعرُ في قلبِها فرَكَضَت بِسُرعَةٍ باتّجاهِ تِلكَ الكُتلةِ .

إنّهُ الوَلَدُ البَشَريُّ .

إنه وَلَدُها .

كانَ مُمَدَّدًا على الأرضِ ، وَجهُهُ في الرَّمْلِ ، بِلا حَرَكَةٍ . تَنَفَّسَتْ بِصُعوبةٍ ولَكَزَتهُ بِمنقارِها . دَفَعَت بِقدمِها وجعلَتهُ ينقلبُ لِيستلقيَ على ظَهرِه . داعَبَت وجهَهُ بأحدِ جناحَيها بِغايةِ اللُّطفِ .

عِندَها رأت حَرَكَةً صَغيرةً ، بدأَت في جُفونِه التي تحرَّكتْ قليلًا ، فتحَ بعدَ ذلكَ فَمَه قَليلاً وأَغلَقَه ثمّ رَفَعَ الصّبِيُّ يدَه قَليلاً ووَضَعَ إبهامَه في فَمِه .

لم تتمكّنْ مِنَ تَذَكُّرِ البَقيّةِ فيما بَعدُ . فلم يَبْقَ في ذِهنِها صُورٌ واضِحةٌ لذلكَ الحَدَثِ ؛ لأنَّ ذُعرَها كانَ هائلًا .

تَمَدَّدَتْ على الأرضِ وتَمَكَّنتْ بعدَ حينَ بطَرِيقةٍ أو بأخرى مِن أن تَجعلَ

الصَّبِيَّ يصعَدُ فَوْقَ ظهرِها ، وهكذا حَمَلَتهُ بحَذرٍ فائقٍ حتى لا يَقَعَ ، وسارَت به إلى النَّبْعِ الذي كانَت قد وَجَدَتهُ لتوِّها . عِندَما وَصَلَت إلى النَّبعِ تَمَدَّدَت على الأرضِ ودَفَعَت بالصَّبِيِّ إلى حافةِ الماءِ . رأَته مُمَدّدًا على بَطنِه وكأنَّهُ مَيِّتٌ ، ثمّ رأَته يَتَحَرَّكُ قَليلاً ويَزْحَفُ باتِّجاهِ الماءِ . غَطَّسَ يديهِ في المياهِ ثمّ أحنى رأسَهُ تِجاهَها .

تَمَنَّت ماكو أنْ يقوى الصَّبِيُّ على حَملِ رأسِه فَوْقَ سَطحِ الماءِ حتى لا يَسقُطَ فيه ويغرقَ . هذا ما حَدَثَ للعديد مِنْ صِغارِها الّذين أوهنَهم العَطَشُ . لكنّ الصَّبِيَّ تَمَكَّنَ مِن رَفعِ رأسِه فَوْقَ سَطحِ الماءِ ، إذْ غَطَّسَ فَمَه فقطْ وَراحَ يَشْرَبُ . ثمّ يَشْرَبُ . ثمّ يَشْرَبُ .

سَتُصبِحُ هذه الحادثةُ الذِّكرى الثانيةَ التي سَيحتفِظُ بها الطِّفْلُ في ذِهنِه . سَوفَ يَتذكَّرُ طَوالَ حياتِه تِلكَ المَرَّةَ التي أتَتَ بها أُمُّه وأيقظَته مِنَ النَّومِ بمداعَبتِها له بوساطةِ جَناحِها . الصّورةُ التّاليةُ التي سَتَحِلُّ في ذِهنِه هي صورتُهُ وهو مُمَدَّدٌ على الأرضِ غارِسًا يدَيه في الماءِ الّذي راحَ يَشرَبُ منه . لَمْ يَسبِقْ له قَطُّ أن تذوَّقَ شَيْئًا بهذهِ اللّذةِ وهذهِ العُذوبةِ .

أرسَلَتْ ماكو الإناثَ الشّاباتِ لِتحضِرَ حوجًا إليها . تظاهرَ بأنّهُ لَم يَرَ الصَّبِيَّ وسارَ إلى الماءِ ليَشرَبَ لمدةِ دقائقَ متتاليةٍ . أظهرَت ماكو سُخطَها عَلَيهِ حينَ رفَعَت ريشَها ، وزأَرَت به . غادَرَ حوجٌ المَكانَ ليتفادى حَنَقَها . كانَ خائِبَ الأمَلِ بِسبَبِ نَجاةِ الصَّبِيِّ . لكِنَّهُ سيُرضي ماكو حينَ يَجِدُ مَكانًا يبني فيهِ عُشًّا لهما ؛ عندَئذٍ ستضعُ ماكو بَيْضاتٍ جَديدةً ، وسيؤدّي هذا إلى حُصولِهما على صِغارٍ جُدُدٍ . بعدَ ذلكَ ستنسى ماكو بالطَّبعِ ذلكَ الطِّفْلَ البشريَّ العديمَ الفائدةِ ، ذلكَ الكائنَ المُشوَّهَ الذي لا

يكادُ يَقوى على السَّيرِ . إنَّهُ لا يَستحِقُّ النّجاةَ .

كانَ هُناك ، بالقُربِ مِنَ النَّبعِ ، كَثيرٌ مِنَ النباتاتِ الخَضراءِ . أكَلَت الإناثُ الشّاباتُ مِنها بِنَهَم . جَمَعَتْ ماكو أمامَها القليلَ مِنَ الطَّعامِ ، لكنّها لَم تستطعْ تناوُلَه . أرادَت أنْ تُحاوِلَ التَّحَدُّثَ إلى الصَّبيِّ مَرَّةً أُخرى . تَمَدَّدَت على الأرضِ وراحَتْ تتأمَّلُهُ حَيْثُ كانَ يجلسُ بالقُرْبِ مِنَ النَّبعِ . حَاوَلَت أن تُركِّزَ ذِهنَها كُلِّيا . أرادَت أن تكونَ أفكارُها قويّةً وواضِحةً .

قالَت : «اسمي ماكو . أنا أمُّك .»

«اسمي هَدّارةُ .» قال الصّبيُّ بِوضوحٍ .

تكلَّمَ كَما تتكلَّمُ طيورُ النَّعامِ ، إذْ لَمْ يَقُلْ شَيْئًا بِفمِه ولم يَنطِقْ بأيِّ صَوتٍ ، بل أرسلَ إليها جوابَهُ بِواسِطةِ أفكارِه .

«هَدّارةُ ، هَـدّارةُ .» ردَّدَت ماكو . إنَّهُ اسمٌ جَميلٌ . كنْتُ سأُطلِقُ عليكَ اسمَ حَسَنٍ ، لكنَّ هَدارةَ اسمٌ أجملُ بكَثيرٍ .

بَحَثَ ذكرُ النَّعامِ حتى وَجَدَ مَكانًا جيِّدًا يبني فيهِ عُشًّا . كانَ المَكانُ مُرتفعًا بَعْضَ الشَّيْءِ ، بينَ شُجيرتَينِ . تَمدّدَ على الأرضِ وحَفرَ الرَّمْلَ بِجَسدِه حتّى صارَت تَحتَهُ حُفرةٌ مُستديرةٌ واسعةٌ لِلغايةِ ، وذلكَ لتضعَ فيها أُنثاهُ بيضَها . عادَ أخيرًا إلى السِّربِ . كانَ الوَلَدُ نائمًا .

نَظَرَت ماكو بِقلَقٍ إلى الطِّفلِ الّذي باتَت تَعرِفُ الآنَ أنّ اسمَه هَدّارةُ . كانَ هَدّارةُ نائمًا بِعُمقٍ وقد كَوّرَ جَسدَه ، في ظِلالِ شَجرةٍ .

تَبِعَت ماكو حوجًا وقد بدَت عليها علاماتُ الحَنَقِ . قادَها حوجٌ إلى العُشِّ الذي بناه ، تَمَدَّدَ على أرضِه وصفّقَ بِجناحَيه . نالَ العُشُّ إعجابَ ماكو .

راحَت ماكو بعدَ ذلكَ تبيضُ في هذِهِ الحُفْرَةِ ، صارَ عليها مِنَ الآنَ وصاعِدًا أن تبيضَ بَيْضةً كُلَّ ثلاثةِ أَيّامٍ ، وأن ترقدَ طَوالَ اليَوْمِ فَوْقَ البَيضاتِ ولأشهُرٍ مُتتاليةٍ .

كانَ القلقُ يعتريها .

ماذا سيكونُ مصيرُ هَدّارةَ الآنَ وهي ترقدُ في العُشِّ؟ لَمْ يُعِنْهُ أحَدٌ سواها حتى الآنَ على إيجادِ الطَّعامِ ؛ الديدانِ ، الخنافسِ ، النباتاتِ ، الجذورِ وعَقْرَبٍ ما هنا وهُناك . هل سيتمكَّنُ مِنَ إيجادِ طَعامِهِ بِنفسِه؟ لا يمكِنُها الاعتمادُ على حوجٍ فيما يتعلّقُ بهذا الأمرِ ، حوجٍ الذي يُظهِرُ كَراهيّتَه تجاهَ الطِّفْلِ عَلَنًا .

كانَت تَشْعُرُ بازديادِ الفَرَحِ معَ كُلِّ بَيضةٍ تَبيضُها ، لكنَّ قلقَها على هَدّارةَ الصّغيرِ كانَ يَتزايدُ أيضًا .

عِندَما كانَت ترقُدُ على البَيضاتِ في النَّهارِ كانَت تجعلُ الصَّبِيَّ يَبقى بالقُربِ مِنَ العُشِّ . حوجُ كانَ يرقدُ فَوقَ البَيضاتِ في أثناءِ اللَّيلِ . كانَت تفرِدُ عندَها جناحَيها فَوْقَ هَدارةَ لِتحميَه مِنَ البَردِ القاتِلِ .

ثلاثةُ أحداثٍ وَقَعَت وغَيَّرَت مَجرى حَياةِ هَدارةَ .

وَقَعَت الحادِثةُ الأولى في يومٍ مِنَ الأَيّامِ عِندَما قامَت ماكو مِن مَكانِها كعادتِها وتَركَتِ البَيضاتِ لِمَصيرِها لِمُدّةٍ وَجيزةٍ . كانَ لا بدَّ لماكو مِن أنْ تَبحثَ عن بعضِ الطَّعامِ الذي تسدُّ به جُوعَها . بقيَ هَدّارةُ جالِسًا بالقُربِ مِنَ العُشِّ . بعدَ لحظاتٍ مِن مُغادرةِ النَّعامةِ الأمِّ ظَهرَ سِربٌ كاملٌ مِنَ النُّسورِ المِصريّةِ في الجَوِّ .

تُعدُّ النُّسورُ المِصريّةُ مِنَ ألدِّ أعداءِ طُيورِ النَّعامِ ؛ لأنّها تأكُلُ بَيْضَ النَّعامِ .

بالرغمِ مِنَ أنّها تَعجَزُ عن نَقرِ ثُقبٍ في قِشرةِ بَيْضةِ النَّعامِ إلاّ أنَّها قد تَوصَّلَت إلى طَريقةٍ تُمكِّنُها مِنَ قَتلِ الحَياةِ المَوجودةِ داخِلَ البَيضَةِ والتهامِ مُحتوياتِها اللَّذيذةِ . رأى هَدارةُ الآنَ تِلكَ الطَّريقةَ دُوْنَ أنْ يستوعِبَ ما رآه .

انخفضَ نَسرٌ إلى مُحاذاةِ الأرضِ والتقَطَ حَجَرًا بِمنقارِه ، ثمّ طارَ وحلَّقَ فَوْقَ العُشِّ ثمَّ رَمى الحَجَرَ . أصابَ الحَجَرُ إحدى بَيضاتِ النَّعامِ ما أدّى إلى كَسرِها على شَكلِ فَتحةٍ مُستديرةٍ . انقَضَّ النَّسرُ على البَيضَةِ وجَلسَ فَوْقَها ثمّ راحَ يلعَقُ مُحتواها . حطَّتِ النُّسورُ الأخرى ، وجلسَ الواحدُ مِنها تلوَ الآخَرِ فَوْقَ بَيضاتِ النَّعامةِ مُحَدِّقَةً إلى النّسرِ الذي كانَ يَتَناوَلُ فَريسَتَه .

رأى هَدّارةُ كُلَّ ذلكَ دُوْنَ أنْ يفهمَ ما رأى ، لَكِنَّهُ رأى حينَ لَوّحَ بذراعَيه أنّ النُّسورَ طارَت بأَجْنِحةٍ صافقةٍ غاضبةً .

غادَرَت النُّسورُ المِصريّةُ المَكانَ ولم تَعُدْ .

عِندَما غادَرَت ماكو عُشَّها في يومٍ آخرَ أتى أحَدُ فُهودِ الصّحراءِ النادِرةِ مُتسلِّلا . شَمَّ رائحةَ البَيضاتِ اللّذيذةَ وَراحَ يضربُها بِبراثِنه ،لكن البَيضَةَ لَمْ تنكَسِرْ . حَاوَلَ الفهدُ أن يَعُضَّ على البَيضَةِ لِيَتَمَكَّنَ مِنَ كَسرِها بأسنانِه لكنَّ حَجمَ البَيضَةِ كانَ ضَخمًا جِدًّا . راحَ الفَهدُ عندَها يُدحرِجُ إحدى البَيضاتِ ذَهابًا وإيابًا فَوْقَ الأرضِ ، ذهابًا وإيابًا .

قامَ هَـدّارةُ مِنْ مَكانِه وسارَ باتِّجاهِ الفَهدِ . لَمْ يفعلْ ذلكَ لحمايةِ البَيضاتِ ، إذا أردْنا قَولَ الحَقيقةِ ، بلْ أرادَ أنْ يلعبَ معَ الفَهدِ . لكنَّ الفَهدَ غادَرَ المَكانَ مذعورًا واخْتَفى في أبعادِ الصَّحراءِ المُسطَّحةِ بِخُطواتٍ سَريعةٍ ناعِمةٍ ، عِندَما اقتربَ مِنه الوَلَدُ .

الحادثةُ الثالثةُ التي أدّت إلى تغييرِ مَركزِ هَدّارةَ داخِلَ السِّرْبِ وقعَت بعدَما فَقَسَتِ البَيضاتُ الأولى . هذه المرحلةُ هي الأخطرُ في حياةِ صِغارِ النَّعامِ . نِصفُ الصِّغارِ يُقتلُ عادَةً بعدَ خُروجِهم مِنَ البَيضَةِ بِوقتٍ قَصيرٍ . العَدوُّ الأكبَرُ لهم هو الغُرابُ . أتَتِ الغِربانُ بِكثرةٍ تجعلُها تبدو كغيمةٍ كثيفةٍ قَبْلَ أنْ تَحُطَّ بالقُرْبِ مِنَ الصِّغارِ الّذين خَرجوا مِنَ البَيضِ حَديثًا . وَقَفَ حِينَها هَدارةُ مِنَ مَكانِه ولوَّحَ بيدَيه إلى أنْ رأى الغِربانَ تُغادرُ المَكانَ . كانَ المَنْظَرُ مُضحكًا له كلَّما رأى الغِربانَ ، فيما بعدَ راحَ يلوّحُ بذراعَيه ويستمتعُ برؤيتِها حينَ تطيرُ مُغادِرةً .

كانَ ذكرُ النَّعامِ حوجُ قد رأى الحوادثَ الثّلاثةَ .

في أحَدِ الأيّامِ ، حَيْثُ كانَ الفَرْخُ الأخيرُ يَزْحَفُ خارجَ البَيضَةِ التي تكونُ داخلَها ، وحيثُ كانَ هَدّارةُ يجلسُ بالقُرْبِ مِنَ العُشِّ كعادتِه ، رأى حوجُ أفعى ذاتَ قُرونٍ . كانَ حوجُ وجَميعُ الحَيَواناتِ التي تعيشُ في الصَّحراءِ على علمٍ بأنّ تِلكَ الأفعى هيَ أكثَرُ الأفاعي السّامَّةِ خُطورةً . زَحَفَتِ الأفعى فَوقَ الرّمالِ باتِّجاهِ هَدّارةَ . كانَت تزحفُ على جَنبِها كَما تفعلُ جَميعُ الأفاعي ذاتُ القرونِ . ضَحِكَ هَدّارةُ ، وَقَفَ ثمّ راحَ يسيرُ باتِّجاهِ الأفعى . كانَ يريدُ أن يمسكَ بها ليلعبَ معَها . لكنْ عِندَما اقتربَ

الوَلَدُ مِنَ الأفعى ، حفرَت لِنفسِها طَرِيقًا في الرَّملِ واختفَت . كانَت تختبئُ تَحتَ سطحِ الرّمالِ مُباشرةً كَما تفعلُ الأفاعي الأخرى ، وعِندَما تَشعُرُ بالأمانِ ، تُبرِزُ ذيلَها مِن تحتِ التُّرابِ وتَهزُّه . بهذه الطَرِيقةِ تجلبُ الأفعى السّحالي إليها .

رأى هَدارةُ مؤخِّرةَ الذّيلِ التي ظَهَرَت لِلعيانِ مِن تَحتِ الرَّملِ . جلسَ على الأرضِ بِثِقلٍ وَراحَ يَزحَفُ تِجاهَ ذلكَ الشَّيءِ الظّريفِ الذي كانَ يَتَحَرَّكُ . عِندَما وَصَل إليه أمْسَكَ بالذّيلِ فظَهَرت الأفعى بأكملِها مِنَ تَحْتَ الرَّملِ . انحَنَت بعدَ ذلكَ لتجمعَ قواها وتنقضَّ بسُرْعَةٍ على الصَّبِيِّ وتَغرُزُ أسنانَها الرقيقةَ السامّةَ في جسدِه .

شاهدَ حوجُ الحَدَث بأكملِه .

خطا خطوتَينِ سريعتَينِ تجاهَهُما وقتلَ الأفعى بِضَربةٍ واحِدةٍ مِنْ مِنقارِه . حالما تأكَّدَ مِنَ أنّ الأفعى ماتَت حقًّا ، استَدارَ وغادَرَ المَكانَ . بَحَثَ طَويلاً حتّى وَجَدَ نبتةً لها أوراقٌ سميكةٌ جدًّا .

عادَ حوجُ بعدَ ذلكَ إلى الصَّبِيِّ دُوْنَ أن يُخاطبَه ، لَكِنَّهُ وَضَعَ النبتةَ أمامَ هَدّارةَ .

وقفَ بعدَها بِجانبِ الصَّبِيِّ وشاهَدَهُ يَتَناوَلُ النّبتةَ .

أسئلة الفصل

1 . تَغيَّرَ مَوقِفُ (حوج) مِنْ هدّارةَ في هذا الفَصلِ ، ما الأحْداثُ الَّتي وَقَعَتْ في هذا الفَصْلِ ، وجَعَلَتْ مَوْقِفَ (حوج) يَتَغَيَّرُ؟

2 . كَيفَ عبّرَ (حوج) عنْ تَغَيُّرِ مَشاعِرِهِ نَحْوَ هدّارةَ؟

3 . عاشَتْ (ماكو) في هذا الفَصْلِ صِراعًا داخِلِيًا . ما سَبَبُهُ؟ وَكيفَ تَغَلَّبَتْ عَليهِ؟

4 . ثَلاثَةُ أَحْداثٍ وَقَعَتْ في هذا الفصلِ غَيَّرَتْ مَجرى حَياةِ هدارة . سَجِّلْها في كرّاستِكَ .

5 . جاءَتْ نِهايَةُ الفصلِ الماضي على هذا النَّحوِ : «شَعَرَ وكَأَنَّ حِمْلًا ثَقيلًا رُفِعَ عنْ ظهرِهِ . أخيرًا سَيعودُ كُلُّ شَيْءٍ إلى ما كانَ عليهِ في السّابقِ» . وجاءَتْ نِهايَةُ هذا الفصلِ على هذا النَّحوِ : «وَقَفَ بَعْدَها بِجانِبِ الصَّبِيِّ وشاهَدَهُ يَتَناوَلُ النَّبْتَةَ» .
أُكْتُبْ واصِفًا مَشاعِرَكَ في الحالَتَينِ .

6 . ضَعِ العِبارةَ الآتيةَ في ثَلاثِ جُمَلٍ مُخْتَلِفَةٍ مِنْ إِنْشائِكَ : « لكِنْ بِلا جَدْوى» .

الفصلُ السادسُ

الابنُ المُفَضَّلُ

صارَ هَدارةُ مِنَ الآنَ فصاعِدًا واحدًا مِن سِربِ النَّعامِ . كانَ حوجُ يسيرُ دائمًا في الطّليعةِ حينَ يتنقّلون في الصَّحراءِ .

حوجُ في المقدّمةِ .

وبعدَه هَدارةُ .

وفي المَرتبةِ الثّالثةِ كانَت تأتي الأنثى ماكو .

شَيئًا فشَيئًا تحسّنَت قُدرةُ الصَّبيِّ على السّيرِ ثمّ صارَ يَرْكُضُ أيضًا .

عِندَما كانَ سِربُ النّعامِ يتنقّلُ في الصَّحراءِ ، جَعَلَ قائدُ السِّربِ السُرعَةَ تلائمُ الأبطأَ . كانَ هَدارةُ هو الأبطأُ دائمًا . لكنَّ ذلكَ لَمْ يعدْ يُزعِجُ أحَدًا ولا حتّى حوجًا . فقد رأى حوجُ كَثيرًا مِنَ المَنافعِ في الاحتفاظِ بالطِّفْلِ البَشريِّ بالرّغمِ مِن أنَّهُ كانَ يسبِّبُ كَثيرًا مِنَ المَتاعبِ وبالرغمِ مِن أنَّهُ لَمْ يحسِنِ الرَّكْضَ جيّدًا .

لذلِكَ صارَ يفردُ جناحَيه فَوْقَ الصَّبيِّ في أثناءِ اللَّيلِ ليحتفظَ الصَّبيُّ بدفئِه . في بَعضِ الأحيانِ كانَت أوقاتُ النّهارِ حارّةً جِدًّا واللّيالي باردةً جدًّا . لَمْ يَشعُرْ هَدارةُ بالبردِ بِفضلِ والدَيه ، طائرَيِ النَّعامِ .

لم يتوقفْ هَدارةُ عن عادتِه بأنْ يلوّحَ بذراعَيه وأن يرميَ الحِجارةَ على الغِربانِ والنُّسورِ المِصريّةِ كلّما اقتربَت مِن صِغارِ النَّعامِ . كانَ يحبُّ أن يرى الطُّيورَ وهي ترتفعُ في الجوِّ وتطيرُ مُغادِرةً .

اكتشفَ حوجٌ خاصيّةً مُمَيِّزةً أخرى لدى هذا العُضو الجَديدِ في السِّربِ . حينَ تصلُ طيورُ النَّعامِ إلى نبعٍ أو بِركةٍ ما ، تتصرّفُ بِحذرٍ تامٍّ ، لذلكَ تدعُ الحَيواناتِ الأخرى بما فيها الغِربانُ ، تشربُ قبلَها . لكنْ عِندَما يكونُ هَدارةُ مَوجودًا ، يسيرُ إلى الماءِ مُباشرةً بينَما تتفادى الحَيواناتُ الأخرى مواجَهتَه ما باتَ يفسحُ المَجالَ أمامَ طُيورِ النَّعامِ لِتشربَ أوّلًا .

كانَت ماكو تُراقِبُ هَدارةَ بلا انقطاعٍ ، وكانَ يُسعدُها أن تراهُ وهو يقلِّدُها ويقلِّدُ صِغارَها . كلّما صارَ أشبهَ بطيورِ النَّعامِ كلّما ازدادَت سعادةً . كانَت هي وطيورُ النَّعامِ الأخرى تأكلُ الحَصى . الحَصى تبقى في المعدةِ وتُساعدُ على هَضمِ الطَّعامِ . عِندَما خَرجَ صِغارُها مِنَ البَيضِ راحوا يبحثونَ عن طَعامٍ لأنفسِهم بعدَ فَتْرةٍ قَصيرةٍ ، وصارَ كلٌّ منهم يلتقِطُ الحَصى بِمنقارِه ثمّ يبتلعُه . رأى هَدارةُ ذلكَ ممّا جَعَلَهُ يلتقطُ حَصوةً صَغيرةً بينَ فَتْرَةٍ وأخرى ثمّ يبتلعُها . أسعدَ ذلكَ ماكو كَثيرًا ، لكنّها رأت أيضًا أنّ الحَصى كانَت تَخرجُ مِن مَعِدةِ هَدارةَ معَ البُرازِ . أقلقَها ذلك . هذا لا يحدثُ معَ طائرِ نَعامٍ حَقيقيٍّ . لدى طائرِ النَّعامِ تبقى الحَصى في المَعدةِ حتّى تتحطَّمَ وتذوبَ فيضطرُّ عندَها طائرُ النَّعامِ إلى تناولِ الحَصى مِن جَديدٍ . لَمْ تَبدُ على هَدارةَ علاماتٌ تدلُّ على أنّ صِحّتَه ليسَت على ما يُرام بالرّغمِ مِنْ أنّ الحَصى التي كانَ يبتلعُها كانَت تخرجُ معَ معدتِه بعدَ فَتْرَةٍ قَصيرةٍ .

لكنَّ الفارقَ الكَبيرَ كانَ العَطَشُ . طيورُ النَّعامِ ، كَبيرةً كانَت أم صَغيرةً ، تستطيعُ العيشَ أيامًا مُتتاليّةً دُونَ ماءٍ . ثمّ إنّ أجسامَها مُغطّاةٌ بالرّيشِ . أمّا ذلكَ الوَلَدُ الصغيرُ العاري فقد كانَ مُعرَّضًا لشَمسِ الصَّحراءِ التي لا تَرحم . رأت ماكو أنَّ الإرهاقَ كانَ يبدو عَلَيهِ عِندَما لا يكونُ هُناك ماءٌ يَشْرَبه . لَمْ يَقوَ عندَها على السّيرِ بل كانَ يَجلِسُ في مَكانِه ويضعُ إبهامَه في فَمِه . كانَ أحيانًا يبكي بِصمْت حينَ يعاني مِنَ العَطَشِ وكانَت الدّموعُ تنحدِرُ على خَدَّيه . كانَ مَنظَرُه وهو يبكي يحزُّ في قلبِ ماكو . كانَت تتألّمُ كَثيرًا وتحاولُ مسحَ قَطَرات الماءِ المالحِ تِلكَ التي كانَت تغطّي خَدّيه بأنعمِ الرّيشِ الذي يُغطّي جناحَيها . أدركَت هي وحوشٌ باكرًا أنّ الصَّبيَّ يحتاجُ إلى شُربِ الماءِ أكْثَرَ مِن طيورِ النَّعامِ العاديّةِ . قَرّرا لذلكَ البقاءَ في أمكنةٍ قريبةٍ مِنَ الماءِ حتى ولو كانَت خَطيرةً . إلى بِرَكِ الماءِ تأتي بناتُ آوى لِتشربَ ، ورُبَّما الفهودُ أيضًا والأُسودُ . طَوالَ السّنةِ الأولى التي مَكثَ فيها هَدارةُ معَ سِربِ النَّعامِ ، بقيَ السِّرْبُ بالقُرْبِ مِن واحدٍ مِنَ الأمكنةِ النادِرةِ التي تحتوي على الماءِ في الصَّحراءِ . كانوا يأخذونَه إلى البِركةِ مرّةً كلَّ ثلاثةِ أيّامٍ .

عَلَّمتهُ ماكو أمرًا هامًّا جِدًّا وهو البحثُ عن أوراقِ النّباتاتِ التي تَحتوي على كَثيرٍ مِنَ السّوائلِ . كانَت تعلمُ أيضًا أنَّ اليَرَقَ والديدانَ والخنافسَ والعقاربَ غذاءٌ يمنحُ صِغارَ النَّعامِ القُوةَ . كانَت في البِدايةِ تَحفِرُ بحثًا عن هذه الحَيواناتِ مِن أجلِه ، لكنْ بعدَ فَتْرَةٍ قَصيرةٍ لَمْ تعدْ تحتاجُ لذلك . تعلّمَ هَدارةُ مثلَ صِغارِها بِالضّبطِ أن يبحثَ عن طَعامِه بِنفسِه . الأمرُ الذي لَمْ تتساهلْ فيه هو قيلولةُ بعدَ الظُّهرِ . كانَ الصَّبيُّ يحبُّ اللَّعبَ

كَثيرًا ، أكْثَر مِن صِغارِها ، لكنّها علّمَتهُ عادَةً طيِّبةً ؛ علّمَتهُ أنْ ينامَ معَ بقيةِ أفْرادِ السِّرْبِ في الأوقاتِ الحارّةِ جدًا . كانوا عندَها ينامونَ في الظِّلِّ هنا أو هُناك تهرُّبًا مِن أسخنِ ساعاتِ النّهارِ .

كانَت ماكو تتحدَّثُ عادَةً إلى حوجٍ عنِ الطِّفْلِ البَشريِّ ، فيوافقُها الرأيَ على أنَّهُ مِنَ الواضحِ أنَّهُ لَمْ يكنْ نَعامَةً حَقيقيّةً . كَثيرٌ مِنْ تصرُّفاتِه كانَ غامضًا بالنسبةِ إليهما . كانَ مثلًا يلتقطُ عيدانًا خَشبيةً ويحملُها معَه في أثناءِ تنقّلاتِهم . عِندَما يبقونَ في مَكانٍ ما كانَ يرسمُ في الرَّمْلِ بِوساطةِ تِلكَ العيدانِ . ثمّ أنَّهُ لَمْ يأكُلْ كُلَّ ما كانَ يجدُه مِنَ الحَصى بل كانَ يضعُها على الرَّمْلِ مُكوّمًا منها أشكالًا مُعيَّنةً . إذا رأى كَثيبًا رَمليًا كانَ لا بُدَّ له مِنْ أن يصعدَ إلى أعلاه ليتدحرجَ بعدَ ذلكَ إلى أسفلِه . لَمْ يقمْ صغارُهما بأيٍّ مِنْ تِلكَ الأفعالِ . ثمّ أنَّهُ كانَ يَرْكُضُ ويختبئُ ليبحثَ عنه الصّغارُ . تِلكَ اللُّعبةُ لَمْ تُعجِبْ أحدًا سِواه .

لكنّ أغربَ ما في الطِّفْلِ البَشريِّ هذا هو أنَّهُ لَمْ يكبرْ ليُصبحَ بالغًا . كانَ صِغارُهما يبلغون سِنَّ الرُّشدِ عِندَما يكملونَ شهرَهم الثامنَ . في شهرِهم الثامنِ أو التاسعِ كانَ صِغارُ النَّعامِ بذاتِ الحجمِ الذي كانَت عَلَيهِ ماكو وحوجُ ، وكانوا قادرينَ تَمامًا على تدبيرِ أمورِهم بأنفسِهم ، وعندَها يطردُهم الوالدانِ ، أيْ ماكو وحوجُ مِنَ السِّربِ . كانَ الأمرُ مُؤلمًا . أن يَطردَ المرءُ صِغارَه مِنَ السِّرْبِ أمرٌ صَعبٌ جدًا . لكنَّ ماكو وحوجَ كانا يعلمانِ أنّ صغارَهما صاروا كبارًا بالغينَ ، وأنّ عليهم أن يعيشوا حياتَهم هُم .

لكنّ الأمرَ كانَ مُختلفًا تَمامًا فيما يتعلّقُ بهَدارةَ ؛ لأنّهُ ما يزالُ طفلًا حتى الآنَ . كانَ يسيرُ بِبُطءٍ وبعدَ سنةٍ كاملةٍ معَ السِّرْبِ مازالوا يضطرونَ

لإبطاءِ خُطواتِهم لتتناسبَ سُرعتُهم و سُرعتَه . هل سيتمكّنُ في يومٍ مِنَ الأَيّامِ مِنَ الرَّكْضِ بالسُرْعَةِ التي يَرْكُضُ بها طائرُ نعامٍ حَقيقيّ؟ كانَ بُطْؤُه سلبيًا بالطّبعِ . غيرَ أنّ أمرًا غيرَ عاديٍّ ، كانَ قد حَدَثَ بفضلِه . لقد أفزعَ أعداءَهم .

لأوّلِ مرّةٍ في حياتِهما نجا جَميعُ صغارِهما مِنَ المَوتِ .

لذلِكَ قرّرا ألا يتخلّيا عنِ الطِّفْلِ البشريِّ أبدًا .

سوف يعيشُ معهم دائمًا .

سيجعلانِه يبقى بِالقُربِ مِنْ صِغارِهما ، إذ إنَّهُ أحَدُ صِغارِهما . لقد أصبحَ ابنَهما المُفضَّلَ ولن يتركَهما أبدًا .

وهذا ما حَدَثَ بالفعلِ .

بقيَ هَدارةُ معَ سِربِ النَّعامِ .

عِندَما كانَت ماكو وحوجُ يلتقيانِ بأسرابِ نعامٍ أخرى كانا يقولان دائمًا :

– ربما يسيرُ بِبُطءٍ قليلًا ، لَكِنَّهُ ابنُنا المُفضَّلُ .

أسئلة الفصل

1 . ما الصِّفةُ المميّزةُ ، في هدارةَ ، الَّتي جَعَلَتْ سِرْبَ النَّعامِ يَحْظى بِما لَمْ يَكُنْ يَحْظى بِهِ منْ قَبْلُ؟

2 . الحبُّ يمكنُ أنْ يغيِّرَ كَثيرًا في الْمُحِبِّ . اُكْتُبْ دَليلًا على ذلكَ ممّا وَرَدَ في هذا الفَصلِ .

3 . بَعْدَ سَنَةٍ مِنْ بَقاءِ هدارةَ مَعَ النَّعامِ نَجَحَ في اكْتِسابِ بَعْضٍ مِنْ صِفاتِها . اُذْكُرْ هذهِ الصِّفاتِ كَما وَرَدَتْ في هذا الفَصْلِ .

4 . ومَعَ ذلكَ بَقِيَ هدارةُ مُخْتَلِفًا عنِ النَّعامِ . اُذْكُرْ فيمَ اخْتَلَفَ هدارة عَنِ النَّعامِ ، كما وردَ في هذا الفصلِ .

5 . كانَتْ (ماكو) تَسْعَدُ بِالشَّبَهِ بَينَ ابْنِها والنَّعامِ . أَيْنَ وَرَدَ هذا في النّصِّ؟ اقْرَأ الجُزْءَ الدّالَّ على ذلكَ .

6 . "رُبَّما يَسيرُ ببُطْءٍ لَكِنّهُ ابْنُنا المُفَضَّلُ " على نَمَطِ العِبارَةِ السّابقةِ اُكْتُبْ ثَلاثَ جُمَلٍ منْ إنشائِكَ : رُبَّما . . . . . .

لكنّ . . . . . .

7 . حَدِّدِ اسمَ الفعلِ النّاسِخِ وخَبَرَهُ فيما يَأْتي :

- صارَ هدارةُ مِنَ الآنَ فَصاعِدًا واحِدًا مِنْ سِرْبِ النَّعامِ .
- كانَتْ (ماكو) تُراقِبُ هدّارة بِلا انْقِطاعٍ .
- كانَ مَنْظَرُهُ وَهُوَ يَبْكي يَحُزُّ في قلبِ (ماكو) .
- كانَ الأمرُ مُؤْلِمًا .

الفصلُ السابعُ

المَكانُ المَمنوعُ

كانَت هُناك صباحاتٌ مُميَّزةٌ . فالشمسُ عندَما ترتقي في الأفقِ يصبحُ هواءُ اللَّيلِ البارِدِ فاترًا مُتعًا . في صباحاتٍ كهذه كانَت سعادةٌ خياليّةٌ تغمرُ كُلَّ أفرادِ سِربِ النَّعام . لقد عاشَ هَدارةُ إلى اليَوم عشرَ سَنواتٍ معَ طُيورِ النَّعام . لَكِنَّهُ ما زالَ عاجزًا عن فَهمِ ما يَحدُثُ لها بينَ فَتْرَةٍ وأخرى . حوجٌ كانَ أَوَّلَ مَن استيقظَ هذا الصّباحِ ، انتفضَ قَليلاً ثمّ رَكَضَ بسُرعَةٍ رهيبةٍ إلى عُمقِ الصَّحراءِ . نَظَرَ الآخَرونَ إليه باهتمامٍ . كانوا ينتظرونَ أن يتوقّفَ عنِ الرَّكضِ . توقّفَ فعلًا فَجأةً ، ما جَعَلَ الرَّملَ يتطايرُ حَولَ قدمَيه الضّخمتَينِ . رَفَعَ بعدَ ذلكَ جناحَيه وَراحَ يدورُ حَولَ نفسِه وكأنّه راقصةُ باليهَ . قامَت ماكو مِن مَكانِها ، رَكَضَت خَلْفَهُ وفعلَتْ مثلَما فَعلَ . وهكذا فَعَلَ صغارُهما أيضًا . توحّدوا جَميعًا في دَوّامةِ رَقصٍ مَلأتها بهجةُ الحَياةِ على ضَوءِ ذلكَ الصّباحِ الباكرِ .

كانَ هَدارةُ آخرَ المستيقظينَ ، لكِنَّهُ بدأ يَرْكُضُ بسُرْعَةٍ خاطفةٍ تجاهَ عائلتِه ، سِربِ النَّعام . عِندَما وَصَلَ إليهم رَفَعَ ذراعَيه في الهَواءِ ، رَفرفَ بها وكأنّهما جناحانِ ، وَراحَ يدورُ حَوْلَ نفسِه راقصًا مِثلَ الآخَرينَ .

أحسَّ كُلٌّ منهم بالجوعِ بعدَ الرّقصِ فراحوا يبحثون عمّا يأكلونَه . كانَ الطَعامُ قَليلاً جدًّا . أخيرًا قالَ حوجُ :

– يجبُ علينا أنْ ننتقلَ اليَومَ . لَمْ يعدْ لدينا ما نأكلُه هنا . وليسَ هُناك ماءٌ لِهَـدارةَ .

ربما كانَ الجوعُ والعطشُ هما السببُ في فَقدِ حوجٍ لِصوابِه . كانَ في الصَّحراءِ مَكانٌ قرّرَ هو وماكو مرّةً ألا يزورانِه ثانيةً أبدًا . كانَ ذلكَ هو المَكانُ المَمنوعُ . سارَ سِربُ النَّعامِ إلى ذلكَ المَكانِ بخطًى سَريعةٍ يحثُّهم الجوعُ والعَطَشُ . كانوا يركُضونَ كعادَتِهم في صَفٍّ طويلٍ . حوجٌ في المُقدّمةِ وبَعدَه هَدارةُ الذي تحوّلَ إلى صَبيٍّ في الثّانيةَ عشرةَ مِنَ العُمرِ ، نحيفِ القامةِ ، عاري الجَسدِ ، ذي شعرٍ أَسْوَدَ طَويلٍ يتطايرُ في الهواءِ حينَ يركُضُ . بعدَ هَدارةَ كانَت ماكو تسيرُ عادَةً ومن بعدِها سارَ الصّغارُ .

كانَت ماكو هي التي أطلقَت ذلكَ الاسمَ على المَكانِ المَمنوعِ .

كانَت قد قرَّرَت في يومٍ مِنَ الأيامِ ، ألاّ تدعَ السِّرْبَ يعودُ إلى ذلكَ المَكانِ ثانيةً على الإطلاقِ .

المَكانُ الممنوعُ هو المَكانُ الذي وَجدوا فيهِ هَدارةَ منذُ أكْثَرَ مِن عشرِ سنواتٍ . المَكانُ الذي أضاعَت فيه أمٌّ شابّةٌ طفلَها الصّغيرَ في أثناءِ عاصفةٍ رَمليّةٍ . كانَت ماكو تعلمُ أنّ هَدارةَ لَيْسَ ابنَها الحَقيقيَّ . وليسَ هو نَعامَةً حَقيقيّةً أصلًا ، لكنّها لَمْ تخبرْه في يومٍ مِنَ الأَيّامِ بِالحقيقةِ .

كانوا يركُضون في بُقعةٍ صَخريةٍ قاحِلةٍ مِنَ الصَّحراءِ . كانَت الأرضُ مغطّاةً بحجارةٍ سوداءَ مُسطّحةٍ . لَمْ يكنْ هُناكَ ما يمكنُ أكلُه على

الإطلاقِ ، لذلكَ أسْرَعوا الخُطى . لكنَّ ماكو أرادَت أنْ تُريَ الآخَرين شَيْئًا ما . أبطأَت خُطاها ، حَنَت رأسَها وراحَت تنظرُ إلى كلّ حجرٍ على حِدَةٍ . أخيرًا وجدَت ما كانَت تبحثُ عنه .

– انظُرْ ، قالَت لِهَدارةَ ، ها هُم أجدادُنا .

كانَ على أحَدِ الحِجارةِ السّوداءِ المُسطّحةِ رَسمٌ لِنعامةٍ راكِضةٍ .

– مَنْ رسمَها؟ سألَ هَدارةُ ، كيفَ وَصَلَت هذه الصورةُ إلى هنا؟

لم تردَّ ماكو على سؤالِه ولم يَردَّ الآخَرون . لكنَّ هَدارةَ أدرَكَ أنّ الذي رَسمَ تِلكَ الصورةَ على الحجرِ كانَ مِنْ صِنفِه هو ، كانَ مثلَه مِنَ نوعٍ مُختلِفٍ . كانَ كائنًا له يَدان بدلًا مِن جناحَين . عِندَما لَم يكنْ لدى هَدارةَ ما يشغَلُه كانَ يُمسكُ بعودٍ ويرسمُ في الرَّملِ . كانَ يرسمُ طيورَ نعامٍ هو أيضًا ، أو أشجارًا أو طيورًا صَغيرةً . لَكِنَّهُ كانَ يفضِّلُ رسمَ طيورِ النَّعامِ .

– لا بدَّ أنّ الذي رسمَها له يَدانِ ، أشارَ هَدارةُ إلى الآخَرين .

لم يتلقَّ جوابًا مِن أحدٍ . كلُّ ما قاله حوجٌ هو :

– يجبُ أنْ نتركَ هذا المَكانَ بسُرعَةٍ . يجبُ أنْ نعبرَ الصّحراءَ الصّخريّةَ .

انطلقَ حوجٌ بالسّيرِ بعدَ ذلكَ بسُرْعَةٍ وتبِعَهُ الآخَرونَ .

هكذا أتَوا إلى المَكانِ المَمنوعِ .

انتصبَتْ كثبانٌ رمليّةٌ عاليةٌ فَجأةً مِن خَلفِ البُقعةِ المُسطَّحةِ . كانَت الكُثبانُ صَفراءَ كالذّهَبِ ، لامعةً ، رَسمَت عليها الرِّيحُ أشكالًا مُتموِّجةً . تَرَكَ هَدارةُ يومَها السِّربَ لأوّلِ مَرّة . رَكَضَ باتّجاهِ الكثبانِ . كانَ الرَّمْلُ دافئًا وفي غايةِ النُّعومةِ . تَسلّقَ الجبلَ الأوّلَ زاحِفًا إلى أن وَصَلَ إلى

القِمّةِ . حينَ وَقَفَ على القِمّةِ رَفَعَ ذِراعَيه في الهواءِ تِجاهَ السَّماءِ العَميقةِ الزُّرقةِ ورَمى بِنَفسِهِ إلى الأسفلِ . تزحلَقَ على بَطنِهِ إلى أسفلِ الكَثيبِ .

وقفَت طُيورُ النَّعامِ في الأسفلِ ونَظَرَت إليه باستهجانٍ .

طيورُ النَّعامِ لا تلعبُ عادةً .

بدأَ هَدارةُ يَتَسَلّقُ الكَثيبَ الرَّمليَّ مرّةً أخرى . تذكّرَت قدماه نعومةَ هذا الرَّمْلِ . لَمْ يكنْ قد داسَ رملًا ناعمًا ولطيفًا مثلَ هذا في مَكانٍ آخرَ . تَسَلّقَت قدماهُ العاريتانِ إلى أعلى ، انزلَقَت إلى أسفلَ ثمّ أعادَ الكَرَّةَ . عِندَما وَصَل إلى قِمةِ الكَثيبِ رأى كَثيرًا مِنَ الجِبالِ الرَّمْليّةِ . كانَت رُفوفٌ حادّةٌ مِنَ الرَّمْلِ لا تُعدُّ ولا تُحصى . كانَتِ السّماءُ قاتمةَ الزُّرقةِ مِن فَوقِهِ ، ولِحُسنِ الحَظِّ كانَت هُناك بعضُ الغيومِ الصّوفيّةِ البيضاءَ الصغيرةِ . بينما كانَ واقفًا هُناك تحرّكَ شُعورٌ في داخلِه . كانَ هُناك حَدَثٌ يحاولُ أن يصعدَ إلى سطحِ ذاكِرته . شعرَ بالدفءِ والحُزنِ في آنٍ واحدٍ .

فاجأَه هُبوبُ الرِّيحِ الذي جَعَلَ الرَّمْلَ الناعمَ الدافئَ الأصفرَ اللّونِ يتصاعدُ ويلتفُّ حَوْلَهُ لبُرهةٍ وَجيزةٍ ، فوجدَ نفسَه فَجْأةً في غَيمةٍ رَمليّةٍ صَفراءَ ، وشعرَ بِحُزنٍ غامِضٍ . قلّصَ جَسدَه وَراحَ يرتجفُ دونَ أنْ يفهمَ سَببَ ذلك . هلْ هو مُصابٌ بِمَرضٍ ما؟ أُصيبَ جِسمُه فَجْأةً بتشنُّجاتٍ تِلقائيةٍ مُبهَمةٍ .

وقفَت طيورُ النَّعامِ في الأسفلِ تنظرُ إليه وقد مَدّت أعناقَها إلى أعلى .

عِندَما انتهى الأمرُ قامَ مِنَ مَكانِه وتَسَلّقَ إلى أسفلِ الكَثيبِ . كانَ قد فقدَ مُتعةَ اللَّعِبِ . كانَت هُناك كلمةٌ تتردّدُ في رأسِه . فاطِمةُ . لكِنَّهُ

لَمْ يكنْ يعرفُ معنى هذه الكلمةِ . كانَت هُناك حجارةٌ صَغِيرةٌ وبقايا عظامٍ عندَ أسفلِ الكَثيبِ ، وهُناك رأى شَيْئًا لَمْ يكنْ قد رآه مِن قَبْلُ . إنّهُ سِوارٌ مصنوعٌ مِن مَعدِنٍ أصفرَ ، لكن هَدارةَ لا يعرفُ ذلك . أمْسَكَ بذَلِكَ الشَّيءِ بيديه وشعرَ بدفْءٍ مُبهم يتدفّقُ منه إليهِ . لا بدَّ أنّ هُناك رابطًا بينَ هذا الشَّيْءِ المُستديرِ وتلك الكلمةِ الغامِضةِ ، فاطمةُ . حملَ هَدارةُ السِّوارَ بقيةَ النّهارِ .

– أعطني إياه ، قالَت ماكو ، أعطني ذلكَ الشَّيءَ الذي لا عِلمَ لي بما هو . إنَّهُ يسبّبُ لك الحُزنَ كَما أرى .

– لا ، أريدُ الاحتفاظَ به ، قالَ هَدارةُ بِنَكَدٍ .

قَلّبَ هَدارةُ السِّوارَ بينَ يديه ، عَضَّه ثمّ أدخلَ يدَه فيه ، حَيْثُ بقي مُعلّقًا حَوْلَ رُسْغِه .

لامَت ماكو نفسَها ؛ لأنَّها أدركَت ما حَدَثَ لِهدارةَ . لقد تذكّرَ شَيْئًا ، وأحسَّ بِالحُزنِ . كانَ المرورُ بالمَكانِ الذي ضَيّعَ فيهِ البشرُ طفلَهم خَطأً فادِحًا ، الطِّفْلَ الذي وَجدَتْه هي وحوجُ وأخذاه معَهما . أصبحَ الصَّبِيُّ منذُ ذلكَ الحينِ ابنَها هي .

عِندَما ذَهبوا للنّومِ في ذلكَ المساءِ ، قالَت ماكو مرّةً تِلوَ الأخرى :

– أنا أمُّك .

لم يفهمْ هَدارةُ لماذا تفوّهَت ماكو بتلك الحَماقاتِ . هي أمُّه بالطّبعِ .

اختفَتِ الشّمسُ خَلْفَ الكُثبانِ ، النجومُ ظهرَت في السماءِ وتسلَّلَ

بَردُ اللَّيلِ إليهم . سُرعانَ ما لاحظَت ماكو أنّ ابنَها شعرَ بِالبردِ ، فَرَدَت جناحَيها الناعمَين الدافئَين وغطَّته بهما .

عِندَما تأكَّدَت مِن أنَّهُ نامَ بِعُمقٍ قامَت مِن مَكانِها ، خَلعَتِ السِّوارَ بِصعوبةٍ مِن حَولِ رُسغِه ، حملَته بمنقارِها وابتعدَت به مَسافةً قَصيرةً . حفرَت بعدَ ذلكَ حُفرةً ودفنَتهُ في الرَّملِ .

أسئلةُ الفصلِ

1 . وردَ في هذا الفصلِ مَوقِفانِ يُؤَكِّدانِ إِحْساسَ هدارةَ بِالاختِلافِ عنْ سِرْبِ النَّعامِ . اُذْكُرْهُما .

2 . صِفْ ما حَدَثَ لِهدارة حينَ وَصَلوا إلى الْمَكانِ الْممنوعِ .

3 . بَدا تَصَرُّفُ (ماكو) قاسِيًا حينَ خَلَعَتِ السِّوارَ مِنْ يَدِ هدارة ، وخَبّأَتْهُ في حُفْرَةٍ بَعيدَةٍ . كَيفَ تُفَسِّرُ هذا التّصرُّفَ؟ وكَيفَ جَعَلَكَ تَشْعُرُ؟ تَناقَشْ مَعَ زُمَلائِكَ .

4 . إذا كانَ في صَفِّكَ مَنْ يَرْسُمُ ؛ فَحاولوا تَخَيُّلَ شَكْلِ هدارةَ بِرَسْمِ لَوْحَةٍ لَهُ ، ثُمَّ عَلِّقوها على حائِطِ الصّفِّ؟

5 . اُكْتُبْ سَطرًا لِبدايَةِ قِصَّةٍ مُتَخيَّلَةٍ ، وضمِّنْهُ هذهِ الجُمْلَةَ "وتَسَلّلَ بَرْدُ اللَّيلِ إليهِمْ" .

7 . اِقْرأِ الجُملَ الآتيَةَ ، ثُمَّ حدِّدْ نَوعَها ، وعَيِّنْ رُكْنَيها . (المبتدَأَ والخَبَرَ ،

والفعلَ النّاسِخَ واسْمَهُ وخَبَرَهُ)

- فَالشَّمْسُ عندَما تَرتقي في الأفُقِ يُصْبِحُ هَواءُ اللَّيلِ البارِدِ فاتِرًا مُمْتِعًا .
- طُيورُ النَّعامِ لا تَلْعَبُ عادَةً .
- كانَ المرورُ بِالمكانِ الَّذي ضَيّعَ فيهِ البَشَرُ طِفْلَهُمْ خَطَأً فادِحًا .
- كانَتِ السّماءُ قاتِمَةَ الزُّرْقَةِ مِنْ فَوْقِهِ .
- النُّجومُ ظَهَرَتْ في السَّماءِ .

الفصلُ الثامنُ

منْ دونِ مــاءٍ

استيقظَ هَدارةُ مُرتعِشًا ، وتحسّسَ يَدَه . السِّوارُ لَمْ يكنْ هُناك .

– أينَ ذلكَ الشَّيءُ المُستديرُ؟

– أيُّ شيءٍ مُستديرٍ؟

– الشَّيءُ المُستديرُ الذي وجدتُه البارحةَ ووَضَعتُه حَوْلَ رُسغي .

– لَستُ أدري ، لا بدَّ أنك أضعْتَه .

– كانَ حَولَ رسغي عِندَما ذهبتُ للنّوم .

لُحسنِ حظِّ النَّعامةِ الأمِّ ، ماكو ، قاطعَ قائدُ السِّرْبِ حديثَهما وحثّهما على السُّرْعَةِ . كانَ قد قرّرَ هو والنَّعامةُ الأمُّ أن يبتعدا عنِ المَكانِ المَمنوعِ هذا إلى أقصى مَكانٍ يمكنُهمُ الوُصولُ إليه . لقد عَزما على دُخولِ جُزءٍ مِنَ الصَّحراءِ لَمْ يدخُلاه مِن قَبْلُ على الإطلاقِ .

– يجبُ علينا أن نُتابعَ مَسيرتَنا ، قالَ حوجٌ بحزمٍ ثمّ استطردَ :

– لا معرفةَ لنا بهذا الجوارِ . مِنَ الأفضلِ أن نتحرّكَ بسُرعةٍ لأنّنا لا نعلمُ أين سنجدُ الطّعامَ والماءَ .

وهكذا تابعَ السِّربُ الصّغيرُ مَسيرَتهُ . بعدَ أن كبرَ الفوجُ الأخيرُ مِنَ

الصّغارِ وتركَ السِّربَ ، ولَم يعدْ هُناك سوى خمسةٍ مِن طيورِ النَّعامِ بالإضافةِ إلى الصَّبيِّ .

رَكَضوا بخُطًى خفيفةٍ مُتأرجحةٍ . في الطليعةِ كانَ حوجٌ . بعدَ حوجٍ سارَ هَدارةُ ، الابنُ المُفضّلُ ، الوَلَدُ الذي لَم ينبذوه أبدًا خارجَ السِّرْبِ وأرادوا أن يبقى معهم في السِّربِ دائمًا . كعادتِه حينَ يركُضون ، مالَ حوجٌ برأسِه بينَ حينٍ وآخرَ ليرى إذا بدأ التّعبُ على هَدارةَ . كانَ حوجٌ يخفّفُ سرعتَه دائمًا إذا لاحظَ التّعبَ على هَدارةَ .

هـدارةُ يحبُّ عادَةً الرَّكضَ في الصّباحِ الباكرِ حَيْثُ يكونُ الطّقسُ مايزالُ باردًا . لأنّهُ يَستَطيعُ عندَها الرَّكْضَ بذاتِ السّرعَةِ التي تركضُ بها طيورُ النَّعامِ تقريبًا . كانَ يُوسِّعُ خُطاهُ ويُحِسُّ بِشَعرِه الذي يتطايرُ فَوْقَ ظَهرِه . لَكِنَّهُ لَمْ يَشعُرْ بسعادةٍ لأيّةِ حَرَكَةٍ قامَ بها هذا الصّباحَ . كانَ عَلَيهِ أن يفكّرَ في كَثيرٍ مِنَ الأمورِ . كيفَ اخْتَفى ذلكَ الشَّيءُ المُستديرُ؟ لقد أحبّه كَثيرًا . أرادَ أن يكونَ بحوزتِه الآنَ . وما الذي حَدَثَ له في أعلى الكَثيبِ الرَّمْليّ البارحةَ؟ لَم يمرَّ بخبرةٍ مثلَ تِلكَ مِن قَبْلُ على الإطلاقِ . لقد أحَسَّ بسعادةٍ لا حدودَ لها وبحزنٍ لا حدودَ له في الوقتِ ذاتِه .

عِندَما رأى هَدارةُ حوجًا يَلتفتُ إلى الخلفِ لينظُرَ إليه ، رَكَضَ بسُرعَةٍ أكبَرَ . لَمْ يَشْعُرْ بالتعبِ حتى الآنَ . بينَما كانَ يَرْكُضُ بِخطواتٍ واثقةٍ ، خطواتٍ طويلةٍ ومتأرجحةٍ ، سَمِعَ أغنيةً تردّدُ نفسَها في رأسِه . لَمْ يسمعْ أيّةَ كلماتٍ بلْ سَمِعَ اللَّحنَ فَقَط . ثمّ ظَهَرَت في ذِهنِه تِلكَ الكلمةُ الغريبةُ مُجَدَّدًا ، فاطمةُ .

– ماما ماكو ، نادى إلى الخلفِ ، ما هي فاطمةُ؟

– لا عِلمَ لي بذلكَ على الإطلاقِ ، أجابته ماكو . أظنُّ أنَّهُ نوعٌ مِنَ أنواعِ الدُّودِ . ألمْ يحنِ الوقتُ لأنْ نتوقّفَ ونتناولَ بعضَ الطّعامِ؟ قالَت بسُرْعَةٍ حتى ينسى موضوعَ كلمةِ فاطمةَ التي كانَت متأكّدةً مِنَ أنّها كلمةٌ يستعملُها البَشرُ .

توقّفَت طيورُ النَّعامِ عنِ الرَّكضِ . حنى كلٌّ منها عُنقَه نَحْوَ الأرضِ ووجدَ ورقةَ نباتٍ هنا وأخرى هُناك . طيورُ النَّعامِ البالغةِ تفضّلُ أكلَ النّباتاتِ . فَعَلَ هَدارةُ مثلَما فَعَلَ الآخَرون لكِنّهُ استعانَ بيديه لِيقتلعَ بعضَ النّباتاتِ الصّحراويّةِ معَ جذورِها وأكلَها بكاملِها ، الجذورَ ، والجذوعَ والأوراقَ . لَم يجدوا ماءً .

في أثناءِ حَرِّ الظُّهرِ الذي لا يُطاقُ ، أوَوا إلى النّومِ . بعدَ الظّهرِ تابعوا مَسيرَتهُم . لَمْ يجدوا حتّى الآنَ ماءً يَشرَبونَه . لَمْ تَشْعُرْ ماكو بِالقلقِ على ذاتِها . طيورُ النَّعامِ تستطيعُ أن تتحمّلَ العَطشَ لِفترةٍ طَويلةٍ ، لكنّها كانَت على عِلمٍ بأنّ هَدارةَ ينتمي إلى صِنفٍ آخرَ مِنَ المخلوقاتِ . هَدارةُ إنسانٌ في الحقيقةِ ، والبَشرُ كائناتٌ شديدةُ الحَساسيّةِ .

بعدَ شُروقِ الشّمسِ في اليَومِ التّالي تابَعَ السِّرْبُ مَسيرَتهُ . كانَ الرَّمْلُ في هذا المَكانِ رَماديَّ اللّونِ ، وكانَت هُناك أكوامٌ مِنَ الأحجارِ البُنّيّةِ الحادّةِ الأطرافِ .

بدأَ هَدارةُ يُحِسُّ بالتّعبِ ، لَمْ تعدْ خُطواتُه طَويلةً ، لَمْ يَقوَ على الرَّكضِ بسُرْعَةٍ ، ولاحظَ أنّ ماكو وحوجًا رَكَضا بِبُطءٍ لِيَتَمَكَّنَ مِنَ الرَّكْضِ معَهما .

جفّفَ العطشُ فمَه وجعلَ شَفتيه تتشقّقانِ . عِندَما توقّفوا لتناوُلِ الطّعامِ بَحَثَ عن نباتاتٍ سَميكةِ الأوراقِ . هو يَعلَمُ أنّ أوراقَ النّباتاتِ

السميكةَ تحتوي على الماءِ . غيرَ أنّ أوراقَ النباتاتِ لَمْ تَكُنْ كافيةً . نما العطشُ بداخِلِه . فَعَلَ كَما كانَ يفعلُ في صِغرِه ، حينَ يداهمُه العَطشُ ، إذ أنَّهُ وَضَعَ إبهامَه في فمِه . مِنْ حينٍ إلى آخرَ ، رَكَضَ في اليَومِ التّالي وهو ما يزالُ واضعًا إبهامَه في فمِه .

لَمْ يقوَ هَدارةُ في اليَوْمِ الثالثِ على الرَّكضِ فاضطرَّ إلى الاكتفاءِ بالسّيرِ .

ثم صَمَتَ اللّحنُ في رأسِه ولم يعُدْ يفكِّرُ حتى بذلكَ الاسمِ الغريب ، فاطمة .

تركوا الصّحراءَ الحَجريّةَ خَلْفَهُم ودخلوا مَكانًا مسطَّحًا تمامًا يغطّيه رملٌ زهريُّ اللّونِ . في منتصَفِ النّهارِ وفي أشدِّ الحرِّ تثاقلَ الهواءُ فَوْقَ الأرضِ ورأى هَدارةُ بِركَةً مائيّةً لامعةً . كانَ يَعلَمُ تَمامًا أنّها لَمْ تَكُنْ بِركًا مائيّةً حقيقيّةً ، بل سرابًا ، ورغمَ ذلكَ لَمْ يتمكّنْ مِنَ الامتناعِ عنِ الشّوقِ إلى الماءِ . لِيَتَمَكّنَ مِن تحمّلِ العَطشِ راحَ يحلمُ بتلكَ المرّةِ في صِغَرِه ، عِندَما أيقظتهُ أمُّهُ مِنَ النّومِ بمُداعبةٍ مِن جناحِها ، ثمّ سارَت به بعدَ ذلكَ إلى بركةِ ماءٍ . حَاوَلَ أن يتذكّرَ الإحساسَ الذي انتابهُ حينَ غطّسَ يدَيه في الماءِ البارِدِ وَراحَ يَشرَبُ ثمّ يَشرَبُ ثمّ يَشرَبُ . . .

انتفخَ لسانُه داخِلَ فمِه وصارَ يرى برقًا يشتعلُ أمامَ عينيه ممّا جَعَلَهُ يحسُّ بأنّهُ على وشكِ التّقيُّؤِ . كانَ مُنهكًا جدًّا الآنَ ، ولم يقوَ إلّا على السّيرِ البطيءِ . طيورُ النَّعامِ كانَت مُنهكةً أيضًا . تقدّمَ السِّربُ بغايةِ الصّعوبةِ إلى الأمامِ .

في لَحظةٍ متأخّرةٍ مِن بعدِ ظُهرِ ذلكَ اليَوْمِ توقّفَ حوجُ فَجْأةً عنِ السّيرِ

وأصدرَ فحيحًا حادًا . لا يفعلُ ذلكَ عادَةً ؛ لذلكَ تسمّرُ كلُّ أعضاءِ السِّرْبِ في مَكانِهم . كانوا يَعلَمُونَ أنّ هُناكَ سببًا وجيهًا لإصدارِه ذلكَ الفحيح .

سارَ حوجٌ جانبًا وحَدَّقَ إلى الرَّمْلِ . جرَّ هَدارةُ قدمَيه بعناءٍ خَلْفَ حوجٍ ورأى السّببَ الذي أيقظَ غضبَ أبيه . كانَ في الرَّمْلِ عُشُّ نَعامٍ مهجورٌ . كانَ في داخلِ العُشِّ قشورُ بَيضاتٍ تكسّرَت . كَما كانَت هُناكَ أربعُ بَيْضاتٍ كاملةٍ وكانَ في قشرةِ كلٍّ منها ثُقبٌ مُستديرٌ صَغيرُ الحَجمِ . أحنى هَدارةُ جسدَه إلى أسفلَ وغرسَ إصبعَه في إحدى البَيضاتِ ورفعَها مِن مَكانِها . كانَت البَيضَةُ فارغةً . لا بدَّ أنّ النسورَ المصريّةَ تسبَّبت بالثُّقبِ لتتمكّنَ مِنَ امتصاصِ مُحتواها . غرسَ أصابعَه في الحُفرِ الأربعِ وحملَ البَيضاتِ الفارغةَ . تَمَكَّنَ بهذه الطّريقةِ مِن حملِ البَيضاتِ الأربعِ وأخذِها معَه . كانَ يريدُ الاحتفاظَ بها .

– اتركْ البَيضاتِ في مَكانِها ، قالَت ماكو ، لماذا تريدُ دائمًا أن تحملَ الأشياءَ معَك أينما ذَهبْتَ؟ هذا غيرُ ضروريٍّ الآنَ . أنتَ الآنَ مُرهقٌ تمامًا عطشانُ جدًا . أنت بحاجةٍ إلى كلِّ قواك . ارمِ البيضاتِ!

لكنّ هَدارةَ كانَ قد وَصَلَ إلى عمرٍ جَعَلَهُ لا يكترثُ أحيانًا لما تقولُه أمُّه . ما حَدَثَ الآنَ هو أنَّهُ استشاطَ غَضبًا . لَمْ يتفوَّه بشيءٍ لكِنَّهُ أصرَّ على أن يحملَ البَيضاتِ الأربعَ بقيةَ ذلكَ النّهارِ .

حينَ استلقى لينامَ تِلكَ اللَّيلةَ وَضَعَ البَيضاتِ بالقُرْبِ منه . وبَّخَتهُ ماكو على ذلك .

– كفّي عنِ النَّقِّ ، هذا كلُّ ما قالَه لها .

نامَ تِلكَ اللَّيلةَ بعُمقٍ ولم يستيقظْ في الصّباحِ معَ الآخَرين . اضّطرَت ماكو إلى أن تلكُزَه بقدمِها . عِندَما نَهَضَ كانَ كلُّ شيءٍ يدورُ مِنَ حَولِه . رأى النجومَ في منتصفِ النّهارِ . كانَ لسانُه منتفخًا أكْثَرَ مِنَ السّابقِ . كانَ فمُه جافًّا وكأنّه كانَ قد أكلَ كمّيةً مِنَ الرَّملِ .

سمعَ ماكو وحوجًا يتحدّثانِ . قالا إنّهُ في حالٍ وقعَ وفقدَ قواه ، سيحاولان أنْ يحملاه .

سارَ الوَلَدُ متثاقلًا وبكَثيرٍ مِنَ البُطءِ .

كلَّما تنفّسَ شعرَ بالألمِ .

عِندَما نَظَرَ إلى الأفقِ كانَ يراه يتأرجحُ إلى الأمامِ والخلفِ . أحَسَّ كأنَ الضّوءَ الحادَّ جرحَ عينَيه . أرادَ أن يسيرَ وهوَ مُغمضُ العينينِ . أغمضَ هَدارةُ عينَيه فعلًا في النّهايةِ وسارَ مهتديًا بطائرِ النَّعامِ الذي كانَ يسيرُ أمامَه . إلى متى سيقوى على تحمُّلِ العَطشِ؟

عانَت طيورُ النَّعامِ مِنَ العطشِ أيضًا لكنّ معاناتِها لَمْ تَكُن بحدّةِ معاناةِ الولدِ . كانَ كلٌّ منهم يسيرُ فاتحًا مِنقارَه .

– ما ذلكَ السّوادُ هُناك؟ تساءَلَت ماكو .

حاسّةُ البَصرِ عندَ طيورِ النَّعامِ قويّةٌ جدًّا ، لكنَّ الصحراءَ خادعةٌ . ففي صحراءَ مسطّحةٍ تَمامًا يُخيّلُ للمرءِ حينَ يرى حجرًا صَغيرًا أنَّهُ يرى جبلًا عاليًا . رأوا جَميعًا الآنَ شَيْئًا أَسودَ يرتفعُ فَوقَ سطحِ الأرضِ . ربَّما كانَ مجرّدَ حجرٍ صَغيرٍ . لكنّ الجَميعَ أحسّوا بالفرحِ وانبعاثِ الأملِ في نفوسِهم . ذلكَ الشَّيْءُ الأَسْوَدُ بدا حقًّا وكأنّه بئرٌ .

كانَت بئرًا بالفعلِ .

انْحَنى هَدارةُ وطيورُ النَّعامِ فَوْقَ الحافّةِ . كانَتِ البئرُ عبارةً عنْ حُفرةٍ مُحاطةٍ بحجارةٍ ، وفي أسفلِ الحُفرةِ ظهرَ المَاءُ لامعًا كمرآةٍ . فتحَ هَدارةُ فمَه . لكنْ كيفَ يرفعونَ الماءَ مِن أعماقِ البئرِ؟

القوافلُ التي تتوقّفُ عندَ الآبـارِ الموجودةِ في بَعْضِ الأماكنِ في الصَّحراءِ ، يجلبُ أناسُها معهم قِرَبًا جلديّةً يرمونها في الماءِ ويرفعونها بِوساطةِ الحبالِ المربوطةِ في أطرافِها . لكنّ طيورَ النَّعامِ وهَـدارةَ لا يعرفون شَيْئًا عن هذا الأمرِ . ثمّ إنّهُ لَمْ يكنْ بحوزتِهم لا قربٌ جلديّةٌ ولا حبالٌ . لكنّ هَدارةَ المُنهَكَ راحَ ينظُرُ إلى بَيضاتِ النَّعامِ الأربعِ الفارغةِ ، التي صمّمَ على حملِها بعِنادٍ . لو تَمَكَّنَ مِنْ خفضِها إلى عُمقِ البِئرِ سيتسنّى لهُ ملؤُها بالماءِ . غيرَ أنّ الماءَ كانَ بَعيدًا عن متناولِ يدَيه .

عندَها قامَ بشيءٍ تحدّثَت به طيورُ النَّعامِ طَوالَ سَنواتٍ قادمةٍ . رَفَعَ هَدارةُ الذي أنهكهُ العطشُ إحدى ساقَيهِ فَوْقَ حافّةِ البئرِ . رَفَعَ بعدَ ذلكَ السّاقَ الأخرى وجلسَ على الحافّةِ بينما تدلّت ساقاه داخِلَ البئرِ .

– ما الذي تفعلُه؟ حَذارِ ، قالَت أمّهُ النَّعامةُ مليئةً بالقلقِ .

كانَ هَدارةُ يمسكُ ببيضةٍ في كلِّ يدٍ . وَضَعَ بعدَ ذلكَ ساقَيه على الحافّةِ المُقابلةِ . لَمْ يكنْ له عِلمٌ مِن أينَ أتتهُ تِلكَ الفكرةُ . كلُّ ما هُناكَ أنّهُ رأَى بينَه وبينَ نفسِه أنَّ الأمرَ كانَ مُمكنًا . خفّضَ جسدَه بِبُطءٍ وجعلَه يتدلّى داخِلَ البئرِ . جَعَلَ ظهرَه يلتصقُ بالحجارةِ الخشنةِ وثبّتَ قدمَيه فَوقَ الحافّةِ المقابلةِ .

– حذارِ يا هَدارةُ ، قالَت ماكو التي كانَ يملؤُها القلقُ .

أحسَّ هَدارةُ بالحجارةِ حينَ راحت تخدِشُ جلدَ ظهرِه .

آلَمَتهُ عضلاتُ ساقَيه لكنّ لهفتَه إلى الماءِ دفعَتْه إلى أسفلَ . إذا لَمْ يحصلْ على ماءٍ يَشْربه الآنَ سيموتُ على أيّ حالٍ . لُحسنِ الحَظِّ عادَت إليه قِواهُ الآنَ وهو في أمسِّ الحاجةِ إليها . تَمكَّنَ مِنَ النّزولِ إلى داخلِ البئرِ بِبُطءٍ قاطعًا القليلَ مِنَ السنتيمتراتِ بينَ لحظةٍ وأخرى . عِندَما أحَسَّ بالماءِ يبلّلُ مؤخّرتَه ، غطّسَ إحدى البيضتينِ في الماءِ ، رفعَها نَحْوَ فمِه وَراحَ يَشْرَبُ . لَمْ يَشْرَبْ شَيْئًا بهذه العُذوبةِ منذُ تِلكَ المرَّةِ حينَ كانَ طفلاً صَغيرًا وشربَ مِنَ النّبعِ . عِندَما روى عَطشَه ملأَ البيضتينِ بالماءِ وبدأَ التَسَلّقَ بعناءٍ إلى أعلى البئرِ . عِندَما رَفَعَ رأسَه إلى أعلى رأى بُقعةً زرقاءَ مِنَ السّماءِ كَما رأى خمسَ وجوهٍ لنعاماتٍ اعتراها الذُّعرُ .

كانَ عندَها قد بلغَ أقصى مقدرتِه . لَمْ تعدْ لديه قوّةٌ على فَعلِ أيِّ شيءٍ الآنَ .

ماذا سيحدثُ لو وقعَ في الماءِ؟ لَمْ تكنْ لديه خبرةٌ بالمياهِ العميقةِ . كلُّ ما رآهُ مِنَ المِياه خلالَ حياتِه هو مستنقعاتٌ ضحلةٌ في الصّحراءِ . كلُّ غرائزِه كانَت تشيرُ إليه بأنّ الماءَ الذي لمعَ مِن تحتِه كانَ في غايةِ الخُطورةِ .

– لا تتوقّفْ عنِ التَسَلّقِ إلى أعلى ، قالَت له النَّعاماتُ .

– لديكَ ما يكفي مِنَ القُوّةِ .

– ستنجحُ في الوُصُولِ إلى أعلى البئرِ .

آلَمَهُ ظهرُه . ارتجفَت ساقاه . بَيْضتا النَّعامِ الممتلئتانِ بالمَاءِ كانَتا ثقيلتينِ وسبّبَتا له ألمًا فظيعًا في أصابعِه . لكنّ عطشَه ارتوى . لنْ يسمحَ لنفسِه بفكِّ قبضتِه عنِ البيضتينِ . لَمْ يكن بوسعِه سوى التَسَلّقِ إلى أعلى سنتيمترًا بعدَ الآخَرِ . بعدَما تَمكَّنَ مِن وَضعِ إحدى ساقَيه خارجَ البئرِ

في نهايةِ المَطافِ ، أجهشَ بالبُكاءِ . وَضَعَ هَدارةُ البيضتينِ على الأرضِ وأسندَهما إلى حافّةِ البئرِ حتّى لا ينسابَ منهما المَاءُ إلى الخارج ، قبلَ أنْ يسيطرَ عَلَيهِ البُكاءُ كلّيًا .

داعَبَت ماكو خدَّه . ليسَ في الكونِ ما يحزنُها كَما تحزنُ عِندَما ترى هَدارةَ يبكي . لا تبكي صغارُ النَّعامِ عادةً ، لذلكَ لا تفهمُ ماكو طبيعةَ الدّموعِ .

مالَ هَدارةُ بوجهِه على جَناحِ ماكو ، هدّأَ نفسَه ، كفَّ عنِ البُكاءِ وَراحَ يحفرِ حُفرةً صَغيرةً في الرَّمْلِ فرّغَ فيها الماءَ الذي كانَ في إحدى البَيضاتِ لتتمكنَ النَّعاماتُ مِنَ الشّربِ ، ثمّ صبَّ المَاءَ الذي كانَ في البَيضَةِ الأخرى .

تمدّدَ أفْرادُ سربِ النَّعامِ فَوْقَ الرَّمْلِ لينامُوا اللَّيلَ ، سعداءَ بَعدَما ارتوى عَطشُهم . تمدّدَ هَدارةُ واضعًا البَيضاتِ الأربعَ بجانبِه . كانَت كلُّ واحدةٍ منها مليئةً بالماءِ .

إذ إنّ هَدارةَ تَسَلّقَ مرّتينِ أُخرَيينِ إلى داخلِ البئرِ حَيْثُ ملأَ البَيضاتِ ماءً ثمّ عادَ وتَسَلّقَ الجُدرانَ إلى الخارجِ .

أسئلةُ الفصلِ

1 . استغْرَقَتْ رِحْلَةُ السِّرْبِ مُنْذُ أنْ غادرَ المكانَ الممْنوعَ إلى أنْ وَصَلَ إلى البِئْرِ أَرْبَعَةَ أيّام . تَعاوَنْ مَعَ مَجموعَتِكَ في رَسْمِ مُخَطَّطٍ يُوَضِّحُ خَطَّ الرِّحْلَةِ ، وَسَجّلوا في كُلِّ يَوْمٍ أَهَمَّ أَحْداثِهِ .

2 . رَغْمَ أنّ ما قامَ بِهِ هدارةُ حينَ وَجَدوا البِئْرَ يُعَدُّ عَمَلًا بُطولِيًّا شُجاعًا إلّا أنَّهُ أَجْهَشَ بِالبُكاءِ حينَ خرجَ مِنَ البِئْرِ . لِماذا ، في رأْيِكَ ، بَكى هدارةُ؟

3 . على ضَوْءِ السّؤالِ السّابِقِ : هَلْ يَبْكي الأَبْطالُ؟ تَحَدَّثْ عَنْ رَأْيِكَ في البُكاءِ . هَلْ تَراهُ صِفَةً بَشَرِيَّةً طَبيعِيَّةً ، أَمْ أَنَّهُ صِفَةُ الضُّعفاءِ؟

4 . " . .عندها قامَ بشيءٍ تحدّثتْ به طيورُ النّعامِ طوالَ سنواتٍ قادمةٍ " . ما الفعلُ الذي قامَ به هدارةُ ، وحفظتْه ذاكرةُ السِّربِ؟

5 . اسْتعمِلْ كلمَةَ" يَتَأَرْجَحُ" في جُمْلَتَينِ مِنْ إنْشائِكَ ، مَرَّةً بِمَعناها الحَقيقيِّ ، ومَرَّةً بِمعنًى مجازيٍّ .

6 . أَعِدْ تَرْتيبَ الجُمَلِ الفِعْليَّةِ الآتيةِ بحيثُ تَبْدَأُ بالفعلِ ، ثُمَّ اقرَأْها :

- في أَثْناءِ حَرِّ الظُّهرِ الَّذي لا يُطاقُ أَوَوا إلى النَّوْمِ .
- بَعْدَ الظُّهْرِ تابَعوا مَسيرَتَهُمْ .
- بَعْدَ شُروقِ الشَّمْسِ في اليَوْمِ التّالي تابَعَ السِّرْبُ مَسيرَتَهُ .
- في أَسْفَلِ الحُفْرَةِ ظَهَرَ الماءُ لامِعًا كَمِرْآةٍ .

الفصلُ التاسعُ

هجومُ بناتِ آوى

استيقظَ هَدارةُ مِنْ نومِهِ في مغارةٍ دافئةٍ ناعمةٍ تكوّنَت مِنْ ريشِ النَّعام . كانَ قد حلمَ خلالَ اللَّيلِ ، ولذلِكَ حَاوَلَ أن يتمسّكَ بالحلمِ ليبقى في ذهنِه ، لكنّ الحلمَ انسلَّ مِنَ ذاكرتِه واخْتَفى كأنّه أفعى . كلُّ ما تبقى لديه مِنَ الحلمِ وهو ممدّدٌ في مَغارةِ الرّيشِ الدافئةِ تَحْتَ ماكو ، هو حَرَكَةٌ هزّازةٌ ، لحنٌ عذبٌ ودفءٌ يغطّي ظهرَه ، حارٌّ كأشعّةِ الشّمسِ .

بقيَ هَدارةُ ممدّدًا في مَكانِه ساكنًا ليستبقي على الأقلِّ الشُّعورَ الذي خلَّفهُ الحلمُ في نفسِه . قطعَت ماكو سحرَ الحلمِ حينَ نَهَضت مِنَ مَكانِها ، رفرفَت بجناحَيها ، ابتلعَت بعضَ الحصى وراحت تبحثُ لنفسِها عن طَعامٍ . عِندَما انتهَت مِنَ تناولِ طَعامِها قامَ هَدارةُ بمُحاوَلةٍ جديدةٍ :

– أين اخْتَفى ذلكَ الغَرضُ المستديرُ الذي وجدتُه في أسفلِ الكثيبِ؟

– لا أذكرُ أنّكَ وجدْت شَيْئًا . هل تذكرونَ ذلك؟ قالَت مخاطبةً أفْرادَ السِّرْبِ الآخَرينَ .

– لا ، لا ، لا نذكرُ ذلكَ إطلاقًا ، ردّدَ الآخَرونَ وبَدَوا متأكّدينَ ممّا قالوه .

– لا بدَّ أنّك حلمْتَ ذلك . كلُّ ما فعلْتَه هو أنّك تَسَلّقْتَ إلى أعلى الكَثيبِ ونزلْتَ إلى أسفلِهِ متزحلقًا . هذا كلُّ ما حَدَثَ يومَها ، قالَت ماكو .

كانَ لدى هَدارةُ كَثيرٌ مِنَ الصّفاتِ التي أثارَتِ استغرابَ ماكو . إحدى هذه الصفاتِ هو أنَّهُ كانَ يحلمُ أحلامًا مميّزةً . كانَ يحدِّثُها عن أحلامِه أحيانًا بعدَ أنْ يستيقظَ مِن نومِه . لكنّ أحلامَه لَمْ تَكُنْ تشبهُ أحلامَ طيورِ النَّعامِ . طيورُ النَّعامِ تحلمُ غالبًا بالطَّعامِ ، لكنّ هَدارةَ لَمْ يحلمْ بذلك . عِندَما كانَ يحاولُ سردَ أحلامِهِ عليها كانَت تعجزُ عن فهمِ ما يقولُ .

– هذا بالتّأكيدِ حلمٌ آخرُ مِن أحلامِك ، قالَت ماكو وانحَنَت في مُحاوَلةٍ لاقتلاعِ جذرٍ كانَ يتشبّثُ بالأرضِ بعنادٍ .

انطلقَ السِّرْبُ في مسيرتِه . كانوا يتنقّلونَ اليَومَ في منطقةٍ تملؤُها تلالٌ رمليّةٌ تكتسي بلونٍ بنّيٍّ متفاوتِ الدّرجاتِ . وكانَت هُناك مجموعاتٌ مِنَ الشّجرِ منتصبةً هنا وهُناك .

كانَ هَدارةُ يحملُ اثنتين مِنْ بَيضاتِ النَّعامِ إذْ عجزَ عنْ حملِ المزيدِ لأنّهم كانوا يتنقّلونَ بسُرْعَةٍ . قَبْلَ أنْ يستمرّوا في مسيرتِهم قامَ هَدارةُ بفعلٍ أثارَ استغرابَ والدَيه ؛ إذْ إنّهُ دفنَ البيضتينِ الأُخرَيينِ في الرَّمْلِ بعدَ أن ملأهُما بالمَاءِ وقالَ :

– لقد دفنْتُ هنا بينَ حجرينِ مدبّبينِ تنبتُ بينَهما شُجيرةُ بَيْضتي نعامٍ مملوءتَينِ بالمَاءِ . لقد سددْتُ فتحةَ كلٍّ منهما بقليلٍ مِنَ العُشبِ . إذا عُدْنا إلى هنا سيكونُ كلٌّ منّا على علمٍ بأنّه يمكنُنا إيجادُ الماءِ هنا .

كانَ يحملُ بَيْضتينِ مليئتَينِ بالماءِ . كانَ المَاءُ ثقيلًا داخِلَ البيضتينِ ما جَعَلَ هَدارةَ يحسُّ بألمٍ لا يُطاقُ في أصابعِه التي غرزَها في ثُقبِ كلٍّ مِنَ البيضتينِ . اضطرَّه هذا إلى نقلِها وحملِها بينَ ذراعَيه . هذا سبّبَ له التّعبَ في ذراعَيه ممّا اضطرَّه إلى حملِها بأصابعِه ثانيةً .

جعلَه هذا يفكّرُ بأمرينِ ؛ أوّلًا : ماذا لو استطاعَ أن يحملَ البَيضاتِ داخِلَ شيءٍ ما يجعلُه قادرًا على حملِ المزيدِ منها؟ ثانيًا : حَدَّقَ إلى يديه . لماذا كانَ شكلُه على ما هو عليه؟ لماذا يختلفُ شكلُه كلّيًا عن شكلِ والدَيه؟ لقد رأى صغارَهما يخرجون مِنَ البيضِ مرّةً تلوَ الأخرى لكنّهما لَمْ يرزقا قطُّ بطفلٍ مِنْ نوعِه .

في منتصفِ النّهارِ ، عِندَما كانَ الحرُّ يتسبّبُ بشرارٍ يتطايرُ أمامَ عينيه ، توقّفَ سربُ النَّعامِ عن مسيرتِه ولجأَ إلى ظِلالِ بَعْضِ الأشجارِ . كانَت الشّمسُ واقفةً فَوْقَ الشّجراتِ التي رَمَت ظلالًا نحيلةً فَوْقَ الرَّمْلِ . قامَ هَدارةُ بما يقومُ به كلَّما توقّفَ السِّرْبُ عن مسيرتِه بالقُرْبِ مِنَ الأشجارِ ، أيْ تَسَلّقُ الأغصانِ التي لَم تستطعْ النَّعاماتُ الوصولَ إليها . قامَ بعدَ ذلكَ بقطفِ الأوراقِ والثّمارِ ورمى بها إلى الآخَرين . كانَ هَدارةُ يأكُلُ أيضًا مِنَ الأوراقِ والثّمراتِ الصّغيرةِ القاسيةِ . كانَ الحرُّ لا يُطاقُ ، لذلكَ نزلَ هَدارةُ مِن فوقِ الشّجرةِ واستلقى الجَميعُ على الرَّملِ لينامُوا خلالَ تِلكَ الفترةِ مِنَ الحرِّ الذي لا يمكنُ تحمّلُه . حشرَ هَدارةُ والنَّعاماتُ أنفسَهم في بقعةِ الظّلِّ الضّيّقةِ التي وفّرتها لهمُ الشُّجراتُ . أغمضَ عينيه متمنّيًا أنْ يعودَ إليه الحلمُ الذي رآهُ في أثناءِ اللَّيلِ . في اللَّحظَةِ التي كانَ فيها على وَشكِ أن يغفوَ اشتمَّ رائحةً غريبةً ، أحَسَّ بحركةٍ غيرِ عاديّةٍ وانتصبَ

واقفًا على ساقَيه .

كانَت ثلاثةٌ مِنْ بناتِ آوى تزحفُ بمُحاذاةِ الأرضِ في مُحاوَلةٍ للاقترابِ مِنَ السّربِ . رأى عيونَها الصّفراءَ وأفواهَها المفتوحةَ .

كانَ بالقُربِ منه بعضُ الحجارةِ لحُسنِ الحظِّ . أمْسَكَ بالحجرِ الأقربِ إليه ، رماهُ تجاهَ بناتِ آوى ورَكَضَ نحوها في الوقتِ ذاتِه ملوِّحًا بذراعَيه .

فتحَ فمَه دُونَ أن يطلِقَ منه أيّةَ صرخةٍ . كانَ هَدارةُ أخرسَ كطيورِ النَّعامِ تمامًا .

نَظَرَ راضيًا إلى بناتِ آوى الثلاثةِ حينَ غادرَتِ المَكانَ راكضةً دوْنَ أن تنْظُرَ إلى الخَلفِ . لكِنّهُ أدْرَكَ أنّها ستكونُ في الجِوارِ ، وأنّها ستعودُ حالما يستغرقُ هو وبقيّةُ السِّرْبِ في النّومِ . لَمْ يجرؤْ على النّومِ مُجدّدًا . أخذَ معَه حَجرًا وتَسَلّقَ إلى أعلى الشّجرةِ ليقومَ بالحِراسةِ .

طيورُ النَّعامِ التي استيقظَت مِنْ نومِها بسببِ الضّجّةِ ورائحةِ بناتِ آوى ، وقفَت جنبًا إلى جنبٍ ترتعشُ خوفًا .

– عودوا إلى النّومِ ، قالَ هَدارةُ . سأقومُ بحراستِكم .

هدأَت نفوسُ أفْرادِ عائلتِه إلى درجةِ أنّهم عادُوا وتمدّدوا في الظِّلِّ مِنْ جَديدٍ .

– ماذا سيكونُ مصيرُنا مِنْ دونِكَ؟ أشارَت ماكو إليه مليئةً بالفخرِ .

جلسَ هَدارةُ في أعلى الشّجرةِ وَراحَ يفكّرُ . نَظَرَ إلى يدَيه ثانيةً . رَفَعَ يدَهُ اليمنى وَراحَ يُحَدِّقُ إليها . كانَتِ الأيدي جيدةً في نَظَرِه . لماذا لَمْ يكنْ لطيورِ النَّعامِ أيادٍ أيضًا؟ أرادَ أنْ يعرفَ لماذا كانَ مختلفًا كلّيًا عن أعضاءِ السِّرْبِ الآخَرينَ ، لكِنَّهُ استحسنَ أنْ يسألَ ماكو عنِ الأمرِ عِندَما

يكونانِ منفردَينِ بَعيدًا عن مسامعِ الآخَرينَ .

جعلَ الحرُّ طيورَ النَّعامِ تنامُ مجدَّدًا وبعدَ لَحَظاتٍ كانَت تغطُّ في نومٍ عميقٍ . حينَ تدلّى رأسُ هَدارةَ فَوْقَ صدرِه وقعَ الحَجرُ مِن يدِه . كانَ لحسنِ الحَظِّ يجلسُ على غُصنٍ اتّخذَ شكلَ شوكةٍ ولذَلِكَ لَمْ يقعْ مِنَ مَكانِه رغم أنَّهُ استغرقَ في النّومِ .

من فَوقِ التِّلالِ البُنّيّةِ الصّغيرةِ ظهرَت رؤوسُ الحَيواناتِ المُفْتَرِسةِ ثانيةً ، ثمّ ظهرَت أجسادُها بعدَ بُرهةٍ . كانَت تتقدّمُ بِبُطءٍ هذه المرّة . أتَتْ زاحفةً بُمحاذاةِ الأرضِ . كانَت بناتُ آوى تعاني مِنَ الجوعِ لأنّها لَمْ تحصلْ على فرائسَ كبيرةٍ منذُ عدّةِ أسابيعَ . كانَت هذه الحَيواناتُ تعلمُ أنّ فرصتَها الوحيدةَ للنّجاحِ في قتلِ طائرِ نعامٍ كَبيرٍ تكمنُ في الانقضاضِ عَلَيهِ في أثناءِ نومِه . كانَت طيورُ النَّعامِ الخمسُ تغطُّ في نومٍ عميقٍ . هَدارةُ أيضًا كانَ يغطُّ في نومٍ عميقٍ .

رائحةُ طيورِ النَّعامِ أثارَت نفوسَ بناتِ آوى . عِندَما كانَت على بُعدِ عشرةِ أمتارٍ مِنَ الطُّيورِ الضخمةِ ، تجمّعَت استعدادًا للانقضاضِ عليها . رَكَضَتِ الحَيَواناتُ الثلاثةُ في اللَّحظَةِ ذاتِها . رَكَضَت تجاهَ ماكو التي كانَت تنامُ على الطّرفِ الخارجيِّ للسِّربِ . لكنْ قبلَ أنْ تصلَ الحَيَواناتُ المُفْتَرِسةُ إلى هدفِها أتاها شَيْءٌ ضخمٌ ومفزعٌ بسُرْعَةٍ مذهلةٍ مِنَ أعلى الشجرةِ . كانَت تفوحُ مِن ذلكَ الشَّيءِ الضّخمِ الغريبِ المخيفِ رائحةٌ بشريّةٌ ، وعِندَما بدأَ يلوّحُ بذراعَيه هربَت بناتُ آوى بهلعٍ مِنَ المَكانِ دونَ أن تَشْعُرَ برَغبَةٍ في العودةِ إلى هذا المَكانِ ثانيةً .

عِندَما حلَّت برودةُ المساءِ تابعَت طيورُ النَّعام مسيرتَها بصُحبةِ الصّبيّ . لَمْ يكنْ هذا الجزءُ مِنَ الصَّحراءِ الكبرى مسطَّحًا بلْ كانَ صحراءَ مليئةً بالتِّلالِ المُغطّاةِ بشُجيراتٍ يابسةٍ ميّتةٍ ظهرَت مِنَ الرَّملِ في كلِّ مَكانٍ وكأنّها رؤوسٌ لمخلوقاتٍ جِنّيّةٍ وقد غطَّتها شعورٌ شعثاءُ . لَمْ يجدوا ماءً ، لكنّ هَدارةَ أصرَّ على حملِ البَيضاتِ الخاويةِ أينَما ذهبوا . قالَ إنَّهُ لا يمكنُ معرفةُ إذا ما كانوا سيحتاجونَها قريبًا .

ساروا مُدّةَ يومَينِ آخرين دونَ أنْ يعثروا على الماءِ . أكلوا كلَّ ما عثروا عَلَيهِ مِنْ نباتٍ ،لكنّ ذلكَ لَمْ يكفِ . سُرعانَ ما دهمَهمُ العَطشُ مُجدّدًا .

تأخّرَ هَـدارةُ عنِ الآخَرينَ ، والقافلةُ الصغيرةُ سارَت بِبُطءٍ أكثرَ فأكثرَ . حوجُ ، الذي كانَ قدِ اتّخذَ القرارَ بانتقالِهم إلى جُزْءٍ مجهولٍ مِنَ الصَّحراءِ ، بدأَ يلومُ نفسَه . ماذا يفعلونَ هنا؟ لا بدّ أنْ تكونَ عاقبةُ هذه المَسيرةِ وَخيمةً . لكِنَّهُ في الحقيقةِ كانَ يَعلَمُ لماذا أتَوا إلى هنا . كانَ قد قرّرَ الانتقالَ إلى الجزءِ المجهولِ مِنَ الصَّحراءِ لأنَّ ماكو أرادَتْ الابتعادَ إلى أقصى حدٍّ ممكنٍ عنِ المَكانِ الذي أضاعَ فيهِ البشرُ هَدارةَ في يومٍ مِنَ الأيّامِ . لا شكَّ في أنّ ذلكَ القرارَ كانَ خطأً فادحًا . الطَعامُ قليلٌ جِدًّا في هذا المَكانِ والماءُ مفقودٌ . أليسَ مِنَ الأفضلِ أنْ يعودوا مِن حَيْثُ أتَوا؟

يَستَطيعُونَ العودةَ إلى المَكانِ الذي دفنَ فيهِ هَدارةُ البيضتينِ المليئتينِ بالماءِ ويتابعونَ بعدَ ذلكَ الطّريقَ إلى البئرِ التي نجحَ هَدارةُ بالتّسَلّقِ داخلَها . لا ، هذه فكرةٌ غبيةٌ بلا شكٍّ . إذا عادُوا الآنَ سيصلون إلى البيضَتينِ الدفينتَينِ بعدَ ثلاثةِ أيّامٍ وسيصلونَ إلى البئرِ بعدَ أربعةِ أيّامٍ . هلْ لديهمُ القوّةُ لفَعلِ ذلك؟ كانَ حوجُ فريسةً للشّكِّ .

جَرّوا أقدامَهم فَوْقَ الأرضِ بِبُطءٍ إلى الأمامِ .

طرأَ على السّماءِ مِنَ فَوْقِهم تغيّرٌ بطيءٌ . السّماءُ الزرقاءُ حُجِبَت فَجْأةً خَلْفَ غيومٍ مالَ بياضُها إلى اللّونِ الرماديِّ . اختفَتِ الشّمسُ بعدَ فَترَةٍ وجيزةٍ ثمّ أَتَتْ ذباباتٌ تَزِنُّ وترتطمُ بذراعِ هَدارةَ الذي كانَ يَنظُرُ إلى جَرادةٍ حطَّت على إحدى الشُّجيراتِ الجافَّةِ . حَاوَلَ أن يمسكَ بالجرادةِ ليأكلَها لكنّ محاولاتِه فشلَت .

الذباباتُ والجرادةُ كانَت علاماتِ خيرٍ . كانَت علامةً على تساقطِ المطرِ . توقّفَ أفْرادُ السِّربِ الضّئيلِ ، رفعوا رؤوسَهم حَاوَلوا شمّ رائحةِ الهَواءِ . شعروا بأنَّ الرِّيحَ كانَت مختلفةً الآنَ بسببِ الرّطوبةِ . كانوا جَميعًا يأملونَ بتساقُطِ المطرِ . وهذا ما كانَت تأملُه كلُّ حَيواناتِ الصَّحراءِ ونباتاتِها وأُناسِها أيضًا .

في أواخرِ عصرِ ذلكَ اليَومِ تساقطَتِ القطراتُ الأولى .

أسئلةُ الفصلِ

1 . بَدأَ هدارةُ ، مُنْذُ أنْ وَقَفَ على التِّلالِ في المكانِ الممنوعِ يَتَغَيَّرُ ، اُرْصُدْ في هذا الفصلِ مَظاهِرَ هذا التَّغيُّرِ . واقْرَأْ على زُمَلائِكَ مَظْهَرًا مِنْها .

2 . يُمْكِنُ أنْ يُقالَ : إنَّ هدارةَ في هذا الفصلِ استَطاعَ أَنْ يَرُدّ دَيْنَهُ لِأُمِّهِ (ماكو) . بِمَ يَدينُ هدارة (لماكو)؟ وكَيْفَ رَدّ دَيْنَهُ لَها؟

3 . وَرَدَ ذِكْرُ حَيوانِ ابْنِ آوَى في هذا الفصلِ . اِقْرَأْ عَنْ هذا الحَيوانِ ، واصْنَعْ مُلْصقًا يُقَدِّمُ أَهَمَّ المَعْلوماتِ عَنْهُ .

4 . "كانَ قَدْ حَلُمَ خِلالَ اللَّيْلِ ؛ ولِذلكَ حاوَلَ أنْ يَتَمَسّكَ بِالْحُلُمِ لِيَبْقى في ذِهْنِهِ ، لَكِنّ الحُلُمَ انْسَلّ مِنْ ذاكِرَتِهِ ، واخْتَفى كالأفْعَى" :

بِرَأْيِكَ ما سَبَبُ اسْتِعْمالِ الفِعْلِ (انْسَلَّ) عِوَضًا عَنْ أَفْعالٍ أُخْرى لَها مَعْنًى قَريبٌ ؛ مِثْلُ : هَرَبَ / تَبَدَّدَ/ غابَ / تَبَعْثَرَ ، اِرْبِطْ بَيْنَ الفِعْلِ (انْسَلَّ) وَعِبارَةِ (اخْتَفى كالأفْعَى) مُوَضِّحًا طَريقَةَ الأفاعي في الانتِقالِ مِنْ مَكانٍ إلى آخَرَ؟

الفصلُ العاشرُ

هل تعنينَ أنّني لَستُ طائرَ نَعامٍ حَقيقيًّا؟

فتحَ هَدارةُ ذراعيَه ، رَفَعَ وجهَه إلى أعلى ورَكَضَ بسُرْعَةٍ هائلةٍ تِجاهَ عُمقِ الصّحراءِ . توقّفَ فَجْأةً وبقيَ مُسمَّرًا في مَكانِه بذراعَيه المفرودتينِ ووجهِه المرتفعِ إلى أعلى . سقطَت قطراتُ المَطرِ الأولى على وجهِه وكتفَيه ، قطراتٌ انسابَت إلى أسفلَ راسمةً خطوطًا على جلدِه المُغبَرّ .

لم يفارقْه القلقُ . لا بدَّ أنْ يتساقطَ المزيدُ مِنَ المطرِ . هذه القطراتُ الضئيلةُ لا تكفي . فتحَ فمَه ومدَّ لسانَه في الهَواءِ . ما حَدَثَ بعدَ ذلكَ تحوّلَ إلى أقوى ذكرى في حياتِه وصارَ فيما بعدُ يتذكّرُها قبيلَ النّومِ . كانَت ذكرى تحملُ شَيْئًا مِنَ الجنّةِ وشَيْئًا مِنَ الجحيمِ .

ازدادَ تساقطُ المطرِ وأحسَّ بالقطراتِ التي حطَّت على لسانِه وبلّلَت شفتَيه الجافّتَينِ وفمَه العطشانَ .

تمكّنَ مِنَ تفسيرِ الصّوتِ الذي أتاهُ مِنَ الخلفِ دونَ أن يلتفتَ . سربُ النّعامِ بأكملِه جاءَ راكضًا تجاهَه . توقّفوا عنِ الرَّكْضِ فَجْأةً وأحاطوا به ، وعِندَما انهمرَ المطرُ بغزارةٍ وانهالَ عليهم ، راحَ كلٌّ مِن أفْرادِ السِّرْبِ الستّةِ ، الصّبيِّ وطيورِ النّعامِ الخمسةِ ، يصفّقونَ بأَجْنِحتهم ورقصوا رقصةَ فرحٍ داروا فيها حَوْلَ أنفسِهم .

ارتطمَ ماءُ المطرِ بالأرضِ . تجمّعَ في مستنقعاتٍ صَغيرةٍ بقيَت على الأرضِ وهَـدارةُ الذي كانَ يَقِفُ تَحْتَ المطرِ راحَ يسرّحُ شعرَه الطويلَ المبلّلَ بأصابعِه ، فهي المِشطُ الوحيدُ الذي كانَ لديه . كلُّ ما كانَ على طيورِ النَّعامِ فعلَه هو أن تفرِدَ أَجْنِحتَها وتنفضَ ريشَها بِوساطةِ مناقيرِها .

أحسّت كلُّ الكائناتِ الحيّةِ التي تعيشُ في الصَّحراءِ بالفرحِ فَجْأةً . رَكَضَت فئرانُ الصَّحراءِ الصّغيرةُ إلى هنا وهُناك ، خرجَت العقاربُ مِنَ جُحورِها ، رَكَضَتِ الأرانبُ فَوْقَ التِّلالِ ودبّتِ الحَيَاةُ في كلِّ النباتاتِ الجافّةِ .

أرادَ هَدارةُ استغلالَ الفرصةِ التي مَنَحها إيّاه صفاءُ الأمزجةِ لدى الجَميعِ . أوقفَ ماكو حينَ كانَت في طَريقِ عَودَتِها إلى المَكانِ الذي اختاروه لقضاءِ اللَّيلِ . أرادَ أن يتحدّثَ إليها على حدةٍ هذا المساء ، بَعيداً عن مسامعِ الآخَرين .

وَضَعَ يدَه حَوْلَ عنقِها ثمّ قالَ :

– تمدّدي هنا . سأخلّصُكِ مِنَ القَراداتِ التي وجدَت طَريقَها إليكِ .

كانَ المطرُ قد خفَّ الآنَ وتحوّلَ إلى رذاذٍ ناعمٍ . لكنَّ رائحةَ المطرِ العذبةَ كانَت لا تزال تملأُ الجوَّ . فرحَت ماكو لذلك . المعاناةُ مِنَ مَصّاصاتِ القَراداتِ هي معاناةٌ أبديَّةٌ . تمدّدَت على الأرضِ مباشرةً ومدّت عنقَها بمُحاذاةِ الأرضِ لِيَتَمَكَّنَ هَدارةُ مِنَ تَفْلِيَتِها . كانَ يسهلُ عَلَيهِ الإمساكُ بأصابِعِه البشريّةِ ، بالقَراداتِ المنتفخةِ التي كانَت تلتصقُ بعنقِ ماكو .

كانَ يشدُّها حتّى تفلتَ قبضتَها عن جلدِ ماكو ، ثمّ يَنْظُرُ إليها باشمئزازٍ . كانَ على علمٍ بالمعاناةِ التي كانَت القَراداتُ تتسبّبُ بها لطيورِ

النَّعام . لَمْ يؤذِ عادَةً ولم يقتلْ حَيَوانًا ما إلّا إذا أرادَ أنْ يأكلَه ، لكنَّ القَراداتِ كانَت الاستثناءَ الوحيدَ . كانَ عادَةً يكسرُ شوكةَ مِن نبتةٍ ما ثمّ يغرزُه في جسمِ ذلكَ الحَيَوانِ المنتفخِ . كانَ يضعُ القرادةَ على الأرضِ ويغرزُها بالشّوكةِ مرارًا . وفي نهايةِ الأمرِ كانَ يدوسُها بقدمِه إلى أنْ تختفيَ في الرَّمْلِ .

– لقد أرحتَني ، قالَت ماكو . أظنُّ أنَّ هُناك المزيدَ مِنَ القَراداتِ تَحْتَ جناحي .

– ماما ، قالَ هَدارةُ لأنّهُ كانَ يَعلَمُ أنَّها كانَت تفرحُ كَثِيرًا حينَ يناديها هكذا . كانَ يَعلَمُ تَمامًا عمّا إذا أرادَ أن يحدّثَها في هذا اليَومِ السّعيدِ الذي انهمرَ فِيهِ المطرُ ، لَكِنَّهُ أرادَ أن يطيّبَ مزاجَها قَبْلَ ذلك .

– ماما ، قالَ مردّدًا تِلكَ الكلمةَ ؛ لأنّهُ كانَ يَعلَمُ أنّها كانَت تودُّ سماعَها ثانِيةً .

هل تحكينَ لي تِلكَ القصّةَ التي تتحدّثُ عنِ السّببِ الذي يجعلُ طيورَ النَّعامِ عاجزةً عنِ الطّيرانِ؟

بينما عثرَ هَدارةُ على قَرادتَينِ وانتزعَهما مِنَ جلدِها ، روَت له ماكو القصّةَ التي كانَ قد سمعَها مرّاتٍ كَثِيرةً في السّابقِ .

– كانَت طيورُ النَّعامِ بارعةً جِدًا في الطّيرانِ في قديمِ الزّمانِ . كنّا نطيرُ على ارتفاعٍ عالٍ ولمسافاتٍ طويلةٍ . لَمْ نركُضْ حِينَها إذا أردْنا الانتقالَ مِن مَكانٍ إلى آخرَ بلْ كنّا نطيرُ . إذا أتانا حَيَوانٌ مُفْتَرِسٌ كنّا نرفرفُ بأَجنِحتِنا الضّخمةِ فنعلو في الجوِّ وننجو مِنَ الخَطرِ . لكنَّ طائرَ نعامٍ مغرورًا قرّرَ أن يطيرَ حتّى يصلَ إلى الشّمسِ . قالَ للجَمِيعِ إنَّهُ سيطيرُ إلى الشّمسِ .

وهكذا غادَرَ في صباحٍ باكرٍ . وقفَتِ النَّعاماتُ الأخرياتُ في مَكانِها على الأرضِ ، وراحَت تنظرُ إليه وهو يعلو ويعلو في الجوِّ . بدا في النّهايةِ كنقطةٍ سوداءَ في زُرقةِ السّماءِ .

سيصلُ إلى هدفِه بالتّأكيدِ ، قالَتِ النَّعاماتُ ، سيصلُ بالتّأكيدِ إلى الشّمسِ .

لكنّه لَمْ يصلْ لأنّهُ حينَ اقتربَ مِنَ الشّمسِ احترقَ جناحاه ، ثمّ تداعى نَحوَ الأرضِ . منذَ ذلكَ اليَومِ فقدَت طيورُ النَّعامِ قدرتَها على الطّيرانِ . أَجْنِحتُنا ضخمةٌ وجميلةٌ لكنّها لا تصلحُ للطّيرانِ .

عِندَما انتهَت ماكو مِنَ سردِ القصّةِ تجرّأَ هَدارةُ أخيرًا على طرحِ السّؤالِ الذي كانَ يدورُ ويدورُ في رأسِه مؤخّرًا .

– لَيْسَ لي جناحانِ ، لماذا؟

– بعضُ الصّغارِ يولدونَ بمظهرٍ يختلفُ عن مظهرِ الباقينَ .

– أعلمُ تَمامًا المظهرَ الذي تظهرُ به صغارُ النَّعامِ . لقد رأيْتُ كَثيرًا مِن أفواجِ الصغارِ تفقسُ البَيضاتُ وتزحفُ إلى خارجِها ، لكنّي لَمْ أرَ يومًا فَرْخَ نعامٍ من دونِ جناحينِ . ولم يخرجْ أحَدُ صغارِك إلى الحَياةِ بذراعينِ .

– لبَعْضِ الصغارِ مظهرٌ يختلفُ عن مظهرِ الآخَرينَ ، هذا كلُّ ما في الأمرِ ، قالَت ماكو . تصوّرْ كم نفعَنا مظهرُك المختلفُ . تذكّرْ كيفَ تَسَلّقْتَ داخِلَ البئرِ وحملتَ إلينا المَاءَ . هذا أمرٌ أعجَزُ عنِ القيامِ به كَما أنّني أعجزُ عن رميِ الحجارةِ على بناتِ آوى . أنت قادرٌ على تَسَلّقِ الأشجارِ أيضًا وهذا أمرٌ يعجزُ عنه النَّعامُ .

– هل تعنينَ أنّني لَسْتُ طائرَ نعامٍ حَقِيقيًا؟

– نعمْ ، لكنَّكَ عشتَ معَنا طَوالَ حياتِك وصرْتَ واحدًا منّا .
– أنا مِن نوعٍ مختلفٍ إذن . مِنَ أيِّ نوعٍ أنا؟
– لَسْتُ أدري ، قالَت ماكو كاذبةً .
– لماذا أتيتُ للعيشِ معكم؟
– هلْ تريدُ معرفةَ ذلكَ حقًّا؟
– نعمْ ، أخبريني بذَلِكَ حالًا ، قالَ هَدارةُ وقد نفدَ صبرُه .
– لقدْ وجدْناك .
– ماذا؟ قالَ هَدارةُ الذي أحَسَّ أنّ عالَمَه بأكملِه بدأَ يتأرجحُ .
– كنتَ صَغِيرًا جِدًّا حينَ وجدْناك . لقدْ أحببْتُكَ منذُ أنْ رأيتُكَ وقرّرْتُ أنا وحوجُ أنْ نعتنيَ بك .

في تِلكَ اللَّحظَةِ تحوّلَ الرّذاذُ النّاعمُ إلى مطرٍ هاطلٍ بلّلَ كلاًّ منهما . تصبّبَ المَاءُ مِنَ شعرِ هَدارةَ الطويلِ وَراحَ جسدُه يرتجفُ وأسنانُه تصطكُّ مِنَ البردِ . كانَ المطرُ ينزلُ عَلَيهِ كالسّوطِ وينسابُ فَوقَ وجهِه ، فَوقَ شعرِه ، فَوقَ جسدِه وقدمَيه ممّا جَعَلَهُ يعجزُ عنِ الكلامِ . تجمّعَ ماءُ المطرِ حَولَ قدمَيه في بِرْكَةٍ صَغِيرةٍ . سارَ هو وماكو نَحوَ الآخَرينَ الذينَ وقفوا منكمشينَ مُحَدِّقينَ باستغرابٍ إلى الوديانِ الصّغيرةِ التي كانَت تنتشرُ في الصَّحراءِ ورأوها تتحوّلُ إلى أنهارٍ بنّيّةٍ جاريةٍ . فتحُ حديثٍ معَ ماكو باتَ الآنَ مستحيلًا . عليهمُ المغادرةُ حالًا والبحثُ عن مَكانٍ عالٍ لا تصلُ إليه تجمّعاتُ المياهِ .

لم يشكّلوا طابورًا هذه المرّةَ بلْ رَكَضوا جنبًا إلى جنبٍ لَكِنَّهم لَمْ يتمكّنوا مِنَ الرَّكْضِ طويلًا . منعَهم من ذلكَ نهرٌ تكوّنَ قَبْلَ لحظاتٍ .

أمامَ سيقانِهم جرَت كمّياتٌ ضخمةٌ مِنَ مياهٍ بنّيّةٍ فوّارةٍ مليئةٍ بالرَّملِ .

أرسلَ حوجُ إشارةً إلى الآخَرينَ يحثُّهم فيها على إسراعِ خُطاهم . عليهم أن يقطعوا النّهرَ الذي تكوّنَ أمامَهم فَجْأةً ليتمكّنوا مِنَ تَسَلّقِ التلِّ الواقعِ في الجهةِ المُقابلةِ . كانَ ذلكَ التلُّ عاليًا لا تصلُه المياهُ .

سارَ حوجُ في ماءِ ذلكَ النهرِ الجاري . سارَ بخطواتٍ عاليةٍ ورأسٍ مائلٍ إلى الخلفِ قليلًا . عِندَما وَصَلَ إلى الجهةِ المقابلةِ لحقَتْ به ماكو . تمكّنَتْ هي أيضًا مِنَ الوُصُولِ إلى الجهةِ الأخرى . كانَ هَدارةُ ثالثَهما الذي أحَسَّ بالمياهِ وهي تشدُّه إلى هنا وهُناك . في منتصفِ النّهرِ تأذّت قدمُه حينَ ارتطمت بحجرٍ ممّا جَعَلَهُ يتعثّرُ ثمّ يقعُ . صارَ رأسُهُ تَحتَ سطحِ الماءِ فَجْأةً . قاومَ بيديه وبساقَيه ، جرفَتْه مياهُ النّهرِ معها ، تقلّبَ في المياهِ الهائجةِ وامتلأَ فمُه بالمَاءِ والرَّمْلِ . سحبَه النهرُ بَعِيدًا بسُرْعَةٍ . كانَ اللَّيلُ قد حلَّ . تحوّلَ كلُّ شيءٍ مِن حَولِه إلى ظلامٍ حالكٍ . لَمْ يرَ نجومًا ولا قمرًا ينيرُ السماءَ . لن يتمكّنَ أفْرادُ عائلتِه مِنَ رؤيتِه حتى لو رَكَضوا بسُرعَةٍ في مُحاذاةِ النّهرِ بحثًا عنه .

جرفَتهُ كمّيّاتُ المياهِ الهائلةِ بَعِيدًا .

ملأَ رعبٌ أبيضُ روحَه .

أسئلة الفصل

1 . اِقْرَأِ الفِقْرةَ الَّتي تَصِفُ مَظاهِرَ الفَرَحِ بِسُقوطِ قَطَراتِ المَطَرِ الأُولى فَوْقَ الصَّحْراءِ القاحِلَةِ .

2 . اُكْتُبْ فِقْرَةً قَصيرَةً وَمُرَكَّزَةً تَصِفُ فيها فَرَحَكَ وَفَرَحَ النّاسِ بِالمَطَرِ في الإماراتِ .

3 . أَعِدْ على زُمَلائِكَ سَرْدَ الحِكايَةِ الَّتي حَكَتْها (ماكو) لِهدارة عَنِ السَّبَبِ الَّذي جَعَلَ طُيورَ النَّعامِ عاجِزَةً عَنِ الطَّيرانِ؟

4 . عَرَفَ هدارةُ في هذا الفصلِ أَنَّ (ماكو وحوج) وَجَداهُ ضائِعًا في الصَّحْراءِ . كَيْفَ تَتَوَقَّعُ أَنْ يُؤَثِّرَ هذا على هدارة فيما بَقِيَ مِنَ الرِّوايَةِ؟

5 . « مَلأَ رُعْبٌ أَبْيَضُ روحَهُ» . ما الحادِثَةُ الَّتي تُعَبِّرُ عَنْها هذه الجُمْلَةُ؟ وما سَبَبُ اخْتِيارِ اللَّوْنِ الأَبْيَضِ لِوَصْفِ الرُّعْبِ في رَأْيِكَ؟

6 . اُكْتُبْ فِقْرَةً مُرَكَّزَةً عَنِ الشَّخْصيَّةِ الرّئيسَةِ ، على أنْ تُضَمِّنَها هذه الجُمْلَةَ : «أَحسّ أنَّ عالَمَهُ كُلّهُ بدَأَ يَتَأَرْجَحُ».

الفصلُ الحادي عشرَ

في جَزيرةٍ مقطوعةٍ وسَطَ الصَّحراءِ

كانَت طاقاتُ السّماءِ كلُّها مفتوحةً . انصبَّت مياهُ المطرِ فَوْقَ الصَّحراءِ الظمأى بلا انقطاعٍ . لكنّ الأرضَ المرصوصةَ لَمْ تتمكّنْ مِنَ امتصاصِ كلِّ المياهِ التي انصبَّت فَوْقَها بعدَ ستِّ سنواتٍ طويلةٍ مِنَ الجفافِ . هكذا تكوّنَتِ الأنهارُ الصّحراويّةُ الغزيرةُ ، الفوّارةُ .

في أحَدِ هذه الأنهارِ التي كانَت تتداعى إلى الأمامِ عبرَ الصَّحراءِ ، كانَ هَدارةُ يدورُ ثمّ يدورُ . كانَ يودُّ أن يصرخَ لَكِنَّهُ كانَ ، بعدَ السّنواتِ الطّويلةِ التي قضاها معَ سربِ النَّعامِ ، لقد نَسِيَ كيفَ يستعملُ صوتَه . لذلكَ أطلقَ صرخةً داخِلَ رأسِه :

– ساعديني يا ماكو! ساعدني يا حوجُ!

لكنّ أحَدًا لَمْ يسمعْ صرخَته الصّامتةَ .

وجدَ رأسهُ مغمورًا بالماءِ مرّةً أُخرى فراحَ يلوّحُ بيدَيه وساقَيه والرّعبُ يملأُ قلبَه . صعِدَ إلى سطحِ الماءِ لَكِنَّهُ ابتلعَ كميةً منه وامتلأَ فمُه بالرَّملِ . سعلَ وبصقَ حتّى أخرجَ الرَّملَ مِنَ فمِه وملأَ رئتَيه بالهواءِ ، ثمّ وَجَدَ نفسَه يغرقُ ثانِيةً .

هوى شيءٌ ثقيلٌ نحوَه فأحسَّ بألمٍ في جَميعِ أنحاءِ جسمِه . كانَ منهكًا الآنَ وعلى وشكِ أنْ يستسلمَ ، لكنّ شعرَه الطويلَ علقَ بشيءٍ ما ممّا جَعَلَهُ يلوّحُ بيدَيه ويتحسّسُ أغصانًا . هلْ هذه شجرةٌ اقتلعَتْها المياهُ وجرفَتْها معَها؟ نعمْ ، إنّها شجرةٌ . لَمْ يستطعْ رؤيتَها في الظّلامِ المحكمِ ، لَكِنَّهُ لمسَ الشّجرةَ التي منحَتْه شعورًا بالقوّةِ . تأبّطَ جذعَ الشّجرةِ وتمكّنَ هكذا مِنَ إبقاءِ رأسِه فَوْقَ سطحِ الماءِ ومنَ التنفّسِ طَوالَ الوقتِ .

ارتجفَ مِنَ البردِ والإجهادِ وتمنّى لو كانَت هذه اللَّيلةُ ليلةً عاديّةً يرقدُ فيها تَحْتَ الرّيشِ الدافئِ الذي يغطّي جسدَ أمِّه ماكو . اهتزّت الشّجرةُ فَجْأةً ، غيّرَتِ اتِّجاهَها وتوقّفَتْ عنِ الحركةِ . أدْرَكَ هَدارةُ أنّ الشّجرةَ علقَتْ بشيءٍ ما وتوقّفَتْ عنِ الانسيابِ معَ المياهِ . كانَ مُنهكًا لَكِنَّهُ تَمَكَّنَ مِنَ جرِّ نفسِه إلى الشَّاطِئِ بمساعدةِ الأغصانِ . عِندَما خرجَ مِنَ المَاءِ كانَت ساقاه ثقيلتَينِ كالصّخرِ . كادَ لا يقوى على نقلِها فَوْقَ الأرضِ وعجزَ عنِ الشُّعورِ بالفرحِ لتمكّنِه مِنَ الخَلاصِ مِنَ المياهِ الجارفةِ . كانَ مُرهقًا إلى درجةٍ جعلتهُ يعجزُ عن الشُّعورِ بأيِّ شيءٍ على الإطلاقِ .

متعثّرًا وبسيقانٍ واهنةٍ نجحَ بالابتعادِ عنِ النّهرِ قدرَ ما استطاعَ . كانَت الرؤيةُ مستحيلةً بسببِ الأمطارِ التي ما لبثَت تنهمرُ . غيرَ أنَّهُ شعرَ أنّ الأرضَ كانَت ترتفعُ بعضَ الشَّيْءِ . عِندَما أحَسَّ بأنه كانَ على قمّةٍ مرتفعٍ صَغِيرٍ ، تداعى على الأرضِ . لَمْ يكنْ هُناك ما يحتمي به مِنَ المطرِ . لَمْ يكنْ لديهِ ما يغطّيهِ عُريَّه . زادَ شعرُه الطويلُ مِنَ شعورِه بالبردِ وأسنانُه كانَت تصطكُّ بلا انقطاعٍ . قوّسَ جسدَه حتّى باتَ على شكلِ كرةٍ ، بينَما اسْتَمَرَّ المطرُ بالتساقُطِ . كانَت تِلكَ اللَّيلةُ الأولى في حياتِه

التي يقضيها وحيدًا تَمامًا . بكى طويلاً ولكنّه غفا في نهايةِ المطافِ .

عندَ الفجرِ انقطعَ المطرُ ، لكنّ السماءَ كانَت ما تزالُ مليئةً بغيومٍ ثقيلةٍ . كانَت ملاحظةُ شروقِ الشّمسِ شبهَ مستحيلةٍ .

ابتسمَ هَدارةُ عِندَما استيقظَ مِنَ نومِه ورأى أنّ المطرَ كفَّ عنِ السّقوطِ . وَقَفَ على ساقَيه وَراحَ يقفزُ حتّى يدبَّ الدّفءُ في جسدِه ، لكنّ لحظاتِ الفرحِ تِلكَ لَمْ تدمْ طويلًا . رأى هَدارةُ أنّ المرتفعَ الذي وَقَفَ عَلَيهِ كانَ محاطًا بالمَاءِ مِنَ كلِّ الجهاتِ . كانَ في الواقعِ يَقِفُ على جزيرةٍ . كانَ قد سبقَ له أنْ رأى سرابًا يشبهُ هذا المَنظَرَ ، بُحَيرَةً ضخمةً وفي وسطِها جزيرةٌ . غيرَ أنَّهُ كانَ يَعلَمُ الآنَ أنّ هذا لَيسَ سرابًا . هذا مَكانٌ حَقِيقيٌّ . لنْ تنتقلَ هذه المياهُ مِن مَكانِها ولنْ تتلاشى إلى عدمٍ .

نزلَ إلى شاطئِ جزيرتِه ، ركعَ على ركبتيهِ وشربَ . لَمْ يعدْ يَشْعُرُ بالبَردِ لَكِنَّهُ أحَسَّ بالجوعِ . ككلِّ صباحٍ آخرَ في حياتِه شرعَ في البحثِ عمّا يأكلُه . كانَت على جزيرتهِ شجرةٌ واحدةٌ لا غيرَ . تأمّلَ الشّجرةَ وأحسَّ بالفرحِ . كانَت هُناك أشجارٌ لا تصلحُ أوراقُها للطّعامِ لأنّها كانَت سامّةً . أوراقُ هذه الشجرةِ كانَت صالحةً كطَعامٍ له . كانَت الشجرةُ ، لسوءِ الحظّ ، جافّةً وعاريةً مِنَ الجزءِ الأكبَرِ مِن أوراقِها . قطفَ هَدارةُ الأوراقَ القليلةَ التي وجدَها على الأغصانِ السّفلى وَراحَ يمضغُها ببطْءٍ . تفحّصَ بعدَ ذلكَ الأرضَ مِن حَوْلَهُ ووجدَ شُجيراتٍ جافّةً . اقتلعَ بعضًا منها وَراحَ يمضغُ جذورَها . كانَت الجذورُ مُرّةً لَكِنَّهُ كانَ قد تعلّمَ عدمَ الاكتراثِ لذلكَ الأمرِ . حتى أنَّهُ وَجَدَ نفسَه اليَوْمَ متلذّذًا بذَلِكَ الطّعمِ المُرِّ .

لم يَشْعُرْ بالشّبعِ بعدَما تناولَه لذلكَ ركعَ على ركبتيه وَراحَ يحفرُ في

الأرضِ القاسيّةِ . كانَ يأملُ أن يجدَ بعضَ الديدانِ أو الخنافسِ . كلُّ ما نجحَ في الإمساكِ به هو دودةٌ ألفيّةُ الأرجلِ ، صَغِيرةٌ بنّيّةُ اللّونِ ، راحَ يمضُغُها ببطْءٍ .

وَضَعَ بينَما كانَ يحفرُ ، كلَّ الأحجارِ الصّغيرةَ التي وجدَها جانبًا . بعدَ أنْ تناولَ الدّودةَ الألفيّةَ ، بلعَ الأحجارَ الصّغيرةَ واحدًا تلوَ الآخَرَ .

راحَ الآنَ بعدَ أن سكنَ جوعُه قليلًا ، يفكّرُ بطَرِيقةٍ يتركُ فيها ذلكَ المَكانَ . كانَت تلّتُهُ عبارةً عن جزيرةٍ ناتئةٍ فَوْقَ سطحِ المَاءِ . رأى الأرضَ في الجنوبِ . هُناك انتهَتِ البُحَيرَةُ . نزلَ إلى الشَّاطِئِ وسارَ في عُرضِ المَاءِ . لَمْ يكنْ يجيدُ السّباحةَ ولا غرابةَ في ذلكَ إذ إنَّهُ لَم يرَ قَبْلَ اليَومِ سوى مستنقعاتٍ ضحلةٍ وذَلِكَ البئرَ الذي نزلَ إلى داخلِه متَسَلّقًا . لَمْ يكن يَعلَمُ شَيْئًا عنِ السّباحةِ لَكِنَّهُ كانَ يَعلَمُ كيفَ سيتركُ جزيرتَه . هذه المياهُ ليسَت نهرًا جارفًا ، بل بُحَيرَةٌ راكدةٌ . أرادَ بكلِّ بساطةٍ أنْ يعبرَ المياهَ سائرًا إلى الجهةِ المقابلةِ .

كان يَعلَمُ أنّ عَلَيهِ تَركُ تِلكَ الجزيرةِ الصّغيرةِ . الطَعامُ الموجودُ فيها لن يكفيَه لأكْثَرَ مِنَ أَيّامٍ قلائلَ . أرادَ تَركَ هذا المَكانِ والبدءَ في البحثِ عن عائلتِه . طرأَت فكرةٌ مخيفةٌ في ذهنِه . ماذا لو جرفَ النّهرُ سربَ النَّعامِ أيضًا؟ غمرَتِ المياهُ ساقَيه حتّى الكاحلَ . سارَ بعدَها حتّى وَصَلَ المَاءُ إلى ركبتَيه ثمّ إلى فخذَيه . بعثَ فِيهِ المَاءُ شعورًا بالقلقِ بعدَ ما حَدَثَ له البارحةَ . عِندَما وَصَلَ المَاءُ إلى خاصرتِه ، عادَ إليه الرّعبُ الذي أحَسَّ به البارحةَ . خشيَ أن يغطّيَ المَاءُ رأسَه مِنَ جديدٍ كَما خشيَ أنْ يَقعَ ، لذلكَ كانَ يتفحّصُ المَكانَ أمامَه بقدمِه قَبلَ أنْ يخطوَ إلى الأمامِ .

كانَ يَنظُرُ إلى الأمامِ بينَ الحينِ والحينِ ، لكنّ الشَّاطِئَ المقابلَ كانَ يبدو على ذاتِ البُعدِ الذي كانَ عَلَيهِ سابقًا .

تجمّعَت غيومٌ قاتمةُ اللّونِ في السّماءِ . رعدٌ ثمّ برقٌ ثمّ فتحَتِ السماءُ أبوابَها مِنَ جديدٍ . انصبَّ المطرُ بغزارةٍ نَحْوَ الأرضِ . سالَ الماءُ على وجهِه ، ولم يعدْ هَدارةُ قادرًا على رؤيةِ الأشياءِ مِنَ حولِه . اضطرَّ هَدارةُ للاستسلامِ . عادَ بِبُطْءٍ وحَذرٍ تجاهَ الجزيرةِ بينما البرقُ كانَ يتسارعُ في عُرضِ السّماءِ وكأنّه أفاعٍ حانقةٌ وبينما كانَ المطرُ ينصبُّ بغزارةٍ . لَمْ يتمكّنْ مِنَ رُؤيةِ الجَزيرةِ بوضوحٍ إلا أنَّهُ أسْرَعَ الخُطى نحوَها . تعثّرَ ثمّ وقعَ . غطّسَ رأسَه في الماءِ ممّا جَعَلَهُ يَشْعُرُ بالذُّعرِ . لَمْ يكنِ المَاءُ عميقًا هنا ؛ ولذَلِكَ تَمَكَّنَ مِن الوقوفِ على ساقَيه بسُرْعَةٍ . رَكَضَ مسافةَ الأمتارِ التي فصلَتهُ عنِ الجَزيرةِ بسُرْعَةٍ جعلَتِ المَاءَ يتطايرُ حَوْلَ ساقَيه .

لم يكنْ هُناك ما يكفي مِنَ الطّعامِ على سطحِ الجَزيرةِ ، لكنّ ذلكَ لَمْ يسبّبْ له القلقَ . الجزيرةُ مَكانٌ يوفّرُ له قدْرًا أكبرَ مِنَ الأمانِ مقارنةً معَ المِياهِ الخطرةِ .

لكنّ هَدارةَ كانَ على خطأٍ .

مستوى المياهِ كانَ يرتفعُ طَوالَ الوقتِ .

وقفَ تَحْتَ المطرِ ، تَحتَ ضجيجِ الرّعدِ وعنادِ البَرقِ ، وتأمّلَ سطحَ المياهِ وهو يرتفعُ شَيْئًا فشَيْئًا ورأى مساحةَ جزيرتِه تتقلّصُ . ماذا كانَ بوسعِه عملُه؟ هل يحاولُ عبورَ البُحَيرَةِ مِنَ جديدٍ؟ لا ، لَمْ تَكُنْ لديه الجرأةُ الكافيةُ للقيامِ بذلك . اسْتَمَرَّ سطحُ المَاءِ بالارتفاعِ إلى أنْ تحولَّت جزيرتُه إلى رُقعةٍ صَغيرةٍ مِنَ الأرضِ . ثمّ لَم يبقَ مِنَ الجزيرةِ شَيءٌ فغطّى المَاءُ

قدمَيه .

كانَ مشغولًا بالنّظَرِ إلى الجزيرةِ التي اختفَت والمياهِ الرّهيبةِ التي ما انفكّت ترتفعُ مِنَ حَوْلِه لدرجةِ أنَّهُ لَمْ يلاحظْ الحركةَ التي كانَت تقتربُ عبرَ المَاءِ .

كانَ أحَدٌ يقتربُ سابحًا .

كانَ أحَدٌ يتقدّمُ إليه رافسًا المَاءَ بقدمَيه بعزمٍ .

إنَّها ماكو .

طيورُ النَّعام كلُّها تجيدُ السّباحةَ ، لكنّ ماكو فعلَت ذلكَ مرّةً واحدةً في السّابقِ طَوالَ حياتِها . فقد حَدَثَ أنَّ السِّرْبَ الذي كانَت تنتمي إليه في شبابِها سارَ إلى أن وَصَل إلى البحرِ . ها هي الآنَ تستفيدُ مِنَ خبرتِها السّابقةِ في السّباحةِ . لَمْ يكتشفْ هَدارةُ وجودَها إلّا عِندَما صارَت بقربِه . كانَت الجزيرةُ عندَها قدِ اختفَت وكانَ المَاءُ يصلُ إلى ركبتَي هَدارةَ . تدفّقَت السعادةُ في قلبِهِ وكأنّها باقةٌ مِنَ أشعةِ الشّمسِ . ابتسمَ بصمتٍ لماكو ومدَّ يدَيه مداعبًا عنقَها ورأسَها . لَمْ يعدْ يخشى المَاءَ الآنَ . سارَ إلى أنْ غمرَه المَاءُ حتّى الصّدرِ . عِندَما استَدارَت ماكو سابحةً باتّجاهِ الشَّاطِئِ المقابلِ أحكمَ هَدارةُ قبضتَهُ على جناحِها وهكذا سحبتهُ ماكو خلفَها .

عِندَما قطعوا نصفَ المسافةِ ، رأى هَدارةُ أنّ بقيّةَ أفْرادِ العائلةِ كانوا بانتظارِه عندَ الشَّاطِئِ المقابلِ .

أسئلة الفصل

1 . " هَكذا تَكوّنَتِ الأنْهارُ الصَّحْراوِيّةُ الغَزيرَةُ" . اُكْتُبْ سَطرَينِ مُوَضِّحًا سبَبَ تَكوُّنِ هذهِ الأنهارِ؟

2 . بَكى هدارة لِلْمرَّةِ الثّانيَةِ في هذا الفصلِ . قارِنْ بينَ بُكائِهِ هُنا وَبُكائِهِ في الفصلِ الثّامِنِ ، وبينَ حالَتِهِ في كُلِّ مَوْقِفٍ . أَيُّهما أَصْعَبُ وَأَشَدُّ إيلامًا؟

3 . ما الشّيءُ الّذي تُؤَكِّدُهُ نِهايَةُ هذا الفَصْلُ فيما يَتَعَلَّقُ بِـ (ماكو)؟ كَيْفَ تصِفُ مَشاعِرَكَ نَحْوَها؟ ما سَبَبُ هذه المَشاعِرَ؟

4 . وَرَدَ في هذا الفصلِ ثَلاثَةُ تَشْبيهاتٍ كانَ لَها تَأثيرٌ قَوِيٌّ في وَصْفِ حالَةِ هدارة أوْ حالَةِ الأجْواءِ الّتي كانَ يَعيشُها :

- كانَتْ ساقاهُ ثَقيلَتَينِ كالصَّخْرِ .
- بينَما البَرْقُ كانَ يَتَسارَعُ في عَرْضِ السّماءِ وكأَنَّهُ أفاعٍ حانِقَةٌ .
- تَدَفَّقَتِ السّعادَةُ في قلبِهِ وكأَنَّها باقَةٌ مِنْ أَشِعَّةِ الشَّمْسِ .

5 . ناقِشْ زُمَلاءَكَ وَمُعَلِّمَكَ في جَمالِ كُلِّ تَشْبيهٍ مِنْها ، ثُمَّ اُكْتُبْ أيُّها الأجْمَلُ مِنْ وُجْهَةِ نَظَرِكَ مُعلِّلًا اخْتِيارَكَ .

الفصلُ الثاني عشرَ

ثلاثُ خِيامٍ مَهجورةٌ

– انزلْ إلى المَاءِ . أنتَ تجيدُ السّباحةَ . الكُلُّ يجيدُ السّباحةَ ، قالَت النَّعاماتُ الشابّاتُ .

– أنا لا أجيدُ السّباحةَ ، ردَّ هَدارةُ .

– كلُّ طيورِ النَّعامِ تجيدُ السّباحةَ ، قالَت النَّعاماتُ الشّابّاتُ ورَكَضْنَ إلى ماءِ البُحَيْرَةِ .

أنا لَسْتُ نَعامَةً ، فكّرَ الصّبيُّ بصمتٍ واسْتَمَرَّ بالوقوفِ عندَ الشَّاطِئِ .

صفَّقَتْ طيورُ النَّعامِ الشّابّةُ بأَجْنِحتِها وراحَت تسبحُ وأعناقُها الطويلةُ ممدّدةٌ بمُحاذاةِ سطحِ المَاءِ .

– هيّا ، أَسْرِعْ ، اقفزْ حالًا إلى المَاءِ ، نادَتهُ النَّعاماتُ بصوتٍ عالٍ .

– هذه البُحَيْرَةُ ستختفي بعدَ أيّامٍ .

امتدّتِ البُحَيرَةُ أمامَهم ضخمةً لامعةً زرقاءَ . الغيومُ اختفَت وعادَت أشعّةُ الشمسِ تنصبُّ على الصَّحراءِ التي كانَت تحدثُ فيها المعجزاتُ . بعدَ يومينِ مِنَ المطرِ فقطْ بدأَتِ البراعمُ تتفتّحُ على أغصانِ الشُّجيراتِ الجافّةِ . بدأَتِ الأوراقُ تنمو فَوْقَ أغصانِ الأشجارِ وظهرَت نباتاتٌ خضراءُ

في أماكنَ عجيبةٍ . كانَ هُناك كَثِيرٌ مِنَ المَاءِ والشَّرابِ في كلِّ مَكانٍ .

جاءَتْ ماكو تتمشّى برفقةِ هوجٍ عندَ شاطئِ البُحَيْرَةِ بعدَ أنْ أكلا حتّى التُّخمةِ مِنَ النّباتاتِ الخضراءِ التي كانَت تنتشرُ حوالَيْهما .

– اسبحْ يا هَدارةُ ، قالَ لهُ كلاهما . هيّا اغتنمِ الفُرصةَ . هذه بُحَيرَةٌ وليسَتِ البحرَ الذي لا يختفي أبدًا . هذا مجردُ تجمّعٍ للماءِ الذي تبقّى بعدَ المطرِ . سيختفي عمّا قريبٍ . قد تختفي هذه البُحَيْرَةُ في يومٍ غدٍ .

سارَ كلٌّ مِنَ ماكو وحوجٍ بهيبةٍ وبطءٍ نَحوَ الماءِ . صفّقَ كلٌّ منهما بجناحَيه فغسلَ المَاءُ ريشَهما .

– هيّا تعالَ ، أنت أيضًا بحاجةٍ للاستحمامِ .

سارَ هَدارةُ بِبُطءٍ إلى المَاءِ . عاودَه الرّعبُ الذي أصابهُ حينَ سحبَه النّهرُ الجارفُ ، لَكِنَّهُ حَاوَلَ التفكيرَ بماءِ البُحَيْرَةِ هذه . كانَت مياهُها ساكنةً تَمامًا . كانَت مياهُها دافئةً لطيفةً تجاهَ جسمِه . حنى ركبتَيه بحذرٍ حتّى غمرَه الماءُ إلى العنقِ . لَمْ يكنِ الأمرُ مرعبًا . راحَ يفركُ جسدَه بأكملِه بحفنةٍ مِنَ الرَّمْلِ . احمرَّ جلدُه قَليلًا لَكِنَّهُ شعرَ بالرّاحةِ عِندَما اغتسلَ مجدّدًا بالماءِ الدافئِ . وماذا عن شَعرِه؟ ماذا سيفعلُ بشعرِه؟ شعرَ بخشونةِ شعرِه عِندَما لمسَه . خرجَ مِنَ المَاءِ إلى اليابسةِ وأمْسَكَ بنبتةٍ لها أوراقٌ صَغيرةٌ سميكةٌ طحنَها بينَ يديه ووَضَعَها على شعرِه ثمّ راحَ يفركُه . غسلَه بالماءِ ثمّ أحضرَ المزيدَ مِنَ الوُريقاتِ ، طحنَها ، فركَ شعرَه بها بمسحوقِها ثمَّ غسلهُ مجدَّدًا بالمَاء . بعدَ أن فَعَلَ ذلكَ للمَرَّةِ الرابعةِ ، قامَ حتّى بغطسِ رأسهِ كليًا في المَاءِ . قامَ بعدَ ذلكَ بتسريحِ خصلاتِ شعرِه ، مشّطَهُ بأصابعِه وربطَه مستعينًا بجذرٍ نباتيٍّ صَغيرٍ .

– أريدُ أن أتعلّمَ السّباحةَ الآنَ ، قالَ هَدارةُ لإناثِ النَّعامِ الشّاباتِ .

بعدَ ثلاثةِ أَيّامٍ اختفَتِ البُحَيْرَةُ بالفعلِ ولم يبقَ منها سوى بَعْضِ المستنقعاتِ . لكنّ الصّحراءَ أزهرَتْ في الحالِ . في كلِّ مَكانٍ ظهرَتْ أزهارٌ صفراءُ ، بَيْضاءُ وزهريّةُ اللّونِ . اخضرَّتِ الشُّجَيراتُ والأشجارُ الجافّةُ . العقاربُ ، فئرانُ الصَّحراءِ والحَيَواناتُ الأخرى التي كانَت لا تظهرُ للعيانِ إلّا نادرًا ، باتَتِ الآنَ تظهرُ حتّى في أثناءِ النّهارِ . هكذا رأى هَدارةُ قطيعَ غزلانٍ لأوّلِ مرّةٍ . كانَت الغزلانُ قد تجمّعَت حَولَ إحدى المستنقعاتِ . لم تكنْ سوى حَيَواناتٍ صَغيرةٍ مِنَ فصيلةِ الأيلِ ، لونُها بنّيٌّ وفاتحٌ ، ولها قرونٌ صَغيرةٌ جدًّا . أحَسَّ بأنّ الغزلانَ هي أجملُ المخلوقاتِ التي رآها طَوالَ حياتِه . أرادَ أن يقتربَ منها . أحَسَّ برَغْبَةٍ بأن يلمسَ أحدَها . لكنّ ذلكَ لَمْ يتسنَّ له . الغزلانُ حَيَواناتٌ حذرةٌ ، خجولةٌ . عِندَما يسمعُ القطيعُ صوتًا أو يرى حَرَكَةً ما ، يرتعشُ كلٌّ مِن أعضائِه ويهربون معًا كغيمةٍ تطيرُ بسُرْعَةٍ فائقةٍ فَوْقَ الصَّحراءِ .

بنى حوجُ عشًّا جديدًا في الرَّملِ كانوا جَميعًا مشغولين في شؤونِهم هذه إلى درجةِ أنّهم لَمْ يلاحظوا أنّ هَدارةَ راحَ يتنقّلُ في الجِوارِ وحدَه في جَولاتٍ طويلةٍ . لَمْ يسبقْ له قطُّ أنْ قامَ بشيءٍ مِنَ هذا القبيلِ بلْ كانَ يبقى دائمًا على مقربةٍ مِنْ عائلتِه ، أيْ سربِ النَّعامِ . كانَت جولاتُه تطولُ يومًا بعدَ يومٍ . كأنَّ هُناك أمرًا ما يَدْفَعُهُ إلى التّجوالِ ، ولمْ يتمكّنْ هَدارةُ مِن معرفةِ شيءٍ عنْ طبيعةِ هذا الدافعِ .

في يومٍ مِنَ الأَيّامِ غادَرَ هَدارةُ باكرًا ، معَ بزوغِ الفجرِ وسارَ طَوالَ النّهارِ . لَمْ يتوقّفْ عنِ السّيرِ ولم يأوِ إلى النّومِ في أثناءِ ساعاتِ الحرِّ الخانقِ بعدَ

الظّهرِ بل اسْتَمَرَّ بالسّيرِ ، والعرقُ يتصبّبُ على عَرضِ وجهِه . رأى عندَها ثلاثةَ أشياءَ عجيبةٍ في الرَّمْلِ . كانَت هذه الأشياءُ تبدو كالتِّلالِ لكنّها لَمْ تَكُنْ تلالًا . تمدّدَ هَدارةُ على بطنِه وَراحَ يُحَدِّقُ إليها . لَمْ يكنْ هُناك أدنى حَرَكَةٍ . تشمّمَ الهواءَ دُونَ أن يكتشفَ أيّةَ رائحةٍ . عِندَما تأكَّدَ مِنَ أنَّهُ لَيْسَت هُنالك إشاراتٌ تدلُّ على أيِّ نوعٍ مِنَ الأخطارِ ، نَهَضَ عازمًا على أن يَراها عن قُربٍ .

كانَت هُناك ثلاثُ خِيامٍ ، خيامٌ مهجورةٌ ، لكنَّ الوَلَدَ لَمْ يُدْرِكْ ذلكَ . لَمْ تكنْ لديه أيةُ معرفةٍ مسبقةٍ بالأشياءِ التي رآها . تقدّمَ لذلكَ مِنَ الخِيامِ ولامسَ قماشَها . كانَ القماشُ خشنًا وكأنّه صُنِعَ مِنَ حَبّاتِ الرَّمْلِ . زَحَفَ بعدَ ذلكَ داخلًا إحدى الخِيامِ ونَظَرَ حولَه فاغرَ الفمِ . رأى بعضَ العظامِ ممدّةً فَوْقَ الرَّمْلِ . أمْسَكَ بإحدى العظامِ ووَزنَها في يدِه . كانَت تِلكَ العظامُ ضخمةً . لم يسبقْ له رؤيةُ عظامٍ مثلِها مِن قَبْلُ . ربما كانَت هذه العظامُ تنتمي إلى أسدٍ؟ لَمْ يسبقْ له أنْ رأى أسدًا في السابقِ لَكِنَّهُ كانَ يَعلَمُ أنَّهُ حَيَوانٌ ضخمٌ . أرعبَه صوتٌ غريبٌ وجعلَه يرمي بِنَفسِهِ خارجَ الخيمةِ حابيًا على يدَيه وساقَيه .

كانَ في الخارجِ حَيَوانٌ أبيضُ وأَسْوَدُ كساهُ الشَّعر . كانَ متوسّطَ الحجمِ وذا قرنينِ ولحيةً . لَمْ يكنْ هَدارةُ قد رأى حَيَوانًا مِنَ هذا النوعِ في السابقِ .

– لا حاجةَ بكَ للهربِ . هذا ما أرادَ الحَيَوانُ المجهولُ أن يَقُولَه لهدارةَ . الذين كانوا يسكنون هذه الخِيامَ ماتوا جَميعًا . لقدْ أصيبوا بمرضٍ يُدعى الحمّى الصّفراءَ . ماتوا جَميعًا كَما نموتُ نحنُ الحَيَواناتُ . عندَها رحلَتْ الجِمالُ . لَسْتُ أدري أينَ هيَ الآنَ ، لكنّي أبقى عادَةً في الجوارِ . أنْتَ أَوَّلُ

إنسانٍ أراه منذُ سنواتٍ عديدةٍ ، قالَت العنزةُ ثمّ رَكَضَت مغادرةً .

إنسانٍ! هذا ما قالَتْهُ العنزةُ . هل هو إنسانٌ؟ هل هذا هو السّببُ في اختلافِ شكلِه عنْ شكلِ طيورِ النَّعامِ الآخَرينَ؟ دارَتِ الأفكارُ في رأسِه كَما تدورُ دوّاماتُ الرّياحِ الصّغيرةِ التي ترفعُ الرَّمْلَ في أعمدةٍ ترتفعُ عبرَ الهواءِ . هلْ هذا السّببُ الذي يكمُنُ وراءَ الذراعينِ اللتينِ يمتلكُهما بدلًا مِنَ الجناحينِ؟ لكنْ إنسانٌ! ما هوَ الإنسانُ؟

دخلَ هَدارةُ الخيمةَ ثانيةً . كانَت أرضُها مغطّاةً بطبقةٍ مِنَ الرَّمْلِ النّاعمِ . راحَ يحفرُ في الرَّمْلِ حتّى توصّلَ إلى سجّادةٍ حمراءَ اللّونِ . أحسَّت يداهُ بملمسِها النّاعمِ ، وراحَت ذكرى ما تنمو في ذهنِه . لقد تذكّرَ نقوشَها الحمراءَ . أيقنَ فَجْأةً أنَّهُ قد سبقَ له وتمدّدَ ونامَ على سجّادةٍ حمراءَ . لقد تذكّرَ جسدُه هذه السّجّادةَ النّاعمةَ الملمسِ . تذكرَّت عيناهُ الأشكالَ الهندسيّةَ التي كانَت تزيّنُها . تمدّدَ على السّجّادةِ وتأكّدَ مِن أنّهُ كانَ يتمدّدُ هكذا في مرحلةٍ سابقةٍ مِن حياتِه ، ثمّ غفا .

كانَت الشّمسُ تشعُّ في الأُفُقِ ككرةٍ مِنَ الجمرِ عِندَما استيقظَ مِن نومِه . يجبُ أنْ يُغادِرَ المَكانَ بسُرعَةٍ . كانَ يَعلَمُ أنّ أفْرادَ عائلتِه ، سربَ النَّعامِ ، سيقلقون كَثِيرًا إذا لَمْ يعدْ إليهم قَبْلَ حلولِ اللَّيلِ . لَكِنَّهُ لَمْ يستطعْ التوقّفَ عنِ الحفرِ في الرَّمْلِ . وَجَدَ سكّينًا دُونَ أن يعرفَ ماهيّتَها . حملَها بيدِه وأعجبَه ملمسُ مسكتِها في يدِه . ثمّ وَجَدَ قطعةَ قماشٍ مُزركشةً بالورودِ . أخذَ قطعةَ القماشِ ونجحَ بعدَ العديدِ مِنَ المُحاولاتِ الفاشلةِ في ربطِها حَولَ خصرِه وحملَ السّكّينَ بيدِه .

رَكَضَ بعدَ ذلكَ بخطواتِ النَّعامِ الطويلةِ المتهاديةِ ، في طَرِيقِ عَودَتِه

إلى سربِ النَّعامِ . رَكَضَ في الظلامِ لَكِنَّهُ كانَ يَعلَمُ تَماماً بأيِّ اتِّجاهٍ كانَ عَلَيهِ أن يَركضَ . عِندَما وَصَلَ ، وَجَدَ الجَميعَ ساهرينَ في انتظارِه .
لم يقدرْ أيٌّ منهم على النّومِ قَبْلَ عودةِ هَدارةَ .

أسئلة الفصل

1 . "وعادَتْ أشِعّةُ الشَّمْسِ تنصَبُّ على الصَّحراءِ الّتي كانَتْ تَحْدُثُ فيها الْمُعْجزاتُ" . ما الْمُعْجِزاتُ الّتي يَقْصِدُها الرّاوي؟ اِقْرَأْ مِنَ الفَصْلِ مَقاطِعَ تُوَضِّحُ صُوَرًا لِهذهِ الْمُعْجزاتِ .

2 . وَقَعَتْ لِهدارة في هذا الفصلِ أمورٌ لَمْ تَحدُثْ لَهُ منْ قبلُ . اكْتُبْها مُصَوِّرًا إحْساسَ هدارةَ مَعَ كُلِّ واحِدٍ مِنْها .

3 . سَمِعَ هدارةُ جُمْلَةً سَتؤَثِّرُ فيهِ كَثيرًا لاحِقًا . ما الجُمْلَةُ في رَأْيِكَ؟ وَمَنْ قائِلُها؟ وكَيفَ تَتَوقَّعُ تَأثيرَها فيهِ؟

4 . « لمْ يقدرْ أيٌّ مِنْهُم على النّومِ قبلَ عَودةِ هدارةَ» كانَ يمكِنُ لِلْفَصلِ أَنْ يَنْتَهيَ منْ دونِ هذهِ الجُمْلَةِ ، لكِنّ الرّاويَ أصَرّ على أنْ يَختِمَ الفصلَ بِها . ما الَّذي تؤكِّدُهُ هذهِ الجُمْلَةُ؟ وَلِمَ اخْتارَتِ الكاتِبَةُ أنْ تَخْتِمَ بها هذا الفصلَ بالذّاتِ؟

5 . وردَ في هذه الفصلِ ثلاثةُ تشبيهاتٍ كانَ لها تأثيرٌ قويٌّ في وَصْفِ حالَةِ هدارة أو حالَةِ الأجْواءِ الّتي كانَ يعيشُها :

- ويهربونَ مَعًا كغيمَةٍ تَطيرُ بسرعَةٍ فائِقَةٍ فوقَ الصَّحراءِ .
- دارَتِ الأفكارُ في رأسِهِ كما تدورُ دوّاماتُ الرّياحِ الصّغيرَةُ الّتي تَرفَعُ الرَّملَ في أَعْمِدَةٍ تَرْتفِعُ عَبْرَ الهواءِ .
- كانَتِ الشَّمْسُ تشعُّ فوقَ الأفقِ ككُرَةٍ مِنَ الجَمْرِ .

6 . ناقشْ زُمَلاءَكَ ومعلِّمَكَ في جَمالِ كُلِّ تَشبيهٍ مِنْها ، ثُمَّ اكْتُبْ أيُّها الأَجْمَلُ مِنْ وُجْهَةِ نَظَرِكَ مُعَلِّلًا اختيارَكَ .

الفصلُ الثالثَ عشرَ

اليدانِ في المَغــارةِ

قُبيلَ الفجرِ زَحَفَ هَدارةُ خارِجًا مِنَ مأواه تَحْتَ جناحَي ماكو . تحرّكَ بحذرٍ حتّى لا يوقظَها مِن نومِها . كانَ قد خبّأَ قطعةَ القماشِ والسّكّينَ خَلْفَ حجرٍ . عِندَما رأى هَدارةُ أنّهما ما زالا في مَكانَيهما ، تنفّسَ الصُّعداءَ . تساءلَ كيفَ يتمُّ استعمالُ السّكّين؟ ولماذا؟ كانَ ملمسُ قبضةِ السّكّينِ ناعمًا مريحًا في يدِه . جرَّ حدَّ السّكّينِ فَوْقَ ذِراعِهِ ثمّ أطلقَ صرخةَ ألمٍ صامتةً في الهواءِ . ملأهُ الذّعرُ عِندَما رأى شقًّا أبيضَ في ذِراعِهِ ، تبعَهُ الألمُ والنّزيفُ . رمى السّكّينَ بَعِيدًا ، أخذَ قطعةَ القُماشِ ووَضَعَها فَوْقَ الجُرحِ .

ماكو ، التي كانَت قد أحسَّت بصرختِه في أثناءِ نومِها ، هُرِعَت إليه في الحالِ . كانَت عيناها الواسعتانِ ، الجميلتانِ مليئتَينِ بالرّعبِ .

– ولدي ، ولدي ، ما الذي حدثَ؟

مَدَّ هَدارةُ ذِراعَهُ نحوَها وأزاحَ عنها قطعةَ القُماشِ . سَمِعَ حينَ شهقَتْ أمُّهُ ورفعَت ريشَ ذنبِها إلى أعلى . كانَت مرعوبةً وغاضبةً في آنٍ معًا . ما سببُ غضبِها؟ تساءلَ هَدارةُ ووَضَعَ القُماشَ فَوْقَ الجُرحِ ثانيةً .

سارَت ماكو نَحْوَ السّكَينِ ورفسَتْها بإحدى قدمَيها الضّخمتَينِ . طارَتِ السّكّينُ بَعِيدًا راسمةً في طَرِيقِها قوسًا واسعًا في الهواءِ .

– عليكَ أنْ تبقى بَعِيدًا عن هذه الأشياءَ ، قالَت له .

– ما هذا؟ سألَ هَدارةُ .

– إنّهُ شَيءٌ خطيرٌ يسبّبُ الأذى . إيّاكَ أنْ تلمسَه ثانيةً .

– أعدُكِ بذلك ، قالَ هَدارةُ وفكّرَ بأنّ الوقتَ كانَ مُناسبًا ليسألَها عنِ الأمرِ الذي كانَ يدورُ في ذهنِه منذُ البارحةِ ، عِندَما حدّثَتْه العنزةُ عنِ البشرِ .

– ما هو الإنسانُ يا أمّي؟

– لَسْتُ أدري ، قالَتْ ماكو ، استَدارَت فَجْأةً ثمّ راحَتْ تأكلُ .

بعدَ جولتِه الأخيرةِ التي قامَ بها وَحْدَه ، أحَسَّ الوَلَدُ بأنّه اجتازَ حدًّا ما ، أنَّ شيئًا ما تغيّرَ . عِندَما كانَ صَغِيرًا لَمْ يكنْ يفارقُ السِّرْبَ أبدًا . أمّا الآنَ فقد صارَ هُناك ما يَدْفَعُهُ إلى القيامِ وحيدًا بجولاتٍ أطولَ فأطولَ . تمدّدَ على الرَّمْلِ وتأمّلَ الغيومَ التي كانَت تقومُ بجولاتِها في السّماءِ . كانَ يحبُّ النّظَرَ إلى الغيومِ . أرادَ أن يحلّقَ في الأعلى وأن يطيرَ كالغيومِ . عِندَما أخبرَ أمَّه بذَلِكَ قالَت :

– كلُّ صغارِ النَّعامِ يحلمونَ بذلك . كلُّ صغارِ النَّعامِ يحلمونَ بالقدرةِ على الطّيرانِ .

صارَ في هذه الأيامِ ، قَبْلَ أن يَزْحَفُ ليلًا تَحتَ جناحَي ماكو ، يتمدّدُ على ظهرِه ويتأمّلُ السّماءَ المشعّةَ بالنّجومِ . كانَ يروقُ له التّمدّدُ على الأرضِ هكذا . كانَ الرَّملُ ما زالَ دافئًا في أثناءِ السّاعاتِ الأولى مِنَ

الظّلام وكانَ الدّفءُ ينتشرُ في جَميعِ أنحاءِ جسدِه . كانَ يفكّرُ بالنّجومِ كَثيرًا ويتساءلُ عن ماهيّةِ النّجوم . لَمْ يكنْ أفْرادُ سربِ النَّعامِ على علمٍ بماهيّةِ النّجوم ، لكنّ واحدًا مِنَ الصّغارِ كانَ يحبُّ المُزاحَ فأجابَ هَدارةَ بأنّ النّجومَ كانَت أرواحَ الأمواتِ مِنَ النَّعام . عِندَما قالَ هَدارةُ إنّ للنّجومِ أشكالًا مختلفةً في السّماءِ وعِندَما سألَ عن أسماءِ تِلكَ الأشكالِ ، لَمْ يجبْهُ أحدٌ . لذلكَ بدأَ يؤلّفُ أسماءً لها بنفسِه . كانَ يؤلّفُ أسماءً جديدةً في كلِّ ليلةٍ ؛ النَّعامةُ الوحيدةُ . عُشٌّ مليءٌ بالبيضِ . النَّعامةُ الطائرةُ . . .

أكْثَرُ ما كانَ يثيرُ إعجابَه هو ذلكَ الخطُّ العريضُ الفاتحُ اللّونِ والذي كانَ يمتدُّ في عُرضِ السّماءِ . عِندَما كانَ صَغيرًا كانَ يتخيّلُ أنَّهُ مكوّنٌ مِن نعاماتٍ تجمّعَت هُناكَ في طَريقِها إلى نبعٍ ما . بعدَ الفيضانِ وَجَدَ هَدارةُ للخطِّ العريضِ اسمًا جديدًا ، إذ أطلقَ عَلَيهِ اسمَ النّهرِ . عِندَما كانَ يَشْعُرُ ببردِ اللَّيلِ ينتشرُ في جسدِه ، كانَ يوقظُ ماكو أو حوجًا ويَزْحَفُ تَحْتَ جناحَيهما .

شُفيَ الجرحُ في ذراعِ هَدارةَ . رغمَ ذلكَ احتفظَ بقطعةِ القماشِ وغالبًا ما كانَ يربطُها حَوْلَ خصرِه . لَمْ يكنْ ذلكَ يروقُ لماكو كَما لاحظَ هَدارةُ . كانَت تريدُه أنْ يرميَ قطعةَ القماشِ تلك . كانا أحياناً يتشاجرانِ بسببِ قطعةِ القماشِ ، لكنّ هَدارةَ أصرَّ على الاحتفاظِ بها .

في أثناءِ جولةٍ قامَ بها وحدَه في يومٍ مِنَ الأَيّامِ وَجَدَ هَدارةُ عددًا مِنَ البطّيخِ الكَبيرِ الحجمِ ، المرِّ الطّعمِ . كانَ البطّيخُ قد بدأَ ينمو بعدَ كمّيةِ المطرِ الكَبيرةِ التي تساقَطَت فَوْقَ الصَّحراءِ . أكلَ واحدةً منها وأحسّ بالشّبعِ . غيرَ أنَّهُ قطفَ ما تبقّى مِنَ البطّيخِ وحملَه إلى السِّربِ في قطعةِ

القماشِ . عندَها أقرَّت ماكو أنّ قطعةً مِنَ القماشِ قد تكونُ مفيدةً ، على الأقلِّ لَو كانَ لديه أيدٍ . إيجادُ البطّيخِ منحَ هَدارةَ حرّيّةً جديدةً . كانَ أفْرادُ السِّرْبِ قد وجدوا مَكانًا مناسبًا أرادوا البقاءَ فِيهِ لفترةٍ طويلةٍ . كانَ حوجُ قد بنى لتوِّه عشًّا جديدًا وأدركَ الجَميعُ أنّ ماكو كانَت على وشكِ أن تضعَ البيضَ ثانيةً . على أفْرادِ السِّرْبِ مِنَ الآنَ فصاعدًا البقاءُ بالقُرْبِ مِنَ العُشِّ . لكنّ هَدارةَ قالَ إنَّهُ سيبتعدُ عنِ المَكانِ بحثًا عن بطّيخٍ جديدٍ يعودُ به إلى السِّربِ . قالَ إنَّ المَكانَ الذي وَجَدَ فِيهِ البطّيخَ كانَ بَعِيدًا جدًّا ممّا قد يضطرّهُ لقضاءِ اللَّيلِ أو ربما عدّةِ ليالٍ هُناك .

لم يعترضْ أحَدٌ على ما قالَ . ماكو أيضًا ظلَّت صامتةً .

غادَرَ هَدارةُ المَكانَ وحيدًا . كانَ يعزمُ على الغيابِ أيّامًا عديدةً . جَعَلَهُ الشُّعورُ بالحرّيّةِ يتوقّفُ عنِ السّيرِ مرّاتٍ عديدةً ليرقصَ بذراعَينِ ممدودتَين تارةً ، وتارةً مطويّتينِ عندَ الكوعينِ لتشبها أَجْنِحةَ طيورِ النَّعامِ . كلّما رقصَ ، لَكَم تَصاعدَ الفَرحُ داخلَهُ .

ظهرَتْ شجرةٌ في الأفُقِ . أَمِلَ بإيجادِ أوراقٍ غضّةٍ عليها ، رَكَضَ هَدارةُ باتّجاهِ الشّجرةِ . عِندَما وَصَلَها وجدَها جافّةً لَمْ تنمُ عليها الأوراقُ بعدَ هطولِ المطرِ . كانَت الشّجرةُ ميّتةً بسببِ الجفافِ والعمرِ الطويلِ . لكنّ أغصانَها منحَت بعضَ الظّلِّ . أرادَ أن يتمدّدَ تَحْتَ الشّجرةِ وينامَ بضعَ ساعاتٍ . كانَ قد تعلّمَ مِن سربِه أنّهُ يجبُ دبُّ الذّعرِ في الأفاعي لتهربَ مِنَ المَكانِ قَبْلَ ذلك . الأفاعي أيضًا تفضّلُ النّومَ في البُرودةِ التي تمنحُها الظّلالُ .

بدأ هَدارةُ يدوسُ الأرضَ تَحْتَ قدميه بقوةٍ ورأى الحركةَ تدبُّ تَحْتَ

سطحِ الرَّمْلِ مباشرةً . كانَت حَرَكةَ أفعى حفرَت لنفسِها مَكانًا . بدأَتِ الآنَ تتحرّكُ جانبًا نَحْوَ حُفرةٍ في الأرضِ . رأى الأفعى عِندَما ظهرَت مِن تحتِ الرَّمْلِ وانزلقَت بصمتٍ تامٍّ داخِلَ الحُفرةِ . كانَت الأفعى مِنَ الفصيلةِ السّامّةِ ذاتِ القرونِ .

صارَ الآنَ بإمْكانِهِ أن ينامَ تَحْتَ الشّجرةِ لبضعِ ساعاتٍ . سارَ بضعَ خطواتٍ ثمّ تسمّرَ في مَكانِه . مِنَ الغُصْنِ الجافِّ انزلقَت أفعى طويلةٌ رفيعةٌ لَمْ يرَ مثيلًا لها مِن قَبْلُ . سَمِعَ هَدارةُ صوتًا معدنيًّا خافتًا كَبُرَ شَيْئًا فشَيْئًا معَ حَرَكَةِ جلدِ الأفعى فَوْقَ الشّجرةِ الجافّةِ . وَقَفَ متسمّرًا في مَكانِه . نَظَرَ هوَ والأفعى كلٌّ إلى الآخَرَ . تجمّدَتِ الأفعى في مَكانِها فَتْرَةً طويلةً ثمّ بدأَتِ الزّحفَ مجدَّدًا . بعدَ اختفائِها جلسَ هَدارةُ على الأرضِ ، أسندَ ظهرَه إلى جذعِ الشّجرةِ واستغرقَ في النّومِ .

أتتَه العنزةُ في الحلمِ وحدّثَتْه عنِ الأيدي وعنْ أشياءَ أخرى ربّما . لكنْ حالما استيقظَ مِنَ نومِه سالَت عنه صورُ الأحلامِ كَما تسيلُ المياهُ في الأنهارِ المفاجئةِ التي تجري في الصَّحراءِ . بقي هَدارةُ ساكنًا في مَكانِه وحاولَ أن يستعيدَ الحلمَ ،لكنّ الحلمَ رفضَ أن يعودَ . أحَسَّ عندَها بشيءٍ مِنَ الحزنِ . أحَسَّ بأنّ العنزةَ أخبرَتْه بأمورٍ هامّةٍ في أثناءِ الحلمِ .

فرحةُ الشُّعورِ بالحُرّيّةِ كانَت قدِ اختفَت وأحسَّ بالشوقِ إلى سربِه ، إلى الشُّعورِ بالانتماءِ ،لَكِنَّهُ سبقَ أنْ قالَ للجَميعِ إنّ غيابَه سيدومُ أيامًا . لهذا السّببِ تابَعَ مَسيرَتهُ ، ثمّ إنَّهُ وعدَهم بأنْ يُحضرَ إليهمُ المزيدَ مِنَ البِطّيخِ . لَكِنَّهُ لَمْ يجدْه حتّى الآنَ . لَمْ يكنْ يحبُّ النومَ وحيدًا ، خاصَّةً أنّ النّومَ وحيدًا كانَ يعني البردَ .

في اليَوْمِ التّالي رأى هَدارةُ شَيْئًا عجيبًا ينتصبُ في الأفقِ . كلّما اقتربَ مِنه ازدادَت غرابتُه . كانَ ذلكَ الشَّيءُ جبلًا . كانَ جبلًا لَيْسَت له نهايةٌ . رَكَضَ هَدارةُ نحوَه . إنَّهُ أضخمُ جبلٍ رآه هَدارةُ حتّى الآنَ . كانَت أحجارُه فاتحةَ اللّونِ . لكنّها لَمْ تَكُنْ أكْثَرَ معالمِ الجبلِ غرابةً . الذي أثارَ استغرابَه هو افتقارُ الجبلِ للمعالمِ الحادّةِ القاسيةِ . كلُّ ما فِيهِ كانَ ليّنًا ، مستديرَ الأطرافِ ، جميلًا . اقتربَ هَدارةُ مِنَ الجبلِ بخشوعٍ . عندَ السَّفحِ بدأَ يتَسَلّقُ الصّخورَ . في وادٍ عميقٍ بين شِقَّي الجَبلِ اندفعَتِ الرِّيحُ وتجمّعَتْ ؛ كانَ شيءٌ ما يضغطُها . سَمِعَ هَدارةُ صوتًا عجيبًا أتى بانتظامٍ . لَم يكنْ يَعلَمُ أنّ بدوَ الصَّحراءِ كانَ يدعونَ ذلكَ الوادي «البحرَ الصغيرَ» لأنَّ صوتَ الوادي كانَ يشبهُ صوتَ البحرِ ، صوتَ أمواجٍ ترتطمُ على الصخرِ . سَمِعَ هَدارةُ الصّوتَ المنتظمَ وأحبَّه .

رأى هَدارةُ في أعلى الجبلِ فتحةً معتمةً . لحقَ الجدارَ الجبليَّ بنَظَراتِه ورأى مزيدًا مِنَ الفتَحاتِ المعتمةِ . لَمْ يكنْ يَعلَمُ أنّ تِلكَ الفتحاتِ لَيْسَت إلا مغاراتٍ وأنّه داخِلَ المغاراتِ توجدُ أشياءُ تجعلَ البشرَ يبتعدونَ عن هذا الجبلِ . كانَ البشرُ يقولونَ إنّ الشياطينَ تسكنُ المغاراتِ . شياطينُ تأكلَ لحومَ البشرِ وترسمُ على الجدرانِ الصّخريّةِ .

شعرَ هَدارةُ بالفضولِ والإعجابِ فقطْ . جذبَتهُ إحدى الفتحاتِ المعتمةِ وبدأَ يتَسَلّقُ صاعدًا أحدَ جوانبِ الجبلِ الشديدةِ الانحدارِ . كانَ جسمُه قويًّا ومرنًا بعدَ سنواتٍ طويلةٍ مِنَ الرَّكْضِ معَ طيورِ النَّعامِ . كانَ يضعُ قدمًا في شرخٍ صَغيرٍ ، يرفعُ نفسَه إلى أعلى ، ينقلُ يدَيه ويتَسَلّقُ مجدَّدًا . لَمْ يَشعُرْ بالخوفِ ووصلَ أخيرًا إلى الحافّةِ الجبليّةِ حَيْثُ كانَتِ

الفتحةُ المعتمةُ التي أرادَ الوُصُولَ إليها .

وجدَ في الداخلِ غرفةً غطَّت جدرانَها رسومٌ حمراءُ . ابتسمَ عندَ رؤيتِها لأنّها كانَت رسومًا لنعاماتٍ ، نعاماتٍ تركضُ .

كانَتِ الرّسومُ تشبهُ تِلكَ التي كانَ يرسمُها على الرَّمْلِ بعودٍ صَغِيرٍ . لكنّ هذه الرسومَ كانَت أجملَ بكَثِيرٍ . وَقَفَ طويلًا أمامَ لوحةِ النَّعاماتِ يتأمّلُها باستعجابٍ .

كانَت بجانبِها رسومٌ أخرى تجسّدُ حَيَواناتِ الأيلِ . تعرّفَ هذه الحَيَواناتِ أيضًا لَكِنَّهُ لَمْ يتعرفْ ما كانَت تمثّلُه الرّسومُ في عمقِ الغرفةِ . كانَت تمثّلُ حَيَواناتٍ طويلةَ الساقينِ ، تغطي أجسامَها البقعُ وكانَت أعناقُها طويلةً .

يا لها مِنَ مخلوقاتٍ عجيبةٍ .

هل هُناك حَيَواناتٌ مثلُ هذه في الواقِعِ؟

تابعَ هَدارةُ التَسَلّقَ بينَما سرحَ مفكّرًا بالحَيَواناتِ ذاتِ الرّقابِ الطّويلةِ . وَصَلَ بعدَ قليلٍ إلى مغارةٍ أخرى .

وجدَ هُناك رسمًا آخرَ لأحدِ تِلكَ الحَيَواناتِ الطويلةِ الأعناقِ ، لَكِنَّهُ رأى أنّ خلفَها يركَضُ مخلوقٌ غريبُ الشّكلِ له ساقانِ فقط يحملُ في يدِه عصًا صَغِيرةً . خُيّلَ إليه كأنَّ المخلوقَ العجيبَ كانَ على وشكِ أنْ يرميَ بالعصا تِجاهَ الحَيَوانِ ذي العنقِ الطويلِ ، لذلكَ هربَ الحَيَوانُ مذعورًا . وَقَفَ هَدارةُ طويلًا مُحَدِّقًا إلى ذلكَ الرّسمِ . بعدَما تأمّلهُ طويلًا خُيّلَ إليه أنّ الحَيَوانَ رَكَضَ وأنّ المخلوقَ ذا الشّكلِ العجيبِ الذي كانَ يحملُ عصًا كانَ يَرْكُضُ خلفَه .

كانَ هُناك مزيدٌ مِنَ الصّورِ على الجِدارِ المقابلِ . كانَت الصّورُ الجديدةَ كلُّها مرسومةٌ بلونٍ أحمرَ . وكانَت تجسّدُ المزيدَ مِنَ المخلوقاتِ ذواتِ الساقينِ دُوْنَ أنْ يحملَ أيٌّ منهم عصًا بينَ يدَيهِ . كانَ بعضُهم كَبيرَ الحجم ، وكانوا يحملونَ أشياءَ مستديرةً ظهرَت أمامَ أجسامِهم . كانَت هُناكَ أشكالٌ صَغيرةٌ أيضًا لكنّ هؤلاءِ لَمْ يحملوا أغراضًا مستديرةً . أدْرَكَ فَجْأةً ما الذي كانوا يفعلونَه . لَمْ يكونوا منهمكينَ بصيدِ الحَيَواناتِ بلْ كانوا يرقصونَ . كانوا يرقصونَ جَميعًا . كَما يرقصُ هو أحيانًا .

شيءٌ ما بدأ يَتَحَرَّكُ في أعماقِه . كانَت تخيلاتٌ تتحرّكُ داخلَه دُوْنَ أن تصلَ إلى سطحِ إدراكِه . لَكِنَّهُ كانَ على يقينٍ بأنّهُ سبقَ له أن رأى مخلوقاتٍ ذاتَ ساقينِ تفتقرُ للأَجْنِحةِ ، رآها ترقصُ كَما تفعلُ هذه . لكنْ متى رآها يا تُرى؟ وأينَ؟

اسْتَمَرَّ في التَسَلّقِ وهو يحسُّ بالارتباكِ . يا لها مِنَ أفكارٍ غبيّةٍ دخلَتْ رأسَهُ . المخلوقاتُ ذواتُ الساقينِ التي رآها ترقصُ في السّابقِ هيَ طيورُ النَّعامِ وحسْبُ . لكنّ المخلوقاتِ الموجودةَ في الرُّسومِ لها ساقانِ لا تشبهُ سيقانَ طيورِ النَّعامِ بلْ تشبهُ سيقانَه هو .

توازَنَ على حافّةٍ صخريّةٍ مليئًا بالاضطرابِ والقلقِ . لَمْ ينَظرْ إلى أسفلَ حتّى لا يصابَ بالدُّوارِ ، ويقعَ مِنَ ذلكَ المَكانِ المرتفعِ . كانَت هُنالك صخرةٌ ضخمةٌ تسدُّ الطَريقَ ممّا اضطرَّه للزحفِ فَوْقَها . لكنّ الطَريقَ انتهى هُناك . لذلكَ أُجبرَ على تَسَلّقِ جدارٍ صخريٍّ عموديٍّ . لاهثًا مبلَّلًا بالعرقِ ، وَصَلَ إلى فتحةِ مغارةٍ أخرى ، وَقَفَ هُناك ساكنًا كالصنمِ فاغرَ الفمِ . كانَتِ الجُدرانُ ناعمةً مستديرةً وشكّلَتْ سقفًا فَوْقَ رأسِه .

غطَّت طبعاتُ أيدٍ ملوّنةٌ جدارًا بأكملِه . كانَت هُناك طبعاتٌ لأيدٍ كَبيرةٍ وأخرى لأيدٍ صَغيرةٍ . تأمّلَ هَدارةُ يديه ثمّ اقتربَ مِنَ الرّسومِ المطبوعةِ على الجدارِ ببُطءٍ وبحذرٍ . عِندَما وَقَفَ بالقُرْبِ مِنَ الجدارِ رَفَعَ يدَه اليُمنى ووَضَعَها فَوْقَ إحدى الطبعاتِ . كانَت هذه صَغِيرةً جدًّا . نقلَ يدَه ووَضَعَها فَوْقَ طبعةٍ أخرى لكنّ هذه كانَت كَبيرةً للغايةِ . في نهايةِ المطافِ وَجَدَ يدَه مضغوطةً فَوْقَ رسمٍ أحمرَ لِيَدٍ بحجمِ يدِه تَمامًا . أحَسَّ كأنَّ دفئًا عجيبًا تدفّقَ مِنَ اليدِ الحمراءِ نحوَه . وَقَفَ مسحورًا فَتْرَةً طويلةً فيما كانَت يدُه تلامسُ الطّبعةَ الحمراءَ لتلك اليدِ الغريبةِ .

أسئلة الفصل

1 . "أَحسَّ الولدُ أنَّهُ اجتازَ حَدًّا ما ، أنَّ شيئًا ما تَغيَّرَ" . ما الحَدُّ الّذ ي اجتازَهُ هدارة؟ وما الّذي تَغيَّرَ؟ ناقِشْ مُعلِّمَكَ وَزُمَلاءَكَ .

2 . ماذا تعتقِدُ أنَّ هدارةَ كانَ يفكِّرُ بالنُّجومِ كثيرًا ويتساءَلُ عنْ ماهِيَّتِها؟

3 . "عندَما كانَ صغيرًا ،كانَ يتخيّلُ أنَّهُ مُكوَّنٌ منْ نعاماتٍ تجمَّعَتْ هُناكَ في طَريقِها إلى نبْعٍ ما" . اُكْتُبْ في الأسطُرِ القليلَةِ الآتيةِ بعضَ تَخَيُّلاتِ الطُّفولَةِ الّتي كُنْتَ تَتخيَّلُها .

4 . ناقِشْ زُمَلاءَكَ وَمعلِّمَكَ في أثرِ الرُّسوماتِ الَّتي وَجَدَها هدارةُ في الكهفِ على مَشاعِرِهِ أوّلًا ، وعلى خَطِّ الحِكايَةِ ثانيًا .

5 . « كانَتْ عَيناها الواسِعَتان الجَميلتانِ مَليئَتَينِ بِالرّعبِ» ضَعْ مَكانَ كلمَةِ الرُّعبِ كَلِماتٍ أُخَر . انْظُرْ كيفَ تَتَغيَّرُ الصّورةُ ، ويتغيَّرُ إحساسُ القارِئِ بها .

الفصلُ الرابعَ عشرَ

أَخيرًا ، كائِنٌ يُشبِهُني

طارَدَهُ العطشُ بَعِيدًا عن سلسلةِ الجبالِ ومغاراتِها . أَحَسَّ كأنَّ لسانَه قد تحوّلَ إلى حجرٍ ثقيلٍ داخِلَ فمِه . رأى هَدارةُ أنّ المطرَ لَمْ يتساقطْ في النّاحيةِ الأخرى مِنَ الجبلِ . رُغمَ ذلكَ أصرَّ على السّيرِ في ذلكَ الاتِّجاهِ عالِماً بالمخاطرِ التي يعنيها ذلك . كانَتِ المنطقةُ الممتدّةُ في الجهةِ الأخرى مِنَ سلسلةِ الجبالِ جافّةٍ وقاحلةٍ ، لَمْ يظهرْ فيها سوى بَعْضِ الأعشابِ اليابسةِ هنا وهُناك .

رغمُ ذلكَ صمّمَ على متابعةِ المسيرِ إلى هُناك .

لا بدّ أنّ يكونَ أولئك الذين تركوا طبعاتِ أيديهم على الجدارِ هُناك في مَكانٍ ما ، في الجهةِ الأخرى .

ربما هُناك كائناتٌ مثلُه في هذا الجزءِ مِنَ الصَّحراءِ .

اختارَ أنْ يسيرَ بمُحاذاةِ سفوحِ السّلسلةِ الجبليةِ . لَمْ يكنْ يحملُ سوى قطعةِ القماشِ المزركشةِ التي ربطَها حَوْلَ خاصرته . عِندَما وَجَدَ قصبةً قطّعَها وحملَها معَهُ . رفعها نَحْوَ فمِه وحاولَ أن ينفخُ الهواءَ عبرَها كأنّها

مزمارٌ . لكنّها لَمْ تردّدْ أيَّ صوتٍ . لَمْ يكنْ يعرفُ ما حاجتُه بها ، ورغمَ ذلكَ اسْتَمَرَّ بحملِها .

الشّمسُ القاسيّةُ حرقَتْ جِلدَه . أخذَ قطعةَ القماشِ وربطَها فَوْقَ رأسِه . رغمَ ذلكَ بدأَتْ شموسٌ صَغِيرةٌ تتراقصُ أمامَ عينَيهِ . كانَ يعرفُ معنى ذلك . أدْرَكَ أنّ عَلَيهِ أن يَشْرَبَ حالًا وأنْ يجدَ مَكانًا تغطّيهِ الظّلالُ .

منحَتْهُ بعضُ الأشجارِ التي ظهرَتْ في الأفقِ أملًا بقوّةٍ جديدةٍ . صارَتْ خطواتُه أطولَ وملأتْها عزيمةُ الوُصُولِ إلى الهدفِ . رأى في مخيّلتِه أشجارًا كَثِيرةً تكسوها أوراقٌ خضراءُ وبراعمُ يانعةٌ ، وربّما ثمارٌ صَغِيرةٌ أيضًا . عزمَ على أن يأكُلَ حتى التُّخمةِ قَبْلَ أن يتمدّدَ في ظِلالٍ وينامُ .

عِندَما وَصَل أصيبُ بخيبةِ أملٍ عظيمةٍ . حالَما رأى الشجرةَ أدْرَكَ أنّ المَكانَ لَمْ تصلْهُ نقطةٌ واحدةٌ مِنَ المطرِ الغزيرِ الذي تساقطَ فَوْقَ الصَّحراءِ . كانَت الأشجارُ كلُّها عاريةً من دونِ أوراقٍ ، براعمُ أو ثِمارٌ . كانَ في جِذعِ الشّجرةِ الكبرى ثغرةٌ كَبيرةٌ . لَمْ يرغبْ بإدخالِ يدِه إلى تِلكَ الثغرةِ خوفًا مِنَ أنْ يجدَ هُناكَ عَقْرَبًا أو أفعى داخلَها . بدلًا مِنَ يدِه أدخلَ القصبةَ التي كانَ يحملُها في الفتحةِ . جعلَتْه رَغْبَةٌ مفاجئةٌ باللَّعِبِ يمتصُّ الهواءَ مِنَ الفتحةِ الأخرى للقصبةِ وبعد لحظاتٍ وَصَلَتْ قطَراتٌ مِنَ المَاءِ إلى فمِه . امتصَّ لذلكَ بقوّةٍ أكبَرَ فامتلأَ فمُه بالمَاءِ .

تمنّى لو كانَ معَهُ بَيْضةُ نعامٍ فارغةٌ لملأَها بالمَاءِ وحملَها معَهُ . لَمْ يكن بوسعِه الآنَ إلّا أنْ يرويَ ظمأَهُ . تمدّدَ في الظّلِ تَحْتَ الشّجرةِ التي تحملُ المَاءَ في جوفِها ، قضمَ بعضَ الجذورِ ثمّ غفا راضيًا . قَبْلَ أن يغفوَ تَمامًا فكّرَ باستحالةِ استمرارِه في هذه الجولةِ . إنّها خطرةٌ جدًّا . هذه المِنْطقةُ جافّةٌ

إلى أبعدِ الحدودِ . سأشربُ قدْرَ ما أستطيعُ مِنَ المَاءِ ثمّ أعودُ مِن حَيْثُ أتيت . ثمّ إنّ النّومَ وحيدًا تَحتَ شجرةٍ وحيدةٍ أثارَ الحُزنَ في نفسِه . أحَسَّ بالشّوقِ إلى عائلتِهِ .

لم يكنْ يَعلَمُ ما الذي أيقظَهُ مِنَ النّومِ . لَكِنَّهُ صحا مذهولًا . أشارَ أنفُهُ إليه بحلولِ خطرٍ ما . كانَت رائحةٌ مجهولةٌ تتدفّقُ نحوَه . ما هذا؟ هلْ هو فهدٌ صيّادٌ؟ لا ، هذه ليسَتْ رائحةَ حَيَوانٍ مُفْتَرِسٍ . تَرَكَ الشجرةَ بحذرٍ ورَكَضَ نَحوَ صخرةٍ ضخمةٍ . ازدادَت قوّةُ الرّائحةِ . تَسَلّقَ إلى أعلى الصّخرةِ وتمدّدَ على بطنِه فَوْقَها . ما رآه الآنَ جَعَلَ رأسَهُ يدورُ ، وَراحَ قلبُه يدقُّ بعنفٍ لدرجةِ أنَّهُ لَمْ يقوَ على التنفّسِ لفترةٍ طويلةٍ .

رأى حَيَواناتٍ مجهولةً تسيرُ في طابورٍ ، حَيَواناتٍ مجهولةٍ ضخمةٍ . هلْ كانَت حَيَواناتٍ مجهولةً فعلًا؟ ها هو يتذكّرُ تِلكَ الرائحةَ . لا بدَّ أنَّهُ شمَّ هذه الرائحةَ مِن قَبْلُ . ظهرَتْ في وعيِهِ كلمةٌ فَجْأةً . جَمَلٌ . أدْرَكَ أنَّ الحَيَواناتِ التي رآها الآنَ تُدعى جِمالًا .

كانَتِ الحَيَواناتُ الخمسةُ الهزيلةُ تتحرّكُ بِبُطءٍ لامُتناهٍ فَوْقَ الأرضِ الصُّلبةِ . عِندَما رأى هَدارةُ حَرَكةَ أجسامِها فهمَ أنّ الجِمالَ كانَت تعاني مِنَ العطشِ . كانَت الجِمالُ هزيلةً جِدًّا وتسيرُ بِبُطءٍ جدًّا . لكنّ قلبَه لَمْ يدقَّ بعنفٍ بسببِ الجِمالِ الهزيلةِ الخمسةِ بلْ بسببِ الكائنِ الذي سارَ بجانبِ الجملِ القائدِ . كانَ رأسُه ملفوفاً بقماشٍ أبيضَ واخْتَفى ما تبقّى مِنَ جسدِه داخِلَ قطعةٍ مِنَ القماشِ الذي تطايرَ حولَهُ . كانَت تِلكَ القطعةُ أكبَرَ بكَثِيرٍ مِنَ تِلكَ التي ربطَها هَدارةُ حَولَ رأسِه . القماشُ الأبيضُ حَوْلَ الرأسِ فتحَ مَجالًا لظهورِ عينَي الكائنِ فقطْ ، لكنّ هَدارةَ

كانَ يُحَدِّقُ إلى قدمَيه . كانَت قدماهُ ظاهرتَينِ تَحتَ القماشِ المتطايرِ . لَمْ تَكُنْ حوافرَ جَمَلٍ ، لَمْ تَكُنْ أقدامَ نَعامَةٍ ولم تَكُنْ مخالبَ فهدٍ صيّادٌ . كانَتِ القدمانِ هي ذاتُها التي رآها في الرّسومِ التي رآها داخِلَ المغارةِ .

وكانَت مثلَ قدمَيه هو بالذّاتِ .

مالَ برأسِه وألقى بنَظَرَةٍ خاطفةٍ إلى قدمَيه . طالَما تساءلَ لماذا كانَت تختلفُ كَثيرًا عن أقدامِ طيورِ النَّعامِ . ها هو الآنَ يَنْظُرُ إلى مخلوقٍ له قدمانِ مثلَ قدميه تَمامًا .

لا بدَّ أنّ ذلكَ الكائنَ ينتمي إلى ذاتِ الفصيلةِ التي ينتمي إليها هو .

لا بدَّ أنّ هذا الكائنَ هو ما أشارَت إليه العنزةُ باسمِ الإنسانِ .

كانَ لذلكَ الإنسانِ هيئةٌ تشبهُ هيئةَ الجِمالِ . كانَ يسيرُ ببطءٍ ، كانَ منقبضًا على نفسِه ورأسِه منحنيًا تجاهَ الأرضِ .

أرادَ هَدارةُ أن يَرْكُضَ إليه ، أن يرقصَ له ، أن يريَه نفسَه . أرادَ أن يَقُول : ها أنا ذا ، أنتمي إلى ذاتِ الفصيلةِ التي تنتمي إليها أنت . لَكِنَّهُ قبل أن يفعلَ ذلكَ رأى أنّ ساقَي الجملِ الذي كانَ يسيرُ في الطليعةِ بدأَت ترتجفُ . بعدَ ذلكَ انطوَتِ الساقانِ ، فأطلقَ الحَيَوانُ الضّخمُ أنينًا مبحوحًا ، وقعَ على قدمَيه ثمَّ مالَ ووقعَ جانبًا . استلَّ عندَها الإنسانُ سكّينًا ، مثلَ تِلكَ التي وجدَها هو داخِلَ الخيمةِ ، التي جرحَ ذِراعَهُ بواسطتِها ثمّ رماها بَعيدًا . كانَتِ السّكينُ طَويلةً ومعقوفةً ولمَعَتْ تَحتَ الشّمسِ . انْحَنى الرّجُلُ فَوْقَ الجَملِ الذي وقعَ وذبَحَهُ . رأى هَدارةُ مذعورًا الدّمَ الأحمرَ الذي تدفّقَ مِنَ الجُرحِ الطّويلِ ، جرى فَوْقَ الرَّمْلِ وتجمّعَ في بِركٍ صَغيرةٍ . وَقَفَ الكائنُ بجانبِ الجملِ متفرجًا .

صَعُبَ التّنفّسُ على هَدارةَ مجدّدًا وشعرَ بالامتنانِ لأنّهُ لَمْ يتسرّعْ بالرَّكْضِ إلى ذلكَ الكائنِ ليريَه نفسَه ، ويرقصَ أمامَه كَما كانَ قد عزمَ . أشارَ جسدُه إليه بوجودُ الخطرِ حولَه . أمرَه جسدُه بالهربِ . لَكِنَّهُ ظلَّ مستلقيًا وكانَ مسمّرًا فَوْقَ الصّخرةِ ، ورأى الرّجُلَ حينَ نظّفَ سكينَه مِنَ الدّمِ بحفنةٍ مِنَ الرَّمْلِ . قامَ بعدَ ذلكَ بغرزِ السّكّينِ في بطنِ الجَملِ . أخرجَ مِنَ جُزْءٍ مِنَ أجزاءِ بطنِ الجملِ سائلًا ثمّ شربَ . جلسَ الرّجُلُ على الرَّمْلِ وشربَ ، بالقُرْبِ مِنَ بركةِ الدّمِ الحمراءِ ، استندَ على الجملِ المذبوحِ وتجشّأَ بصوتٍ عالٍ .

ارتجفَتْ ساقا هَدارةَ . انزلقَ بِبُطءٍ إلى خَلْفِ الصّخرةِ وَراحَ يتقيّأُ .

أسئلة الفصل

1 . لماذا برأيكَ ، أصرّ هدارةُ على مُتابَعَةِ السَّيْرِ رَغْمَ أنَّ المكانَ أمامَهُ يُنْبِئُ بِعَدمِ وجودِ شَيْءٍ ، ورَغْمَ أنَّهُ سَيَبتَعِدُ كثيرًا عنْ عائلَتِهِ؟

2 . ما الّذي كانَ يَدْفَعُهُ لِلسَّيرِ نحوَ المَجْهولِ؟

3 . كانَ لِرؤيةِ الجِمالِ تَأثيرٌ عظيمٌ على هدارةَ ، ما الّذي مَثّلَهُ هذا المَشْهَدُ بِالنسبَةِ إليْهِ؟ وكيفَ كَشَفَ لهُ أَمْرًا عَنْ ذاتِهِ؟

4 . اِنْتابَتْ هدارةُ مَشاعِرُ مُتباينَةٌ عندَ رؤيتِهِ لِلرّاعي وهوَ يَسيرُ ، ثُمَّ عندَ رؤيَتِهِ وهوَ يذبحُ النّاقَةَ ويشرَبُ مِنْ لَبَنِها ، وعلى الرَّغْمِ منْ أنَّ الرّاويَ لَمْ يُصَرِّحْ بهذه المَشاعِرِ إلّا أنّنا نستطيعُ أنْ نستنتجَها . اُكْتُبْ وَصْفًا

لهذهِ المشاعرِ ، ووَضِّحْ ما الأَدِلَّةُ منَ النَّصِّ الّتي تُؤَيِّدُ ما تَذْهَبُ إِلَيهِ .

5 . ضَعْ عِبارَةَ «خَيْبَة أَمَلٍ عَظيمَة» في جملةٍ مفيدةٍ منْ إنشائِكَ .

6 . " لكنْ حينَ استيقظَ منْ نومِهِ ، سالَتْ عَنْهُ صُوَرُ الأحلامِ كما تَسيلُ المياهُ في الأنهارِ المفاجِئَةِ الّتي تَجري في الصَّحراءِ" . وَضِّحْ طَريقَةَ غِيابِ الحُلْمِ مِنْ ذِهْنِ هدارة حينَ استيقظَ؟

7 . أُكْتُبْ مُقارنًا بينَ هذهِ الصّورةِ لِلْحِلْمِ ، والصُّورةِ الّتي ورَدَتْ في الفصلِ التّاسعِ :" لكنَّ الحُلُمَ انْسَلّ منْ ذاكِرَتِهِ ، واخْتَفى كالأفْعى" . أيُّ الصّورَتَينِ أكثرُ دَلالَةً وَتأثيرًا في رَأْيِكَ؟ وَضِّحْ لِماذا .

الفصلُ الخامسَ عشرَ

الهُجـومُ

صَعُبَ النّومُ على أفْرادِ سربِ النَّعامِ في أثناءِ غيابِ هَدارةَ . لقد باشرَتْ ماكو بوَضعِ البيضِ مُجدّدًا . كانَت ترقدُ على البيضِ في أثناءِ النّهارِ لأنَّ لونَ ريشِها الفاتحِ جعلَها تبدو جزءًا مِنَ تضاريسِ المَكانِ المحيطِ بهم . حوجُ كانَ يرقدُ على البيضِ في اللَّيلِ لأنَّ ريشَه قاتمُ اللّونِ . أحَسَّ الجَميع بالقلقِ دُوْنَ أن يذكرَ أحدُهم ذلكَ للآخرينَ . جعلَتْ ماكو نَظَرَتَها تجولُ المَكانَ من دونِ انقطاعٍ مِنَ المَكانِ المرتفعِ الذي كانَت تجلسُ فيه . كانَ رأسُها الصّغيرُ يَتَحَرَّكُ إلى الأمامِ وإلى الوراءِ طَوالَ الوقتِ .

لماذا لَمْ يعدْ؟ شعرَتْ بالقلقِ تارةً وتارةً بالحنقْ . ألمْ تنقذْ حياتَهُ؟ لو لَمْ تتبنّاه عِندَما كانَ طفلًا صَغيرًا لما كانَ على قَيدِ الحَياةِ الآنَ . هم بحاجةٍ إليه الآنَ لأنّها بدأَتْ تضعُ البيضَ مجددًا .

لماذا غادَرَهم في هذا الوقتِ بالذّاتِ؟

فارقَها الغضبُ وحلَّ محلَّه القلقُ . ماذا لو أصابَهُ مكروهٌ؟

عِندَما حلَّ الظّلامُ كانَ هَدارةُ لا يزالُ غائبًا . رقدَ حَوجُ فَوْقَ البيضِ ، لقدْ وَضَعَتْ ماكو بَيْضةً جديدةً اليَوْمَ . لَمْ يتفوَّهْ بشيءٍ ، لَكِنَّهُ لاحظَ أنّ

ماكو لَمْ تستلقِ في الحالِ كَما تفعلُ عادةً . كانَت تقفُ ساكنةً مصغيةً السّمعَ . سمعَتْ صفيرَ فئرانِ الصَّحراءِ وهي تخرجُ مِنَ أوكارِها ، سمعَتْ حفيفَ أقدامِ السّحالي فَوْقَ الرَّمْلِ ، سمعَتْ خنفسةً تقعُ مِن مرتفعٍ رمليٍّ والأرانبَ وهي تلعبُ . ها هي الحَيَاةُ تدبُّ في الصَّحراءِ بعدَ حلولِ الظّلامِ والبُرودةِ . أصغَتْ لتسمعَ وقعَ أقدامٍ بشريّةٍ عاريةٍ فَوْقَ الرَّمْلِ لكنْ بلا جدوى .

كانَ هَدارةُ جالسًا . وَضَعَ ذراعَيهِ حَوْلَ ركبتَيهِ وشدَّهما تِجاهَ جسدِه بكلِّ ما كانَ لديه مِنَ قوّةٍ ، رُغمَ ذلكَ لَمْ يتوقّفْ جسمُه عنْ الارتجافِ . كانَ يرتجفُ مِنَ البردِ وحنَّ إلى غِطاءٍ دافئٍ مِنَ ريشِ النَّعامِ . توقُه إلى المُغامرةِ الذي كانَ يملؤُه عِندَما غادَرَ السِّرْبَ ليتدبّرَ أمرَه بِنَفسِهِ كانَ قدْ فارقَه الآنَ . اشتاقَ إلى السّربِ . أرادَ أن يجدَ طَريقَ العودةِ إليه بأسْرَعِ وقتٍ . تمنّى مِن كُلِّ قلبِه أن يجدَ طَريقَ العودةِ إلى السّربِ . لقد تنقّلَ في الصَّحراءِ طَوالَ حياتِه بالطّبعِ ، لكنّ دليلَه في الطّريقِ كانَ دائمًا ماكو أو حوجًا .

استندَ إلى جذعِ شجرةٍ وحاولَ أنْ ينامَ . غفا ثمّ استيقظَ ثمّ غفا ، وهكذا قضى أطولَ ليلةٍ في حياتِه . عصفَتِ الأفكارُ في رأسِه كالرّياحِ ومنعتهُ مِنَ النّومِ . المغاراتُ وجدرانُها المغطّاةُ بطبعاتٍ لأيدٍ بشريّة ، مَنْ همُ الذينَ طبعوا تِلكَ الأيدي؟ لا بدّ أنّها كائناتٌ مِنَ صنفِه . ثمّ تذكّرَ الجِمالَ الخمسةَ .

كانَ يَعلَمُ أنّ تِلكَ الحَيَواناتِ الضّخمةَ التي لها كتلةٌ غريبةٌ فَوْقَ الظهرِ تُدعى جِمالًا ، وكانَ يَعلَمُ أنّهُ يحبُّ تِلكَ الحَيَواناتِ . لا بدَّ أنَّهُ رأى

الجِمالَ في فَتْرَةٍ مبكّرةٍ مِنَ حياتِه ، عِندَما كانَ صَغِيرًا ، بالرّغمِ مِن أنَّهُ لا يتذكّرُ شَيْئًا منها .

لكنّه مقتنعٌ بأنّهُ كانَ يحبُّ الجِمالَ كَثِيرًا فيما مضى . هذا ما جَعَلَهُ يَشْعُرُ بحزنٍ عميقٍ عِندَما رآها . عِندَما رأى جِمالًا هزيلةً عطشى ، على حافّةِ الموتِ . ثمَّ ذلكَ الإنسانَ ، ذلكَ الكائنَ الملفوفَ في كمّيّةٍ كَبيرةٍ مِنَ القماش . لَم يظهرْ منه سوى العينين والقدمين . كانَ لذلكَ الكائنِ قدمانِ مثلَ قدميه تَمامًا . ويدانِ ، لَمْ يفكّرْ باليدينِ قَبْلَ الآنَ . كانَ لذلكَ الإنسانِ يدانِ مثلَ يديه بالطّبعِ . ثمّ ذلكَ الحَدَثُ الرّهيبُ ؛ الإنسانُ الذي استلَّ السّكّينَ ، سكّينًا مثلَ تلكَ التي وجدَها هو في إحدى الخِيام ، جرحَ ذِراعَهُ حينَ لعبَ بها ثمّ رماها بَعِيدًا . لمَعَتِ السّكّينُ أوّلًا وفي اللّحظَةِ التاليةِ كانَتْ رقبةُ الجملِ مذبوحةً ، تدفّقَ منها الدّمُ إلى الرّمْلِ وتجمّعَ هُناك في بركةٍ حمراءَ صَغِيرةٍ . عِندَما لمَعَتْ السّكّينُ ثانِيةً غرسَها الإنسانُ في بطنِ الجَملِ حَيْثُ بدأَ السّائلُ يتدفّقُ . هلْ كانَ ذلكَ السّائلُ ماءً يا تُرى؟ مهما كانَ نوعُ ذلكَ السّائلِ ، فقد جَمَعَ الرّجُلُ كلَّ نقطةٍ منه بجشعٍ وشربَه .

كانَتِ الصّورُ تعودُ إلى هَدارةَ مِنَ الذّاكرةِ كلّما صحا مِنَ النّومِ ، كَما كانَ يعودُ إليهِ الشُّعورُ بأنّه على وشكِ أنْ يتقيّأَ .

يبدو أنّ الفجرَ أتي بالمزيدِ مِنَ البَردِ . لَمْ يتمكّنْ هَدارةُ مِنَ جَعلِ أسنانِه تتوقّفُ عن الصّكِّ . جلسَ موجّهًا وجهَهُ نَحوَ شروقِ الشّمسِ ورأى سماءَ اللّيلِ القاتمةَ تتحوّلُ على لوحةٍ بدرجاتٍ مختلفةٍ مِنَ اللّونِ الرماديِّ حتّى صعِدَ قُرصُ الشّمسِ الأحمرُ بِبُطءٍ إلى الأفقِ . كفَّتْ أسنانُه عن الصكِّ ببَعْضِها البَعضِ وتوقّفَ جسمُهُ عنْ الارتجافِ . رَفَعَ

عندَها هَدارةُ وجهَهُ نَحوَ الضّوءِ والدّفْءِ . عَلَيهِ أن يجدَ اليَومَ طَرِيقَ العودةِ إلى السّربِ .

نَهَضَ مِنَ مَكانِه قافزًا إلى أعلى وإلى أسفلَ ليستعيدَ الدّفءَ وقدرتَه على الحركةِ . رَكَضَ بعدَ ذلكَ بخطىً طويلةٍ . كانَ قد حَاوَلَ طَوالَ حياتِه أن يَرْكُضُ كأفرادِ عائلتِهِ ، النَّعاماتِ ، بخطواتٍ طويلةٍ ، متهاديةٍ وعمليّةٍ . رَفَعَ ساقَيهِ إلى الأعلى لَكِنَّهُ أحَسَّ بأنّه فشلَ كعادتِهِ . حَاوَلَ أن يقلّدَ طيورَ النَّعامِ قَدْرَ المُستطاعِ في ساعةِ الفجرِ الباكرةِ تلك . تمتّعَ بالشُّعورِ بأنّ جسمَهُ مازالَ يَتَحَرَّكُ كَما يجبُ ، بقدْرتِه على الرَّكْضِ بسُرعَةٍ ، لكنّ القلقَ تحرّكُ في داخلِه كأفعى تَحْتَ سطحِ الرَّملِ . هلْ كانَ يَركُضُ في الاتِّجاهِ الصّحيحِ فعلًا؟

رأى عندَها كومةً مِنَ الحجارةِ في الرّمالِ . هو الذي جَمَعَ تِلكَ الحجارةَ . لقد توقّفَ وتغوّطَ هنا في السّابقِ ، ولسببٍ ما كانَ يعفّرُ الرَّملَ فَوْقَ البُرازِ ويغطّيه بالحجارةِ فيما بعدُ . لَمْ يسبقْ له الشُّعورُ بهذا القدْرِ مِنَ الفرحِ لمجردِ رؤيةِ قليلٍ مِنَ البُرازِ . لقد تأكَّدَ الآنَ أنَّهُ سارَ في الطّريقِ الصّحيحِ . لذلكَ رَكَضَ بسُرْعَةٍ أقلَّ الآنَ ، موجّهًا نَظَرَاتِهِ نَحْوَ الأرضِ . رأى هُناك أثرًا لأقدامِه . وهُناك . ثمّ هُناك . تبعَ الآثارَ التي كانَ قد تَرَكَها في السّابقِ حتّى رأى السِّربَ عن بُعدٍ . نَهَضَتْ ماكو مِنَ مَكانِها حَيْثُ كانَت ترقدُ فَوْقَ البيضِ ونَظَرَت إليه . هكذا فَعَلَ أفْرادُ السِّرْبِ الآخَرونَ أيضًا .

– لم أجدْ المَزيدَ مِنَ البِطّيخِ ، قالَ هَدارةُ لاهثًا ، معتذرًا ، عِندَما وَقَفَ أمامَهم .

– لا بأسَ في ذلك . لا بأسَ على الإطلاقِ ، قالَ حوجُ .

– لدينا ثلاثُ بَيضاتٍ في العُشِّ الآنَ ، تعالَ! يجبُ أنْ تراها .

نَظَرَ هَدارةُ إلى العُشِّ ورأى البَيضاتِ الكَبيراتِ المائلاتِ إلى الصّفارِ قَبْلَ أن تعودَ ماكو وترقدَ فَوقَها . لقدْ زالَ عنها القلقُ الآنَ . ها هو هَدارةُ قد عادَ وسَوفَ يحمي البَيضاتِ حتّى تفقسَ ثمّ يحمي الأفراخَ فيما بعدُ . هذا ما يَفْعَلُهُ دائمًا . لكنَّها كانَت أكْثَرَ سعادةً لمجرّدِ عَودَتِه إليهم . هَدارةُ هو ابنُها ، حتّى لو كانَ ابنَها بالتّبنّي ، وبالرّغمِ مِنَ أنَّهُ كانَ يختلفُ عنِ الآخَرينَ .

أشارَ حوجُ إلى أفْرادِ السِّربِ أن يباشِروا السَّيرَ . أرادَ كعادتِه أنْ يسيرَ هَدارةُ قَبْلَ الصّغارِ مِنَ طيورِ النَّعامِ .

– إلى أينَ؟ تساءلَ هَدارةُ ، ألا يتوجّبُ عليَّ أنْ أبقى معَ ماكو؟

– لا ، أجابَه حوجُ . نريدُ أن نُريَكَ شَيئًا . نريدُ أن نفاجِئَكَ . سترى شَيْئًا لَمْ ترَه في حياتِكَ مِن قَبْلُ .

عِندَما أبطأَ حوجُ سرعتَه وتوقّفَ ، طوّقَهُ أفْرادُ السِّرْبِ الآخَرونَ ونَظَرَوا إلى هَدارةَ ينتظرونَ ردّةَ فعلِهِ .

رأى هَدارةُ واحةً . إكليلًا مِنَ الأشجارِ وبُحَيرَةً صَغِيرةً في وسَطِه .

– لَسْتُ أدري إذا تكوّنَتْ هذه البُحَيْرَةُ بعدَ المطرِ الغزيرِ ، قالَ حوجُ ، لكنّها ربَّما بُحَيرَةٌ موجودةٌ هنا دائمًا . اَملُ ذلكَ .

ابتسمَ هَدارةُ إبتسامتَه العريضةَ الصّامتةَ . اقتربَ بِبُطءٍ وبحذرٍ مِنَ البُحَيرَةِ . انْحَنى ، مدَّ كفَّيه معًا إلى المَاءِ ورفعَهما إلى فمِه . كانَ المَاءُ باردًا لذيذَ الطّعمِ . لَكِنَّهُ رأى في الوقتِ ذاتِه شَيْئًا جَعَلَهُ يعودُ إلى المَكانِ

وحيدًا ، بَعِيدًا عن أنظارِ الآخَرينَ .

وهبَ المَاءُ الحَياةَ للأرضِ المحيطةِ بالبُحَيرَةِ . توجدُ في المَكانِ أشجارٌ ، نَمت واحدةٌ ضخمةٌ منها بالقُربِ مِنَ البُحَيرَةِ . كانَت هُناك أجَمةٌ مِنَ الشُّجَيراتِ ، مِنَ النّباتاتِ المُزْهِرةِ ، مِنَ الأعشابِ والقَصبِ . لكنّ هذا كلَّه لَمْ يجذبْ هَدارةَ . اقتربَ مِنَ البُحَيرَة ذاتِ السّطحِ اللاّمعِ بقلقٍ . تمدّدَ على الشَّاطِئِ وبقلقٍ مدَّ رأسَه فَوْقَ سطحِ المَاءِ . الصورةُ التي رآها هُناك جعلتهُ يغمضُ عينيه بسُرْعَةِ البرق . الذي رآه هُناكَ ملأهُ بالرّعبِ ، لَكِنَّهُ نَظَرَ مجدَّدًا بعدَ لحظاتٍ ، ثمّ نَظَرَ مرّةً أرى دُونَ أن يغمضَ عينيه . رأى أنفًا صَغِيرًا وفمًا صَغِيرًا . عِندَما فتحَ فمَه رأى أسنانَه الصّغيرةَ . كانَ الجسدُ عاريًا لا يكسوه الرّيشُ ، لَكِنَّهُ يَعلَمُ بهذا . أغربُ ما رآه هوَ العينانِ . لطيورِ النَّعامِ عيونٌ كَبيرةٌ ، جميلةٌ ، بنّيّةٌ مستديرةٌ ورموشٌ طويلةٌ . أمّا عيناه فقدْ كانَتا صَغِيرتينِ وقبيحتَينِ إلى درجةٍ جعلَتْهما تشبهانِ عيونَ الأفاعي .

رَفَعَ يدَه اليمنى ووَضَعَها فَوْقَ سطحِ الماءِ . رأى صورةَ يدِه تنعكسُ في مِرآةِ المَاءِ . رَفَعَ يدَه اليسرى وحرّكَها . تحرّكَتْ صورتُها أيضًا في مرآةِ المَاءِ . هذا أمرٌ مسلٍّ جدًّا .

كانَ منشغلاً بصورتِه التي رآها في المَاءِ ، في رؤيتِه لنفسِه للمَرَّةِ الأولى ، إلى حدٍّ منعَهُ مِنَ سماعِ الخُطى المتسلِّلةِ التي كانَت تقتربُ منه . على بُعدِ أربعينَ خطوةً اقتربَ منه أسدٌ له عُرفٌ أَسْوَدُ ضخمٌ وغزيرٌ . تسلَّلَ الأسَدُ إلى الأمامِ ضاربًا ذيلَه هنا وهُناك . كانَ يسيرُ بأقدامٍ ضخمةٍ غضّةٍ ، يرفعُها ثمّ يضعُها على الأرضِ دُوْنَ أن يحدِثَ صوتًا . ها هو الآنَ على

بُعدِ ثلاثينَ خطوةً خَلْفَ هَدارةَ . هنا توقّفَ الأسدُ ، رَفَعَ رأسَه الضّخمَ ، تنشّقَ الهواءَ واشتمَّ رائحةَ الكائنِ البشريّ . تابَعَ الأسَدُ بعدَ ذلكَ مَسيرَتهُ نَحْوَ الفريسةِ على ذاتِ القَدْرِ مِنَ الصّمتِ . لَمْ يبقَ أمامَه الآن سوى عشرينَ خطوةً . الفريسةُ ما تزالُ مستلقيةً على بطنِها واضعةً وجهَها فَوقَ سطحِ المَاءِ لاهيةً بتحريكِ يديها بطَريقةٍ عجيبةٍ . زَحَفَ الأسَدُ إلى الأمامِ بِبُطءٍ وكادَ بطنُه يلامسُ الأرضَ استعدادًا للقفزِ . حينَ لَمْ يبقَ أمامَه سوى ثلاثِ خطُواتٍ ، سحبَ ساقَيه الخلفيتَينِ تَحْتَ جسمِه وتشنّجَتْ عضلاتُه كلُّها تأهُّبًا للانقضاضِ . توقّفَ الذّيلُ عن ضربِ الأرضِ وامتدَّ جسدُ الأسَدِ مباشرةً .

انتظرَ الأسَدُ لحظةً دُوْنَ أنْ يقومَ بأدنى حَرَكَةٍ .

انقضَّ الأسَدُ وزأرَ بقوّةٍ جعلَتْ هَدارةَ يتفاعلُ بسُرْعَةِ البَرقِ . دفعَ قدمَيهِ نَحوَ الأرضِ وقذفَ بِنَفسِهِ إلى الماءِ . تخبّطَ بسُرْعَةٍ ليتوغّلَ في عمقِ الماءِ بينَما حفرَتْ مخالِبُ الأسَدِ خطوطاً عميقةً على فخذِه . لكنَّ هَدارةَ سبحَ بسُرْعَةِ البرقِ إلى حَيْثُ كانَت المياهُ عميقةً . زأرَ الأسَدُ زئيرَهُ المُرعِبَ مرّةً أخرى . فهو يزأرُ ثانيةً بسببِ خيبةِ أملِهِ . لقدْ تَمَكَّنَ الكائنُ البشريُّ مِنَ الاحتماءِ في عمقِ المَاءِ . لقدْ سبحَ الكائنُ البشريُّ . لَمْ يُطِقْ الأسَدُ فكرةَ البللِ بالمَاءِ ولذَلِكَ توقّفَ عن مطاردةِ الفريسةِ . عادَ بعدَ ذلكَ أدراجَه واختفى في الأجَمَةِ الكثيفةِ .

رأى هَدارةُ توقّفَ الأسَدِ عن ملاحقتِه وتذكّرَ أنّ أمّهَ كانَت قد أخبرَتْهُ أنّ الأَسْوَدَ والفهودَ لا تحبُّ الماءَ . سبحَ طويلاً في عُرضِ البُحَيرَةِ . سبحَ إلى الجهةِ الأخرى . نَظَرَ حولَه بإمعانٍ قَبْلَ أن يجرؤَ في نهايةِ المَطافِ على

الخروجِ مِنَ المَاءِ . يجبُ أنْ يُحذِّرَ الآخَرينَ . رَكَضَ طَوالَ الطّرِيقِ عائدًا إلى العُشِّ وإلى عائلتِه .

عِندَما أخبرَهم بقصّةِ الهجومِ قالَ :

– لو لَمْ تعلّموني السّباحةَ لما تمكّنْتُ مِنَ النّجاةِ مِنَ مَخالبِ الأسدِ .

أسئلة الفصل

1 . اِقْرَأْ منَ الفصلِ الفِقْرَةَ الَّتي تُصوِّرُ قلق ماكو على هدارة (ولا تُخْبِرُ عنهُ) .

2 . كُلَّما تَذَكَّرَ هدارة مَنْظَرَ الرَّجلِ وَهُوَ يَبْقُرُ بَطْنَ النَّاقَةِ وَيَشْرَبُ مِنْ لَبَنِها شَعَرَ بِأَنَّهُ على وَشَكِ أنْ يَتَقَيَّأَ . ما السَّببُ في رأيكَ؟

3 . أخذَ هدارة يتأمَّلُ صورتَهُ مُنْعَكِسَةً على مياهِ البُحَيرَةِ ، وأخذَ يُحرِّكُ يدَيْهِ ، ويَرى كذلِكَ انْعِكاسَهُما في الماءِ . لماذا ، بِرأيكَ ، كانَ هدارةُ يفعلُ ذلكَ؟

4 . أَعِدْ سَرْدَ المشْهَدِ الّذي يصِفُ هُجومَ الأسَدِ على هدارةَ ، ونجاحُ هدارةَ في الفِرارِ مِنْهُ .

5 . اسْتَخدمْ تَركيبَ : "بِسُرعَةِ البَرْقِ" في جُمْلَةٍ مُفيدَةٍ منْ إنْشائِكَ .

- «عصفَتِ الرِّياحُ في رأْسِهِ كالرِّياحِ ومنعَتْهُ مِنَ النَّومِ» .
- «لكنَّ القَلَقَ تحرَّكَ في داخلِهِ كأفْعى تحتَ سَطْحِ الرَّمْلِ»

6 . اِقْرَأ الجُملتَينِ السّابقتَينِ ، ثُمَّ اقرَأْهُما بعدَ حذْفِ التَّشبيهِ . وناقِشْ زُمَلاءَكَ ومعلِّمَكَ في الإضافَةِ الَّتي يجلِبُها التَّشبيهُ لِلمعنى .

الفصلُ السادسَ عشرَ

قتلُ أَسَدٍ

ظهرَت القافلةُ عندَ خطِّ الأفقِ . أربعةَ عشرَ مِنَ الجِمالِ تحملُ البضائعَ وأربعٌ تحملُ فرسانًا . ظهروا جَميعًا في بدايةِ الأمرِ كطابورِ مِنَ النّملِ الأَسْوَدِ . بعدَ مرورِ ساعةٍ بَدَوا وكأنّهم طابورٌ مِنَ بناتِ آوى . بعدَ مُضيِّ ساعتَينِ أُخَريينِ بَدَوا فعلًا قافلةً مِنَ الجِمالِ والبَشرِ .

كانوا في طَريقِهِم مِنَ موريتانيا إلى تيندوفَ . كانَ الرّجُلُ الذي يجلسُ على ظهرِ الجَملِ الأوّلِ أسمرَ اللّونِ وضخمَ التّكوينِ ، وكانَ يحملُ عصًا فَوقَ ركبتَيه .

كان الرّجُل يُدعى بوبوطًا ، وكانَ معروفًا في جَميعِ أنحاءِ الصَّحراءِ الكبرى . له أخٌ اسمهُ دولةُ يعرفُ عنِ الجِمالِ معرفةً لا تضاهيها معرفةُ أحَدٍ . كَما كانَ معروفًا بصلواتِ الجمعةِ التي كانَ ينهيها بالغناءِ وبالتّورّعِ إلى اللّهِ . أمّا بوبوطًا فقد كانَ معروفًا بقوّته الجسديّةِ وباستعدادِه لاستعمالِ العُنفِ . فهو لا يتنقّلُ مِنَ مَكانٍ إلى آخرَ من دونِ عصاه . كانَ يَستَطيعُ اللّحاقَ وحيدًا بجَملٍ ، ليشدَّه مِنَ ذنبِهِ حتّى يقعَ ثمّ يقتلَه بضربةٍ واحدةٍ مِنَ عصاه .

عبرَتِ القافلةُ منطقةً كَثيرةَ التِّلالِ ووصلَتْ إلى مَكانٍ رأى جَميعُ أفْرادِها أنَّ المطرَ قد تساقطَ فِيهِ منذ فَتْرَةٍ وجيزةٍ . رأى المسافرونَ معَ القافلةِ أشجارًا بدأَتْ تظهرُ عليها الأزهارُ . رأوا نباتاتٍ خضراءَ في كلِّ مَكانٍ . نزلَ الرّجالُ الأربعةُ عنِ الجِمالِ وتركوا الحَيَواناتِ لترعى .

كان قائدُ القافلةِ بوبوطٌ يعرجُ بسببِ جرحٍ في ساقِه سبّبتهُ نبتةٌ شائكةٌ منذ أسابعَ مضَتْ . كانَ الجُرحُ أحمرَ ومُلتهبًا . عِندَما انتهَتِ الحَيَواناتُ مِنَ الرّعيِ صعِدَ الرّجالُ على ظهورِ جِمالِهم واستعدّوا للانطلاقِ . التقَوا عندَها بقافلةٍ أخرى كانَتْ آتيةً مِنَ الجَنوبِ . بعدَ التّحياتِ وعباراتِ السّلامِ العاديّةِ قالَ قائدُ القافلةِ الأُخرى :

– يجبُ أنْ تتّخذوا طَريقًا أخرى مِن هنا . توجدُ هنا واحةٌ و بُحَيرَةٌ بالفعلِ لكنْ هُناك أسدٌ أيضًا . أسدٌ آكلٌ للحومِ البشرِ .

– هذا لا يهمُّنا . يجبُ أنْ تشربَ جِمالُنا كَما يجبُ أنْ نشربَ نحنُ أيضًا .

كانَ بوبوطٌ مشهورًا بميزةٍ أخرى وهي أنَّهُ لَمْ يَشْعُرْ بالخوفِ قَطُّ . لَمْ يكنْ يَعلَمُ معنى الإحساسِ بالخوفِ .

كانَ اللَّيلُ قدِ اقتربَ ولذَلِكَ تمدّدَ الجَميعُ على الرَّمْلِ الدافئِ لينامُوا . استيقظَ بوبوطٌ عندَ الفجرِ مذعورًا . عِندَما كانَ يروي هذه القصةَ فيما بعدُ كانَ يَقُولُ : شعرتُ عندَها بالخوفِ للمَرَّةِ الأولى في حياتي . استيقظْتُ مِنَ النّومِ وشعرْتُ للمَرَّةِ الأولى برعبٍ هائلٍ . أحسسْتُ بالخوفِ يسري بَردًا داخِلَ جسدي المسكينِ .

لم يمنعْ ذلكَ بوبوطًا مِنَ النّهوضِ . حملَ عصاه وعرجَ ليرى تِلكَ

البُحَيْرَةَ التي تحدّثَ عنها الرّجالُ .

رآهُ هَدارةُ هُناك .

رآهُ هَدارةُ في الجهةِ الأخرى مِنَ ماءِ البُحَيْرَةِ اللاّمعةِ . رغمَ خوفِه مِنَ الأسَدِ كانَ هَدارةُ قدْ تسلّلَ عائدًا إلى البُحَيرَةِ ليَشْرَبَ . عندَها رأى تِلكَ القامةَ الطّويلةَ السّمراءَ آتيةً مِن بينِ الأشجارِ في الجِهةِ المُقابلةِ للبُحَيرَةِ . رأى أنَّ شكلَ ذلكَ الكائنِ كانَ يشبهُهُ حَيْثُ كانَ له عينانِ تشبهُ عيونَ الأفعى ، أنفٌ مثلَ أنفِه ، أذنانِ مثلَ أذنيه ، قدمانِ تشبهُ قدميه ، ويدانِ تشبهانِ يدَيه . أحَسَّ بفرحٍ عجيبٍ . هذا مخلوقٌ مِنَ ذاتِ الصّنفِ . لا بدَّ أنَّهُ إنسانٌ . ماذا يفعلُ يا تُرى؟ هلْ يعبرُ البُحَيْرَةَ سابحًا ويتقدّمُ مِنَ ذلكَ الإنسانِ؟ بينَما وَقَفَ هَدارةُ مفكّرًا بما يجبُ أن يفعلَهُ ، رأى الرّجُلَ ينحني ويجعلُ مِنَ يديه مِغْرَفةً . غطّسَ بعدَ ذلكَ يديه في المَاءِ ورفعَهما مليئتينِ بالمَاءِ نَحْوَ فمِه .

هكذا يَشْرَبُ هو أيضًا . هكذا بالضّبطِ .

الفرحُ الذي سبّبهُ له تعرّفُ الطّريقةِ التي تصرّفَ بها الرّجُلُ أنسَتْهُ المخاوفَ كلَّها . خطا بضعَ خطواتٍ في المَاءِ . أرادَ أنْ يراه الرّجُلُ . رأى عندَها المَنظَرَ المُرعبَ . كانَ الأسَدُ جالسًا على غُصنِ شجرةٍ خَلفَ الرّجُلِ تَمامًا . بينَما شربَ الرّجُلُ المَاءَ مِنَ يدَيه اللّتينِ جعلَهما كمِغْرَفةٍ ، ارتفعَ صوتُ ضجيجِ . الغُصْنُ الذي كانَ الأسَدُ جالسًا عَلَيهِ انكسرَ . استَدارَ الرّجُلُ بسُرْعَةٍ رافعًا عَصاه في الهواءِ . حنى الأسَدُ جسدَه . فمُهُ كانَ مفتوحًا جزئيًا . بعدَ ذلكَ انقضَّ الأسَدُ على الإنسانِ . لكنّ الإنسانَ لَمْ يفعلْ كَما فَعَلَ هَدارةُ . لَمْ يهربْ مِنْ مَكانِهِ . وَقَفَ في مَكانِهِ رافعًا عصاه .

في أثناءِ هجومِ الحَيَوانِ عَلَيهِ وجّهَ إليهِ ضربةً . أصابَتْ تِلكَ الضربةُ رأسَ الأسدِ .

وقفَ هَدارةُ كالمسحورِ . وقعَ الرّجُلُ على ظهرِه بفعلِ ثقلِ الأسَدِ الذي صارَ فَوْقَه . ظلَّ كلاهما طويلًا بلا حَرَكَةٍ . ما الذي كانَ بوسعِ هَدارةَ فِعلُه؟ بدأَ يسيرُ بِبُطءٍ حَوْلَ البُحَيْرَةِ . رأى عندَها أنَّ الرّجُلَ زَحَفَ مِنَ تحتِ جسدِ الأسدِ . لَمْ يحرّكِ الأسَدُ ساكنًا حتّى الآنَ . اخْتَفى الإنسانُ خَلْفَ الشُّجيراتِ وعادَ بسكينٍ طويلةٍ .

عِندَما سردَ بوبوطُ هذه الحكايةَ فيما بعدُ كانَ يَقُولُ : قتلْتُ الأسَدَ بضربةٍ واحدةٍ مِنَ العصا لكنّ الضّربةَ كانَت قويّةً لدرجةِ أنّ العصا علقِتَ في رأسِ الأسدِ . عِندَما سَحبتُ العصا وقعْتُ وآذيْتُ رأسي فأغميَ عَليّ . عِندَما عُدتُ إلى وعيي رأيتُ الأسَدَ ميتًا . لَكِنَّهُ كانَ قدْ حفرَ في الرَّمْلِ حُفرةً تتّسعُ لخمسةِ رجالٍ ، خلالِ معاناتهِ مِنَ آلامِ الموتِ .

أرادَ هَدارةُ أن يتقدّمَ مِنَ الإنسانِ .

أرادَ أن يلمسَهُ بالدّرجةِ الأولى .

أرادَ أن يضعَ يدَهُ في كفِّ الرّجُلِ .

أرادَ أن يرى إذا ما ردَّ الكائنُ البشريُّ ابتسامتهُ بابتسامةٍ مثلِها . هذا ما لَمْ تفعلْه النَّعاماتُ ولو مرّةً واحدةً .

خطا هَدارةُ خُطوةً أولى متردِّدةً على طَريقِ لقائِه بإنسانٍ عِندَما رأى الرّجُلَ يرفعُ سكينَه الطويلةَ ويهوي بها نَحوَ الأسدِ .

هوى الرّجُلُ بسكينِه على رقبةِ الأسَدِ المرّةَ تلوَ الأخرى . اندفعَ الدّمُ وتدفّقَ فَوْقَ قدمَيه . كانَتْ هُناك كمّيّةٌ هائلةٌ مِنَ الدّماءِ وما زالَ يصوّبُ

ضرباتِه نَحْوَ الأسدِ . في النّهايةِ انفصلَ رأسُ الأسَدِ عن جسدِه . انْحَنى الرّجُلُ وحاولَ أن يحملَ الرأسَ . عِندَما وَضَعَ رأسَ الأسَدِ على الأرضِ ثانِيةً كانَت ملابسُه ملطّخةً كلّيًا بالدّماءِ .

قطعَ بعدَها الكائنُ البشريُّ كفّي الأسَدِ وقدمَيه .

فقدَ هَدارةُ رغبتَه بالتّقدم مِنَ الرّجُلِ ليضعَ يدَه في كفِّه . تَسَلّقَ لذلكَ شجرةً يعلوها الشّوقُ والأوراقُ الخضراءُ . تَمَكَّنَ هُناك مِنَ الجلوسِ ومشاهدةِ ما يجري دُوْنَ أن يراه أحدٌ .

رأى الكائنَ البشريَّ يحفرُ بيديه حُفرةً كبيرةً جدًا . عِندَما صارَتْ الحُفرةُ واسعةً وعميقةً بما فِيهِ الكفايةُ ، سارَ الكائنُ البشريُّ إلى رأسِ الأسدِ ، حملَه وعادَ إلى الحُفرة . وَضَعَه هُناك ووَضَعَ كفَّي الأسَدِ وقدمَيه بجانبِ الرّأسِ . بعدَ ذلكَ راحَ يُهيلُ الرَّمْلَ فَوْقَ الحُفرةِ حتّى غابَ الرأسُ والكفّانِ والقدمانِ عن العيانِ . ثمّ سارَ ذلكَ الإنسانُ الأعرجُ باتِّجاهِ حجرٍ ضخمِ الحجمِ ، حملَه وعادَ به متعثِّرًا إلى قبرِ الأسَدِ حَيْثُ وَضَعَ الحجرَ الثّقيلَ فَوْقَ القبرِ .

لم يجرؤْ هَدارةُ على الحَرَكَةِ . رأى جِمالًا تأتي فتشربُ ورأى كائناتٍ بشريّةً أُخرى . ملأوا أكياسًا جلديةً بالمَاءِ ثمّ تابعوا مَسيرَتهُم . اختفَتْ كلُّ رَغْبَةٍ كانَت لديه بالقفزِ مِنَ فوقِ الشّجرةِ ، وكلُّ رَغْبَةٍ بأنْ يظهرَ على النّاسِ ، وكأنّه يَقُولُ ها أنا ذا ، نحنُ ننتمي إلى ذاتِ النّوعِ . الأمرُ الذي أثارَ الجزءَ الأكبَرَ مِن فزعِه هو العنفُ الذي استعملهُ الرّجُلُ . ورؤيتُه للدّمِ .

عندَ الغروبِ عادَ راكِضًا طَوالَ الطَريقِ إلى العُشِّ حَيْثُ كانَت ماكو ترقدُ فَوْقَ البيضِ ، وحيثُ كانَ حوجٌ على وشكِ أن يحلَّ محلَّها . جَمَعَ

كلَّ أفْرادِ السِّرْبِ حَوْلَهُ ثمّ قالَ :

– احذروا البشرَ . البشرُ خطيرونَ . إنّهم يقتلونَ الحَيواناتِ . قتْلُ الحَيواناتِ يروقُ لهم .

نامَ هَدارةُ نومًا قلقًا ملأَتْهُ أحلامٌ بالسّكاكينِ الطّويلةِ والبشرِ وهم يقتلون طيورَ النَّعامِ . لَمْ يجرؤْ على الاقترابِ مِنَ البُحَيرَةِ ثانيةً إلّا بعدَما رأى القافلةَ تغادرُ المَكانَ . القافلةُ بجِمالِها الأربعةَ عشرَ التي تحملُ الأحمالَ الثّقيلةَ والأربعةَ جِمالٍ التي كانَ يحملُ كلٌّ منها إنسانًا ركبَ فَوْقَ ظهرِه . كانَ يذهبُ إلى هُناكَ كلَّ يومٍ ، يغسلُ نفسَه ، يسبحُ ويَشْرَبُ . لَكِنَّهُ كانَ في أغلبِ الأحيانِ يطيعُ أمَّه ويبقى بالقُرْبِ مِنَ العشِّ . كانَت النَّعاماتُ ترافقُه إلى البُحَيْرَةِ مرةً كلَّ ثلاثةِ أيّامٍ لترويَ عطشَها . لَمْ يتبقَّ مِنَ جسدِ الأسَدِ إلا القليلُ حَيْثُ جَعَلَ كَثِيرٌ مِنَ الحَيواناتِ منهُ وليمةً لها . أمّا العِظامُ فقد سحبتها بناتُ آوى إلى أماكنَ مختلفةٍ .

كانَ أفْرادُ السِّرْبِ ينتظرون الوقتَ الذي تفقسُ فِيهِ البيضاتُ بفارغِ الصّبرِ . كانَ هُناك كَثِيرٌ مِنَ الطّعامِ بعدَ المطرِ الغزيرِ . كانَت الحَيَاةُ طيّبةً ورتيبةً .

لكنّ هَدارةَ رأى في يومٍ مِنَ الأَيّامِ منَظَرًا أثارَ الذّعرَ في داخلِه ، خمسةُ جِمالٍ تحملُ خمسةَ كائناتٍ بشريّةٍ . كانَت القافلةُ في طَرِيقِها إلى البُحَيرَةِ . أرادَ هَدارةُ أنْ يهربَ مِنَ هُناك لكنَّ الأوانَ كانَ قد فاتَ . اختبأَ في أعلى شَجرةٍ ورأى الكائناتِ البشريّةَ الخمسةَ دُوْنَ أن يَشْعُرَ بالفرحِ لذلك . كانَ أحدُهم الرّجُلَ الضّخمَ قاتلَ الأسدِ .

سارَ الرّجُلُ الطويلُ القامةِ الأَسْوَدِ اللّونِ إلى الحجرِ الذي وَضَعَه سابقاً

فَوْقَ رأسِ الأسَدِ ثمّ قالَ :

– لقد تفاخرَ كلٌّ منكم بأنّه هو قاتلُ الأسدِ . أريدُ منكم أن تثبتوا ذلكَ حالًا . ارفعوا هذا الحَجرَ مِن مَكانِه .

تقدّمَ الرّجالُ واحدًا بعدَ الآخَرِ مِنَ الحَجرِ وفشلَ كلٌّ منهم في رفعِه مِنْ مَكانِه . تقدَّمَ بعدَ ذلكَ بوبوطُ ، وَضَعَ عصاهُ الغليظةَ جانبًا ، أمْسَكَ بالحجرِ ونقلَهُ مِنَ مَكانِه . نَظَرَ الرجالُ إلى الحُفرةِ .

– ها هي بقايا الرأسِ والكفّينِ والقدمينِ ، قالَ بوبوطُ بصوتٍ عالٍ . أنا الذي قتلْتُ الأسدَ .

رأى هَدارةُ الرّجالَ الخمسةَ لَكِنَّهُ لَمْ يفهمْ شَيْئًا مما دارَ بينهم .

كلُّ ما أحَسَّ به هو أنَّ البشرَ مخيفون ، خطيرون وغامضون جدًّا . قرّرَ وهو جالسٌ فَوْقَ شجرةِ الأكاسيا ألّا يتعاطى معَ الكائناتِ البشريّةِ على الإطلاقِ .

لم تَكُنْ لديه رَغْبَةٌ في أن يكونَ سوى نَعامَةٍ .

أسئلة الفصل

1 . بِمَ شَبَّهتِ الكاتِبَةُ مَراحِلَ اقْترابِ القافِلَةِ وانْكِشافِها؟ بَيِّنْ رأيَكَ في دَوْرِ هذا التَّشبيهِ في خَلْقِ انْطِباعٍ خاصٍّ لَدى القارِئِ .

2 . ما الصِّفتانِ البارِزَتانِ في شخصِيَّةِ (بوبوط)؟

3 . اقرَأِ الفِقْرَةَ الَّتي تَصِفُ كيفَ قَتَلَ (بوبوط) الأسَدَ ، وماذا فَعَلَ بعدَ قَتْلِهِ .

4 . حدَثَ تَغيُّرٌ حادٌّ في مَشاعِرِ هدارةَ خِلالِ هذا الفَصْلِ . اُكْتُبْ واصِفًا هذا التَّغيُّرَ في المَشاعِرِ ، ومُبَيِّنًا سبَبَهُ . ثُمَّ اقرَأْ ما كَتَبْتَ على زُمَلائِكَ .

5 . وَرَدَتْ في هذا الفَصْلِ عِبارَةٌ قالَها هدارةُ تُوَضِّحُ أنَّهُ يَشعُرُ بالانْتِماءِ إلى الحَيواناتِ ، ويُبْغِضُ البَشَرَ . اُذْكُرْ هذهِ العِبارَةَ .

6 . «لَمْ تَكُنْ لَدَيهِ رَغْبَةٌ في أنْ يكونَ سوى نعامَةٍ» . ما العَلاقَةُ بينَ هذهِ العبارَةِ ، وما قالَهُ هدارة؟

الفصلُ السابعَ عشرَ

غزالةٌ على وَشَكِ المَوتِ

اعتادَ هَدارةُ أنْ يذهبَ إلى البُحَيرَةِ يوميًا . كانَ يَركُضُ في بدايةِ الطّريقِ ، مقلِّدًا خطواتِ طيورِ النَّعامِ العاليةِ . كانَ يخفّفُ سرعتَه بالقُربِ مِنَ البُحَيرَةِ ويسيرُ مائلًا برأسِهِ إلى هنا وإلى هُناك كَما تفعلُ طيورُ النَّعامِ ، وكانَ يبطِّئُ السيرَ أكْثَرَ فأكثَرَ كلّما اقتربَ مِنَ البُحَيرَةِ . كانَ يريدُ التّأكدَ مِنَ عدمِ وجودِ الكائناتِ البشريّةِ في الجوارِ .

كانَ يغسلُ شعرَه في البُحَيرَةِ . عِندَما وَجَدَ بعضَ الفواكهِ الدّسمةِ ، هرسَها ودهنَ بها شعرَه . عِندَما غسلهُ ثانيةً وأبعدَ بقايا الفاكهةِ عنه وَجَدَ أنَّ شعرَه صارَ لامعًا وغدا تسريحُه بأصابعِ اليدينِ أسهلَ بكَثيرٍ . عِندَما هزَّ هَدارةُ رأسَه قَليلاً تطايرَ شعرُه في الهواءِ بطَريقة رائعةٍ .

عِندَما وَجَدَ بَيضاتِ نعامٍ خاويةً خلّفتها النّسورُ المِصريّةُ ، أخذَها إلى البُحَيرَةِ ، ملأَها بالمَاءِ وعادَ بها إلى عُشِّ النَّعامِ . أغلقَ الفتحاتِ الصّغيرةَ ببَعْضِ العشبِ اليابسِ ودفنَ البَيضاتِ في الرّمالِ .

نَظَرَت النَّعاماتُ إليه باستغراب . كانَ هَدارةُ يقومُ بكَثيرٍ مِنَ التّصرّفاتِ الغريبةِ التي لا معنى لها في نَظَرَهم . كانَتِ الألعابُ التي يلعبُها لغزًا آخرَ

بالنّسبةِ إليهم . إذ كانَ يجلسُ غالبًا ليرسمَ في الرَّملِ بعصًا صَغيرةٍ .

– هلْ ترونَ ماذا رَسَمْتُ؟ كانَ يطرحُ هذا السؤالَ طَوالَ الوقتِ . هلْ ترونَ ماذا فعلْتُ؟ لقدْ رسمْتُ نَعامَةً تركُضُ بسُرْعَةٍ . وما هذا؟ إنَّهُ نَعامَةٌ تطيرُ . هذا واضحٌ جدًّا . لَيْسَ واضحًا؟ هذا إذن؟ لا بدَّ أنّكم ترونَ ما هو؟ إنَّهُ أسدٌ متمدّدٌ فَوْقَ غُصنِ شجرةٍ .

لم تتمكّنْ طيورُ النَّعامِ حتّى مِنَ استيعابِ صورةِ الأسَدِ التي كانَ هَدارةُ فخورًا جِدًّا بها .

عِندَما لَمْ تتمكنْ النَّعاماتُ مِنَ رؤيةِ ما رسمَ وَضَعَ هَدارةُ يَدَهُ فَوقَ الرَّملِ وَراحَ يجرُّ العصا الصّغيرةَ حَولَ أصابعِه ليرسمَ صورةً ليدِه . محا بعدَ ذلكَ صورةَ يدِه بسُرعَةٍ وصوّبَ بحجرٍ ورماه على جذعِ شجرةٍ مهشَّمٍ كانَ يظهرُ منتصبًا في الرّمالِ . رميُ الحجارةِ هيَ اللَّعبةُ الوحيدةُ التي فهمَها أفْرادُ السِّرْبِ وشجّعوه على ممارستِها .

– جيّدٌ ، قالوا له وهزّوا رؤوسَهم عِندَما أصابَ جذعَ الشّجرةِ .

كانوا يَعلَمُون أنّ الأشهرَ المقبلةَ ستكونُ حافلةً بالمخاطرِ . عِندَما كانوا يرقدون فَوْقَ البيضِ ، كانوا معرّضين لأنَّ يصبحوا ضحايا للحَيَواناتِ المُفْتَرِسةِ ؛ النسورُ تريد الوُصُولَ إلى البَيضاتِ وعِندَما تفقسُ البيضاتُ تتعرضُ الأفراخُ إلى المزيدِ مِنَ المخاطرِ . منها الغِربانُ الفَحميّةُ ، الغِربانُ العاديّةُ ، النّسورُ ، بناتُ آوى ، الأَسْوَدُ والفهودُ الصيّادةُ . ثمّ أولئك الذينَ طلبَ إليهم هَدارةُ أن يحذروهم ، الكائناتُ البشريّةُ .

أحسَّ هَدارةُ بأنّه سعيدٌ وقويٌّ . كانَ يرقصُ معَ النَّعاماتِ كلَّ يوم قَبلَ أنْ يُغادِرَ إلى البُحَيرَةِ . كانَ يسيرُ بِبُطءٍ جِدًّا في الجزءِ الأخير مِنَ الطَّريقِ

لأنّهُ كانَ يريدُ التأكدَ مِنَ عدمِ وجودِ البشرِ هُناك ، ولأنّه كانَ يريدُ رؤيةُ الغزلانِ أيضًا . الغزلانُ مخلوقاتٌ خجولةٌ جِدًا وتخافُ مِن كلِّ ما حولَها ولذَلِكَ لَمْ يتمكّنْ هَدارةُ مِنَ الاقترابِ منها في السّابقِ . أمّا الآنَ فقد كانَ يختبئُ خَلْفَ شجرةٍ ما ويراها حينَ تقتربُ مِنَ البُحَيرَةِ وتشربُ الماءَ . كانَت الغزلانُ أكثَرَ المخلوقاتِ جَمالًا في نَظَرِه . كانَت صَغِيرةَ الحَجم ممشوقةً وتتحلّى بكلِّ ألوانِ الرَّمْلِ . فهي تشربُ بحذرٍ ، وكانَ هُناكَ غزالٌ دائمًا يَقِفُ مستعدًا ، ويحرسُ الآخَرينَ بينَما كانوا يَشْرَبون . كلَّما سمعوا صَوتًا غريبًا أو اشتمّوا رائحةً غريبةً كانوا يسرعون هاربين مِنَ المَكانِ ، الكلُّ في آنٍ واحدٍ .

أرادَ هَدارةُ مِنَ كلِّ قلبِه أنْ يلمسَ الغزلانَ في يومٍ ما ، وأنْ يصبحَ صديقًا لها . لَكِنَّهُ حينَ كانَ يخرجُ مِنَ مخبئهِ مرّاتٍ قلائلَ ، كانَتِ الغزلانُ تهربُ مذعورةً .

– لا أنوي أذيَّتَكم ، حَاوَلَ هَدارةُ توصيلَ ذلكَ بِوساطةِ أفكارِه إلى الغزلانِ . لكنْ بلا جدوى . كانَتِ الغزلانُ كلَّما رأَتْهُ تُصابُ بالرّعبِ ذاتِه .

عِندَما حَدَثَ ذلكَ للمَرَّةِ الثالثةِ على التوالي حَاوَلَ هَدارةُ أنْ يتواصلَ معَ الغزلانِ :

– أنا لَستُ مَن تظنّون . أنا لَسْتُ كائنًا بشريًا .

لم يساعدْ هذا أيضًا . اخْتَفى قطيعُ الغزلانِ بعيونٍ مليئةٍ بالرّعبِ مسبِّبًا غيمةً مِنَ الغُبارِ قَبْلَ أن يختفيَ الجَمِيعُ خَلْفَ الأجَمةِ والشُّجيراتِ .

أوّلُ ما رآه هَدارةُ في هذا الصّباحِ بالذّاتِ هو نسورٌ ثلاثةٌ حامَتْ في

السّماءِ الخاليةِ مِنَ الغيومِ ، الملوّنةِ بلونٍ أزرقَ غامقٍ . كانَت الحلقاتُ التي دارَت بها النّسورُ في السّماءِ تصغُرُ شَيْئًا فشَيْئًا . كانَ لذلك معنًى واحدٌ : أنّها كانَت تراقبُ حَيَوانًا على وشكِ الموتِ . لَمْ يكترثْ هَدارةُ لجمعِ الطّعامِ معَ بقيّةِ السّربِ . ولم يكترثْ للرّقصِ . بلِ اندفعَ في طَرِيقِهِ راكضًا دُوْنَ أن يعطيَ تفسيرًا لتصرّفِه هذا . أرادَ أنْ يعرفَ الغرضَ مِنَ تحليقِ النّسورِ في السّماءِ . رآها حينَ حطَّتْ وراءَ تلٍّ صَغِيرٍ . رآها تجلسُ محيطةً بجسدٍ . كانَت نسورًا ضخمةً قاتمةَ اللّونِ ، لها رِقابٌ عاريةٌ مِنَ الرّيشِ . لَمْ يكنْ هَدارةُ يحبُّ النّسورَ لسببٍ ما . ها هو الآنَ يَرْكُضُ نحوَها ويلوّحُ بيديه . جعلَها تطيرُ مِنَ مَكانِها ، ولم تجرؤْ على الحَومِ بدوائرَ في السّماءِ فَوْقَ رأسِه .

اقتربَ هَدارةُ بحذرٍ مِنَ الجَسدِ الذي كانَ مخبّأً جُزئيًّا خَلْفَ شُجيرةٍ صَغِيرةٍ . كانَ جسدَ غزالةٍ كَبيرةٍ . كانَ جسدًا نحيفًا له لونُ الرَّمْلِ . كانَت تنامُ على جانبِها مغمضةَ العينينِ ، لكنَّ هَدارةَ رأى أنّها ما زالَتْ تتنفّسُ . ركعَ بحذرٍ على ركبتَيهِ بالقُرْبِ مِنَ الغزالةِ ووَضَعَ يَدَهُ بحذرٍ على جسدِها . كانَ قد تشوّقَ إلى فِعلِ هذا منذُ أنْ رأى الغزلانَ للمَرَّةِ الأولى في حياتِه . جَعَلَ يَدَهُ تنسابُ فَوْقَ جسمِها . ارتعشَتِ الغزالةُ مِنَ الرّعبِ الذي سبّبَتْه لها لمساتُ هَدارةَ ، لكنّها كانَت لا تزالُ ممدّدةً على الأرضِ ، لذلكَ جَعَلَ هَدارةُ يَدَهُ تنسابُ فَوْقَ فروها . كانَ ملمسُه عَذبًا كما كانَ قد خُيِّلَ إلى هَدارةَ في السّابقِ . رَفَعَ يَدَهُ مرّةً أخرى وَراحَ يداعبُ بها رأسَ الحَيَوانِ . تدفّقَتْ حرارةٌ غريبةٌ مِنَ رأسِ الغزالةِ إلى يدِه . لا بدَّ أنّ الغزالةَ مريضةٌ ، إنّها ساخنةٌ جدًّا .

– هل أنتِ مريضةٌ؟ سألَها هَدارةُ بوساطةِ أفكارِه .

لم يحصلْ على جوابٍ ، لَكِنَّهُ رأى رجفةً صَغِيرةً في جفونِها . كانَت الغزالةُ تُحتَضَرُ فشَعرَ هَدارةُ بحزنٍ عارمٍ يفورُ في أعماقِه . لَمْ يكنْ يريدُ لهذهِ الغزالةِ أنْ تموتَ لتصبحَ طَعامًا للنّسورِ التي عادَتْ وراحَت تحلّقُ في دوائرَ في السّماءِ فَوْقَ رأسَيهما .

نَهَضَ هَدارةُ مِنَ مَكانِه وقطعَ بعضَ الأوراقِ مِنَ شُجيرةٍ وعادَ ووَضَعَها أمامَ فمِ الغزالةِ . لَمْ تحاولْ الغزالةُ أكلَها لَكِنَّهُ عاد ورأى جفونها ترتجفُ مجددًا .

ثم رأى فَجْأةً ما لن ينساهُ أبدًا ، وما سيحدِّثُ عنه مراتٍ كَثِيرةً طَوالَ حياتِه . فتحَتِ الغزالةُ عينَيها اللّتينِ كانَتا واسعتَينِ لامعتَينِ . عندَما نَظَرَ هَدارةُ في تِلكما العينينِ فاضتا بدموعٍ راحَتْ تسيلُ على وجهِ الغزالةِ . الغزالةُ تبكي . لَمْ يكنْ قد رأى في حياتِه حَيَوانًا يبكي . كانَ هو يبكي أحيانًا لكنّ النَّعاماتِ في السِّرْبِ لَمْ تبكِ قَطُّ . كانَ يعرفُ أيَّ نوعٍ مِنَ المشاعرِ هي تِلكَ التي جعلَتْهُ يبكي . مسحَ دموعَ الغزالةِ وَراحَ يداعبُها بِكِلْتا يدَيه .

عِندَما كانَ يختبئُ خَلْفَ الأشجارِ ويَنْظرُ إلى الغزلانِ حينَ كانَت تأتي لتشربَ مِنَ البُحَيْرَةِ ، كانَ يرى صغارَ الغزلانِ وهي تشربُ الحليبَ مِن ضروعِ أمهاتِها وقامَ بما قامَتْ بهِ الغزلانُ الصغيرةُ كانَ هذا الطّعمُ ألذَّ مِنَ أيِّ طعمٍ عرفَهُ مِنْ قَبْلُ .

. وعِندَما شبعَ إلى حدِّ التُّخمةِ ولم يعدْ يقوى على امتصاصِ المزيدِ مِنَ الحليبِ ، جلسَ ، مسحَ فمَه ونَظَرَ إلى الغزالةِ . كانَت قد فتحَتْ

عينَيها . كانَت عيناها واسعتَينِ ، عسليّةَ اللّونِ تشبهُ الزّجاجَ . وجّهَتِ الغزالةُ شعورًا بالشّكرِ إلى هَدارةَ قَبْلَ أن تطبقَ جفنَيها ثانِيةً .

أحضرَ هَدارةُ قَليلاً مِنَ الماءِ في قِشرةِ بَيْضةِ نعامٍ مكسورةٍ ووَضَعَهُ أمامَ أنفِ الغزالةِ . عِندَما رَفَعَ رأسَها وغطّسَ أنفَها بالمَاءِ ، رآها تفتحُ فمَها . ثمّ مدّت لسانًا صَغِيرًا زهريَّ اللّونِ إلى المَاءِ ولعقَتْ منه قليلًا .

جلسَ بقيّةَ النّهارِ بجانبِ الغزالةِ . أعطاها المزيدَ مِنَ المَاءِ لتشربَ . بدأَتْ ترفعُ رأسَها بنفسِها وتشربُ مِنَ المَاءِ . عِندَما حلّ اللَّيلُ كانَت الغزالةُ أقلَّ سخونةً مِن قَبْلُ . شربَ هَدارةُ المزيدَ مِن حليبِها قَبْلَ أنْ يعودَ راكضًا إلى سربِ النَّعامِ لينامَ .

نامَ هَدارةُ نومًا قلِقًا . هلْ ستنجو الغزالةُ طَوالَ اللَّيلِ؟ كانَ يجبُ أن يبقى معَها ويحرسَها ، لَكنّهُ كانَ يَعلَمُ أنّ عائلتَه تقلقُ عَلَيهِ كَثِيرًا عِندَما يغيبُ عنها . وعِندَما يرقدون على البَيضِ ، يريدونَه أنْ يبقى معَهم ليقومَ بالحِراسةِ . قَبلَ الفجرِ ، حينَ كانَ بردُ اللَّيلِ مايزالُ عالقًا في الهواءِ والنجومُ الأخيرةُ لَمْ تنطفئْ بعدُ ، زَحَفَ هَدارةُ مِنَ عشِّه الدافِئِ تَحْتَ جناحَي ماكو ورَكَضَ باتِّجاهِ البُحَيرَةِ . تنفّسَ الصُّعداءَ عِندَما رأى أنّ الغزالةَ ما زالَتْ في مَكانِها وأنّها ما تزالُ على قَيْدِ الحَياةِ .

– لا تخافِي ، أشارَ هَدارةُ إليها مِن بَعِيدٍ ذِهنيًّا . هذا أنا فقطْ . لقدْ أتيتُ لأقدّمَ لكِ العونَ .

رغمَ أنَّهُ أرسلَ تِلكَ الرّسالةَ الذهنيّةَ إليها أصيبَتِ الغزالةُ بالذّعرِ كَما تُصابُ الغزلانُ كلُّها بالذّعرِ عادةً ، وحاولَت أنْ تقفَ على ساقَيها المرتجفتَينِ . لكنَّها لَمْ تقوَ على الوقوفِ بلْ وقعَتْ على الأرضِ ثانِيةً ،

عندَها أسرَعَ هَدارةُ إليها وحاولَ أنْ يهدِّئَها بِوساطةِ يديه . رأى أنّ ضرعَها قد امتلأَ ثانِيةً . ومرّةً أخرى شربَ هَدارةُ مِنَ حليبِها حتّى شبعَ وارتوى عطشُه .

– هذا أطيبُ ما تذوّقتهُ في حياتي ، قالَ هَدارةُ وَراحَ يبحثُ عن قشرةِ بَيْضةِ النَّعام . عِندَما وجدَها ملأَها بالمَاءِ مجدّدًا . سعدَ كَثِيرًا عِندَما شعرَ بأنّ الغزالةَ لَمْ تعدْ ساخنةً كَما في اليَوْمِ السابقِ . بقي عندَها طَوالَ ما تبقّى مِنَ ذلكَ النّهارِ . أخبرتهُ بأنّ اسمَها ظبيًا وأنَّها خسرَتْ ولدَها الصّغيرَ . كانَ ذلكَ الطِّفْلُ هو أَوَّلَ صَغِيرٍ تُرزقُ به . عِندَما اخْتَفى صَغِيرُها بقيَتْ بجوارِ البُحَيرَةِ لتبحثَ عنه ولم تتبعْ قطيعَها . بما أنَّهُ لَمْ يعدْ لديها صَغِيرٌ يرضعُ حليبَها مرضَتْ بسببِ الحليبِ الذي تجمّعَ في ضِرعِها .

– لقد أنقذْتَ حياتي عِندَما شربتَ مِنَ حليبي ، قالَتْ له الغزالةُ .

تساءلَ هَدارةُ عمّا حَدَثَ لصغيرِها .

– أعلمُ الآنَ ما حَدَثَ له . لقد قتلَهُ أسدٌ والتهمَه .

– لكنَّ الأسَدَ قُتلَ . قتلَهُ إنسانٌ ، قطعَ رأسَه ، دفنَه ووَضَعَ حجرًا فَوْقَ قبرِه .

– لَمْ يقتلْه الأسَدُ بل قتلَتْهُ اللَّبُؤةُ ، قالَتْ ظبْيٌ . ألا تعلمُ أنّ في الجوارِ لبؤةً معَ شبلٍ صَغِيرٍ؟

لا ، لَمْ يكنْ هَدارةُ على علمٍ بذلك .

– رأيتكِ تبكينَ . كنْتُ أظنُّ أنّني الوحيدُ الذي يبكي .

– لا ، قالَتْ ظبْيٌ . لقدْ بكيتُ لأنّني كنْتُ أُحْتَضرُ . الغزلانُ كلُّها

تبكي حينَ تكونُ على عتبةِ المَوتِ .

في نهايةِ المطافِ وقفَتْ ظبيٌ على ساقيها المرتجفتَينِ ثمّ سارَت إلى البُحَيرَةِ وشربَتِ المَاءَ .

وَضَعَ هَدارةُ ذِراعَهُ حَوْلَ عنقِ الغزالةِ ، لَمْ تعدْ تخافُ منه بلْ سارَتْ معَهُ عِندَما عادَ إلى سربِ النَّعامِ . سارَتْ وتمدّدَتْ على الأرضِ على مسافةٍ قريبةٍ منهم . أخبرَ هَدارةُ عائلتَه بقصّةِ ظبيِ التي خسرَتْ صَغيرَها . لَكِنَّهُ لَمْ يخبرْهم أنّ الصّغيرَ قُتلَ بينَ مخالبِ لبؤةٍ كانَت لا تزالُ بالقُرْبِ مِنَ البُحَيرَةِ . لَمْ يُرِدْ هَدارةُ أنْ يثيرَ قلقَ أفْرادِ عائلتِهِ إذ لَمْ يكنْ ذلكَ ضروريًا .

عِندَما نَهَضَ أفْرادُ السِّربِ في الصّباحِ وجدوا أنّ ظبيًا قد تركَتْهم . عِندَما رأوا آثارَ حوافرِها في الرّمالِ أدركوا أنّها غادَرَت راكضةً بسُرْعَةٍ .

أسئلة الفصل

1 . كانَ هدارةُ يُبَطِّئُ السَّيرَ كُلَّما اقْتَرَبَ مِنَ البُحَيرَةِ . ما السَّبَبُ وراءَ ذلكَ؟

2 . لماذا كانَتْ بعضُ تصرُّفاتِ هدارة تُثيرُ استغرابَ النَّعامِ؟ ما الَّذي يؤكِّدُهُ ذلكَ لكَ كَقارِئٍ؟

3 . اِقْرأ الفِقْرَةَ الَّتي تَصِفُ الغِزلانَ في هذا الفصلِ .

4 . تَحدَّثْ عنِ الغَزالَةِ الَّتي ساعدَها هدارة ، وأَعِدْ سردَ حكايَتِها بِلُغَتِكَ .

5 . في هذا الفصلِ مشهدٌ مؤثِّرٌ جِدًا ، يُحرِّكُ مَشاعِرَ الرَّحْمَةِ والشَّفَقَةِ في القارِئِ ، حدِّدْهُ واقْرَأْهُ عَلى زُمَلائِكَ .

6 . أنقذَ هدارةُ الغَزالةَ ، وأَحَضْرَها معَهُ إلى السِّرْبِ ، لكنَّها غادَرَتْ راكِضَةً في اليومِ التّالي . ماذا تَتَوقَّعُ أنْ يحدثَ لَها؟

7 . ضَعِ التَّراكيبَ الآتيةَ في جُملٍ مِنْ إنْشائِكَ؟

- لهُ لونُ الرَّملِ :
- قاتمةُ اللَّونِ :
- بلونٍ أزرقَ غامقٍ :

8 . ما الوظيفةُ النَّحويَّةُ للكلماتِ الَّتي تحتَها خَطٌّ في الجُمَلِ الآتيةِ؟

- كانَ يختبِئُ **خلفَ** شجرةٍ .
- وينظرُ إلى الغِزلانِ **حينَ** كانَتْ تَأْتي .
- قَبْلَ أنْ يختفي الجَميعُ **خلفَ** الأجَمَةِ .
- اعتادَ هدارةُ أنْ يذهبَ إلى البُحَيرَةِ **يوميًا** .
- كانَ يرقصُ معَ النّعاماتِ **كلَّ** يومٍ .

الفصلُ الثامنَ عشرَ

هُجومُ اللَّبُؤَةِ

كانَ في العُشِّ اثنتانِ وثلاثونَ بَيْضةً ، لكنّ هَدارةَ وبقيّةَ أفْرادِ السِّرْبِ لَم يكونوا على علم بذلك . لَمْ تَكُنْ لدى أيٍّ منهم قدرةٌ على العدِّ . رأوا فقطْ أنَّهُ كانَ في العُشِّ بَيْضاتٌ كَثِيرةٌ ، أكْثَرُ مِنَ المُعتادِ . كانَت ماكو قد جعلَتِ الأنثيَينِ الشّابّتَينِ تضعانِ بَيْضاتِهما في عشِّها أيضًا . لكنّها كانَت ترقدُ فَوْقَ العُشِّ وحدَها في أثناءِ النّهارِ ، بينَما كانَ حوجُ يرقدُ فَوْقَه في أثناءِ ساعاتِ اللَّيلِ .

لم يخسروا بَيضةً واحدةً حتّى الآنَ . كلّما قامَت ماكو مِنَ العُشِّ وتركَتِ البَيضاتِ لتبحثَ عن طَعامٍ لها ، كانَ هَـدارةُ يقومُ بحراسةِ البيضاتِ .

كانَت النّسورُ المصريّةُ تحلّقُ في السماءِ طَوالَ الوقتِ ، ترسمُ دوائرَها الخياليّةَ في الهواءِ . كلّما غادَرَت ماكو العُشَّ كانوا يقتربونَ مِنَ الأرضِ ، وعندَها كانَ هَدارةُ يرمي الحِجارةَ صوبَهم ويلوّحُ بذراعيه حتّى يُغادِروا ثانِيةً .

– أنتَ ابني الأكبَر ، قالَت له ماكو كلَّ يومٍ . أنت ابنُنا الأهمُّ .

البيضاتُ كلُّها ما زالَتْ موجودةً وهذا بفضلِكَ أنت . ستفقسُ البيضاتُ قريبًا وسيخرجُ الصّغارُ إلى الحَيَاةِ .

طيورُ النَّعامِ معتادةٌ على خسارةِ عددٍ كَبيرٍ مِنَ بَيضاتِها .

أمّا الآنَ ، فهُناكَ عدوٌّ لا تكفي حجارةُ هَدارةَ وذراعاه لردعِه .

اللَّبُؤةُ . لقدْ رأى هَدارةُ آثارَ اللَّبُؤةِ بالقُربِ مِنَ البُحَيرَةِ .

أرادَتِ اللَّبُؤةُ أنْ تقومَ بنزهةٍ طويلةٍ هذا اليَوم . كانَت قد نجحَت بإقناعِ صَغيرِها بالبقاءِ داخِلَ الكوّةِ الصخريّةِ التي ولدتهُ فيها . راحَت اللَّبُؤةُ تشتَمُّ رائحةَ الأرضِ حَولَ البُحَيرَةِ . كانَت هُناك رائحةٌ ضعيفةٌ لطيورِ النَّعامِ . لقدْ سبقَ للّبؤةِ أنْ قتلَتْ نَعامَةً مَرّةً واحدةً في السّابقِ . جذبَتْها الآنَ تِلكَ الرّائحةُ . راحَتْ تركُضُ بَعيدًا عنِ البُحَيرَةِ على أقدامٍ طريّةٍ واضعةً أنفَها بمُحاذاةِ الأرضِ . ازدادَتْ رائحةُ طيورِ النَّعامِ . عزمَت على قتلِ واحدٍ منها لتعودَ بها إلى صَغيرِها في العرينِ . عِندَما يشعرانِ بالجوعِ ثانيةً ، ستأخذُ صَغيرَها معَها لتعلِّمَهُ صيدَ النَّعامِ .

كانَ ذلكَ الضُّحى رتيبًا كمعظمِ ضحى الأَيّامِ الأخرى . كانَ هَدارةُ يَنْظُرُ مستلقيًا على بطنِه مُحَدِّقًا إلى سحليّةٍ سوداءَ لها خطوطٌ صفراءُ تزيّنُ ظهرَها . كانَتِ السحليّةُ قد خرجَتْ لتوِّها مِنَ جحرِها . هلْ يحاولُ الإمساكَ بها؟ لَمْ يكنْ لديه رَغْبَةٌ عارمةٌ بصيدِها . السحليّةُ كَبيرةٌ للغايةِ وهدارةُ كانَ يفضّلُ ، ككبارِ طيورِ النَّعامِ ، أكلَ النّباتاتِ على أكلِ اللّحومِ . سارَتِ النَّعاماتُ ترعى في المَكانِ واضعةً رؤوسَها بمُحاذاةِ الأرضِ . ما عدا ماكو التي كانَت ترقدُ فَوْقَ العُشّ . كانَت كعادتِها تراقبُ المَكانَ عن كَثبٍ . وكعادتِها رأتْ عيناها الحادّتا النّظَرِ شَيْئًا ما يَتَحَرَّكُ عن بُعدٍ .

أصدرَتْ ماكو فحيحَ تحذيرٍ للآخرينَ ممّا جَعَلَ النَّعاماتِ الأخرى ترفعُ رؤوسَها وتسوّي أعناقُها .

– أسدٌ ، أشارَت ماكو إليهم ذهنيًّا ففهمَ الجَميعُ أنَّ ماكو كانَت خائفةً .

هربَتِ النَّعاماتُ الصّغيراتُ مذعورةً ، واختفَتْ بخطواتٍ طويلةٍ . وَقَفَ حوجُ وكأنّه تسمّرَ في مَكانِه ، ثمَّ خطا بسُرعَةٍ نَحْوَ العُشِّ . وَقَفَ أمامَ العُشِّ موجِّهًا رأسَه باتِّجاهِ الخطرِ المقتربِ . اللَّبُؤةِ . أرسلَ حوجُ فحيحًا . انتفخَ عنقُه غَضبًا وانتصبَ الرّيشُ الذي كانَ يكسو ذيلَه .

ماذا فَعَلَ هَدارةُ . لا شيء . لَمْ يبحثْ حتّى عنْ حجرٍ يقذفُها به . وَقَفَ كالمشلولِ على ركبتَينِ مرتجفتَينِ . ظهرَتْ في ذهنِه ذِكرى المرّةِ السّابقةِ التي رأى فيها أسدًا هجمَ عَلَيهِ مرسلًا زئيرًا فظيعًا في الهَواء ، بالقُرْبِ مِنَ البُحَيْرَةِ الصّغيرةِ . كانَتِ الجُروحُ التي سبّبتْها مخالبُ الأسَدِ على فخذِه قد شُفيَتِ الآنَ ، لكنّها كانَت ما تزالُ موجودةً كقشورٍ قاسيةٍ ، ممّا جَعَلَهُ يمدُّ يَدَهُ نحوَها بدافعٍ غريزيٍّ . ها هو يرى ذلكَ الحدثُ الرّهيبُ مُجدَّدًا . الرّجُلُ الذي قتلَ الأسَدَ بضربةٍ مِنَ عصاه وقطعَ رأسَه بسكّينٍ طويلةٍ . اختلطَتِ الأمورُ في رأسِه ممّا جَعَلَه يتنفّسُ بعناءٍ . كانَ يصعبُ عَلَيهِ التّنفسُ كلّما شعرَ بخوفٍ حَقِيقيٍّ .

لأوّلِ مرّةٍ لَمْ يقمْ هَدارةُ بأيِّ عَملٍ لحمايةِ عائلته ، سربِ النَّعام .

كانَ يَقِفُ في مَكانِه ، منتصبًا ، سلبيًّا ، مشلولًا ، مستعدًّا للهربِ .

لم تضعِ اللَّبُؤةُ أنفَها بمُحاذاةِ الأرضِ الآنَ . لقدْ رأَتْ طيورَ النَّعامِ وراحَت تتقدّمُ منها زاحفةً على بطنِها الذي كانَ يحاذي الأرضَ . تقدَّمَتْ ببُطءٍ أكثَرَ فأكثرَ . كانَت رائحةُ النَّعامِ قويّةً جِدًّا ومغريةً جدًّا عن هذا البُعدِ .

رأَتِ اللَّبُؤةُ أنّ الأُنْثَى التي كانَت ترقدُ فَوْقَ العُشِّ وقفَتْ في مَكانِها وهكذا اشتمّت رائحةَ البَيضاتِ أيضًا . لكنّها اشتمَّتْ رائحةَ كائنٍ بشريٍّ في الوَقتِ ذاتِه . كانَ يَقِفُ على مسافةٍ قَصيرةٍ مِنَ النَّعاماتِ . أدركَتِ اللَّبُؤةُ في الحالِ أنَّهُ لَمْ يكنْ يحملُ شَيْئًا بينَ يديه ، لذلكَ لَمْ تَشْعُرْ بالخوفِ منه . الكائنُ البشريُّ يشكّلُ خطرًا على الأَسْوَدِ فقط إذا كانَ يحملُ شَيْئًا بينَ يدَيهِ .

تشنَّجَتْ عضلاتُ اللَّبُؤةِ كلُّها حينَ استعدَّتْ للهجوم . لقدِ اختارَتِ النَّعامةَ الكُبرى . ستبدأُ بها وإذا حالفَها الحَظُّ قدْ تحصلُ على النَّعامةِ الأخرى أيضًا .

حدثَ عندَها شيءٌ لَمْ يكنْ بالحسبانِ جعلَها تفقدُ توازنَها . النَّعامةُ الكبرى ، تِلكَ التي كانَتِ اللَّبُؤةُ تنوي قتلَها أوّلًا لتعودَ بها إلى شبلِها في العرينِ ، كانَت تقفُ حتّى الآنَ وتدوسُ الأرضَ بقدمَينِ عصبيّتَينِ . لكنَّها قامَتِ الآنَ بقفزةٍ عظيمةٍ تجاهَ اللَّبُؤةِ ووجَّهَتْ إليها رفسةً قويّةً بقدمِها اليُمنى . اضطرَّتِ اللَّبُؤةُ لأنَّ ترميَ بنفسِها جانبًا . أصابَتْها الرفسةُ قَليلًا في العُنقِ . وها هي النَّعامةُ الأخرى تقتربُ أيضًا . أحسَّتِ اللَّبُؤةُ بأنَّ الهواءَ كانَ مشبعًا برجَفاتِ الغضبِ الخفيّةِ . وجّهتِ النَّعامةُ التي كانَت ترقدُ فَوْقَ البَيضاتِ رفسةً إلى اللَّبُؤةِ كادَت تصيبُ رأسَها لو لَمْ ترمِ هذه بنفسِها إلى الوراءِ . هَجمَ عليها الذَّكرُ قَبْلَ أنْ تنَهَضَ مِنَ مَكانِها تَمامًا ، رفسَها بقدمِه وخدشَها بمخلبٍ طَويلٍ نما على أحَدِ أصابعِ قدمَيهِ . شعرَتِ اللَّبُؤةُ بألمٍ حارقٍ في جنبِها .

ظهرَ في ذهنِها ذكرى حَدَثٍ شهدَتْهُ حينَ كانَت صَغيرةً تعيشُ في

قطيعِ أُسودٍ معَ والدَيها . حَاوَلَ يومَها أسدانِ شابّانِ أنْ يقتلا نَعامَةً ، لكنَّهما قُتلا تَحتَ وطأةِ الرفَساتِ التي وجَّهَتها إليهما النَّعامةُ . تذكّرَتْ أنّها تقدّمَتْ وأمعَنَتِ النّظَرَ في الأَسدينِ القتيلَينِ . كانَتِ النَّعامةُ قدْ مزّقَتْ بطنَيهِما بِوساطةِ مخالِبها الضخمةِ .

زأرَتِ اللَّبُؤةُ مرّةً أخيرةً وعادَتْ أدراجَها راكضةً تِجاهَ البُحَيرَةِ .

كانَ الوقتُ الذي تلا ذلكَ الحدثَ مليئًا بالقلقِ . أرادَت ماكو أنْ يبقى هَدارةُ قريبًا منها ومنَ العشِّ . كأنّها نسيَتْ أنّ هَدارةَ لَمْ يقمْ بأيِّ شيءٍ لحمايةِ العُشِّ ولم يَطْرُدِ اللَّبُؤةَ مِنَ المَكانِ . أحَسَّ هَدارةُ بالخجلِ مِن تصرّفِه ذاكَ ، لَكِنَّهُ لَم يقلْ شَيئًا . لَمْ يقلْ أفْرادُ السِّربِ شَيْئًا أيضًا .

في صباحٍ باكرٍ لأحدِ الأَيّامِ كسرَ الفَرخُ الأوّلُ قشرةَ بَيْضتِه وخرجَ منها . كانَ مخلوقًا حيويًا ، خشنَ الملمسِ ، ملوّنًا . خرجَتْ بعدَه العديدُ مِنَ الأفراخِ تاركةً قشورَ البيضاتِ . حالما زَحفَ الصّغارُ مِنَ تحتِ ريشِ ماكو الذي كانَ يحميهم ، راحوا ينقرونَ الحصى الصّغيرةَ ويبتلعونَها . بدأوا بعدَ مرورِ أَيّامٍ يأكلونَ طَعامًا حَقيقيًا . اصطادَ هَدارةُ الجرادَ ، والديدانَ ، والعقاربَ ، والسّحاليَ ، والفئرانَ وقدّمَها إليهم . حينَ كانَ يعودُ إليهم بفأرٍ صحراويٍّ أو سحليّةٍ كَبيرةٍ ، كانَت ماكو تقطّعُها إلى قطعٍ صَغيرةٍ بِواسِطةِ منقارِها لِيَتَمَكَّنَ الصغارُ مِنَ أكلِها بأنفسِهم .

كانَت طيورُ النَّعامِ تفكّرُ باللَّبُؤةِ . كانَت بالطّبعِ لا تزالُ بالقُربِ مِنَ البُحَيرَةِ . لذلكَ لَمْ يجرؤوا على الذّهابِ إلى هُناكَ للشّربِ . رأى هَدارةُ أنّ طيورَ النَّعامِ التي كانَ عددُها الآنَ ثمانيةَ عشرَ ، تبدو عطشى . تذكّرَ عندَها بَيضاتِ النَّعامِ . كانَ قد ملأ بَيضاتِ نعامٍ بالمَاءِ ، سدَّها بعشبٍ

يابسٍ ودفنَها تَحْتَ الرّمالِ . تذكّرَ المَكانَ الذي دفنَها فيه . جثا على ركبتَيهِ وحفرَ بحثًا عنها بكلتا يديه . عِندَما أمسَكَ بأوّلِ بَيْضةٍ مليئةٍ بالمَاءِ أحَسَّ ببرودتِها . صبَّ بعضَ المَاءِ في نصفِ بَيضةٍ مكسورةٍ . لَمْ يستطعِ الامتناعَ عن الابتسامِ عِندَما رأى الأفراخَ وهي تشربُ .

حاولَ الوَلَدُ أنْ يلعبَ معَ أفراخِ النَّعامِ . رمى عودًا وأرادَهم أن يرْكُضوا خلفَه ويعودوا به إليه . لَمْ يَركضوا خلفَه . خبّأَ نفسَه وأرادَ أن يبحثوا عنه . لكنّهم تابعوا السّيرَ في مَكانِهم ونقْرَ الطّعامِ بمناقيرهم . أخذَهم إلى الكَثيبِ الرَّمْليّ الوحيدِ في الجوارِ . عندَما سارَ أمامَهم رأوه كقائدٍ لهم وساروا خلفَه لكنْ حينَ صعِدَ إلى أعلى الكَثيبِ لَم يتبعوه . ظلّوا واقفين في أسفلِ الكَثيبِ يَنْظُرون إليه . تدحرجَ مِن فوقِ الكَثيبِ . كانَ ذلكَ ممتعًافي نَظَرِه لكن لماذا امتنعَ صغارُ النَّعامِ عن مرافقتِه إلى القمّةِ؟ أمْسَكَ في نهايةِ الأمرِ بأحدِهم . تخبّطَ الفَرْخُ ، حَاوَلَ أن يفلَتَ مِنَ قبضتِه وحاولَ أن ينقرَ يديه بمنقارِه الصّغيرِ ، لكنّ هَدارةَ لَمْ يكترثْ لذلك ، حملَهُ إلى أعلى الكَثيبِ ووَضَعَه على الرَّمْلِ ليتدحرجَ إلى الأسفلَ . تدحرجَ الصّغيرُ كالكرةِ لكنّ ذلكَ أثارَ ذعرَ الآخَرينَ . رَكَضَ الفَرْخُ الذي تدحرجَ والأفراخُ الأخرى جَميعًا عائدينَ إلى والدَيهم .

الرَّكضُ هو الشَّيءُ الممتعُ الوحيدُ في رأيهم . كانوا يركُضون بسُرعَةٍ . مازالَ هَدارةُ قادرًا على اللّحاقِ بهم ، لَكِنَّهُ كانَ على علمٍ بأنّه سيعجزُ عن فعلِ ذلكَ بعدَ أَيّامٍ قلائلَ .

نفدَ المَاءُ الذي كانَ هَدارةُ قد خبّأَه في قشورِ بَيضاتِ النَّعامِ . تمدّدَ الصّغارُ فاتحينَ مناقيرَهم وهكذا فَعَلَ الكِبارُ أيضًا . كانَ الجَميعُ بحاجةٍ

إلى المَاءِ . هَدارةُ كانَ أيضًا بحاجةٍ ماسّةٍ إلى المَاءِ .

قالَ أخيرًا :

– يجبُ أنْ أذهبَ وأجلبَ بعضَ المَاءَ . أخذَ قطعةَ القماشِ التي كانَ يربطُها حَوْلَ وركَيهِ ، جَمَعَ فيها قشرَ بَيضاتِ النَّعامِ الفارغةِ وربطَها على ظهرِه .

سارَ بِبُطءٍ متنشّقًا رائحةَ الهواءِ ، باتِّجاهِ البُحَيْرَةِ . طارَ سربٌ مِنَ الطُّيُورِ عِندَما اقتربَ هَدارةُ مِنَ المَاءِ . أمعنَ النّظَرَ في المحيطِ محرِّكاً رأسَه ، مادًّا عنقَه كَما تفعلُ النَّعاماتُ . لَمْ يرَ ما يسبّبُ له القلقِ ، لَمْ يسمعْ صوتًا يثيرُ مخاوفَه ولم يشمَّ رائحةً غريبةً . تمدّدَ على الأرضِ بحذرٍ وشربَ حتّى ارتوى عطشُه . ملأَ بعدَ ذلكَ قشرَ بَيضاتِ النَّعامِ وأغلقَ فتحاتَها برُزَمٍ مِنَ العشبِ اليابسِ . وَضَعَ البَيضاتِ في قطعةِ القماشِ ثانيةً وربطَها بطَرِيقةٍ مكّنَتْه مِنَ حملِ البَيضاتِ على ظهرِه . شمَّ رائحةَ الهواءِ مِن جديدٍ وأحسَّ فَجْأةً برائحةٍ لَمْ يشُمَّها مِن قَبلُ قَطُّ . تغلّبَ فضولُه على الحَذرِ . بدأَ يتسلّلُ حَوْلَ البُحَيرَةِ بخُطًى حذرةٍ للغايةِ . ثمّ رأى الآثارَ ؛ آثارَ أسدٍ كَبيرٍ . تابَعَ الآثارَ بنَظَرَته دُوْنَ أن يفهمَ ما رأى . فقد انقطعَتْ آثارُ الأسَدِ فَجْأةً بعدَ لقائِها بنوعٍ آخرَ مِنَ الآثارِ ، نوعٍ آخرَ لَمْ يتمكنْ هَدارةُ من فهمِه . آثارُ اللَّبُؤةِ اختفَتْ فَجْأةً ولمْ يبقَ سوى أثرَينِ طويلَينِ متوازيَين . تمدّدَ هَدارةُ على الأرضِ وتنشّقَ رائحةَ هذينِ الأثرَينِ . كانَتْ رائحةً لَمْ يشمَّها مِنْ قَبلُ على الإطلاقِ .

كانَتْ تِلكَ الرائحةُ رائحةَ بنزينٍ . والآثارُ التي لَمْ يتعرّفْها هَدارةُ كانَت آثارًا تركَتْها عجلاتُ سَيّارةِ جيبٍ .

أسئلة الفصل

1 . أَعِدَّ سردَ المشهدِ الّذي يَصِفُ هجومَ اللَّبُؤَةِ على السِّرْبِ ، إلى لَحْظَةِ هروبِها مَذعورَةً .

2 . كانَ موقفُ هدارة مُخيِّبًا للتَّوقُّعاتِ ، ما الَّذي يمكنُ أنْ تبرِّرَ بهِ هذا الموقِفَ؟

3 . وردَ في هذا الفصلِ أنَّ النّعامةَ قادرةٌ على قتلِ الأَسدِ . اِبْحَثْ في هذا الموضوعِ ، واكْتُبْ فِقْرةً تؤيِّدُ ذلكَ أو تَنفيهِ .

4 . في هذا الفصلِ أَيضًا ما يؤكِّدُ أنّ هدارةُ لا ينتمي إلى سربِ النّعامِ ، اقرأ المشهدَ الّذي يؤكِّدُ ذلكَ .

5 . «تغلَّبَ فضولُهُ على الحَذَرِ» ما الَّذي عَرَفَهُ هدارة بفضولِهِ؟

- ضَعْ عِبارةَ «رَغْبَةٌ عارِمَةٌ» في جملةٍ مُفيدَةٍ منْ إنشائِكَ؟

6. "لكنَّها كانَتْ ترقُدُ فوقَ العُشِّ وَحْدَها في أثْناءِ النَّهارِ ، بَينَما كانَ (حوجُ) يرقدُ فوقَهُ في أثناءِ ساعاتِ اللَّيلِ" . في هذهِ الجملةِ كلِماتٌ تؤدّي وظيفَةَ المفعولِ فيهِ . حدِّدْها . ثُمَّ أَعْرِبْها .

7 . ما الجملةُ الّتي تتضمَّنُ مفعولًا لأجلِهِ في الجملِ الآتيةِ؟

أ . راحَتْ تتقدَّمُ منها زاحفةً على بطْنِها .

ب . الكائِنُ البَشرِيُّ يُشَكِّلُ خَطَرًا على الأسودِ .

ت . انتفخَ عنقُهُ غضبًا .

ث . هجمَ عليهِ مُرْسِلًا زَئيرًا فَظيعًا .

8 . مُستعينًا بالسّياقِ ، ما معنى ما تحتَهُ خَطٌّ في عِبارةِ : "ممّا جعَلَهُ يمدُّ يدَهُ نَحْوَها بِدافعٍ **غَريزِيٍّ**"

أ . مَقْصودٌ ب . عَفْوِيٌّ

ت . اِنْتقاميٌّ ث . فُضولِيٌّ

10 . حدِّدِ الشَّخصيّاتِ الّتي تَعودُ إليها الضّمائِرُ المتّصلةُ في عِبارَةِ : "حاوَلَ الوَلَدُ أنْ يلعبَ مَعَ أفراخِ النَّعامِ ، رمى عودًا وأَرادَهُمْ أنْ يرْكُضوا خَلْفَهُ وَيعودوا بِهِ إليهِ ."

أ . أفراخُ النّعامِ/عودًا/عودًا/الولدُ

ب . أفراخُ النّعامِ/الوَلَدُ/عودًا /الولدُ

ت . الولدُ/الولدُ/ أفراخُ النّعامِ/ أفراخُ النّعامِ

ث . أفراخُ النّعامِ/الولدُ/الولدُ/عودًا

11 . عَبِّرْ عنِ الجملتينِ الآتيتينِ بالتَّمثيلِ الصّامِتِ .

- كانَ يقفُ في مكانِهِ مُنْتَصبًا ، سَلْبيًا ، مَشْلولًا ، مُسْتَعِدًّا لِلْهَرَبِ .
- سارَ بِبُطْءٍ مُتَنَشِّقًا رائِحَةَ الهَواءِ .

الفصلُ التاسعَ عشرَ

صَيّادٌ ومُتَحَرٍّ صَحْراوِيٌّ

أنزلَ (لوك أوكونر) جثّةَ الأسَدِ مِنَ الجيبِ . وقعَتِ الجثّةُ على الأرضِ مصدِرةً صوتًا نالَ رضاه . نَظَرَ لوكُ إلى الأسَدِ الأوّلِ في حياتِه الذي كانَ ممدّدًا أمامَ قدمَيهِ . أرادَ الحُصولَ على صورةٍ له برفقةِ الأسَدِ الميّتِ ، وتمنّى أن يجيدَ العربيُّ التعاملَ معَ (الكاميرا) .

– سيدي إبراهيمُ ، تعالَ ، صاحَ (لوك) .

– نعمْ ، أجابَه رجلٌ يلبَسُ جلبابًا أزرقَ سماويَّ اللَّونِ وقد لَفَّ رأسَهُ بِقطعةٍ طَويلةٍ مِنَ القماشِ .

وقفَ الرّجُلُ مِنَ مَكانِه حَيْثُ كانَ يجلسُ مُحَدِّقًا إلى إبريقِ شايٍ يغلي فَوْقَ جمرِ الموقدِ .

– لقد أصبْتُ أسدًا برصاصي ، لبؤةً ، قالَ الصّيادُ متفاخرًا بصوتٍ يشبهُ صوتَ البوقِ . أريدكَ أنْ تصوّرَني معَ الأسدِ .

أسْرَعَ (لوك أوكونر) بالدّخولِ إلى خيمتِه ، فتحَ الصُنْدوقَ المعدنيَّ الذي كانَ يخبّئُ الكاميرا داخلَه . سحبَ الأسَدَ مِنَ ساقَيه حتّى لَمْ يعدْ في خلفيّةِ الصورةِ سوى الصَّحراءِ الخاويةِ . ضبطَ بعدَ ذلكَ الكاميرا وشرحَ

للصحراويِّ ماذا كانَ عَلَيهِ أن يفعلَ ليتمَّ التّصويرُ .

– لا تهزَّ الكاميرا واضغطْ على الزّرِّ ببطءٍ .

أمّا هوَ فعادَ إلى الخلفِ ، سارَ في دائرةٍ حَوْلَ الأسَدِ الميّتِ ، وَضَعَ قدمَه المنتعلةَ جزمةً جلديّةً فَوْقَ الأسَدِ ، وأزاحَ القبّعةَ إلى الخلفِ ليَظهرَ وجهُه في الصّورةِ بوضوحٍ . ثمّ حملَ البندقيّةَ على عرضِ صدرِهِ . ابتسمَ (للكاميرا) وبدا كَما هو ، رجلٌ في السّنةِ الخامسةِ والأربعينَ مِنَ العمرِ ، بوجهٍ غيرِ حليقٍ وعينينِ زرقاوينِ منتفختينِ . كانَ جلدُه متقشِّرًا عندَ الأنفِ وتحتَ الإبطينِ .

– يمكنُكَ أنْ تضغطَ الزِّرَّ الآنَ .

كانَ العَرَقُ يتصبّبُ في عينيه ممّا اضطرّهُ إلى مسحِ وجهِه بكمِّ قميصِه بينَ صورةٍ وأخرى .

– مرّةً أخرى ، ولا تنسَ أن تمسكَ بالكاميرا جيّدًا حتّى لا تهتزّ .

جعلَ (لوك أوكونر) سيدي إبراهيمَ يصوِّرُه فلمًا كاملًا معَ أسدِه الأوّلِ . مع كلِّ صورةٍ غيّرَ طَريقةَ حملِه للبندقيّةِ لَكِنَّهُ احتفظَ بموقعِ قدمِه خَلْفَ رأسِ الأسدِ . عِندَما نفدَتِ الصّورُ مِنَ الفلمِ دخلَ (أوكونرُ) إلى خيمتِهِ ، أحضرَ فلمًا جديدًا وَراحَ يصوّرُ اللَّبُؤةَ الميّتةَ عن قُربٍ . عِندَما انتهى مِنَ التّصويرِ كانَ قدِ استعملَ ثلاثةَ أفلامٍ كاملةً . كانَ فخورًا جِدًّ لأنّهُ لَمْ يحتجْ لأكْثَرَ مِنَ ثلاثِ طلقاتٍ لقتلِها .

سيدي إبراهيمُ ، الدليلُ ومتقصّي الآثارِ ، قالَ بصوتٍ منخفضٍ إنَّ الشّايَ كانَ جاهزًا للشّربِ . لَمْ يوافقْ (لوك) على أن يجلسَ مقرفصًا بالقُربِ مِنَ الموقدِ بلْ طلبَ مِنَ الصّحراويِّ أن يأتيَ بطاولتِه الصّغيرةِ

وكرسيِّه مِنَ داخِلَ الخيمةِ . جلسَ هُناك وَراحَ يتمتّعُ بمنظَرِ اللَّبُؤةِ الميّتةِ بينَما جلسَ الصّحراويُّ مقرفِصًا قرْبَ الموقدَ وشَرِبَ الشّايَ . عِندَما انتهيا مِنَ شربِ الشّايِ وَضَعَ (لوك أوكونر) الكاميرا في أحَدِ الصّناديقِ المعدنيّةِ ، أقفلَهُ ووَضَعَ مفتاحَه في جيبِه . كانَ يَعلَمُ بأنَّه لا يمكنُه أنْ يضعَ ثقتَه بأيٍّ مِنَ النّاسِ هنا لأنَّهم كانوا ، في نَظَرِه ، بارعينَ بالسّرقةِ كالغربانِ . هذا أمرٌ يعرفُه الجَميعُ ، قالَ (لوك أوكونر) لنفسِه . استغرقَ سلخَ جلدِ اللَّبُؤةِ طَوالَ بعدِ الظّهرِ . سيدي إبراهيمُ هو الذي قامَ بتلك المهمّةِ بينَما كانَ الصّيادُ يجلسُ على كرسيِّه بالقُرْبِ منه يعطيه التعليماتِ ، كانَ الحرُّ لا يُطاقُ . كانَ مبلّلًا تمامًا بالعَرقِ لَكِنَّهُ لَمْ يتمكّنْ مِنَ الدّخولِ إلى خيمتِه ، وتركَ تِلكَ المهمّةَ الصّعبةَ على عاتقِ العربيِّ وَحدَه . إنَّهُ أسدُه الأوّلُ . كانَ ينوي على تحنيطِ اللَّبُؤةِ حالَ عَودَتِه إلى بلدِه . ستصبحُ اللَّبُؤةُ المحنّطةُ أَوَّلَ تذكارِ صيدٍ أفريقيٍّ يمتلكُه . هذا إذا تَمَكَّنَ مِنَ الاحتفاظِ بها . إذْ إنّ عُرفَها كانَ قاتمَ اللّونِ وأقدامَها ضخمةٌ . لهذا كانَ يظنَّ أنَّ اللَّبُؤةَ تنتمي إلى فصيلةِ الأسَدِ الأطلسيِّ الذي كانَ منقرضًا تقريبًا . إذا كانَت اللَّبُؤةُ أسدًا أطلسيًا بالفعلِ كَما كانَ يأملُ ، سيتمكّنُ مِنَ بيعِها بمبلغٍ باهظٍ إلى أحَدِ المتاحفِ أو إلى شخصٍ يحبُّ جمعَ هذه التذكاراتِ في الولاياتِ المتّحدةِ الأمريكيّةِ .

– هذه اللَّبُؤةُ أمٌّ لشبلٍ صَغيرٍ ، قالَ الصّحراويُّ . كانَت هذه هي المرّةَ الأولى التي ينطقُ بها بأمرٍ ما تطوّعًا منذُ أنْ وظّفَه (لوك أوكونر) في خدمتِه كمتقصٍّ للآثارِ ودليلٍ في عاصمةِ موريتانيا .

– لها شبلٌ صَغيرٌ توقّفَ حديثًا عنِ الرّضاعةِ ، تابَعَ الصّحراويُّ .

– أعلمُ ذلك ، قالَ (لوك أوكونر) كاذبًا . كانَ غاضبًا مِنَ نفسِه بعضَ الشَّيْءِ لأنّهُ لَمْ يفكّرْ بذَلِكَ الاحتمالِ . يمكنُ للمرءِ التأكّدُ مِنَ ذلكَ إذا ألقى نَظَرَةً على حلماتِ اللَّبُؤةِ . لَكِنَّهُ أحَسَّ بالسّعادةِ في الوقتِ ذاتِه . لَمْ يكنْ هدفُه مِن هذه الرّحلةِ قتلَ الحَيَواناتِ فقطْ ، بل كانَ يريدُ أن يأسرَ بعضَها وهي ما تزالُ على قَيدِ الحَيَاةِ . لبؤةٌ ميّتةٌ وشبلٌ على قَيْدِ الحَيَاةِ . لا بأسَ بهذا على الإطلاقِ . إذا كانَ الشّبلُ ينتمي إلى فصيلةِ الأَسودِ الأطلسيّةِ ، سيتمكّنُ مِنَ بيعِه إلى إحدى حدائقِ الحَيَواناتِ المختصّةِ بالحَيَواناتِ المعرَّضةِ للانقراضِ . خمّنَ أنّ عمليَةً كتلك ستعوّضُ له تكاليفَ رحلتِهِ الاستكشافيّةِ هذه بأكملِها .

أظهرَ سيدي إبراهيمُ براعةً فائقةً في سلخِ اللَّبُؤةِ وتحضيرِ رأسِها لكنّ ذلكَ لَمْ يثرْ استغرابَ (لوك) . الأمرُ الذي أثارَ استغرابَه هو أنّ سيدي إبراهيمَ لَمْ يتصبّبْ عرقًا . كانَ (لوك) مبلّلًا تَمامًا بالعرقِ الذي سالَ مِنْ جسمِه مما اضطرَّه لدخولِ الخيمةِ وتغييرِ كلِّ ملابسِه مِنَ البللِ ؛ مِنَ الملابسِ الداخليّةِ حتّى القميصِ .

لم ينتهِ الصّحراويُّ مِنَ عملِهِ إلّا قُبيلَ المغربِ . أمرَه الأمريكيُّ برميِ اللّحومِ التي تبقّتْ مِنَ جسدِ اللَّبُؤةِ في مؤخّرةِ الجيبِ .

– سنضعُ اللّحمَ في المَكانِ الذي قتلتُها فِيهِ لأنَّ ذلكَ سيجلبُ كَثِيرًا مِنَ الحَيَواناتِ إلى هُناك . نفعلُ دائمًا هكذا في مونتانا . لقدِ اصطدْتُ المئاتِ مِنَ الثعالبِ بهذه الطّريقةِ . سأطلقُ النّارَ على الحَيَواناتِ التي تأتي لتجعلَ مِنَ لَحْمِ اللَّبُؤةِ وليمةً لها . ثمّ سنبحثُ عنِ الأسَدِ الصّغيرِ . أحضرَ الفخَّ مِنَ الخيمةِ ووضَعَه في السَّيّارةِ .

قفزَ (لوك أوكونر) وجلسَ خَلفَ المقودِ ، وبجانبِه جلسَ سيدي إبراهيمُ . ظلَّ سيدي إبراهيمُ صامتًا بينَما قادَ (لوك) الجيبَ فَوْقَ تضاريسِ الأرضِ المتعرّجةِ . كانَ الجيبُ يقفزُ هنا ويخضخضُ هُناك . ربَّما قادَ (لوك) بسُرْعَةٍ أكبَرَ ممّا يجبُ ، لَكِنَّهُ لَمْ يكترثْ لذلكَ في يومٍ كهذا .

– توقّفَ ، تمتمَ الصّحراويُّ . عِندَما توقّفَ الجيبُ نزلَ سيدي إبراهيمُ مِنَ المقعدِ الأماميِّ وانْحَنى فَوْقَ بَعْضِ الآثارِ الموجودةِ على الأرضِ . عِندَما عادَ إلى مَكانِه قالَ بصوتٍ منخفضٍ كعادتِه :

– ثمانيةٌ مِنَ الجِمالِ . ثلاثةٌ منها ذكورٌ . الباقي إناثٌ . مرّوا مِنْ هنا البارحةَ متوجّهينَ غَربًا . أحَدُ الرّجالِ كانَ سائرًا على قدمَيه . إنَّهُ رجلٌ لا يؤدّي صلواتِه الخمسةَ للّهِ سبحانَهُ وتعالى .

انفجرَ (لوك) بالضّحكِ . هذا أغربُ شيءٍ سمعَهُ في حياتِه . تذكّرَ حينَها أنّ الجَميعَ قالَ له في أطارَ وفي نواكشوطَ ، عاصمةِ موريتانيا أنَّهُ إذا أرادَ أنْ يعثرَ على متقصٍّ للآثارِ ما عَلَيهِ سوى أن يوظّفَ سيدي إبراهيمَ لحسابِه ؛ لأنّهُ لا يوجدُ أبرعُ منه في الصَّحراءِ الغربيّةِ بأكملِها .

– لا بدَّ أنّك تتخيّلُ الآنَ ، لأنّهُ لَيْسَ بقدرةِ أحَدٍ أن يرى أثرَ إنسانٍ ما ويعرفَ ما إذا كانَ يؤدّي صلواتِه أم لا .

– أنا أقدْرُ على معرفةِ ذلك ، قالَ سيدي إبراهيمُ باختصارٍ .

التزمَ الرّجُلانِ بالصّمتِ إلى أن رَفَعَ الصّحراويُّ يَدَهُ وأشارَ إلى اليمينِ . توقّفَ (لوك أوكونر) بسُرْعَةٍ . خرجَ متقصّي الآثارِ مِنَ السّيارةِ مجدّدًا ، سارَ مسافةً بسيطةً وَراحَ يَنْظُر إلى شيءٍ ما في الرَّمْلِ . تبعَه (لوك) إلى هُناك . كانَ هُناك أثرُ حَيَوانٍ مِنَ فصيلةِ الأيلِ .

– إنها آثارُ غزالٍ ، بل هي آثارُ غزالةٍ . لكنّها في مَكانٍ بَعيدٍ الآنَ . لقدْ مَرَّت راكضةً مِنَ هنا في الصّباحِ الباكرِ .

لم يضحكْ (لوك) بصوتٍ عالٍ هذه المرّةَ بالرّغمِ مِنَ الرّغْبَةِ التي اجتاحَتْه بفعلِ ذلك . حينَ ضَحِكَ في المرّةِ الماضيةِ تسبّبَ بجرحِ مشاعرِ دليلِه الصّحراويّ . لقد لاحظَ ذلك . لذلكَ أرادَ أنْ يكونَ أكْثَرَ لطفًا الآنَ . لَكِنَّهُ كانَ يضحكُ في أعماقِه . يا لها مِنَ ادّعاءاتٍ سخيفةٍ . لقدِ اصطادَ كَثيرًا مِنَ الأيلِ والألكةِ في بلادِه وكانَ يَعلَمُ تَمامًا أنّ الآثارَ لا تفشي عمّا إذا كانَ الحَيَوانُ ذكرًا أم أُنثَى .

عِندَما عادا إلى الجيبِ ، شعرَ بأنّ سيدي إبراهيمَ قد أثارَ فضولَه بالفعلِ .

– عِندَما سألْتُ عنْ متقصّي آثارٍ في عاصمةِ موريتانيا ذكرَ الجَميعُ اسمَك . حتّى أنّ البعضَ قالَ إنَّك تحرٌّ صحراويّ . أذكرُ أنّهم تحدّثوا عن مدرسةٍ لكنّي لَمْ أفهمْ ماذا كانوا يقصدونَ .

– نعمْ ، أنا تحرٌّ صحراويٌّ ، في الحقيقةِ ، قالَ سيدي إبراهيمُ بصوتٍ بدا أكثَرَ سعادةً . لقد وجدْتُ حلًّا لكَثيرٍ مِنَ القضايا . بلْ وجدْتُ حلًّا لِما لا يقلُّ عن 118 قضيةً ، حتّى أكونَ دقيقًا فيما أقولُ . لكنّ موضوعَ المدرسةِ بدأَ هذه السّنةَ . خطرَ لي أنّ العيشَ في المدينةِ مُسلٍّ أكْثَرَ مِنَ التّجوالِ في الصَّحراءِ . لذلكَ عملْتُ كحارسٍ في مدرسةٍ . كانَ قد سبقَ للمعلّمينَ بأكملِهم أنْ سمعوا عنّي . كانَ الجَميعُ يعرفونَ أنّني تحرٌّ صحراويٌّ بارعٌ . عِندَما تسلّمَ مديرٌ جديدٌ العملَ في المدرسةِ أخبروه عنّي لَكِنَّهُ قال : أنا لا أصدّقُ ذلك .

لم أكنْ أعلمُ شَيْئًا عنِ الأمرِ . كانَت المدرسةُ كَبيرةً جدّاً تقعُ في أحَدِ أطرافِ المدينةِ . أرادَ المعلّمونَ أنْ يثبتوا للمديرِ أنّني تحرٌّ صحراويٌّ بارعٌ ، أحضروا جردلين ، ملأوهما بالرَّملِ وطلبوا مِنْ معلمتَينِ أنْ تتركَ كلٌّ منهما أثرَ قدمِها على الرَّمْل . نادوني بعدَ ذلك . كانَ المديرُ واقفًا وبدَتْ عَلَيهِ معالِمُ الشّكِّ . رأيتُ في الحالِ طبعًا لَمَنْ كانَتِ الآثارُ تنتمي ولفظتُ اسمَ كلٍّ مِنَ المعلّمتينِ .

ضحكَ المديرُ كَما فعلْتَ أنتَ اليَومَ ، وقالَ إنَّ هذا أمرٌ لا يتطلّبُ كَثيرًا مِنَ الاحترافِ . لا بدَّ أنّني تعرّفْتُ على الآثارِ التي تركَها حذاءا المعلّمتينِ .

كانَ عددُ تلاميذِ المدرسةِ سبعَمئةٍ . حتّى يَنْجَحَ المعلمونَ في إقناعِ المديرِ بمهارتي كتحرٍّ صحراويٍّ طلبوا إلى تلميذٍ أن يخلعَ حذاءَه ويتركَ أثرَ قدمَيه في الرَّمْلِ . عِندَما فَعَلَ التلميذُ ذلكَ نادَوا عليَّ .

هذه آثارُ قدمَي مَن؟ سألوني باختصارٍ .

قلتُ لهم إنّها آثارُ قدمَي ولدٍ . أظنُّ أنّ له مِنَ العمرِ حوالي الثماني سنواتٍ . إنَّهُ ولدٌ أبيضُ اللّونِ ، وهذا أمرٌ غيرُ عاديٍّ هنا ، وأذناه كَبيرتانِ . يمكنُني أنْ أشيرَ إليه حينَ يأتي موعدُ الفُرصةِ .

ثمَّ أشرْتُ إليه في أثناءِ الفرصةِ .

اقتنعَ عندَ ذلكَ المديرُ الجديدُ .

– حسنًا ، أخبرْني عن إحدى القضايا التي حللْتَها ، قالَ الصّيادُ :

– أكثَرُ القضايا التي حللْتُها تتعلّقُ بجِمالٍ مسروقةٍ . عِندَما أرى آثارًا لحوافرِ جملٍ معيّنٍ يمكنُني تعرّفُها إذا رأيْتُها فيما بعدُ . ما عليَّ سوى

أنْ أتّبعَ تِلكَ الآثارَ حتّى أجدَ الجملَ المفقودَ . عِندَما كنْتُ في عاصمةِ موريتانيا وقَعَتْ سرقةٌ في محلٍّ لبيعِ المُعدّاتِ المعدنيّةِ ليلًا . كانَ اللّصُّ قد دخلَ إلى المَحلِّ عبرَ نافذةٍ وغادَرَه مِنَ ذاتِ النّافذةِ بعدَ أن وَجَدَ المالَ . وجدْتُ تَحتَ النّافذةِ أثرًا واضحًا لنعلِ حذاءٍ . دعَتِ الشرطةُ ثلاثةَ تحرّيّينَ صحراويّينَ ، اثنينِ مِنْ موريتانيا وأنا ثالثَهما .

نَظَرَ التحرّيُّ الأوّلُ إلى أثرِ الحِذاءِ وقالَ إنَّ اللّصَ أسمرُ اللّونِ .

نَظَرَ التّحري الثّاني إلى الأثرِ وقالَ : إنَّهُ عاملٌ حرفيٌّ .

خلالَ ذلكَ الوقتِ تجمّعَ كَثِيرٌ مِنَ النّاسِ حَوْلَ الشّرطةِ وحولَنا لأنَّ المَحلَّ كانَ بجوارِ السُّوقِ . عِندَما أتى دوري نَظَرَت إلى الأثرِ وقلْتُ :

لماذا لا تقبضونَ على اللّصِّ؟ إنَّهُ الرّجُلُ ذو الملابسِ الزرقاءِ اللّونِ ، الواقفُ هُناك .

ألقَتْ الشّرطةُ القبضَ على الرّجُلِ ذي الملابسِ الزّرقاءِ . عِندَما استجوبوه اعترفَ فعلًا بالسّطوِ على الدّكانِ .

– إنَّها قصصٌ مسليّةٌ ، قالَ الصّيادُ . سأقصُّها على أصدقائي حينَ أعودُ إلى مونتانا . لكنّي لا أؤمنُ بكلمةٍ مِنَ كلِّ ما أخبرتني به . كيفَ يمكنُ إدراكُ أمورٍ مثلِ جنسِ الحَيَوانِ ، فتفرّقُ بين الذّكرِ والأُنْثَى ، وكيفَ تعرفُ إذا كانَ صاحبُ الأثرِ يقومُ بصلواتِه أم لا؟

– لا يمكنُني تفسيرُ ذلكَ تفسيرًا مقنعًا ، قالَ سيدي إبراهيمُ بجديّةٍ فائقةٍ . إنَّها موهبةٌ لديّ منذُ الولادةِ . هذا أمرٌ لا يمكنُ تعلُّمُه . أرادَ كَثِيرونَ أنْ يتعلّموا ذلكَ منّي لكنّي أقولُ لهم دائمًا : هذا أمرٌ لا يمكنُني أنْ أعلّمَكم إيّاه . عِندَما أرى أثرًا ما أرى الحَيَوانَ أو الإنسانَ الذي تركَه أمامي بكلِّ

وضوحٍ . إذا رأيْتُ وجهَ إنسانٍ ما أرى إذا ما كانَ متزوجًا أم أعزبَ ، وأرى إذا كانَ مسلمًا صالحًا أم لا . هذا كلُّ ما في الأمرِ .

لم يعدْ باستطاعةِ (لوك أوكونر) أن يضبطَ نفسَه . تدفّقَتْ منه تِلكَ الضحكةُ الصّاخبةُ التي كانَ قد حبسَها في أعماقِه منذُ وقتٍ طويلٍ . كانَت ضحكةً كَبيرةً تعدي مِنْ يراها ، وتجعلُه يرغبُ في الضّحكِ أيضًا ، لكنّ سيدي إبراهيمَ لَمْ يفهمْها بهذه الطّريقةِ . اسْتَمَرَّ الصّيادُ بالضّحكِ حتّى سالَ خيطٌ مِنَ اللّعابِ على ذقنِه . لفّ سيدي إبراهيمُ قطعةَ القماشِ السوداءَ بشدّةٍ حَوْلَ رأسِه ، نَظَرَ إلى الأمامِ ولمْ ينطقْ بشيءٍ بعدَ ذلك .

تخضخضَ الجيبُ وقفزَ فَوْقَ الأجمةِ والحصى والوديانِ الصّغيرةِ . لَمْ يصعبْ على (لوك أوكونر) إيجادُ الطّريقِ . ما كانَ عَلَيهِ سوى أن يتبعَ الأثرَ الذي تركَتْه عجلاتُ سيّارتِه في وقتٍ سابقٍ . عِندَما وَصَلَ إلى المَكانِ الذي أطلقَ فِيهِ النّارَ على اللَّبُؤةِ أوقفَ السَّيّارةَ ، وطلبَ إلى سيدي إبراهيمَ أنْ يُخرِجَ اللّحمَ مِنَ السَّيّارةِ ويرميَه على الأرضِ . حملَ الصّيادُ الفخَّ بِنَفسِهِ مِنَ السَّيّارةِ . وَضَعَ بعدَ ذلكَ طُعمًا في الفخِّ ، قطعةً كَبيرةً مِنَ اللّحمِ ثمّ وَضَعَهُ في مَكانٍ قريبٍ . أمّا هو فقدِ انسحبَ واختبأَ خَلْفَ تلٍّ صَغيرٍ ممدّدًا على بطنِه . تَمَكَّنَ مِنَ رؤيةِ كومةِ اللّحمِ بوضوحٍ مِنَ فسحةٍ بينَ نبتتَينِ .

ثمّ حشا بندقيتَه بالرّصاصِ .

هكذا سيقضيان اللَّيلَ في هذا المَكانِ . كانَ (لوك أوكونر) يعرفُ أنّ حَيَواناتِ الصَّحراءِ تنشطُ في أثناءِ اللَّيلِ . وكانَ يَعلَمُ أيضًا أنَّ القمرَ سيشعُّ في أثناءِ اللَّيلِ وينيرُ له المَكانَ لِيَتَمَكَّنَ مِنَ تصويبِ طلقاتِه .

بدأَتِ الشّمسُ تنخفضُ باتِّجاهِ الأفقِ ممّا جَعَلَ الحرَّ والضَّوءَ السّاطعَ يختفيانِ شَيْئًا فشَيْئًا . هكذا بدأَ (لوك أوكونر) يستعدُّ للانتظارِ الطّويلِ . أمِلَ أنْ يتمكّنَ مِن صيدِ حَيَوانٍ آخرَ في أثناءِ اللَّيلِ القادمِ أيضًا . لكنَّ أمنيتَه الأقوى كانَت أن يصيدَ الشّبلَ الصّغيرَ في الفخِّ الذي نَصبَه . لَمْ يكنْ ينوي قتلَه بلْ كانَ يريدُ أن يمسكَ به وهو على قَيْدِ الحَياةِ .

رأى (لوك) سيدي إبراهيمَ عِندَما ركعَ على ركبتَيه وَصَلى صلاةَ المغربِ موجّهًا وجهَه تِجاهَ القِبلةِ في مكّةَ المكرّمةَ . عِندَما انتهى مِنَ صلاتِه جلسَ في السَّيّارةِ وأقفلَ البابَ بصوتٍ عالٍ .

أسئلة الفصل

1 . يمكنُ القولُ إنَّ الصّيّادَ (لوك أوكونر) يتَّصفُ بالقَسْوةِ والجَشَعِ وعدمِ مُراعاةِ الآخَرينَ . حدِّدِ الفِقْراتِ الّتي تدلُّ على هذهِ الصِّفاتِ ، واقرأْها على زُمَلائِكَ .

2 . سِيْدي إبراهيمَ مُتَحرِّرٌ صَحراوِيٌّ ، لكنَّهُ قدْ يكونُ فريدًا لا يشبِهُهُ أَحَدٌ في هذهِ المسألَةِ . اِشْرَحِ السَّبَبَ .

3 . هلْ تَرى أنَّ هذا الأمرَ ممكنٌ في الواقعِ ، أمْ أنَّهُ مُجَرَّدُ خيالِ روائيٍّ . تَناقَشْ مَعَ زُمَلائِكَ .

4 . كيفَ يمكنُ أنْ تصفَ شعورَ سِيْدي إبراهيمَ تِجاهَ الصَّيّادِ؟ هَلْ هُناكَ دليلٌ على ذلكَ منَ النَّصِّ؟

5 . ضَعْ عِبارَةَ "على عاتِق "في جُمْلَةٍ مُفيدَةٍ منْ إنشائِكَ؟

الفصلُ العشرونَ

نانابولوكا

رأى هَدارةُ عن بُعدٍ غيمةً مِنَ الغربانِ . كانَتِ النّسورُ المصريّةُ تحلّقُ بدوائرَ في السماءِ ترقُبُ شيئًا ما على الأرضِ . أدْرَكَ هَدارةُ بفعلِ الغريزةِ أنّ عَلَيهِ أنْ يعودَ مِنَ حَيْثُ أتى . شعرَ بأنّ عَلَيهِ أنْ يهربَ راكضًا لكنّ شيئًا ما شدَّه إلى متابعةِ سيرِه نَحْوَ ذلكَ المَكانِ .

حينَ تخافُ نَعامَةٌ ، تحاولُ أنْ تجعلَ نفسَها خفيّةً قدْرَ ما تستطيعُ لذلكَ تتمدّدُ وتضعُ رقبتَها بمُحاذاةِ الأرضِ .

تمدّدَ هَدارةُ على الأرضِ ورَفَعَ رأسَهُ بحذرٍ لَكِنَّهُ لَمْ يرَ كَثِيرًا ، سوى أنَّ أسرابَ الغربانِ والنّسورِ حطَّتْ على الأرضِ وغابَتْ عنْ ناظرَيه . وَقَفَ على يدَيهِ وساقَيه وَراحَ يحبو إلى الأمامِ . أحَسَّ بالخوفِ لسببٍ غامضٍ . أحَسَّ بأنّ شعرَ رقبتِه وذراعيه وَقَفَ مِن تلقاءِ نفسِه . منعتهُ بعضُ النّباتاتِ مِنَ الرّؤيةِ . لَكِنَّهُ اشتمَّ الرّائحةَ الكريهةَ قَبْلَ أن يزيحَ النّباتاتِ جانبًا . عِندَما تَمَكَّنَ مِنَ الرّؤيةِ وَجَدَ حَيَوانًا ميّتًا على الأرضِ تغطّيه أسرابٌ مِنَ الطُّيُورِ المنهمكةِ بتناولِ ما تبقّى مِنَ لحمِه .

لم يكنْ في ذلكَ المنظَرِ أيُّ جديدٍ .

لقد سبقَ لهَـدارةَ أن رأى الموتَ مرارًا . سالَ عنه الخوفُ وكأنّه قطراتٌ مِنَ المَاءِ ، فانتصبَ واقفًا بكاملِ طولِه ومشى باتّجاهِ جيفةِ الحَيَوانِ . عِندَما وَقَفَ طارَتِ الطُّيُورُ واختفَت واحدًا تلوَ الآخَرِ . آخرُ مَنْ غادَرَ المَكانَ هوَ سربٌ مِنَ الذّبابِ .

كادَت رائحةُ العفنِ الكريهةُ تجعلُه يتقيّأُ . رغمَ ذلكَ تابَعَ سيرَه إلى الأمامِ . أثارُ المنظَرُ الذي رآه استغرابَه . لَمْ يرَ سوى اللّحمِ . قطعٌ مِنَ اللّحمِ . لَحْمُ لَحَيَوانٍ ميّتٍ لكن لَمْ يكنْ هُناك أثرٌ للفروِ أو للرّأسِ . لَمْ يكنْ هُناك سوى لَحْمٍ قد دَبَّ فِيهِ التعفّنُ . لَحمٌ وأمعاءٌ . نَظَرَ إلى الآثارِ الموجودةِ في المَكانِ فرأَى أنّ بعضَ بناتِ آوى كانَت هُناك وأكلَتْ في أثناءِ اللّيلِ . لَكِنَّهُ لَمْ يُدْرِك السّببَ الذي جعلَها تغادرُ المَكانَ . لا تتركُ بناتُ آوى الفريسةَ عادَةً إلا عِندَما ينفدُ لحمُها تَمامًا . لا بدَّ أن شيئًا ما دبَّ الذّعرَ فيها ، لكنْ ماذا يا تُرى؟ خافَ للمَرَّةِ الثانيةِ في ذلكَ اليَوْمِ . لقد فكّرَ بالأسدِ بالطّبعِ . لا بدَّ أنّ الأسَدَ في الجوارِ . نَظَرَ هَدارةُ حولَه . اشتمَّ رائحةَ الهواءِ . حَدَّقَ إلى الآثارِ وأدركَ أنّ الأسَدَ لَمْ يقتربْ مِنَ جيفةِ الحَيَوانِ .

لكنّه رأى الآثارَ الطويلةَ المستقيمةَ مرة أخرى .

ما الذي خَلْفَ هذه الآثارَ يا تُرى؟

بالقُربِ مِنَ الآثارِ المستقيمةِ كانَت هُناك آثارٌ خلّفَها كائنانِ بشريّانِ .

أصابَه الذّعرُ ثانيةً وكانَ أعظمَ في هذه المرّةِ . رَكَضَ هَدارةُ هاربًا لَكِنَّهُ فَعَلَ كَما تفعلُ الأرانبُ عِندَما تكونُ مذعورةً ، أيْ تركضُ في هذا الاتّجاهِ تارةً وتارةً بذاكَ . حَاوَلَ أنْ يقلّدَ النّعاماتِ فيجعلَ نفسَه خفيًا قدْرَ المُستطاعِ ولذَلِكَ كانَ يَركُضُ وهوَ مقرفِصُ السّاقَينِ . هذا ما جَعَلَهُ يَرْكُضُ على غيرِ

هدَى إلى أن رَكَضَ باتِّجاهِ شيءٍ كَبيرٍ مربعِ الشّكلِ . آذى ذلكَ الشَّيْءُ أصابعَ قدمَيه . أرسلَ الألمُ برقًا في جَميعِ أنحاءِ جسدِه ، وجعلَه يَشْعُرُ بإرهاقٍ مفاجئٍ عجيبٍ . لكنّ الصّوتَ كانَ أفظعَ . كانَ صوتًا رنّانًا أتى مِن داخلِ الصُنْدوقِ سبّبَه وقوعُ شيءٍ ما في الدّاخلِ .

خطا هَدارةُ خُطوةً إلى الوَراءِ ورأى شَيْئًا كَبيرَ الحَجمِ له شِباكٌ معدنيّةٌ ، وكانَت في داخلِه قطعةُ لَحْمٍ كَبيرةٌ . رأى هَدارةُ آثارًا لكائناتٍ بشريّةٍ حَوْلَ ذلكَ الشَّيءِ العجيبِ .

رَكَضَ هَدارةُ مُبْتَعِدًا عن ذلكَ الشَّيْء المعدنيِّ وقطعةِ اللّحمِ التي كانَت في داخلِه .

أرادَ أنْ يعودَ إلى السِّرْبِ لَكِنَّهُ اختارَ طَريقًا جديدةً لعَودَتِه . لقد قرّرَ أن يسيرَ في طَريقٍ قوسيٍّ واسعٍ حَوْلَ البُحَيرَةِ الصّغيرةِ .

تمكّنَ (لوك أوكونر) مِنَ اصطيادِ إحدى بناتِ آوى في أثناءِ اللّيلِ . لَمْ يكنْ في الحقيقةِ يَعلَمُ ما هي الفائدةُ مِنَ ذلك . ما نفعُه مِنَ بناتِ آوى؟ لَمْ تشكّلْ بناتُ آوى تذكاراتِ صيدٍ قَيّمةً ، لَكِنَّهُ قد يستفيدُ مِنَ اللّحمِ فيستعملُه كطُعمٍ يستدرجُ بهِ الشّبلَ الصّغيرَ . أرادَ فعلًا أنْ يمسكَ بالشّبلِ وهو على قَيدِ الحَياةِ . بعدما نَهَضَ مِنَ نومِه العميقِ بعدَ سهرِه الطّويلِ عندَ جيفةِ اللَّبُؤةِ ، طلبَ إلى سيدي إبراهيمَ أنْ يجلسَ هو الآخَرُ ، ثمّ قادَ السَّيّارةَ مغادرًا بها المَكانَ .

قادَ إلى مَكانٍ يبعدُ عن مَكانِ الجيفةِ والفخِّ ، صعِدَ فَوْقَ سقفِ السَّيّارةِ ووَضَعَ مِنظارًا أمامَ عينيهِ . كانَتْ جيفةُ اللَّبُؤةِ مُغطّاةً تَمامًا بالطُّيُورِ . حينَ استَدارَ ونَظَرَ باتِّجاهِ المنخفَضِ الذي كانَ يفصلُ بين مرتفعينِ ، والذي

وَضَعَ فِيهِ الفخِّ سابقًا ، رأى أنّ البوّابةَ قدْ سقطَتْ مِنَ مَكانِها! لقد أحكمَ الفخُّ قبضتَهُ على شيءٍ ما .

قفزَ (لوك) بمرونةٍ مِنَ ظهرِ الجيبِ ، أمْسَكَ بالبندقيّةِ وحلَّ أمانَها وهو راكضٌ باتِّجاهِ الفخِّ . تمنّى أن يكونَ الشبلُ هو الذي عَلِقَ في الفخِّ ، وأن يكونَ شبلًا مِن فصيلةِ الأَسْوَدِ الأطلسيّةِ .

توقّفَ فَجْأةً عِندَما رأى القَفَص .

كانَ القَفَصُ خاويًا .

ما زالت قطعةُ اللّحمِ في داخلِه لكنّ البوّابةَ كانَت مُقفلةً .

هُناك آثارٌ تركها كائنٌ بشريٌّ حَوْلَ القَفَصِ .

–هيا ، أسْرَعْ ، تعالَ ، صرخَ (لوكُ) آمرًا سيدي إبراهيمَ الذي كانَ يسيرُ بِبُطءٍ فَوْقَ المرتفعِ .

أشارَ الصّيادُ إلى الآثارِ وقالَ :

– ما هذا؟

– إنسانٌ حافي القدمينِ ، قالَ متقصّي الآثارِ .

– يمكنُني رؤيةُ ذلكَ بنفسي . أريدُكَ أنْ تخبرَني بالمزيدِ . ما هو شكلُه؟ هل له أذنانِ كَبيرتانِ؟ هلْ يؤدّي صلواتِه بانتظامٍ؟ هلْ هو متزوّجٌ؟

ظلَّ سيدي إبراهيمُ صامتًا .

– قلْ شَيْئًا ما . لقد سبقَ وتفاخرْتَ بأنّكَ حينَ ترى أثرًا ترى الإنسانَ الذي تركَه وكأنّه يَقِفُ أمامَك .

– ليسَ هذه المرّةَ ، قالَ سيدي إبراهيمُ باختصارٍ ، ثمّ عادَ وجلسَ في السَّيّارةِ .

فتحَ الصّيادُ بوّابةَ القَفَصِ ، بدّلَ قطعةَ لَحْمِ اللَّبُؤةِ كريهةِ الرّائحةِ بقطعةٍ طازجةٍ مِنَ لَحْمِ بناتِ آوى ، ونصبَ الفخَّ مجدّدًا . في المرّةِ القادمةِ ستقفلُ البوابّةُ في اللّحظةِ التي يدخلُ فيها حَيَوانٌ ما القَفَصَ .

رَكَضَ هَدارةُ ركضًا متعرّجًا إلى أنْ كادَ يفقدُ قدرتَه على التّنفّسِ . لقد وَصَل إلى منطقةٍ صخريّةٍ تقعُ إلى الجنوبِ مِنَ البُحَيرَةِ الصّغيرةِ . لا يمكنُ الرَّكضُ في هذا المَكانِ . تَسَلّقَ الصّخرَ وتذكّرَ ذلكَ الجبلَ العظيمَ الذي وجدَه بمغاراتِه المغطّاةِ برسومِ لطيورِ النَّعامِ وحَيَواناتٍ مجهولةٍ لها أعناقٌ طويلةٌ . تذكّرَ المغارةَ التي كانَت تغطّي سقفَها وجدرانَها رسومٌ وآثارٌ لأيدٍ بشريّةٍ حمراءِ اللّونِ .

هل يوجدُ مغاراتٌ هنا أيضًا؟ نَظَرَ في شقٍّ صخريٍّ وتفاجأَ حينَ رأى حَيَوانًا . كانَ الحَيَوانُ صَغيرًا يكسوه الفروُ . لَمْ يَتَحَرَّكِ الحَيَوانُ الصّغيرُ مِنْ مَكانِهِ . هلْ هوَ شبلٌ ميّتٌ؟ أذهلَتْهُ الفكرةُ وجعلَتْه يحسُّ بالشّللِ . إذا كانَتْ أمّه اللَّبُؤةُ بالقُرْبِ مِنَ هُناك فستكونُ هذه نهايةُ هَدارةَ . كانَ قد تعلّمَ هذه القاعدةَ عن حياةِ الحَيَواناتِ : الحَيَواناتُ جَميعُها تصبحُ غايةً في الخَطرِ حينَ يكونُ لديها صغارٌ .

وأكْثرُ الحَيَواناتِ المفترسةِ خطرًا هي أُنثَى الأسدِ .

بدأَ ينسحبُ مِنَ المَكانِ ببطءٍ . سارَ إلى الوراءِ خطوةً بعدَ الأخرى . في اللَّحظَةِ التي خرجَ فيها مِنَ الشّقِّ الصخريِّ وَصَلَتْه مِنَ الشّبلِ إشارةٌ ذهنيّةٌ .

الرّسالةُ الذهنيّةُ التي أرسلَها الشّبلُ هي :

-أُمّي ، أُمّي ، أُمّي . . .

اسْتَمَرَّ هَدارةُ في السّيرِ إلى الوَراءِ . حَاوَلَ أن يتنقّلَ دُوْنَ إحداثِ أدنى

صوتٍ . إذا أتت اللَّبُؤةُ فستكونُ هذه نهايتَه . لكنّ الشّبلَ يُحتَضَرُ . أدْرَكَ الآنَ إشارةً أخرى أرسلَها الشّبلَ :

– ماءْ .

رَكَضَ هَدارةُ باتّجاهِ البُحَيرَةِ . كانَ يَنظُرُ حولَه بحذرٍ طَوالَ الوقتِ . كانَ قد وَضَعَ نصفَ قشرةِ بَيْضةٍ عندَ شاطئِ البُحَيْرَةِ . كانَ يستعملُها حينَ يَشرَب . ملأَ القشرةَ بالمَاءِ وعادَ بها . عادَ متسلّلًا مشتمًّا رائحةَ الهواءِ . الذُّعرُ الذي أصابَه حينَ انقضَّ عَلَيهِ الأسَدُ لَمْ يفارقْهُ بعدُ . رغمَ ذلكَ تابَعَ سيرَه باتّجاهِ الشِّقِّ الصّخريِّ . كانَت عيناه جاحظتَينِ بسببِ الخوفِ . رغمَ كلِّ ذلكَ دخلَ إلى الفجوةِ الصّخريّةِ ، رَفَعَ الشّبلَ الصّغيرَ مِنَ مَكانِه ووَضَعَ قشرةَ البَيضَةِ تَحْتَ أنفِه . رأى هَدارةُ أنّ الأسَدَ الصّغيرَ الذي كانَ بينَ يديه هو لبؤةٌ صَغيرةٌ . لَمْ تشربْ اللَّبُؤةُ الطّفلةُ . رَفَعَ هَدارةُ قشرةَ البَيضَةِ إلى أن غطّسَ أنفَها في المَاءِ . لَمْ يكفِ هذا لجعلِ اللَّبُؤةِ الصّغيرةِ تفتحُ فمَها . كانَت تتنفّسُ أنفاسًا قَصِيرةً قويّةً . فكّرَ هَدارةُ عندَها بنفسِه ، بالذي يَفْعَلُهُ حينَ يعاني مِنَ العَطشِ . حينَ يعاني هو مِنَ العطشِ ، يضعُ عندَها إبهامَه في فمِه . غطّسَ الآنَ إبهامَه بالمَاءِ ووَضَعَه في فم اللَّبُؤةِ الصّغيرةِ .

بدأَتْ تمتصُّ إبهامَه .

غطّسَ هَدارةُ إصبعَه بالمَاءِ ثانيةً .

امتصَّتِ اللَّبُؤةُ إبهامَه مجدَّدًا .

عِندَما غطّسَ أنفَ اللَّبُؤةِ في المَاءِ ثانِيةً ، بدأَتْ تشربُ . شربَتْ كلَّ ما

كانَ هُناكَ مِن ماءٍ وراحَتْ تخرخرُ .

– أنا هَدارةُ ، قالَ هَدارةُ بطَرِيقَتِه الذّهنيّةِ في التَّحَدُّثِ معَ الآخَرينَ . كانَ على وشكِ أن يَقُولَ إنَّهُ نَعامَةٌ لكنَّه امتنعَ عن ذلك .

هو لَيسَ نَعامَةً حَقِيقيّةً في الواقِعِ .

– أنا نانابولوكا ، أجابَتْه اللَّبُؤةُ الصّغيرةُ . أمّي مختفيةٌ . لَسْتُ أدري ما الذي يمنعُها عنِ العودةِ إليّ .

– هلْ أنتِ جائعةٌ؟

– نعمْ ، أنا جائعةٌ جدًا . أمّي تأتيني بالطّعامِ عادةً ، لكنّي أستطيعُ أنْ أصطادَ بنفسي . لقدْ علّمَتْني أُمّي ذلكَ . أستطيعُ أنْ أصطادَ بنفسي الفئرانَ الصّحراويّةَ ، والأرانبَ والطُّيُورَ .

– ماذا عنِ السّحالي السّوداءِ الضّخمةِ؟

– طعمُها لذيذٌ .

– أعْرِفُ مَكانًا فِيهِ كَثِيرٌ مِنَ أوكارِها .

وهكذا سارَ هَـدارةُ نَحْوَ البُحَيرَةِ الصّغيرةِ برفقةِ اللَّبُؤةِ الصّغيرةِ نانابولوكا . كانَت تردّدُ اسمَ أمِّها بحزنٍ لكنّها شربَتِ المَاءَ حتّى ارتوَتْ . عِندَما أراها هَدارةُ الفتحاتِ الصغيرةَ التي سبّبتها السّحالي السوداءُ في الرَّمْلِ تعاونا على حفرِ بَعْضِ أوكارِ السّحالي فتمكّنتَ اللَّبُؤةُ الصّغيرةُ مِنَ صيدِ إحداها ثمّ التهمَتْها .

بعدَ الطّعامِ والشَّرابِ صارَ لديها رَغْبَةٌ في اللَّعِبِ . راحَتْ تعضُّ أصابعَ هَدارةَ برفقٍ . عندَها بدأَ يسيرُ باتِّجاهِ عُشِّ النَّعامِ ، رَفَعَ عصًا صَغِيرةً مِنَ الأرضِ فعضّتْ عَلَيهِ اللَّبُؤةُ وتبعَتْهُ . عِندَما وَصَلا إلى الكَثيبِ الرَّمْليِّ

الذي رفضَ صغارُ النَّعامِ أنْ يتَسَلّقوه ويتدحرجوا مِنَ أعلاه ، تَسَلّقَه هَدارةُ راكضًا فلحقَتْ به اللَّبُؤةُ الصّغيرةُ . أخيرًا وَجَدَ هَدارةُ رَفيقًا يُشَارِكُه اللَّعِبَ .

تشوّقَ لأنْ يعرِّفَ عائلَتَه على اللَّبُؤةِ الصّغيرةِ لدرجةِ أنَّهُ نَسِيَ الهَلَعَ الذي تَشْعُرُ به طيورُ النَّعامِ تجاهَ الأَسْوَدِ . كَما نَسِيَ أنّ لديها أفراخًا صَغِيرةً تخشى عليها الآنَ . مهما كانَ الأسَدُ صَغِيرَ السّنِّ إلا أنّه يَستَطيعُ أن يقتلَ فَرْخَ نعامٍ ويلتهمَه ببساطةٍ . لقد أحضرَ هَدارةُ صديقتَه الجديدةَ إليهم دُوْنَ أن يفكّرَ بالعواقبِ . رأى عندَ وصولِه أنّ البابا حوجًا كانَ معَ الأفراخِ بينما كانَت الماما ماكو راقدةً في العشّ .

في اللَّحظَةِ التي رأَتْ فيها ماكو اللَّبُؤةَ الصّغيرةَ نَهَضَتْ مِنَ مَكانِها بسُرعَةٍ .

سارَتْ مُبْتَعِدةً عنِ العُشِّ وتظاهرَتْ بأنّها جريحةٌ حتّى تجذبَ انتباهَ اللَّبُؤةِ الصّغيرةِ إليها وتنسيَها البَيضاتِ في العشِّ . سارَتْ تعرجُ وسحبَتْ أحَدَ جناحَيها الضَّخمينِ خلفَها وكأنّه مكسورٌ . مالَتْ برأسِها قليلًا ، نَظَرَتْ خِفيّةً إلى اللَّبُؤةِ الصّغيرةِ وعرجَتْ داخلةً دغلًا مِنَ النّباتاتِ والشُّجيراتِ . تظاهرَتْ بأنّها سحبَتْ جناحَها بعناءٍ أكبَرَ .

في الوقتِ ذاتِهِ رَكَضَ الذكرُ حوجُ إلى الجهةِ المعاكسةِ . كانَ يَرْكُضُ كمركبٍ يبحرُ بعكسِ الرِّيحِ فيميلُ إلى هنا تارةً وتارةً إلى هُناك . رَكَضَ بخطواتٍ سريعةٍ جِـدًّا في البدايةِ ثمّ توقّفَ ، خفضَ رأسَـه ، رفرفَ بجناحَيه . كانَ يدفعُ تسعةَ عشرَ فَرْخًا أمامَه .

ضحكَ هَدارةُ في أعماقِه . يا لسخافةِ أبوَيهِ اللّذينِ ينتميانِ إلى فصيلةِ النَّعامِ . شعرَ بضحكةٍ طويلةٍ في داخلِه لكنّها بقيَتْ ضحكةً صامتةً . كانَ

مظهرُهما مثيرًا للضّحكِ حقًّا .

جلسَ هَدارةُ على الأرضِ فجلسَتْ اللَّبُؤةُ الصّغيرةُ فَوْقَ ركبتَيه وراحَتْ تعضُّ أصابعَه برفقٍ . لَمْ تجرؤِ النَّعاماتُ على الاقترابِ منهما . لَمْ يعودوا إلى هَدارةَ إلّا بعدَما رَكَضَتِ اللَّبُؤةُ عائدةً إلى عرينِها داخِلَ الشقِّ الصّخريَ .

أظهرَ حوجٌ وماكو وبقيّةُ أفْرادِ السِّرْبِ سُخطَهم على هَدارةَ . قاموا بشيءٍ لَمْ يقوموا به في السّابقِ قطُّ ، إذ حَاوَلوا أنّ يعضّوه بمناقيرِهم القاسيّةِ . أدْرَكَ هَدارةُ أنَّهُ ارتكبَ خطأً لن يسامحوه عَلَيهِ أبدًا . لَمْ ينمْ في اللَّيلِ تَحْتَ جناحِ إحدى النَّعاماتِ بل نامَ وحيدًا على مسافةٍ منهم ، ساندًا ظهرَه إلى جذعِ شجرةٍ .

كانَ يَشعُرُ بالوَحدةِ طَوالَ اللَّيلِ .

أسئلة الفصل

1 . اِقْرَأ المشهدَ الَّذي يصوِّرُ حالةَ هدارة حينَ أصابَهُ الذُّعْرُ بعدَ رؤيَةِ آثارِ الأقْدامِ البَشريَّةِ .

2 . كيفَ تَصِفُ موقِفَ سِيدي إبراهيمَ منَ الصَّيّادِ في هذا الفَصلِ؟ اُذْكُرْ دليلًا منَ النّصِّ على ما تقولُ .

3 . مَوْقِفُ هدارة معَ الشِّبْل (نانابولوكا) يُشْبِهُ موقِفَهُ معَ الغَزالةِ (ظَبي) ، ويختلفُ عنهُ في آنٍ . اُذْكُرْ فيما يتشابَهُ الموقِفانِ؟ وفيما يَخْتلِفانِ؟

وعَلامَ يدلّانِ؟

4 . كانَ تصرُّفَ (ماكو وحوج) عندَ رُؤْيتِهما لِلشِّبْلِ غَريبًا لكنَّهُ مُبرَّرٌ جِدًّا . اِقْرأْ المَقْطَعَ الَّذي يصِفُ هذا التَّصَرّفَ ، واذْكُرْ ما تَبْريرُهُ .

5 . كانَتْ ليلةُ هدارةَ في نهايةِ هذا الفصلِ مُختلفَةً تمامًا عنْ كلِّ لياليهِ الَّتي قَضاها معَ النّعامِ . اكتبْ واصِفًا ليلتَهُ تلكَ ، وشارِحًا سبَبَ اختلافِها .

6 . أَعْرِبْ (شَفويًا) الكلماتِ الَّتي تحتَها خَطٌّ فيما يَأْتي :

- «لَمْ يَنَمْ في اللّيلِ **تحتَ** جَناحِ إِحْدى النَّعاماتِ ، بَلْ نامَ **وَحيدًا** على مَسافَةٍ مِنْهُمْ ، **سانِدًا** ظَهْرَهُ إلى جِذْعِ شَجَرَةٍ . كانَ يَشْعُرُ بَالوَحْدَةِ **طَوالَ** اللَّيلِ»

الفصلُ الواحدُ والعشرونَ

أَسيرٌ

نَهَضَ جَميعُ أفْرادِ السِّربِ جَميعًا عندَ الفجرِ ، نفضوا أَجْنِحتَهم وبدؤوا يأكلونَ . لَمْ يوجِّهْ أيٌّ منهم نَظَرَه إلى هَدارةَ .

قال هَدارةُ ليجعلَ والدَيه بمزاجٍ أفضلَ :

– يمكنُني أنْ آخذَ الأفراخَ إلى البُحَيْرَة ليَشْرَبوا . لقدْ كبُروا وصاروا قادرينَ على السّيرِ إلى هُناك .

لم يتخلّصْ الوالدانِ مِنَ القلقِ الذي أصابَهما بعدَ الذي حدثَ أمسِ ، عِندَما أتاهم هَدارةُ باللَّبُؤةِ . ماذا سيفعلُ بعدَ ذلك؟ قد يقومُ بِعَمَلٍ أكْثَرَ حماقةً مِنَ عملِ أمسِ . لذلكَ قرّرَ حوجٌ وماكو أن يرافقا الصّغارَ عِندَما يتركون الجوارَ الذي يقعُ فِيهِ العُشُّ إلى البُحَيْرَةِ للمَرَّةِ الأولى في حياتِهم .

تتعلّمُ أفراخُ النَّعامِ كلَّ شَيءٍ عبرَ تقليدِ كُلِّ ما يَفْعَلُهُ الكِبارُ . وعِندَما سارَ الكِبارُ في طابورٍ إلى البُحَيرَةِ سارَ الصّغارُ خَلْفَهُم في صفٍّ طويل . عِندَما وَصَلوا إلى البُحَيرَةِ وسارَ الكِبارُ في المَاءِ ، فَعَلَ الصّغارُ بالمثلِ . عِندَما شربَ الكِبارُ ، شربَ الصّغارُ كذلك . أخفضوا رؤوسَهم نَحْوَ المَاءِ ، سوّوا

أعناقَهم حتّى يتمكّنوا مِنَ بلعِ المَاءِ ثمّ عادُوا وغطّسوا رؤوسَهم في المَاءِ ثانيةً .

الوحيدُ الذي لَمْ يكرّرْ ذلكَ العملَ هو هَدارةُ الذي رمى بِنَفسِهِ في المَاءِ وَراحَ يسبحُ نَحوَ وسطِ البُحَيْرَةِ . عِندَما وَصَلَ إلى الوسطِ رأى أنّ أحَدَ صغارِ النَّعامِ لَمْ يَقِفْ في الماءِ ليَشْرَبَ كَما فَعَلَ الآخَرونَ ، بلْ راحَ يسيرُ حَوْلَ البُحَيرَةِ وكأنّه عزمَ على الوُصُولِ إلى هدفٍ ما . وَصَلَ الفَرْخُ إلى الجِهةِ الأخرى وبدأَ يسيرُ باتِّجاهِ المَكانِ الذي كانَ فِيهِ لَحمٌ ، وحيثُ كانَ هَدارةُ يعرفُ أنّ المئاتِ مِنَ الحَيواناتِ والطُّيُورِ المُفْتَرِسةِ قد تجمّعَتْ .

جدّفَ هَدارةُ بيديه وساقَيه إلى أن وَصَلَ إلى الشَّاطِئِ . كانَ يَعلَمُ تَمامًا أنَّهُ يمكنُ أن تكونَ هُناك ضِباعٌ وبناتُ آوى بالقُرْبِ مِنَ اللّحمِ . كَما كانَت هُناك أسرابٌ مِنَ الغربانِ والطُّيُورِ الضّخمةِ الأخرى التي تقتلُ أفراخَ النَّعامِ عادَةً وتأكلُها . أحَسَّ هَدارةُ بالألمِ في معدتِه بسببِ القلقِ الذي اعتراه . نَمَلَتْ يداه حينَ رَكَضَ لإنقاذِ الفَرْخِ . أمْسَكَ بحجرينِ كَبيرينِ ، كلٌّ واحدٍ في يدٍ وتابعَ الرّكضَ .

كانَتِ الأرضُ المحيطةُ ببقايا اللّحمِ مليئةً بالطُّيُورِ كَما في الأمسِ تَمامًا . رمى هَدارةُ الحجارةَ فطارَتْ أسرابُ الطُّيُورِ زاعقةً بغضبٍ . غيرَ أنّ فَرْخَ النَّعامِ لَمْ يتوقّفْ ، بلْ تابَعَ الرَّكضَ عبرَ المَكانِ ورَكَضَ بِسُرعَةٍ أكبَرَ عِندَما صعِدَ التّلَّ في الجهةِ المقابلةِ . رَكَضَ هَدارةُ وراءَه . رأى في أعلى التّلِّ آثارًا بشريّةً وقارورةً فارغةً مِنَ الزّجاجِ ، لَكِنَّهُ لَمْ يُدْرِكْ ما هيَ ، ثمّ رأى فَرْخَ النَّعامِ يستمرُّ بالرَّكْضِ تجاهَ القَفَصِ الذي رآه هوَ بالأمسِ .

القَفَصُ عبارةٌ عن فخّ ، لكنَّ هَدارةَ لَمْ يُدْرِكْ ذلك .

رَكَضَ الفَرْخُ ودخلَ القَفَصَ عبرَ الفتحةَ لأنَّ رائحةَ اللّحمِ الموجودِ

هُناك كانَت شهيّةً . عِندَما دخلَ الفَرْخُ القَفَصَ أطبقَتْ خَلْفَهُ البوّابةُ الصغيرةُ مُحدِثةً صوتًا مزعجًا .

شدَّ هَدارةُ بوّابةَ الصُنْدوقِ لَكِنَّهُ لَمْ يتمكّنْ مِنَ إخراجِ فَرْخِ النَّعامِ مِنَ داخِلِه . كانَ الفَرْخُ أسيرًا خَلْفَ شبكةٍ غليظةٍ . أخرجَ رأسَه عبرَ فتحاتِ الشبكةِ مذعورًا . وَقَفَ هَدارةُ بجانبِه مفكِّرًا دونَ أن يتمكّنَ مِنَ معرفةِ ما كانَ يجبُ عَلَيهِ فعلُه . وَصَلَ إلى مسمعِه صوتُ هديرٍ مِنَ بَعِيد جَعَلَهُ يرتعشُ ثمّ يبتعدُ عنِ المَكانِ وينبطحُ على الأرضِ . عِندَما صَمَتَ الهديرُ رأى هَدارةُ رجلينِ يصعدانِ إحدى التِّلالِ . كانَ أحدهُما ضخمًا ينتعلُ حذاءً مِنَ الجلدِ بينما كانَ الآخرُ يرتدي ملابسَ فَضفاضةً وينتعلُ صندلًا .

رفعَ الرّجُلانِ الصُنْدوقَ الذي كانَ فِيهِ فرخُ النَّعامِ وحملاه معًا .

حملاه إلى الجيبِ وغادَرا المَكانَ .

لم يرَ أحَدٌ منهما الوَلَدَ العاريَ الطويلَ الشّعرِ وهو يلحقُ بهما راكضًا . كانَ الجيبُ سائرًا بسُرْعَةٍ ممّا جَعَلَ الوَلَدَ يتأخّرُ عنه كَثِيرًا . لكنّ الوَلَدَ رأى آثارَ الجيبِ واشتمَّ الرائحةَ التي ما لبثَ يبعثُها . ظلَّ يَرْكُضُ خَلْفَ الجيبِ دُونَ تردّدٍ . كانَت غيمةُ رملٍ حمراءَ ترافقُه .

كانَ الصيّادُ (لوك أوكونر) سعيدًا جِدًّا بما جناه ذلكَ اليَوْمَ . لَمْ يَنْجَحا في صيدِ أسدٍ صَغِيرٍ ، هذا صحيحٌ ، غيرَ أنّ فَرْخَ نعامٍ حيٍّ لَيْسَ أسوأَ مِنَ الأسَدِ بكَثِيرٍ . لا يصعبُ عَلَيهِ بيعُ نَعامَةٍ صحراويّةٍ على قَيْدِ الحَيَاةِ . أوقفَ الجيبَ أمامَ الخيمةِ ودارَ حَوْلَهُ ثمّ فتحَ الأبوابَ الخلفيّةَ لِيَتَمَكَّنَ مِنَ إنزالِ القَفَصِ وفَرْخِ النَّعامِ مِن مؤخّرَتِه . تساءلَ ماذا عَلَيهِ أنْ يفعلَ حتّى

يبقيَ فَرْخَ النَّعامِ على قَيدِ الحَيَاةِ . بالرغمِ مِنْ أنَّهُ لَمْ يرغبْ بالإفصاحِ عن جهلِه بهذا الأمرِ سألَ سيدي إبراهيمُ :

– ماذا سنطعمُه؟

فتحَ الرّجُلُ قليلُ الكلامِ بابَ القَفَصِ ، أمْسَكَ بفَرْخِ النَّعامِ بكلتا يديه ثمّ وَضَعَهُ على الأرضِ . ربطَ حَبلًا حَوْلَ ساقِ الفَرْخِ . ثمّ ربطَ بعدَ ذلكَ الطّرفَ الآخَرَ للحبلِ بإحدى دعائمِ الخيمةِ . بعدَ فَتْرَةٍ قَصيرةٍ بدأَ الفَرْخُ ينقرُ طَعامَه مِنَ الأرضِ . نقرَ بعضَ الحجارةِ أوّلاً ثمّ شدَّ ببَعْضِ الجذورِ مِنَ الأرضِ وَراحَ يأكُلُ مِنَ دغلٍ أوراقًا خضراءَ .

جلسَ (لوك أوكونر) على كرسيِّهِ ومدَّ ساقَيه إلى الأمامِ ، وطلبَ إلى سيدي إبراهيمَ أنْ يبدأَ بتحضيرِ الطّعامِ . كانَ قدِ اصطادَ غَزالةً في اللَّيلةِ الماضيةِ ، ولهذا راحَ دليلُه الصّحراويُّ يعدُّ وجبةَ طَعامٍ تتألّفُ مِنَ الشّايِ والأرزِّ ولحمِ الغَزالِ . تناولا طَعامَ العشاءِ . ظلَّ الصيّادُ جالسًا في كرسيِّه متأمِّلًا القمرَ الذي صعدَ في الأفقِ وكأنّه أسطوانةٌ مسطّحةٌ مِنَ النُّورِ كَسَتِ المَكانَ بضوئِها الأبيضِ .

فرشَ سيدي إبراهيمُ سجّادةً حمراءَ فَوْقَ الرّمالِ وتمدّدَ لينامَ . غطّى جسدَه ورأسَه بقطعةِ قماشٍ ثمّ غفا . تصاعدَ بعدَ ذلكَ الشخيرُ مِنَ صوبِ السّجادةِ الحَمراءِ . غفا الصّيّادُ أيضًا وهو جالسٌ على كرسيِّه . الوحيدُ الذي لَمْ ينمْ هو فَرْخُ النَّعامِ . كانَ واقفًا يشدُّ ويشدُّ الحبلَ المربوطَ حَوْلَ ساقِه ليتخلّصَ منه . كانَتِ النارُ ما تزالُ مشتعلةً ورمَتْ شعاعَها الأحمرَ فَوْقَ المخيّمِ الصّغيرِ .

هذا هو المنظَرُ الَّذي رآه هَدارةُ المُنهكُ دُوْنَ أن يُدْرِكَ ماذا كانَ يرى . رأى

الجيبَ . رأى الرّجُلَ الغريبَ النائمَ في كرسيّه وفمُه مفتوحٌ جزئيًا . رأى ما يشبهُ الصُّرَّةَ مكومّةً فَوْقَ السجّادةِ الحمراءِ وسطَ الرَّمْلِ . رأى جلدَ لبؤةٍ كَبيرةٍ معلقًا على أحدِ جوانبِ الخيمةِ . رأى فَرْخَ النَّعامِ لَكِنَّهُ توقّفَ فَجْأةً عِندَما رأى النّارَ . رأى هَدارةُ النّارَ كَم هي دافئةً ، منيرةً وحيّة . أدْرَكَ أنَّهُ رأى شَيْئًا مثلَها مِن قَبْلُ فأسْرَعَ إليها ومدَّ يَدَهُ فيها . انتفضَ هَدارةُ بسببِ الألمِ الذي أصابَه فقلبَ طاولةً رأسًا على عَقِبٍ فنَهَضَ الرّجُلُ الذي كانَ ينامُ على الكرسيِّ ورأى ولدًا طَويلَ الشَّعرِ واقفًا أمامَ النارِ . رأى الصَّيادُ الوَلَدَ الذي وَجَّهَ إليه فحيحًا مليئًا بِالغَضَبِ يَحمِلُ فَرْخَ النَّعامِ ويَهرُبُ به بَعيدًا عنْ ذلكَ المَكانِ .

حاولَ الصَّيادُ اللَّحاقَ به حتّى غَلَبهُ الإرهاقُ فَوْقعَ على الأرضِ وغفا حَيْثُ كانَ .

أسئلة الفصل

1 . ما الحدثُ الّذي أدّى إلى انكشافِ أمرِ هدارةَ لِلصَّيّادِ؟

2 . عَلامَ يدلُّ إِصْرارُ هدارةَ على اللَّحاقِ (بالجيبِ) كلَّ هذهِ المسافةِ الطَّويلةِ؟

3 . في هذا الفصلِ وَصْفٌ جَميلٌ للقمرِ . اقرأ المقطعَ الَّذي وردَ فيهِ هذا الوَصْفُ .

4 . اكتبْ وصفَكَ الخاصَّ للقمرِ كما تَراهُ مِنْ شُرْفَةِ مَنْزِلِكَ .

5 . ما الجملةُ الَّتي تتضمّنُ مثنًّى مَنْصوبًا في الجملِ الآتيةِ؟

أ . رَفَعَ الرّجلانِ الصُّنْدوقَ .

ب . رَأَى هدارة رَجُلَينِ يَصعدانِ إحْدى التِّلالِ .

ت . نَمَّلَتْ يداهُ حينَ ركضَ لإنقاذِ الفَرْخِ .

ث . أَمْسَكَ بفرخِ النَّعامِ بِكِلْتا يَدَيهِ .

الفصلُ الثّاني والعشرونَ

الهَـــــرَبُ

لم يسبقْ لهـدارةَ أن رَكَضَ هذه المسافةَ الطويلةَ قَطُّ . حملَ فَرْخَ النَّعام في حِضنهِ لكنَّ رأسَ النَّعام كانَ متدليًا وكأنَّ لا حياةَ فيه . تمنّى هَدارةُ مِن كلِّ قلبهِ أنْ يكونَ الفَرْخُ على قَيْدِ الحَيَاةِ . كلُّ ما رآه خلالِ السّاعاتِ الأخيرةِ دارَ في رأسِه الآنَ كعاصفةٍ رمليّةٍ . آلمتهُ يدُه كأنَّها ما زالَتْ تَحترقُ . لَمْ يسبقْ له أن تذوّقَ ألمًا مُرًّا كهذا . كانَت الجِراحُ التي تركَتْها مخالبُ الأسَدِ فَوْقَ فخذِه لا تُذكَرُ مُقارنةً معَ الألمِ الذي شعرَ به الآنَ .

تكرّرت أحداثُ الساعاتِ الأخيرةِ مرّةً تلوَ الأخرى في ذهنِه . فَرْخُ النَّعام في القَفَصِ الذي حُملَ إلى السَّيّارةِ التي غادَرَت المَكانَ في الحال . هو الذي رَكَضَ خَلْفَ السَّيّارة إلى أن كادت رئتاه أن تنفجرا . ثمّ الخيمةُ التي رآها والتي لَمْ تَكُنْ مهجورةً مثل الخِيامِ التي رآها في السّابق . كانَت هذه الخيمةُ خَضراءَ اللونِ . كانَ إنسانٌ يجلسُ أمامَها نائمًا على كُرسيِّه . تَذَكَّرَ الهَلَعَ الذي أصابَه عِندَما رأى جلدَ اللَّبُؤةِ معلّقًا على أحدِ جوانبِ الخيمةِ ، وأدركَ أنَّهُ جلدُ أمِّ اللَّبُؤةِ الصّغيرةِ نانابولوكا . كانَت أمُّها ميّتةً

إذنْ . كانَ هَدارةُ على قناعةٍ تامّةٍ بأنَّ الذي قتلَها هو الرّجُلُ الذي كانَ يجلسُ فَوْقَ الكرسيِّ . أرادَ هَدارةُ في تِلكَ اللّحظةِ أن يَرْكُضَ عائدًا إلى ذلكَ المَكانِ ، لَكِنَّهُ رأى فَرْخَ النَّعامِ وغيّرَ رأيَه . لَمْ ينمِ الآنَ بلْ كانَ واقفًا يشدُّ الحبلَ الذي كانَ مربوطًا حَوْلَ ساقِه . راحَ ينظرُ حولَه والحزنُ يعلو ملامحَه . رأى عندَها ذلكَ الكائنَ الآخَرَ ، الضخمَّ المُشِعَّ . كانَت نارًا ملتهبةً تنشرُ الدفءَ مِنَ حولِها وأدركَ أنَّهُ قد رأى شبيهًا لها في الماضي البعيدِ . ملأَتْهُ رؤيةُ ذلكَ الشَّيءِ الكَبيرِ الملتهبِ بسعادةٍ غامضةٍ فاقتربَ منها وشعرَ الحرَّ يتدفقُّ صوبَه . مدَّ يَدَهُ ليمسكَ بذَلِكَ الشَّيْءِ الدافِئِ . المفاجأةُ التي أصابَتْه ، خيبةُ الأملِ والألمِ الذي كانَ حادًّا لدرجةٍ جعلتهُ يصرخُ من أعماقِه .

ما تذكّرهُ بعدَ ذلك ، بعدَ الألمِ الذي ما لبثَ يعاني منه هو صورةُ الرّجُلِ الذي بدأَ ينَهَضُ مِنَ مَكانِه . أرسلَ هَدارةُ فحيحًا في وجهِ الرّجُل و رَكَضَ تجاهَ فَرْخِ النَّعامِ ، حملَه في حضنِهِ ورَكَضَ إلى عُمقِ الصَّحراءِ في اللّحظَةِ التي بانَ فيها القمرُ وغسلَ كلَّ شيءٍ بنورٍ أبيضَ .

لا يمكنُ الاختباءُ تَحْتَ هذا النورِ .

يجبُ أن يتابعَ مَسيرَهُ .

رَكَضَ هَدارةُ طالما كانَت لديه القدرةُ على الرّكْضِ . عِندَما نفدَ الهواءُ مِن رئتَيه تهاوى إلى الأرضِ . نَظَرَ إلى يدِه ورأى أنّ جلدَها احترقَ مما جَعَلَهُ يرى لحمَها العاريَ الأحمرَ اللّونِ . لكنَّ المشكلةَ الكُبرى هي فَرْخُ النَّعامِ . كانَ ممّدًا بينَ يدَيه بلا حَرَكَةٍ . هلْ ماتَ يا تُرى؟ أم أنّه يتظاهرُ بذلك؟ لأفراخِ النَّعامِ طَرِيقةٌ تحمي بها نفسَها عادَةً إذا أحْدَقَ بها خطرٌ

حَقِيقيٌّ . فهي تستلقي ساكنةً بلا حَرَكَةٍ وتتظاهرُ بالموتِ .

رَفَعَ هَدارةُ ذلكَ الجسدَ الصّغيرَ وقرّبَه منه ، مِن قلبِه وداعبَ العنقَ المتراخيَ بحذرٍ . رَفَعَ عندَها الفَرْخُ رأسَهُ ، حَدَّقَ إلى هَدارةَ ثمَّ انتصبَ عنقُه في الحالِ .

لا بأسَ على الفَرْخِ .

نَظَرَ هـدارةُ حَوْلَهُ بقلقٍ . يَستَطيعُ ذلكَ الرّجُلُ رؤيتَهُ عنْ مسافةٍ بعيدةٍ على ضَوءِ القمرِ هذا ، لَكِنَّهُ لَمْ يرَ شَيْئًا خلفَه . نَهَض مِنَ مَكانِه وأحسَّ بأنّه لنْ يقوى على المزيدِ مِنَ الرَّكْضِ . سارَ في طَريقِ العودةِ الطويلِ حاملًا فَرْخَ النَّعامِ بينَ يدَيهِ .

لم يَشْعُرْ في حياتِه بهذا القدرِ مِنَ الضّياعِ . لَمْ تَكُنْ حياتُه معقّدةً حتّى الآنَ بل كانَت سهلةً لا يصعُبُ عَلَيهِ فهمُها . أمّا الآنَ فقدْ شعرَ بأنّه لَمْ يعدْ يفهمُ شَيْئًا منها . شعرَ طبعًا بالفخرِ والسّعادةِ لتمكُّنِه مِن إنقاذِ فَرْخِ النَّعامِ . سيفخرُ به كلٌّ مِنَ ماكو وحوجُ وسينسيانِ ذَنْبَه الذي لا يُغتفرُ الذي اقترفَه حينَ أحضرَ اللَّبُؤةَ إلى مسكنِهما . خطرَ عندَها جلدُ اللَّبُؤةِ الأمِّ في ذهنِه . يجبُ أن يخبرَ نانابولوكا . يجبُ أنْ يجعلَها تفهمُ أنّ لا فائدةَ مِنَ انتظارِها لعودةِ أمِّها ، لقدْ أصبحَتْ يتيمةَ الأبوَينِ ويوجدُ كائناتٌ بشريّةٌ خطيرةٌ في الجِوارِ .

كانَت نانابولوكا نائمةً لكنَّها استيقظَتْ مِنَ نومِها وزأرَتْ . لَمْ يكنْ زئيرُها لافتًا ، لكنّها حَاوَلَت قدرَ استطاعتِها . عِندَما شمَّتِ الرّائحةَ التي بعثَها عرفَتْ مَنْ هو الذي وَقَفَ عندَ المدخلِ تَحْتَ نورِ القَمرِ . إنَّهُ وَلَدُ النَّعامِ الذي يدعو نفسَه هَدارةَ .

– ماذا حَدَثَ ليدِكَ؟ سألتهُ اللَّبُؤة حالما رأَتْها .

– أخذَ البّشرُ أحَدَ أفراخِ النَّعامِ فرَكَضْتُ ولحِقْتُ بهم . كانَ هُناك شَيْءٌ أحمرُ ، أصفرُ وحيٌّ أمامَ خيمتِهم . لا أدري ما اسمُه . كانَ دافئًا فاقتربْتُ منه وأمسكْتُ به لَكِنَّهُ تسبّبَ لي بالأذى .

– لا بدَّ أنّها نارٌ ، قالَتِ اللَّبُؤةُ الصّغيرةُ . لقدْ حذّرَتْني أُمّي مِنَ النّارِ . أخبرَتني أنّها كانَتْ تسكنُ في مغارةٍ في يومٍ مِنَ الأَيّامِ فأتى البَشرُ وأوقدوا النّارَ عندَ مدخلِ المغارةِ ورموها بأغصانٍ مشتعلةٍ . قَفَزَتْ عبرَ النّارِ وأُصيبَتْ بالحروقِ مثلَكَ تَمامًا ، لكنّها نَجَت بحياتِها . كانَت تَقُولُ دائماً إنّ عليَّ أنْ أحذرَ النارَ .

صَمَتَ هَدارةُ إذْ كانَ يريدُ أن يخبرَها بأمرٍ آخرَ . قالَ لها إنّ سربَ النَّعامِ هو عائلتُه وأنّ النَّعاماتِ لا تريدُ أنْ يُحضِرَ معَه أسداً إلى مسكنِها حتّى ولو كانَ لبؤةً صَغيرةً . قالَت له اللَّبُؤةُ إنَّها فهمَتْ ذلك . كلُّ الحَيَواناتِ تتفادى الأَسْوَدَ وأنّ على الأسَدِ أن يعيشَ وحيدًا . كانَ الأمرُ الآخَرُ الذي أرادَ هَدارةُ أن يخبرَها به أكْثَرَ صعوبةً . قالَ في نهايةِ الأمرِ :

– لقدْ رأيتُ أمَّكِ لدى الكائناتِ البشريّةِ . رأيتُها مَيْتَةً .

لم يُرِدْ أن يخبرَها بأنّه رأى جلدَ أمِّها مسلوخًا والرأسُ معلَّقٌ . لو أخبرَها بذَلِكَ لصارَ في الأمرِ قدْرٌ هائلٌ مِنَ القَسوةِ وسيسبِّبُ لها آلامًا لا ضرورةَ لها . ولم يُرِدْ أن يخبرَها بتلك المرّةِ حينَ رأى كائنًا حيًّا يقتلُ أسدًا ويقطعُ رأسَه ليضعَه في حُفرةٍ في الأرضِ ويضعَ فوقَه حجرًا ثقيلًا . ظنَّ هَدارةُ أنّ ذلكَ الأسَدَ هو أبو نانابولوكا .

– لا فائدةَ مِنَ انتظارِكِ ، قالَ باختصارٍ . هذا مَكانٌ خطيرٌ . يوجدُ بشرٌ

هنا . إنّهم أكْثَرُ الكائناتِ الحيّةِ خَطرًا . عليكِ أن تغادري هذا المَكانَ .

عِندَما أشارَت نانابولوكا لهَـدارةَ بالدّخولِ ، وَضَعَ فَرْخَ النَّعامِ في الخارِجِ ثمّ تَسَلّقَ إلى الدّاخلِ . عمَّ الظّلامُ في الدّاخلِ ، لكنَّ اللَّبُؤةَ الصّغيرةَ طلبَتْ مِن هَدارةَ أن يقتربَ أكثرَ . أرادَت منه أن يمدَّ يدَيه إلى الأمامِ . لَعقَتْ يَدَهُ المحروقةَ وراحَت تخرخرُ بصوتٍ عالٍ تَردَّدَ في أنحاءِ المغارةِ . شعرَ هَدارةُ بألمٍ مبرِّحٍ حينَ لامسَ لسانُ اللَّبُؤةِ الخَشنُ يَدَهُ المحروقةَ ، لكنّ هَدارةَ لَمْ يخبّئْ يدَه . لقدْ فهمَ أنّ اللَّبُؤةَ تحاولُ أن تُظهِرَ تعاطفَها معَه .

أُصيبُ جَميعُ أفْرادِ السِّرْبِ بالهلعِ حينَ عادَ هَدارةُ بالفَرْخِ الذي أنقذَه وأراهم يَدَهُ المحروقةَ . كانَ لديهمُ الآنَ تسعةَ عشرَ مِنَ الأفراخِ ، لكنْ كانَ هُناك المزيدُ مِنَ البيضِ الذي لَمْ يفقسْ بعدُ . بالرّغمِ مِنَ ذلكَ قرّروا أن يتركوا العشّ . أرادوا أنْ ينقذوا أنفسَهم وأنْ ينقذوا صغارَهم . ثمَّ إنّ حوجًا وماكو شعرا أنْ عليهما أنْ يُنقِذا هَدارةَ أيضًا .

نقروا طَعامَ الصّباحِ لمدّةِ ساعةٍ تقريبًا . لَمْ يرقصوا هذا الصّباحِ . لَمْ يَشْعُرْ أيٌّ منهم بشيءٍ مِنَ الفرحِ بالحَياةِ . بدلًا مِنَ الرّقصِ بدأوا بمسيرتِهمُ الطّويلةِ . ساروا إلى البُحَيرَةِ الصغيرةِ . لقدْ تقلَّصَتِ الآنَ . ربَّما هي بُحَيرَةٌ موسميّةٌ امتلأَتْ بعدَ المطرِ الهائلِ الذي تساقطَ منذُ فَترَةٍ قَصيرةٍ وهي على وشكِ الاضمحلالِ . ملأَ هَدارةُ عددًا كَبيرًا مِنَ قشرِ البيضِ الفارغِ بالمَاءِ ، حملَها على ظهرِهِ في قطعةِ القماشِ ثمّ سارَ في طَريقِهِ . صَعُبَ عَليهِ أنْ يتركَ البُحَيرَةَ . يوجدُ هنا ماءٌ وكَثيرٌ مِنَ الطّعامِ . لكنّ هذا المَكانَ باتَ خطيرًا للغايةِ .

ساروا بِبُطءٍ مراعِينَ سيرَ الأفراخِ الصّغيرةِ . ساروا في طابورٍ طَويلٍ عبرَ

الصَّحراءِ . كانَت يدُ هَدارةَ الحمراءَ المتورِّمةَ تؤلُمه كَثيرًا . ثمّ إنّ الرِّيحَ بدأَتْ تهبُّ وتعصفُ بالرَّمْلِ . كانَت طيورُ النَّعامِ تحتملُ الرَّمْلَ أكْثَرَ منه ، إذْ إنّ لها رموشًا طويلةً تحمي عينَيها مِنَ حبّاتِ الرَّمْلِ التي يعصفُ بها الهواءُ . أمّا هَدارةُ فهو مجبَرٌ على حمايةِ عينَيه بيدَيه ، وأنْ يُقفِلَ فمَه حتّى لا يدخلَ الرَّمْلُ فيلتصقَ بلسانِه وبينَ أسنانِه . لُحسنِ الحَظِّ لَمْ تأتِ عاصفةٌ رمليّةٌ حَقِيقيّةٌ . بلْ كانَ بعضُ الرَّمْلِ يعصفُ هنا وهُناك بينَ فَتْرَةٍ وأخرى ويغطّي آثارَهم .

لم يكنْ لهم علمٌ بهذا الحظِّ الذي حالفَهم .

استيقظَ (لوك أوكونر) الصّيادُ مِنَ نومِه ، ووجدَ نفسَه ممدّدًا على الأرضِ على مسافةٍ مِنَ الخيمةِ ، بينَما الصُّداعُ يكادُ يفلِقُ رأسَه . شعرَ كأنَ لسانَه نعلُ حذاءٍ في فمِه . كانَ مليئًا بالحيويّةِ بالرّغمِ مِنَ كلِّ ذلك .

لقد رأى شَيْئًا فريدًا مِنَ نوعِه اللَّيلةَ الماضيةَ .

لقد رأى ولدًا برّيًا .

قادَ السَّيّارةَ طَوالَ النّهارِ برفقةِ سيدي إبراهيمَ بحثًا عنِ الوَلَدِ البرّيّ . كانَ الصّيادُ سعيدًا جدًّا . وملأتْهُ السعادةُ أكثَرَ عِندَما عثروا على آثارِ الوَلَدِ مع آثارِ طيورِ النَّعامِ . أدْرَكَ الرّجُلانِ أنّ الوَلَدَ سارَ غربًا معَ سربِ النَّعامِ في طابورٍ طويلٍ .

صوّرَ الصّيادُ الآثارَ وتتبّعَها . لكنَّ عاصفةً رمليّةً هبَّتْ وغطَّتِ الآثارَ كلَّها ممّا جعلَهما يفقدانِ الأملَ باللّحاقِ بالولدِ وبسربِ النَّعامِ . عادا إلى المخيّمِ ، فكّكا الخيمةَ ، وَضَعا كلَّ شيءٍ في السَّيّارةِ ثمّ تابعا البحثَ عنِ الوَلَدِ وعنْ سربِ النَّعامِ . بحثا بلا انقطاعٍ لمدّةِ أسبوعٍ كاملٍ .

عِندَما مضى الأسبوعُ كانَ (لوك أوكونر) مازالَ مليئًا بالسّعادةِ .

لقد رأى ولدًا برّيًا . رأى ولدًا يعيشُ معَ سربٍ مِنَ النَّعامِ . إنَّهُ طرزانٌ أصليٌّ . ماوكليٌّ حَقِيقيٌّ . قرّرَ أن يتركَ الصّحراءَ بتذكارِ الصّيدِ الوحيدِ الذي حصلَ عليه ، جلدِ الأسَدِ الأطلسيِّ ، لَكِنَّهُ مرَّ بخبرةٍ أهمَّ مِن ذلكَ بكَثِيرٍ . لقد رأى بعينَيه ولدًا متوحِّشًا وصوّرَ آثارَه بآلةِ التّصوير التي بحوزتِهِ . رفضَ متقصّي الآثارِ الشهيرِ سيدي إبراهيمُ أنْ يفشيَ بشيءٍ عنْ تِلكَ الآثارِ . «إنّهُ متقصّي آثارٍ فاشلٌ» . لنْ يوظِّفَهُ حينَ يعودُ إلى الصَّحراءِ . فقدْ قرّرَ (لوك أوكونر) أنْ يسافرَ ليعودَ فقطْ . قد يعودُ على رأسِ فريقِ أبحاثٍ يعملُ لحسابِ مجلّةِ (ناشونال جيوغرافيك) . تخيّلَ صورتَه على غلافِ المجلةِ برفقةِ الوَلَدِ المتوحّشِ الأسيرِ . هُناك خيارٌ جيّدٌ آخرُ وهو أن يوقّعَ عقدًا معَ شركةِ إنتاجِ أفلامٍ تعيدُه إلى الصَّحراءِ برفقةِ فريقٍ تصويريٍّ . سيكونُ اسمُ الفلمِ : « اصطيادُ الصّبيِّ المتوحّشِ» . سَوْفَ ينتشرُ ذلكَ الفلمُ كالنّيرانِ العاتيةِ في جَميعِ أنحاءِ المعمورةِ ، وتخيّلَ دُورَ النّشرِ وهي تقفُ في الصّفِّ لتوقّعَ معَه عقدًا بخصوصِ كتابِه الذي سيُدعى : «كيفَ وجدْتُ الصّبيَّ المتوحّشَ» .

أسئلة الفصل

1 . استطاعَ هدارةُ أنْ يهربَ بفرخِ النَّعامِ بَعيدًا عنْ خطَرِ الصَّيّادِ ، لكنَّ ذلكَ لَمْ يَكُنْ سهلًا ، صِفِ المصاعِبَ الَّتي واجَهَها هدارةُ والآلامَ الَّتي عانى مِنْها .

2 . "لَمْ يَشْعُرْ في حياتِهِ بهذاالقدْرِ مِنَ الضَّياعِ . لَمْ تَكُنْ حَياتُهُ مُعَقَّدَةً حتّى الآنِ بَلْ كانَتْ سهلةً لا يصعُبُ عليهِ فهمُها" اكتُبْ فِقْرةً تذكُرُ فيها السَّببَ وراءَ تعقّدِ حياةِ هدارة .

3 . بينَ اللَّبُؤَةِ الصَّغيرةِ وهدارة عَلاقةُ تَعاطُفٍ رَقيقَةٌ : صِفْ مَوقِفَينِ لَهُما يُعبِّرانِ عنْ ذلكَ؟

4 . في الوقتِ الَّذي هَرَبَ فيهِ سربُ النَّعامِ بَعيدًا عَنِ البُحَيرَةِ كانَ الصّيّادُ مَليئًا بِالسَّعادةِ . قارِنْ بَينَ حالةِ سِرْبِ النَّعامِ وحالَةِ الصَّيّادِ ، مُوضِّحًا الأسبابَ وراءَ ذلكَ .

5 . ما الَّذي يؤكِّدُهُ هذا الفَصْلُ أيضًا مِنْ صِفاتِ الصّيّادِ؟

6 . " في اللَّحْظَةِ الَّتي بانَ فيها القمرُ ، وغَسَلَ كلَّ شيءٍ بنورٍ أبيضَ" ما الحالةُ الّتي تَصِفها هذهِ العبارةُ؟ وَلِماذا استخدَمَتِ الكاتبةُ الفعلَ (غَسَلَ) في رَأْيِكَ؟

7 . أَعْرِب (شفويًا) ما تحتَهُ خَطٌّ فيما يأتي" قادَ السَّيّارةَ طَوالَ النَّهارِ بِرفقةِ سِيدي إبراهيمَ **بَحْثًا** عَنِ الْوَلَدِ البَرِّيِّ" .

الفصلُ الثّالثُ والعشرونَ

جَنّةُ لِطيورِ النَّعامِ

تساقطَ المطرُ الغزيرُ فَوقَ المَكانِ الجديدِ الذي وَصَلَ إليه سربِ النَّعام . واكْتسَتِ الأشجارُ بالأوراقِ . كانَ ثمّةَ كثيرٌ مِنَ النّباتاتِ والشُّجيراتِ . نَمَتْ بينَها أزهارٌ ذاتُ ألوانٍ صفراءَ ، وزهريّةٍ وبيضاءَ . كَما وُجِدَ هُناك البِطّيخُ الذي يحبُّه هَدارةُ كَثِيرًا .

لكنْ لَم يكنْ هُناكَ بُحَيرَةٌ أو نبعٌ . رغمَ ذلكَ قرّروا البقاءَ في ذلكَ المَكانِ . فهُناك كَثِيرٌ مِنَ الطّعامِ وفي الصّباحِ هُناك كَثِيرٌ مِنَ النّدى . كانَت طيورُ النَّعام تنَهَضُ في الصّباحِ الباكرِ حينَ كانَ الندى يغطّي النّباتاتِ كلَّها . أمّا هَدارةُ فيجولُ في المَكانِ ويَشرَبُ قطراتِ النّدى التي تشبهُ حبّاتِ اللّؤلؤِ التي تجمّعَتْ فَوقَ الأوراقِ المُكوَّرةِ . اكتفى بشربِ قطراتِ النّدى لأيّامٍ معدودةٍ لَكنَّهُ شعرَ بعدَ ذلكَ بالعطشِ ، فوَضَعَ إبهامَهُ في فمِه ليمصَّهُ وتشوّقَ لشُربِ المَاءِ . كَما تشوّقَ للّعبِ معَ اللَّبُؤةِ الصّغيرةِ التي تجيدُ اللَّعِبَ .

مازالت أفراخُ النَّعامِ عاجزةً عنِ اللَّعِبِ . كلُّ ما كانَت تحبُّ القيامَ به هو الرَّكْضُ . بينَ حينٍ وآخرَ تركضُ فَجْأةً بسُرعةٍ نَحوَ الأمامِ . رَكَضَ هَدارةُ أيضًا . ما زالَ قادرًا على الرَّكْضِ بمحاذاتِها ، لَكِنَّهُ كانَ يَعلَمُ أنَّهُ لن

يتمكّنَ مِنَ ذلكَ بعدَ بضعةِ أيّام .

أصبحَتِ الأفراخُ أجملَ الآنَ . لقدْ نما ريشُها وصارَ ناعمًا منتفشًا . وحينَ تركضُ قد تصطدمُ بنبتةٍ شائكةٍ فتعلقُ فيها . يحدثُ هذا عادَةً لِكُلِّ أفراخِ النَّعام . كَثِيرٌ مِنَ أفراخِ النَّعامِ تموتُ بهذه الطَريقةِ في الصَّحراءِ . لكنَّ هذه لَمْ تَكُنْ مشكلةً جادّةً لهذا السِّربِ بالذّاتِ .

– هـدارةُ ، كانَ حوجٌ ينادي كلّما حَدَثَ ذلك ، فيأتي هَدارةُ راكِضًا فيستعملُ يدَيه وأصابعَه العشرَ ليفكَّ الفَرْخَ مِنَ النّبتةِ الشّائكةِ .

الفَرْخُ الذي تعرّضَ للقدْرِ الأكبَرِ مِنَ المخاطِرِ ، وكانَ بحاجةٍ لمن ينقذُه غالبًا هو عكوك ، الفَرْخُ الذي وقعَ في الفخِّ داخِلَ القَفَصِ وأَسَرَتهُ الكائناتُ البشريّةُ واضطرَّ هَدارةُ لإنقاذِه .

لم يكتفِ هَدارةُ بلعقِ قطراتِ النّدى مِن أوراقِ النّباتاتِ في الصّباحِ ، ولم يكتفِ بما كانَ هُناك مِنَ أوراقِ نباتاتٍ . لقد صارَتْ قواهُ أضعفَ ، كَما بدأَ يَشْعُرُ بالعطشِ . في صباحِ يومٍ ما ، بعدَ انتهائِه مِنَ لعقِ آخرِ قطراتِ ندى ، غادَرَ المَكانَ ووجدَ في نهايةِ المطافِ بركةَ ماءٍ . لكنّ تِلكَ البركةَ ملأَتْه بالرُّعب لأنّهُ رأى حولَها ، كيفَما نَظَرَ ، آثارَ جِمالٍ .

وآثارَ ماعزٍ .

وآثار غنم .

. . . وآثارَ بشرٍ!

ظلَّ منبطِحًا في الرَّمْلِ فَوقَ تلّةٍ قريبةٍ ونَظَرَ إلى المَاءِ . لَمْ يكنْ هُناك سوى العصافيرِ التي كانَت تحطُّ وتشربُ . لَمْ يجرؤْ إلّا بعدَ مرورِ ساعاتٍ طويلةٍ مِنَ العطشِ على التّسلّلِ إلى المَاءِ حَيْثُ شربَ حتّى ارتوى .

عادَت إليه قواهُ حينَ شربَ . ظلَّ يَرْكُضُ في طَرِيقِ العَودةِ إلى أنِ التقى بطيورِ النَّعام . أخبرَهم بأنَّه قد وَجَدَ ماءً لَكِنَّهُ لن يسمحَ لهم بالذّهابِ إلى هُناك لأنَّ المَكانَ خطيرٌ جدًّا . توجدُ كائناتٌ بشريّةٌ هُناك . تِلكَ الكائناتُ التي تقتلُ الأُسُودَ وتقطعَ رؤوسَها ، وتسرقُ صغارَ النَّعامِ ، وتستطيعُ سلخَ جلودِ الحَيَواناتِ بطَرِيقةٍ أو بأخرى .

رغمَ ذلكَ أرادَتِ النَّعاماتُ الوُصُولَ إلى بِركةِ المَاءِ ، لكنّ هَدارةَ منعَها مِن ذلك . كانَ يذهبُ إلى هُناك مرّةً كلَّ ثلاثةِ أيّامٍ ، يملأُ بَيضاتِ النَّعامِ الفارغةَ بالمَاءِ ثمّ يعودُ بها إلى السّربِ . كانَ يعطي الصّغارَ ليَشْرَبوا أوّلًا ثمّ يعطي ما تبقّى مِنَ الماءِ للكِبارِ .

– سنبقى هنا ، قالَ حوجُ . يوجدُ هنا كَثِيرٌ مِنَ الطّعامِ ، وعِندَما يهدأُ هَدارةُ يمكنُنا أنْ نذهبَ إلى بركةِ المَاءِ بأنفسِنا ونروي عطشَنا .

– هذا مَكانٌ رائعٌ ، قالَت ماكو . إنَّهُ بمثابةِ جنّةٍ لطيورِ النَّعامِ . يوجدُ كلُّ شيءٍ في هذا المَكانِ ، نباتاتٌ وحَيَواناتٌ صَغِيرةٌ يمكنُنا أكلُها . أرى أنَّهُ يمكنُنا البقاءُ هنا حتّى يكبرَ الصّغارُ ويُغادِرونا ليعيشوا وحدَهم .

– نعمْ ، إنّها جنّةٌ حَقِيقيّةٌ لطيورِ النَّعامِ ، قالَ حوجُ موافِقًا .

أصرَّ هَدارةُ على منعِ أفْرادِ السِّرْبِ مِنَ الذّهابِ إلى بركةِ الماءِ . صارَ يذهبُ بِنَفسِهِ مرَّتَينِ كلَّ ثلاثةِ أيّامٍ إلى البِركةِ ، ويحملُ ما أمكنَه حَملُهُ مِن بَيضاتِ النَّعامِ التي يملؤُها بالمَاءِ .

كانَ يجلسُ خَلفَ صخرةٍ ويراقبُ المَكانَ لمدّةِ ساعاتٍ قَبلَ أن يجرؤَ على الاقترابِ مِنَ البركةِ . وكلَّما رأى أنّ الكائناتِ البشريّةَ قد زارَتِ المَكانَ ، يَقِفُ هناك طويلاً مُحَدِّقًا إلى آثارِها .

وأحيانًا يجدُ آثارًا لشخصٍ حافي القدَمَينِ مثلِه ، فيضعُ قدمَه بمُحاذاةِ أثرِ تِلكَ الأقدامِ ، ثمّ يرفعُها ليقارنَ بينَهما . كانَ يُدرِكُ بطَريقةٍ ما أنَّهُ ينتمي إلى فصيلةِ تِلكَ المخلوقاتِ التي تقفُ على ساقَينِ ، والتي لها وجهٌ ويدانِ وقدمانِ . كانَتْ تِلكَ المخلوقاتُ تجذبُهُ وتدبُّ الرُّعبَ في قلبِهِ . كلَّما ذهبَ إلى بِرْكةِ المَاءِ صارَ يَشعرُ بالخوفِ والأملِ في آنٍ معًا .

ماذا لو كانَ هُناك كائنٌ بشريٌّ؟

هل سيجرؤُ على الاقترابِ مِنَ كائنٍ بشريٍّ؟

كانَتْ لدَيه رَغْبَةٌ عظيمةٌ لفعلِ ذلك .

أحدُ الذين زاروا البركةَ لتشربَ جمالُه هو متقصّي الآثارِ والتحرّي الصحراويُّ سيدي إبراهيمُ . لَمْ تَكُنْ لديه القدرةُ على تقصّي الآثارِ وحَسْبُ ، بلْ كانَتْ لدَيهِ قدرةٌ على رؤيةِ صاحِبها وكأنَّه كانَ يَقِفُ أمامَه . جلسَ هذا على ركبتَيهِ ، وحَدَّقَ إلى آثارِ قدمين عاريتَينِ في الرَّمْلِ . أدْرَكَ أنَّهُ رأى هذه الآثارَ مِن قَبْلُ . لا بدَّ أنّ الوَلَدَ البرّيَّ كانَ هنا . الوَلَدُ الذي كانَ يَرْكُضُ معَ سربِ النَّعامِ . هو الذي سَرَقَ فَرخَ النَّعامِ الذي أَسَرَهُ الصّيادُ الذي عملَ سيدي إبراهيمُ لحسابِه مؤقّتًا .

كانَ سيدي إبراهيمُ قد رآه حينَها أيضًا ، لَكِنَّهُ لَمْ يخبرِ الصّيادُبذلك . حَدَّقَ إلى الآثارِ طويلًا وبقوّةٍ ، أغمضَ عينَيه ورأى الوَلَدَ واقفًا أمامَه : عينانِ سوداوانِ صافيتانِ ، ابتسامةٌ عريضةٌ ، شعرٌ طَويلٌ ناعِمٌ أَسْوَدُ لَكِنَّهُ مشعّثٌ للغايةِ . كانَ الوَلَدُ عاريًا ، رأى سيدي إبراهيمُ ذلكَ الجَسَدَ المُكتنِزَ العضلاتِ والذي لوّحَتْه أشعةُ الشّمسِ ، القدمَينِ العريضتَينِ . رأى الوَلَدَ وهو يملأُ بالماءِ بَيضاتِ نعامٍ فارغةً ، يضعُها في قطعةِ قماشٍ زرقاءَ ، كانَ

يربطُها فَوْقَ ظهرِه . بعدَ ذلكَ رَكَضَ تاركًا المَكانَ بخُطًى طويلةٍ متمايلةٍ .

كانَ الوَلَدُ يبدو ما بينَ سنتِه الثانيةَ عشرةَ أو الثالثةَ عشرةَ .

فهمَ سيدي إبراهيمُ مِنَ الآثارِ أنّ الوَلَدَ لَمْ يأتِ إلى هنا مرّةً واحدةً فقطْ .

رأى أنّ الوَلَدَ تردّدَ على هذا المَكانِ منذُ فَترَةٍ طويلةٍ .

يبدو أنَّهُ يعودُ إلى البِركةِ مرّةً كلَّ ثلاثةِ أيّامٍ .

أسئلة الفصل

1 . اكتبْ وَصْفًا لِلْمكانِ الجديدِ الّذي استقرَّ السِّرْبُ فيهِ؟

2 . يتنازعُ هدارةَ في هذاالفصلِ شُعورانِ مُتَناقِضانِ . اقْرَأْ ما يَدُلُّ على ذلكَ .

3 . ما سَبَبُ هذاالتَّناقُضِ؟

4 . برأيِكَ لِمَ أَخْفى سِيدي إبراهيمَ عنِ التَّحَرّي الصَّحراوِيِّ ما عَرَفَهُ عنْ هدارة؟

5 . حدِّدِ الجُمْلَةَ الَّتي وردَ فيها خبَرُ كانَ وأخواتِها جُمْلَةً فِعْلِيَّةً في الجُمَلِ الآتيةِ :

أ . لَمْ يكنْ هناكَ بُحَيْرَةٌ أو نَبْعٌ .

ب . ما زالَتْ أفراخُ النّعامِ عاجِزَةً .

ت . كانَ (حوج) ينادي كلَّما حَدَثَ ذلكَ .

ث . أصبَحَتِ الأفراخُ أجْمَلَ .

الفصلُ الرابعُ والعشرونُ

فريقُ البحثِ عَنِ الوَلَدِ البرّيِّ

بعدَ كَثيرٍ مِنَ الرسائلِ والمكالماتِ الهاتفيّةِ توصّلَ (لوك أوكونر) إلى هدفِه . الساعةَ العاشرةَ إلّا عشرَ دقائقَ مِن صباحِ يومِ خميسٍ دخلَ (أوكونر) المصعدَ في مبنى (ناشونال جيوغرافيك) في واشنطنَ بالولاياتِ المتّحدةِ الأمريكيّةِ ليُشَارِكَ في اجتماعٍ معَ ثلاثةٍ مِنَ المسؤولينَ في المجلّةِ .

نَظَرَ (لوك أوكونر) إلى صورتِه التي انعكسَتْ في المرآةِ بينَما كانَ المصعدُ يرتفعُ إلى أعلى . مشّطَ شعرَه للمَرَّةِ الأخيرةِ وعدّلَ ربطةَ عنقِه . كانَ جلدُه ما زالَ مُلوَّحًا بفعلِ الشّمسِ بعدَ رحلةِ الصّيدِ التي قامَ بها في الصَّحراءِ الكبرى ، وقدِ اشترى لنفسِه بدلةً جديدةً بلونِ الرَّمْلِ . كانَ ثمنُ البدلةِ باهظًا ، لكنّ (لوكَ) فكّرَ بأنَّه سيستعملُها كَثيرًا حينَ يعودُ مِنَ رحلةِ البَحثِ عن الوَلَدِ المتوحّشِ . إذْ إنَّهُ عندَ عَودَتِه ، وبعدَ أنْ تنشرَ مجلّةُ (الناشونال جيوغرافيك) التقريرَ الصحفيَّ عن فريقِ البحثِ ، سيتسنّى له عندَها بالطّبعِ السّفرُ في جَميعِ أنحاءِ الولاياتِ المتّحدةِ الأمريكيّةِ ليتحدّثَ عن بحثِه عن الوَلَدِ الذي عاشَ معَ سربٍ مِنَ النَّعامِ . لا بدَّ أنَّهُ سيتقاضى كَثيرًا مِنَ المالِ أيضًا . بعدَ تِلكَ الجولةِ سيصبحُ لديه ما يكفيه لبناءِ بيتٍ

مِنَ الخشبِ على شاطئِ بُحَيرَةٍ ما في مونتانا . هُناك ، في مونتانا ، أرادَ أن يجلسَ ويكتبَ كتابَه عن رحلةِ البحثِ تلك . «كيف عثرتُ على الوَلَدِ المتوحّشِ» ، مازالَ هذا هو العنوانَ الأنسبَ لكتابِه الأوّلِ . قَبْلَ لحظةٍ مِنَ وصولِ المصعدِ إلى الطّابقِ المقصودِ كانَ في انتظارِه ثلاثةُ رجالٍ يبدو الجِدُّ على مظهرِهم . كانوا جالسينَ في غرفةٍ واسعةٍ مؤثّثةٍ على الطَريقةِ القديمةِ ، جدرانُها مكسوّةً بالخرائطِ . رأى أنّهم وَضَعوا رسائلَه الأربعَ على طاولةٍ مِنَ خشبِ (الماهوغني) اللاّمعِ . سلّمَ (لوك أوكونر) باليدِ وشدَّ على أيدي الرّجالِ قَليلًا ليعطيَ انطباعًا أنّه رجلٌ مغامرٌ عنيدٌ ، ثمّ جلسَ في الجهةِ الأخرى مِنَ الطّاولةِ الضّخمةِ .

– لقدْ قرأْنا رسائلَك ، قالَ الرّجُلُ الذي بدا كأنّه الرئيسُ الأعلى . لقدْ طلبْتَ الاجتماعَ بنا ، وكتبْتَ أنّ لديكَ إثباتاتٍ على وجودِ ولدٍ يعيشُ معَ سربٍ مِنَ النَّعامِ في الصَّحراءِ الكبرى .

انْحَنى (لوك أوكونر) بَعضَ الشَّيْءِ ، رَفَعَ حقيبةَ وثائقِه ووَضَعَها فَوْقَ ركبتِه . فتحَ بعدَ ذلكَ الحقيبةَ وأخرجَ منها صورًا قدّمَها للرّجالِ الثّلاثةِ . كانَتِ الصّورُ كلُّها تظهرُ آثارًا في الرّمالِ . ظهرَت في بَعْضٍ منها آثارٌ متفاوتَةُ الوضوحِ لأقدامِ طيورِ النَّعامِ ، والبعضُ منها أظهرَ آثارًا لأقدامٍ عاريةٍ .

تفحّصَ الرّجالُ الصّورَ بدقةٍ فائقةٍ . عِندَما فرغوا مِنَ ذلكَ طلبوا مِنَ لوكَ أن يخبرَهم بما حَدَثَ بالضّبطِ .

شعرَ (لوك أوكونر) بالحرارةِ تعلو وجنتَيهِ . هذه هي اللَّحظةُ الأعظمُ في حياتِه حتّى الآنَ . ها هو الرّجُلُ الذي بدأَ حياتَه العمليّةَ في محطّةِ بنزينٍ في مونتانا يجلسُ الآنَ في واشنطنَ ليحاضرَ لثلاثةٍ مِنَ الرّجالِ

ذوي المركزِ المرموقِ في مؤسسةِ (ناشونال جيوغرافيك) . وصفَ لهم بطَريقةٍ حيويّةٍ ومرحةٍ رحلتَه إلى الصَّحراءِ الكبرى . أخبرَهم بأنّه اصطادَ أسدًا ، ثمّ أراهم صورةً ظهرَ فيها واضعًا قدمَهُ على رقبةِ اللَّبُؤةِ المقتولةِ . كانَ يُدْرِكُ الآنَ تَمامًا أنّ تِلكَ اللَّبُؤةَ تنتمي إلى فصيلةِ الأسَدِ الأطلسيّ ، لَكِنَّهُ لَمْ يذكرْ شَيْئًا عن ذلك . لَمْ يكنْ متأكدًا مِنَ موقفِ (الناشونال جيوغرافيك) مِنَ صيدِ الحَيَواناتِ الّتي على وشكِ الانقراضِ . لذلكَ اختارَ الصورةَ بعنايةٍ فائقةٍ . كانَ يظهرُ هو في الصورةِ بمظهرِ رجلٍ وسيمٍ ومليءٍ بالرّجولةِ ، لكنّ معالمَ اللَّبُؤةِ لَمْ تَكُن واضحةً تَمامًا حَيْثُ لَمْ يظهرِ اللّونُ القاتمُ لعُرفِ اللَّبُؤةِ ، الدليلُ على أنّها تنتمي إلى فصيلةِ الأُسودِ الأطلسيّةِ . سَعِدَ كَثِيرًا عِندَما رأى أنّ الرّجالَ الثّلاثةَ تمعّنوا في الصّورةِ طويلًا وناولَها كلٌّ منهم إلى الآخَرِ .

– لم يكنِ المصوّرُ مُحترفًا ، قالَ (لوك) بسُرْعَةٍ ، كانَ دليلًا محليًا وظّفتُه لحسابي . سيلتقطُ المصورونَ الذينَ يعملونَ لحسابِكم صورًا أفضلَ مِن هذه بكَثِيرٍ . إنَّهم أفضلُ المصوّرينَ في العالَمِ .

لزمَ الرّجالُ الثلاثةُ الصمتَ وراحوا يتأمّلونَ (لوك أوكونر) بنَظَرَاتٍ غامضةٍ . بدأَ الآنَ (لوك أوكونر) يخبرُهم بالجزءِ الأهمِّ مِنَ قصّتِهِ . أخبرَهمْ عنِ الفخِّ الذي نصَبَهُ . عنْ آثارِ الأقدامِ البشريّةِ حَوْلَ الفخِّ ، آثارِ أقدامٍ عاريةٍ في وسطِ الصَّحراءِ حَيْثُ لا يوجدُ بشرٌ على الإطلاقِ . في أثناءِ أسبوعينِ مكثَهما في الصَّحراءِ ، لَمْ يرَ قوافلَ ولا قبائلَ مِنَ البدوِ تتنقّلُ في المِنطقةِ .

تابعَ حكايتَه فأخبرَهم عنِ اليَومِ الذي أسرَ فِيهِ فَرْخَ نعامٍ وعادَ به إلى

قاعدتِه . ثمّ أخبرَهم عنِ الوَلَدِ العاري ذي الشّعرِ الأشعثِ الطّويلِ الذي تسلّلَ إلى المَكانِ ، وَضَعَ يَدَهُ في النارِ ، رمى بِنَفسِهِ إلى الوراءِ دُونَ أنْ يصرخَ ، ثمّ حملَ فَرْخَ النَّعامِ وغادَرَ المَكانَ هاربًا . ادّعى (لوك أوكونر) في أثناءِ سردِه أنَّهُ ربّما لَمْ يسبقْ للولدِ أنْ رأى نارًا مِن قَبْلُ ، ولذَلِكَ مدَّ يَدَهُ ليلمسَها . ثمّ قالَ إنَّهُ كانَ للولدِ مظهرُ إنسانٍ عاديٍّ ؛ إذ كانَ يسيرُ منتصبًا على ساقَيهِ ، لَكِنَّهُ كانَ يبدو متوحّشًا جِدًّا وكانَ يَرْكُضُ كَما تركضُ طيورُ النَّعامِ .

عِندَما انتهَتِ القصّةُ التي أخبرَهم بها (لوك أوكونر) قالَ أحَدُ الرّجالِ الثّلاثةِ :

– لقد طلبْنا مِنَ قسمِ الأبحاثِ لدينا أنْ يحضرَ لنا موادَّ عن حالاتٍ مشابهةٍ . وجدْنا في الحقيقةِ قصصًا كَثيرةً عن أطفالٍ نشأوا برعايةِ حَيَواناتٍ ، خاصّةً في الهندِ . وحتّى في أوروبا في الحقيقةِ ، لكنّها قصصٌ قديمةٌ جِدًّا ولا يمكنُنا معرفةُ إذا كانَ هُناك مثقالُ ذرّةٍ مِنَ الحقيقةِ في إحداها . تتعلّقُ معظمُ هذه القصصِ بأطفالٍ ربَّتْهمُ الذّئابُ .

– أقدّمُ قصّةً وجدْناها تعودُ إلى المقالةِ التّاريخيّةِ الهسّيّةِ عامَ 1608 . إنّها قصّةٌ ممتعةٌ لكنّها لا تبدو معقولةً ، إذا أردْنا أن نكونَ صريحينَ .

– إنّها تتحدّثُ عن ولدٍ عاشَ معَ الذّئابِ وتمَّ العثورُ عَلَيهِ حينَ كانَ في سنتِه الثالثةَ عشرةَ . كانَ متوحّشًا كالذّئابِ ، يخرخرُ ويحاولُ عضَّ كلِّ مِنَ اقتربَ منه . قُيّدَ ذلكَ الوَلَدُ إلى مزرعةٍ قريبةٍ وأثارَ هُناك تعجّبَ كَثيرينَ . اعتقدَ كَثيرونَ أنَّه كانَ مِنَ فصيلةِ الجنِّ ، وأنّه لا بدَّ مِنَ قتلِه . اعتقدَ آخرونَ أنَّه كانَ يمثّلُ علامةً على اقترابِ يومِ القيامةِ .

– لم تَكُنْ لدى ذلكَ الوَلَدِ قدرةٌ على الكلامِ . كانَ دائمًا ينسحبُ إلى الزّوايا المُظلمةِ ويتذمّرُ كذئبٍ صَغِيرٍ . حَاوَلَ القائمونَ على رعايتِه أن يَعلّمُوه النُّطقَ لكن دُوْنَ جدوى . رفضَ الوَلَدُ أن يَتَناوَلَ الطّعامَ أيضًا ، مما اضطرَّهم إلى إطعامِه رغمًا عنه ، فأجبروه على تناولِ الخبزِ والعصيدةِ واللّحمِ المسلوقِ . لَمْ يتحمّلِ الوَلَدُ ذلكَ التغييرَ الذي طرأَ على مَعدتِه ، حسبَ المؤرّخِ . لذلكَ ماتَ بعدَ فَتْرَةٍ قَصِيرةٍ بسببِ آلامٍ مبرِّحةٍ أصابَتْه في المعدةِ .

لم يكنْ لدى (لوك أوكونر) أيُّ علمٍ بوجودِ قصصٍ أخرى عن أولادٍ ربَّتْهمُ الحَيواناتُ . هذا أفضلُ بكَثِيرٍ . حينَ يكتبُ كتابَهُ «كيفَ عثرْتُ على الوَلَد الذي عاشَ معَ سربٍ مِنَ النَّعامِ» سيقصُّ على القُرّاءِ تِلكَ القصصَ الأخرى أيضًا .

قلّبَ الرّجالُ أوراقَهم وقالوا إنَّ القصصَ الأكْثَر عاديّةً هي تِلكَ التي تتحدّثُ عن أطفالٍ عاشوا معَ الذّئابِ ، لكنْ هُناك قصصٌ عن أطفالٍ عاشوا معَ الدّببةِ أيضًا . كتبَ مؤلفونَ مِنَ إنكلترا في القرنِ السابعَ عشرَ كتبًا عن أطفالٍ عاشوا معَ الدّببةِ في جنوبِ بولندا .

– يبدو أنّ أحَدَ الأولادِ الذين عُثر عَلَيهِم بينَ الدّببةِ كانَ له إحدى عشرةَ سنةً مِنَ العمرِ . كانَ دبًا أكثَرَ ممّا كانَ إنسانًا . كانَ يسيرُ على أربعٍ أيْ على يدَيهِ ورجلَيهِ ، لذلكَ قرّرَ الذينَ وجدوه أنّ أَوَّلَ ما كانَ عليهم أن يعلّمُوه ليتحوّلَ إلى إنسانٍ هو السّيرُ على رجلَيهِ فقطْ . لكنّ الوَلَدَ رفضَ ذلك . مِنْ أجلِ إجبارِه على الوقوفِ والسّيرِ ربطوه إلى حائطٍ بحبالٍ غليظةٍ . هكذا أُجبرَ الوَلَدُ على الوقوفِ هُناك لساعاتٍ طويلةٍ . لكنْ عندَما

فكّوا الحبالَ سرعانَ ما عادَ الوَلَدُ على بطنِه ثمَّ تابعَ السّيرَ على يدَيهِ ورجلَيهِ وكأنّه دبٌّ . لا أحَد يَعلَمُ شَيْئًا عن حياتِه معَ الدّببةِ . قالَ كلا الكاتبَينِ إنَّهُ لَمْ يتعلّمِ الكلامَ أبدًا ، ولمْ يتمكّنْ مِن سردِ حكايتِه بنفسِه . لكنّ أحَدَهما كتبَ : «الوَلَدُ نالَ شُهرةً عظيمةً ممّا جَعَلَ ملكَ البلادِ يزورُ المَكانَ الذي كانَ فِيهِ برفقةِ موظّفين رفيعِي المستوى» .

بدأَ عقلُ (لوك أوكونر) يعملُ بسُرْعَةٍ . سيصبحُ الوَلَدُ البرّيُّ الذي يعيشُ معَ سربٍ مِنَ النَّعامِ مشهورًا أيضًا . سيصحبُه (لوك) بالطّبعِ معَهُ إلى الولاياتِ المتّحدةِ الأمريكيّةِ . قدْ يقومانِ بجولتِهما معًا . . .لم يصلْ إلى أبعدَ مِن هنا في مخيّلتِه لأنَّ أحدَ الرّجالِ الثّلاثةِ باشرَ القراءةَ مِن ورقةٍ أخرى .

– يوجدُ كَثِيرٌ مِنَ القصصِ المشابهةِ . لقدْ عُثرَ في أيرلندا على ولدٍ كانَ يعيشُ معَ أغنامٍ برّيّةٍ ، وولدٍ آخرَ كانَ يعيشُ معَ الغزلانِ . لكنْ لَيْسَ هُناك توثيقٌ كاملٌ لأيٍّ مِنَ هذه القصصِ . لَيْسَ هُناك أيُّ إثباتاتٍ على أنّ شيئًا مِنَ هذا حصلَ بالفعلِ . هذه هي الحقيقةُ ببساطةٍ تامّةٍ .

أشارَ (لوك أوكونر) بافتخارٍ إلى الصّورِ التي التقطَها لآثارِ الأقدامِ البشريّةِ العاريةِ وسطَ آثارِ سربٍ مِن طيورِ النَّعامِ . لَمْ يكنْ بحاجةٍ لأنْ يَقُولَ المزيدَ ؛ فهو يملكُ وثيقةً تثبتُ ما يقولُه ، أيِ الصورَ ، أمّا الإثباتاتُ النّهائيّةُ فستأتي حينَ يقودُ فريقَ بحثِ (الناشونال جيوغرافيك) إلى الوَلَدِ المتوحِّشِ في الصَّحراءِ .

– لكنْ لَيسَ في بلدٍ قصصٌ عن أطفالٍ ترعرعوا معَ الحَيَواناتِ ، أكْثَر ممّا يوجدُ في الهندِ ، قالَ الرّجُلُ الأصغَرُ سنًّا واسْتَمَرَّ بالحديثِ . لقدْ نشرَتْ

مجلةُ «تايمز أوف إنديا» مقالةً عن ولدٍ كانَ يعيشُ معَ قرودٍ مِنَ فصيلةِ الرّباحِ . لكنّ تِلكَ المقالةَ نُشرَتْ بعدَ أنْ نشرَ الكاتبُ (إدغار رايس بورّروز) الكتابَ الأوّلَ عن طرزانَ . نحنُ نظنُّ أنّ الحكايةَ الخياليّةَ التي تتعلّقُ بطرزانَ أوحَتْ لذلكَ الصّحفيِّ أن يطبخَ القصّةَ الثّانيّةَ .

– هُناك كتابٌ آخرُ عنِ الأطفالِ الذين يترعرعون معَ الحَيَوانات ، وهو كتابُ الأدغالِ مِن تأليفِ (كيبلنغ) ، تابَعَ الرّجُلُ حديثَه . وُلدَ (كيبلنغ) في الهندِ وعادَ إلى هُناك بعدَما أنهى تعليمَه في إنكلترا . كانَ صحفيًا يسافرُ في طولِ البلادِ وعَرضِها . كانَت قصصُ الأطفالِ الذينَ يعيشونَ معَ الذّئابِ تُنشَرُ غالبًا في الصّحفِ . كانَ ذلكَ في نهايةِ القرنِ التاسعَ عشرَ . في محافظةٍ واحدةٍ فقطْ تمَّ إحصاءُ 100 طفلٍ خطفَتْهمُ الذّئابُ بينَ عامَي 1867 و1873 . لا أحَدَ يَعلَمُ إذا كانَت هذه القصصُ حَقِيقيّةً وإلى أيِّ مدى . أو ما إذا كانَت تمتُّ إلى الحقيقةِ بِصِلةٍ أصلًا . أظنُّ أنّ هذه القصصَ هي التي أوحَتْ (لكيبلنغ) أنْ يكتبَ عنِ الوَلَدِ الذي يُدعى (ماوكلي) في كتابِ الأدغالِ .

– يوجدُ قاسِمٌ مشترَكٌ بينَ هذه القصصِ كلِّها ، قالَ الرّجُلُ ورَفَعَ نَظَرَه عنِ الورقةِ . لَمْ يتعلّمْ واحدٌ مِنَ الأطفالِ الذينَ عاشوا معَ الحَيَواناتِ الكلامَ . يبدو أنّ لا أحَدَ تَمَكَّنَ مِنَ أنْ يجعلَ أحدَهم يبتسمُ على الأقلِّ . لقدْ ماتَ غالبيَّتُهم وهم منقبضونَ على أنفسِهم داخِلَ الأقفاصِ التي وُضِعوا داخلَها . لقد قوّضَ الخوفُ أرواحَهم . لَمْ يتمكّنْ أحدُهم مِنَ التَّحَدُّثِ عن حياتِهم بينَ الحَيَواناتِ .

عِندَما سَمِعَ (لوك أوكونر) هذا طابَ مِزاجُه أكثرَ . لا بدَّ أنّ ولدَه ،

ولدَ النَّعام ، سيتمكّنُ مِنَ الحديثِ وسيصبحُ أعجوبةً لَمْ يسبقْها مثيلٌ .

تصفّحَ الرّجُلُ أوراقًا مِنَ الرُّزمةِ التي كانَت بين يديه ، التقطَ منها واحدةً وقرأَ بصوتٍ عالٍ .

– القصّةُ التي كُتبَ عنها القدْرُ الأكبَرُ مِنَ المنشوراتِ هي تِلكَ التي تتعلّقُ ببنتَينِ مِنَ الهندِ . حَدَثَ ذلكَ في عام 1920 . كانَت البنتانَ قدْ عاشتا معَ الذئابِ على ما يبدو . اعتنى بهما كاهنٌ يُدعى (سينغ) . حَاوَلَ أن يبقيَ وجودَ البنتينِ سرًّا لا يَعلَمُ به أحدٌ . أرادَ أنْ يربّيَهما بهدوءٍ إلى أنْ تصبحا إنسانتَينِ عاديّتَينِ ، ثمّ تكبَرا وتتزوّجا . لكنّ ذلكَ لَمْ يحدثْ . ماتَتْ إحداهما التي كانَت تُدعى (آمالا) وهي في الرّابعةِ مِن عُمرِها . (كاملةُ) التي كانَت في الثّامنةِ مِنَ العمرِ حينَ عُثرَ عليها ، عاشَتْ حتّى سنتِها السابعةَ عشرةَ . لَمْ تتعلَّمْ (آملا وكاملةُ) فنَّ الكلامِ . كانَتا تعضّانِ كلَّ مِن حَاوَلَ الاقترابَ منهما وتصرخانِ بحدّةٍ . كانَتا تصطادانِ الفئرانَ والعصافيرَ وتأكلانها نيِّئةً كَما هي . لَمْ تتعلّمْ (آملا) السيرَ على رجلَيها ، أمّا (كاملةُ) احتاجَتْ لسنواتٍ طويلةٍ لتقومَ بذلك . لكنْ يبدو أنّها ظلَّتْ تفضّلُ الرَّكْضَ على الأطرافِ الأربعةِ إذْ كانَت تضعُ رؤوسَ أصابعِها على الأرضِ .

– يوجدُ العديدُ مِنَ القصصِ المُماثلةِ ، لكنَّ الاستنتاجَ الذي توصّلَ إليه قسمُ الأبحاثِ لدينا هو أنّ معظمَ هذه القصصِ خياليّةٌ لا يُمتُّ للواقعِ بصلةٍ . يوجدُ بالطّبعِ ذرّاتٌ صَغيرةٌ مِنَ الحقيقةِ في هذه القصصِ ، إذ لا بدَّ أنّ النّاسَ وجدوا أطفالًا يعيشون في البرّيّةِ معَ أنواعٍ مختلفةٍ مِنَ الحَيَواناتِ . لكنّ تصرفاتِ هؤلاءِ الأطفالِ تدلُّ على أنّهم كانوا أطفالًا غيرَ

عاديينَ . بلْ همْ أطفالٌ يعانونَ مِنْ إعاقةٍ في النّموِّ ، مِن مرضِ التَّوحُّدِ ، مِنَ انفصامِ الشّخصيّةِ أو مِن أمراضٍ نفسيّةٍ أخرى . يعتقدُ النّاسُ أنّ أهلَ هؤلاءِ الأطفالِ أدركوا أنّ هُناكَ خللًا ما لديهم فتركوهم لمصيرِهم في الغابةِ . لَمْ يصبحْ أحَدُ هؤلاءِ الأطفالِ الذين تحدثْتُ عنهم هذه القصصُ . . كيفَ سأعبّرُ عن هذا . . لم يصبحْ أحدُهم طفلًا طبيعيًا .

– لكنَّ ولدَ النَّعامِ لَمْ يبدُ مُعاقًا على الإطلاقِ ، قالَ (لوك أوكونر) بحدَّةٍ . لقدْ كانَ (أوكونر) في الحقيقةِ غيرَ واعٍ عِندَما رأى الولدَ ، لدرجةِ أنَّهُ لَمْ يعدْ يذكرُ شكلَه أصلًا . كلُّ ما كانَ يذكرُه هو الشعرُ الطّويلُ المشعّثُ ، وأنّهُ رَكَضَ خَلْفَهُ إلى أنْ وقعَ ونامَ في مَكانِه فَوْقَ الرّمالِ .

– كانَ يبدو ذكيًا قويَّ الملاحظةِ ، تابَعَ (أوكونر) ، وحاولَ أن يبدوَ مقنعًا . تصوّروا أنْ تقومَ مجلةُ (الناشونال جيوغرافيك) بنشرِ أَوَّلِ قصّةٍ حَقيقيّةٍ واقعيّةٍ عنْ شخصٍ بمثابةِ طرزان أو ماوكلي . يمكنُكم أنْ تتابعوا نموَّه لسنواتٍ طويلةٍ . سيتعلّمُ اللّغةَ الإنكليزيةَ بالطّبعِ لِيَتَمَكَّنَ مِنَ الحَديثِ عن حَياتِه بينَ طيورِ النَّعامِ . الحلُّ الأفضلُ بالطَّبعِ هو إحضارُه إلى الولاياتِ المتّحدةِ الأمريكيّةِ وتربيتُه هنا . . .

لم يتسنَّ له أن يكملَ كلامَه لأنَّ الرجالَ الثّلاثةَ وقفوا مِنَ مَكانِهم ، صافحُوه ثمّ قالوا :

– سنحتفظُ بالصّورِ ، لدينا رقمُ هاتفِك . سنتّصلُ بك حينَ نتّخذُ قرارًا بهذا الصّددِ . سنعلِمُك بالنّتيجةِ خلالَ أسبوعٍ .

بعدَ ثلاثةِ أَيّامٍ أتَت المكالمةُ الهاتفيّةُ التي كانَ (لوك أوكونر) ينتظرُها على أحرَّ مِنَ الجَمرِ . كانَ قد تحدّثَ خلالَ تِلكَ الفترةِ لمستمعيه أنَّهُ

سيقودُ فريقَ أبحاثٍ لحسابِ مؤسّسةِ (الناشونال جيوغرافيك) ، وأنّه سيعودُ مِنَ تِلكَ الرّحلةِ الاستكشافيّةِ بأُعجوبةٍ ستبهِرُ العالمَ بأكملِه .

– نشكرُك على اقتراحِك لكنّا مضطرّون لعدمِ قبولِه ، قالَ صوتُ الرّجُلِ الذي تحدّثَ إليه عبرَ الهاتفِ . يصعبُ علينا تصديقُ هذه القصةَ بكلِّ صَراحةٍ . الدّليلُ الوحيدُ لديكَ هو صورُ آثارِ الأقدامِ في الرَّمْلِ . مَنْ يؤكّدُ أنّ الوَلَدَ وطيورَ النَّعامِ كانوا يسيرونَ معًا؟ ربَّما رَكَضَتْ طيورُ النَّعامِ عبرَ الصَّحراءِ ، ثمّ اختارَ وَلَدٌ أنْ يتبعَ الطّريقَ ذاتَها . لا تشكّلُ الصّورُ التي قدّمْتَها لنا إثباتًا . لا يمكنُنا أنْ نرسلَ فريقًا للبحثِ على أساسٍ هشٍّ كهذا ، لكنّي أشكركَ ثانِيةً على الاقتراحِ .

اتّصلَ (لوك أوكونر) في اليَومِ التالي بشركةِ إنتاجٍ للأفلامِ دُوْنَ أن يخبرَهم بأنّ جماعةَ (الناشونال جيوغرافيك) لَمْ يصدّقوا قصّتَهُ ، ورفضوا التعاملَ معَه . بدلًا مِنَ ذلكَ قالَ لهم : إنّ شركةَ الإنتاجِ ستحصلُ وحدَها على حقوقِ نشرِ قصّتِهِ ، أيْ قصّةِ الوَلَدِ البرّيِّ . عِندَما أدْرَكَ أنّ النّاسَ كانوا يخشونَ مشكلةَ عدمِ القدرةِ على الكلامِ عندَ أطفالٍ مثلِ ذاكَ ، قالَ إنَّ الوَلَدَ حينَ تسلّلَ إلى قاعدتِه وحرقَ يَدَهُ بالنار ، صرخَ بلغةٍ لَمْ يفهمْها هوَ .

وافقَتْ شركةُ إنتاجِ الأفلامِ على المَشروعِ .

بعدَ أسبوعٍ وقّعَ هو ، (لوك أوكونر) ، على عقدٍ ينصُّ على أنَّهُ قائدٌ لفريقِ أبحاثٍ سيقومُ بمُهمّةٍ تُدعى «الوَلَدُ البرّيُّ» .

تمَّ اتّخاذُ قرارٍ بأنْ يباشرَ الفريقُ رحلتَه الاستكشافيّةَ بعدَ شهرٍ واحِدٍ .

أسئلة الفصل

1 . اختلفُ هذا الفصلُ عنْ باقي الفصولِ الماضيةِ في أنَّهُ قليلُ الأحداثِ ، يعتمدُ على الحِوارِ الطّويلِ بينَ الشَّخصيّاتِ . كيفَ شعرْتَ وأنتَ تقرأُ هذا الفصلَ؟ ما السَّببُ في رأيكَ؟

2 . ما الّذي يؤكِّدُهُ هذا الفصلُ منْ صفاتِ الصّيّادِ (لوك أوكونور)؟

3 . ما رأيُ مجلَّةِ (ناشونال جيوغرافيك) في قَصَصِ أَطْفالٍ قِيْلَ إنّهُم عاشوا معَ الحيواناتِ؟ هَلْ تُوافِقُهُمْ على ذلكَ؟

4 . كيفَ استفادَ (لوك) مِنْ لقائِهِ الفاشِلِ معَ فَريقِ (ناشيونال جيوغرافيك) في إِقْناعِ شَرِكَةِ إِنْتاجِ الأفْلامِ؟

5 . ما الَّذي تَتَوَقَّعُ أنَّهُ سيحدثُ في الفصولِ القادِمَةِ؟

الفصلُ الخامسُ والعشرونَ

لقاءٌ معَ صديقٍ قديمٍ

استيقظَ هَدارةُ من نومِه فَجْأةً وزحفَ من تحتِ جناحِ طائرِ النَّعامِ النّاعمِ الذي كانَ يحميهِ مِنَ البَرد ، زَحَفَ بحذرٍ حتّى لا يُوقِظَ حوجٌ صغارَ النَّعامِ النّائمينَ بالقُرْبِ منه ، أحَسَّ ببرودةِ قطراتِ العرقِ الَّتي كانَتْ تتصبَّبُ فَوقَ جبهتِه ، كانَ قلبُه يدقُّ بسُرعَةٍ وبقسوةٍ داخِلَ صدرِه ، لماذا هو خائفٌ هكذا؟ بعدَ لَحَظاتٍ ظهرَ مِنَ جديدٍ ، ذلكَ الحلمُ الذي أيقظَه .

كانَ في الحُلمِ يتنقَّلُ في مِنطقةٍ مسطَّحةٍ برفقةِ عائلتِه ، سربِ النَّعامِ ، سارَ حوجٌ أوَّلًا ، ثمَّ ماكو ، ثمَّ هو ، ثمَّ الأفراخُ وفي نهايةِ الطّابورِ سارَتِ الإناثُ الشّابّاتُ . لَمْ يكنِ الحلمُ مُخيفًا حتّى الآنَ ، أتى الرُّعبُ حينَ رَكَضَتْ طيورُ النَّعامِ ، لقد شعرَتْ بوجودِ خطرٍ مُحْدِقٍ أتى مِنَ الخلفِ ودبَّ الذُّعرُ فيها ، نَظَرَ هدارةُ إلى الوراءِ فرأى شَيْئًا ضَخمًا أَسْوَدَ اللَّونِ مليئًا بالخَطرِ يقتربُ أكْثرَ فأكثرَ ، رَكَضَتِ النَّعاماتُ بأقصى سرعتِها لَكِنَّهُ لَمْ يستطعْ الرَّكْضَ بذَلِكَ القدرِ مِنَ السُّرْعَةِ . صارَتِ الأرضُ تَحْتَ أقدامِهِ رَخوةً وكأنَّها تحوّلَتْ إلى رمالٍ متحرِّكةٍ ، وأصبحَتْ كلُّ خطوةٍ تشكِّلُ مجهودًا ضخمًا ، وانغرسَتْ قدماهُ في رملٍ طريٍّ لزجٍ كأنَّها تريدُ أنْ تبقيَه

هُناكَ .

اقتربَ ذلكَ الشَّيءُ الأسْوَدُ أكْثَرَ فأكثَرَ .

– انتظروا ، صرخَ هَدارةُ صوبَ النَّعاماتِ .

فأجابَتِ النَّعاماتُ :

– لن ننتظرَك . أنتَ لَسْتَ واحدًا منّا .

ثمَّ اقتربَ الشَّيْءُ الأسْوَدُ أكْثَرَ وأمسكَتْ به يدانِ ، أحَسَّ بيدَينِ باردَتينِ دَبِقتَينِ تلامسانِ ظهرَه .

في تِلكَ اللَّحظَةِ صحا مِنَ نومِه ، كانَ عَلَيهِ أنْ يسيرَ حولَ المَكانِ ليهدأَ قليلًا .

يا له مِنَ حلمٍ عجيبٍ ، أدْرَكَ هَدارةُ أنَّهُ كانَ مجرّدَ حلمٍ ، لَمْ يكنْ أمرًا واقعًا ، لا تركضُ طيورُ النَّعامِ وتتركُه خلفَها ، في الواقعِ طيورُ النَّعامِ جديرةٌ بالثِّقةِ ، هذا ما علَّمَتْهُ الحَياةُ معهُم .

لم يَزْحَفْ عائدًا إلى مَكانِه تَحْتَ جناحِ حوجٍ ، بلْ جلسَ منكمشًا في هواءِ الصَّباحِ الباردِ وتأمّلَ شروقَ الشَّمسِ .

بعدَ أنْ أكلَ الجَميعُ وتناولوا أحجارًا صَغيرةً ، وبعدَ أنْ رقصوا معًا غادَرَ هَدارةُ وحيدًا ، كانَ قد ربطَ قطعةَ القماشِ فَوْقَ ظهرِه بعدَ أنْ وَضَعَ فيها قشورَ بيضاتِ النَّعامِ ، كانَ في طَريقِه إلى بركةِ الماءِ ، أرادَ أفْرادُ السِّرْبِ أنْ يُرافقوه ، وكالعادةِ منعَهم هَدارةُ من فعلِ ذلكَ ، مِثلَ كلِّ مرَّةٍ ، قالَ لهم : إنَّ الأمرَ في غايةِ الخُطورةِ ، وإنَّهُ توجدُ كائناتٌ بشريّةٌ هُناك .

رَكَضَ بخطًى سريعةٍ طوالَ الطَّريقِ باتِّجاهِ بركةِ الماءِ مليئًا بالخوفِ والأملِ . هلْ سيجدُ آثارًا جديدةً في الرَّمْلِ؟ هلْ زارَ البشرُ ذلكَ المَكانَ

مجدَّدًا؟ ماذا لو كانَ هُناكَ بشرٌ عندَ البِركةِ الآنَ؟

كانَتْ بِركةُ الماءِ واقعةً في منحدَرٍ ومنْ فوقِ تلّةٍ قريبةٍ كانَ يرى البِركةَ بأكملِها ، رَكَضَ ليختبئَ بينَ الأشجارِ على قمَّةِ التَّلَّةِ وتوقَّفَ فَجْأةً ، إذا وَقَفَ خَلفَ جذعِ الشَّجرةِ الأغلظِ لن يراهُ أحَدٌ مِنْ جِهَةِ البِركةِ ، وَقَفَ هُناكَ إلى أنْ عادَتْ أنفاسُه إلى هدوئِها وتجرَّأَ على أنْ يمدَّ رأسَه مِن خَلفِ جذعِ الشَّجرةِ ، رأى عندَ ذلكَ أولئكَ الّذينَ يتركونَ آثارَهم عندَ البِركةِ عادةً ، إنسانٌ وجَمَلٌ . كانَ الرّجُلُ مُرتديًا عمامةً وثوبًا فَضفاضًا ويقودُ الجَمَلَ إلى الماءِ ، كانَ الرَّجُلُ يُحَدِّقُ إلى الأرضِ طوالَ الوقتِ ، انْحَنى جالسًا على ركبتَيهِ وتمعّنَ ببَعْضِ الآثارِ الموجودةِ فَوْقَ الرَّمْلِ ، أدْرَكَ هَدارةُ أنَّ الرَّجُلَ كانَ يدرسُ آثارَه هو ، شعرَ بالذُّعرِ عِندَما رأى أنَّ الرَّجُلَ وَقَفَ وتتبّعَ آثارَه ، سارَ الرّجُلُ بالاتِّجاهِ الّذي يسيرُ به هو حينَ يعودُ بالماءِ . كانَ الرّجُلُ يسيرُ باتِّجاهِ عائلتِه ، سربِ النَّعامِ . بقيَ الجَمَلُ واقفًا بالقُرْبِ مِنَ بِركةِ الماءِ حَيْثُ راحَ يأكُلُ مِن الشُّجيراتِ الشّائكةِ ، لكنَّ الرَّجُلَ تابَعَ سيرَه .

لم يكنْ هَدارةُ يعرفُ ماذا عليهِ أنْ يفعلَ .

هل يَرْكُضُ نَحْوَ الرّجُلِ ويمنعُه مِنَ متابعةِ السَّيرِ؟

أم يفعلُ مثلَ حوجِ وماكو عِندَما يقتربُ أحَدٌ مِنَ عشِّهما المليءِ بالصِّغارِ أو البيضِ؟ كانا يتظاهرانِ بأنَّهُما جريحانِ ثمَّ يركضانِ من المَكانِ يعرجانِ ، ساحبَينِ جناحَيهِما على الأرضِ .

أجلْ بالطَّبعِ ، هذا ما سيفعلُه هو أيضًا ، سيركضُ هَدارةُ أمامَ الرّجُلِ ويتظاهرُ بأنَّه جريحٌ ، سيركضُ هنا وهُناكَ أمامَ الرّجُلِ ليخدعَه ويجعلَه

يسيرُ باتِّجاهٍ آخرَ . تَرَكَ مخبأهُ خَلْفَ جذعِ الشّجرةِ في اللَّحظَةِ الَّتي رأى فيها الرّجُلَ يعودُ سائرًا باتِّجاهِ بِركةِ الماءِ ، راقبَ حركاتِ الرّجُلِ بقلقٍ ، كانَ الرَّجلُ الواقفُ قُربَ البِركةِ يشبهُهُ كَثيرًا ، لكنَّ هَدارةَ لَمْ يَشْعُرْ بأيِّ نوعٍ مِنَ القرابةِ تجاهَه ، مشى الرّجُلُ إلى جَمَلِه ، جَعَلَهُ يبركُ على الأرضِ ، ركبَ على ظهرِه ثمَّ غادرَ المكانَ .

شعرَ هَدارةُ برَغبَةٍ مفاجِئةٍ وحادَّةٍ بأنْ يعبرَ الصَّحراءَ راكبًا على ظهرِ جَمَلٍ ، كانَ ركوبُ الجَمَلِ يبدو ممتعًا للغايةِ .

اخْتَفى الرَّجلُ مِنَ هُناكَ ، لكنَّ هَدارةَ لَمْ يجرؤْ على الاقترابِ مِنَ الماءِ بالرَّغمِ مِنَ أنَّ العطشَ جَعَلَ لسانَه يلتصقُ في حلقِه ، تَسَلّقَ شجرةً عاليةً ، كانَتِ الشَّجرةُ شائكةً وجرحَتْه ، لَكِنَّهُ لَمْ يأبَهْ للأمرِ ، لقد استطاعَ الآنَ أنْ يرى إلى مَسافةٍ أبعدَ من فَوْقِ الشَّجرةِ ، وأرادَ أنْ يرى إذا كانَ أحَدٌ في طريقِه إلى هُناكَ ،

كانَتْ هُناكَ حَرَكَةٌ في البعيدِ مِنَ الجهةِ الأُخرى لبِركةِ الماءِ جعلَتْهُ يجمدُ في مَكانِه ، ما هَذا؟ كأنَّها غيمةٌ صَغيرةٌ تتحَرَّكُ فَوْقَ سطحِ الصَّحراءِ الأصفرِ المائلِ إلى الرَّماديِّ ، مازالَتِ الغيمةُ تقتربُ أكثرَ فأكثرَ ، لو كانَ حوجٌ هُنا لرأى ما هيَ ، طيورُ النَّعامِ كلُّها ترى بوضوحٍ أكثرَ ، انتظرَ هَدارةُ بقلقٍ ، هلْ هيَ مجموعةٌ مِنَ البشرِ؟ لا ، لقد رآها الآنَ بوضوحٍ ، إنَّها قطيعٌ من الغزلانِ ، مجموعةٌ من الغزلانِ تكادُ تطيرُ فَوْقَ سطحِ الأرضِ ، تقفزُ وتتقدَّمُ بخفَّةِ الرِّيحِ ، ظلَّتِ الغزلانُ تركضُ إلى أنْ وَصَلَتْ إلى بِركةِ الماءِ حَيْثُ توقَّفَتْ بسُرْعَةٍ ، نَظَرَتْ حولَها بحذرٍ ثمَّ غرسَتْ رؤوسَها في الماءِ وراحَتْ تشربُ ، هكذا فعلَتْ ما عدا واحدةً ، ماعدا الغزالةَ الَّتي كانَتْ

تحرسُ البقيَّةَ ، كانَتْ تنظرُ في جَميعِ الاتِّجاهاتِ .

تذكَّرَ هَدارةُ الغزالةَ ظبيًا ، لنْ يتمكَّنَ مِنَ التَّعرُّفِ إليها وسطَ هذا القطيعِ . كانَ للغزلانِ كلِّها مظهرٌ واحدٌ ، ثمّ تذكَّرَ أنَّ ظبيًا لَمْ تَكُنْ تخافُه ، نزلَ بحذرٍ مِن فوقِ الشَّجرةِ ، سارَ بحذرٍ خطوةً تِلوَ الأُخرى وحاولَ الاقترابَ مِنَ القطيعِ ببطءٍ . لَمْ يكنْ يريدُ إخافةَ القطيعِ ، لذلكَ توقَّفَ عِندَما رأى أنَّ قائدةَ القطيعِ رأتْه ، توقَّفَ كلُّ أفْرادِ القطيعِ عن الشُّربِ وكأنَّ أحَدًا ما أعطاهُم إشارةً خفيَّةً ، رفعوا رؤوسَهم وراحوا يُمعنونَ النَّظَرَ فيهِ .

حدثَ عندَها أمرٌ عجيبٌ ، إذْ بدأتِ الغزالةُ قائدةُ القطيعِ تسيرُ باتِّجاهِه ، وقفَ هَدارةُ في مَكانِه وكأنَّهُ مُسمَّرٌ ، لَمْ يكنْ يريدُ إخافتَهم بالرَّغمِ مِنَ العطشِ الَّذي جَعَلَهُ يتمنّى أنْ يرميَ بِنَفسِهِ في البِركةِ ليطفئَ العطشَ الذي كانَ يشتعلُ داخلَه .

سارَتْ قائدةُ القطيعِ إليهِ بسيقانِها الرَّفيعةِ المتهاديةِ ، كانَتْ أُنْثى ، توقَّفَتْ أمامَه ، حَنَتْ رقبتَها ولامسَتْ يَدَهُ بأنفِها ، فَهِمَ عندَها هَدارةُ .

– ظبيٌ ، قالَ هَدارةُ .

لَعَقَتِ الغزالةُ يدَه .

– لديَّ صَغيرٌ الآنَ ، قالَتْ ظبيٌ ، لكنَّ الحليبَ يكفي لكَ أنتَ أيضًا . إذا كُنْتَ تريدُ أنْ تشربَ الحليبَ .

للمرَّةِ الثّانيةِ في حياتِه شربَ هَدارةُ حليبَ الغزالةِ الحلوَ الطَّعمِ الدّافئِ ، أخبرَتْهُ ظبيٌ بأنَّ القطيعَ فكَّرَ في البقاءِ في الجِوارِ لأنَّ المَكانَ كانَ جيّدًا وفِيهِ الكَثيرُ مِنَ الماءِ والطَّعامِ .

قالَتْ له ظبيٌ إنَّها ستخبرُ بقيّةَ أفْرادِ القطيعِ بأنَّ هَدارةَ لا يشكِّلُ خطرًا

عليهم ، بلْ هو على العكسِ ، صديقٌ ، إنَّهُ صديقٌ قديمٌ ، هو الَّذي أنقذَها حينَ كانَتْ على عتبةِ الموتِ بسببِ كَثْرةِ الحليبِ الَّذي تجمَّعَ في ضرعِها .

وعدَتْه أنْ تقدِّمَ له الحليبَ في المُستَقْبَلِ أيضًا .

هكذا بدأتْ مرحلةٌ سعيدةٌ مِنْ حياةِ هَدارةَ ، كانَ يَرْكُضُ كلَّ يوم تقريبًا حتّى يجدَ قطيعَ الغزلانِ ، لَمْ يعُدْ أحَدٌ مِنَ الغزلانِ يخشاه بعدَ الآنَ ، كانَ يقضي وقتَه معهُم ، يلعبُ معَ صغارِهم ويَشْرَبُ حليبَ الإناثِ ، أدْرَكَ أنَّ الحليبَ مشروبٌ مغذٍّ . قالَتْ له ماكو إنَّهُ صارَ يبدو أقوى ممّا كانَ عَلَيهِ في السّابقِ ، ولاحظَ بِنَفسِهِ أنَّهُ صارَ يَرْكُضُ بسُرْعَةٍ أكبَرَ ، اعتقدَ أنَّ قطيعَ الغزلانِ سيعيشُ بالقُربِ منه ومن عائلتِه ، أيْ سربِ النَّعامِ ، بقيَّةَ حياتِه ، لكنَّ الغزلانَ تجمَّعَتْ حَوْلَهُ في يومٍ مِنَ الأيامِ ، كانوا مرتبكينَ وقلقينَ وعجزوا عن الوقوفِ بهدوءٍ . قالَتْ ظَبيٌ في النِّهايةِ :

– سنغادرُ هذا المَكانَ ، نحنُ في عَجلةٍ مِن أمرِنا ، أردْنا أنْ نخبرَكَ بالأمرِ قَبْلَ أنْ نرحلَ .

لم يفقهْ هَدارةُ شَيْئًا ، لماذا يختفونَ فَجْأةً هكذا؟ إلى أينَ سيذهبونَ؟

– لقد رأيْنا العديدَ مِن سيّاراتِ الجيبِ في الجِوارِ ، سيّاراتُ جيبٍ مليئةٌ بالبشرِ ، البشرُ الَّذينَ يركبونَ سيّاراتِ الجيبِ يحملونَ البنادقَ عادَةً ويطلقونَ النّارَ على الغزلانِ ، يلاحقونَنا عِندَما نركضُ ويطلقونَ النّارَ علينا ، لهذا سنرحلُ ، لسْنا ندري إلى أينَ ، نحنُ خائفونَ جدًّا .

ظلَّ هَدارةُ واقفًا في مَكانِه فاغرَ الفَمِ ورأى حينَ انتفضَ قطيعَ الغزلانِ بأكملِه ، استداروا إلى الخلفِ وهربوا راكضينَ نَحوَ الجنوبِ بقَفَزاتٍ طويلةٍ .

أسئلة الفصل

1 . اقرأ الفِقْرةَ الَّتي تُصوِّرُ حُلْمَ هدارة .

2 . ما الّذي قدْ يوحي بهِ هذا الحُلْمُ؟ وعلى ضَوْئِهِ : كيفَ تتوقَّعُ أنْ تتجِّهَ الأحداثُ؟

3 . مَنْ تَتَوَقَّعُ أنْ يكونَ الرَّجلُ صاحِبُ الجَمَلِ الّذي رآهُ هدارة؟ ما دليلُكَ على ذلكَ؟

4 . كيفَ عَبَّرَتْ (ظَبْيٌ) عَنْ وَفائِها لهدارة؟ اذكُرْ دليلَينِ .

5 . عاشَ هدارةُ في هذا الفصلِ أيّامًا سَعيدةً انعكسَتْ على روحِهِ وَجَسدِهِ . اكتُبْ مُوضِّحًا ذلكَ .

6 . ما الصِّفةُ الَّتي يؤكِّدُها مرَّةً أُخْرى هذا الفصلُ لِلْبشرِ؟ اقْرَأ المقطعَ الَّذي يؤكِّدُ ذلكَ .

7 . ما الجملةُ التي تتضمّنُ ضميرَ نصبٍ منفصلٍ من الجملِ الآتيةِ :

أ . " . . . . ساحبين جناحيهما على الأرض"

ب . "رفعوا رؤوسَهم وراحوا يمعنون"

ت . "لقد رأينا العديدَ من سيّاراتِ الجيب"

ث . " . . .يلاحقوننا عندما نركضُ ويطلقونَ النّارَ"

الفصلُ السّادسُ والعشرونَ

عَنْ ولدٍ برّيٍّ في فرنسا

زحفَتْ ثلاثُ سيّاراتِ جيبٍ كَبيرةٍ رماديّةِ اللَّونِ فَوقَ الأرضِ الصَّحراويّةِ المسطَّحةِ ، كانَ على سطحِ السَّيّاراتِ خيامٌ مطويّةٌ ، صناديقُ خشبيّةٌ مليئةٌ بالمُعدّاتِ وشبكةٌ غليظةٌ ملفوفةٌ ومربوطةٌ بحبالٍ ، لوك أوكونر هو الذي اقترحَ إحضارَ الشَّبكةِ لأنَّها ستمكِّنُهم مِنَ الإمساكِ بالولدِ الَّذي يعيشُ مع سربِ النَّعامِ ، كانَ في داخلِ السَّيّاراتِ غالوناتٌ مليئةٌ بالماءِ ، ووقودٌ احتياطيٌّ وصناديقُ معدنيّةٌ فضّيّةُ اللّونِ مليئةٌ بمُعدّاتِ التَّصويرِ .

كانَ فريقُ التَّصويرِ مؤلَّفًا مِنْ ثلاثةِ رجالٍ يعملونَ في شركةِ غلوبال لإنتاجِ الأفلامِ ، هم المُنتجُ بوب جونسون ، والمصوِّرُ السّينمائيُّ هارولد جوزيف ، ومهندسُ الصَّوتِ غريغوري وايلدر . كانَتْ فكرةُ الشَّبكةِ فكرةً جيّدةً جدًّا في نَظَرِ المنتجِ بوب ، استعمالُ الشَّبكةِ سيُضفي طابعًا دراميًّا على الإمساكِ بالولدِ وسيتركُ انطباعًا ناجحًا على الفلمِ .

قائدُ الفريقِ الَّذي لا نقاشَ حَوْلَ مركزِه المرموقِ هو لوك أوكونر مِن مونتانا ، الصَّيّادُ والمغامِرُ الَّذي رأى الوَلَدَ وصوّرَ آثارَه ، كانَ لوك أوكونر يقودُ إحدى سيّاراتِ الجيبِ ، كانَ قد وَضَعَ أمامَه ، على لوحةِ أجهزةِ القياسِ ،

إحدى الصُّورِ التي التقطَها والتي تبدو فيها بوضوحٍ آثارُ أقدامِ طيورِ النَّعامِ في الرَّمْلِ ، ثمَّ آثارُ أقدامٍ بشريّةٍ ، كانَتْ أقدامًا بشريّةً صَغِيرةً ، تعودُ إلى الوَلَدِ الذي يعيشُ مع سربِ النَّعامِ .

بالقُربِ مِن لوكِ جلسَ الشَّخصُ الخامسُ الذي ينتمي إلى الفريقِ وهو الباحثُ اللّغويُّ غاي ميكلوس . كانَ غاي ميكلوس رَجُلًا نحيفًا رفيعَ المِنكَبَينِ له شعرٌ طَويلٌ مشعّثٌ ، كانَ غاي قد عاشَ ثلاثَ سنواتٍ في الصَّحراءِ وتعلَّمَ ثلاثًا مِنَ اللُّغاتِ المتداولةِ في الصَّحراءِ الكُبرى ، لقد تعلَّمَ اللُّغةَ العربيّةَ في الجامعةِ ، لَكِنّهُ خلالَ السَّنواتِ الثّلاثِ التي قضاها في الصَّحراءِ تعلَّمَ اللّغةَ الحَسّانيّةَ المتداولةَ في الصَّحراءِ الغربيّةِ كما تعلَّمَ لغةَ تمارشك التي يتكلَّمُها الطَّوارقُ .

أحضرَتْهُ شركةُ إنتاجِ الأفلامِ معَ الفريقِ ليتكلَّمَ معَ الصَّبيِّ عندَ القبضِ عَلَيهِ مباشرةً ، اعتقدَ بوب أنَّ الوَلَدَ كانَ يجيدُ واحدةً مِنَ اللّغاتِ الثَّلاثةِ ، العربيّةِ ، الحَسّانيّةِ أو التمارشكِ .

– كيفَ تمكَّنْتَ مِنَ المُكوثِ في الصَّحراءِ ثلاثَ سنواتٍ متتاليةً؟ تساءلَ لوكُ ومسحَ العَرقَ عن جبينِه بكُمِّ قميصِه ، الصَّحراءُ الكبرى مَكانٌ قبيحٌ جِدًّا ورتيبٌ جِدًّا وليسَ أكثرَ مِنَ جحيمٍ حارٍّ كالجمرِ ، ألا توافقُني الرَّأيَ؟

– لَسْتُ أدري ، قالَ غاي ميكلوس الصَّحراءُ مَكانٌ جميلٌ ومتنوِّعٌ في نَظَري والحرُّ أمرٌ يمكنُ الاعتيادُ عليه ، اللّيالي رائعةٌ هُنا ، النّاسُ هنا مُشوِّقونَ جدًّا وكذلكَ لغاتُهم . أتمنّى أنْ تتسنّى لي العودةُ ثانيةً إلى هُنا في السّنةِ القادمةِ . أتمنّى أنْ يُتاحَ لي البقاءُ هنا لمدّةِ ثلاثِ سنواتٍ أُخرى .

– هزَّ لوك أوكونر رأسَه مُستنكِرًا ، دوّى صوتُ زامورِ الجيبِ الذي سارَ خَلفَهُم مِمّا اضْطُرَّ لوكَ لتخفيفِ سرعتِه ثمَّ للتوقُّفِ ، خرجَ جَميعُ الرِّجالِ مِنَ السَّيّاراتِ وجلسوا في ظلِّ الجيبِ الَّذي كانَ يسيرُ في الطَّليعةِ .

– أينَ يمكنُنا العثورُ على دليلٍ؟ سألَ بوب ، يجبُ أنْ نوظِّفَ ثلاثةَ أشخاصٍ على الأقلِّ ، نحنُ بحاجةٍ إلى دليلٍ يعرفُ الصّحراءَ معرفةً جيّدةً ، كَما نحتاجُ إلى شخصَين ينصُبانِ لنا الخِيامَ ويطهوانِ الطَّعامَ ويحملانِ مُعدّاتِ التّصويرِ عنّا حينَ نصوِّرُ ، أليسَ مِنَ الأفضلِ أنْ نحاولَ العثورَ على الدَّليلِ ذاتِه الذي كانَ برفقتِك حينَ رأيتَ الولدَ؟

– تعني سيدي إبراهيمَ؟ قالَ بوب وانفجرَ ضاحكًا بضحكتِه المشهورةِ . سيدي إبراهيمَ رجلٌ واسعُ الخيالِ ، كانَ يدّعي أنَّهُ حينَ يَنْظُرُ إلى آثارِ حَيَوانٍ يَستَطيعُ أن يعرفَ ما إذا كانَ ذكرًا أمْ أُنْثَى ، كَما كانَ يدّعي أنّهُ تحرٌّ صحراويٌّ وأنّهُ حلَّ الكَثيرَ مِنَ القضايا التي تتعلَّقُ بالجِمالِ المسروقةِ واللُّصوصِ بمجرَّدِ النّظَرِ إلى آثارِ أقدامِهم ، ثمَّ إنَّهُ زَعمَ أنّهُ عندَما يرى آثارَ قدمَيْ شخصٍ ما ، كانَ يرى الشَّخصَ بأكملِه واقفًا أمامَ عينيهِ ، لَمْ تَكُنْ ادِّعاءاتُه أكثَرَ مِن خدعةٍ بالطَّبعِ .

– لا تقلْ ذلكَ ، قالَ الباحثُ غاي ميكلوس ، لقدْ عشتُ معَ الطَّوارقِ ، إنَّهم قبيلةٌ مهمَّةٌ تعيشُ في جنوبِ الصَّحراءِ الكُبرى ، همُ الَّذين يُدْعَونَ بالرَّجالِ الزُّرقِ ، لقد رافقتُهم مرّةً في رحلةِ قافلةٍ إلى مالي ، كانَ في تِلكَ القافلةِ رجلٌ مُسِنٌّ ، كانَ يضعُ يدَيهِ على الرَّمْلِ كلَّ مساءٍ ، ثمَّ يحدّثُنا عمّا كانَ يحدثُ في ديارِهم حَيْثُ تركوا النِّساءَ والأطفالَ والمُسنّينَ ، أذكرُ أنَّهُ أخبرَنا أنَّ أحَدَ الرِّجالِ الذين كانوا معَنا في القافلةِ قد رُزقَ بصبيٍّ ،

عِندَما عُدْنا إلى ديارِهم وجدْنا أنَّ كلَّ ما أخبرَنا بهِ الرَّجُلُ المسنُّ قد حَدَثَ فعلًا ، لا يمكنُني أنْ أفسِّرَ ماذا فَعَلَ لِيَتَمَكَّنَ مِن ذلك ، لكنّي تعلَّمْتُ حقيقةً وهي أنّ الكَثيرَ مِنَ الأمورِ تحدثُ في الصَّحراءِ وأنَّنا عاجزونَ عن فَهْمِ معظمِها .

– ما زالَ سيدي إبراهيمُ مُخادِعًا مُحتالًا في نَظري ، قال لوكٌ مُعانِدًا ، عِندَما أريتُه آثارَ الوَلَدِ الذي يعيشُ معَ النَّعامِ وسألْتُه عن مظهرِه ، عن عُمرِه ، هل يعيشُ فعلًا مع طيورِ النَّعامِ ، بدا منزعجًا فقطْ ، هزَّ برأسِه ثمَّ قالَ : إنَّهُ لا يرى شَيْئًا مِن ذلكَ .

– نحنُ بحاجةٍ إلى دليلٍ على أيَّةِ حالٍ ، قالَ بوب ، سيدي إبراهيمَ ذلكَ يبدو مُشَوِّقًا ، سيزيدُ تصويرُه الفلمَ تشويقًا ، لكنَّ البدوَ يتنقَّلونَ طَوالَ الوقتِ ، ولذَلِكَ لنْ يكونَ إيجادُه سهلًا ، أريدُ أنْ نتوقَّفَ عِندَما نلتقي ببَعْضِ البدوِ لنحاولَ توظيفَ اثنينِ منهم أو ثلاثةٍ ، ونسألُهم إذا كانوا يعرفونَ المَكانَ الذي نستطيعُ فِيهِ العثورَ على سيدي إبراهيمَ ذاكَ . اتَّفَقْنا؟

حسنًا ، قالَ لوكٌ وعادوا إلى الجيبِ ، كانَ يعضُّ على أسنانِه غيظًا . لَمْ يكنْ تلقّي الأوامرِ أمرًا يروقُ له ، لَكِنّهُ كانَ يَعلَمُ أنَّ عَلَيهِ أنْ يلتزمَ الصَّمتَ وألّا يثيرَ المشاكلَ ، ما كانَ عَلَيهِ إلّا أنْ ينفِّذَ ما قالَه بوبُ ، بوبُ المسؤولُ الأعلى وبفضلِه سيتمكَّنُ هو مِنَ البَدءِ بحياةٍ جديدةٍ ، مِنْ أنْ يصبحَ شخصًا عظيمًا ، سيصبحُ رَجُلًا مشهورًا في المُستَقْبَلِ القريبِ حيثُ سيعرفُ جَميعُهم مَنْ هو لوك أوكونر .

قادوا سيّاراتِهم طَوالَ النّهارِ دونَ أنْ يرَوا خيامًا ، جِمالًا أو بشرًا ، عِندَما حلَّ ظلامُ اللَّيلِ متسلِّلًا ، اضْطُرّوا لأنْ يُنزِلوا معدّاتِهم بأنفسِهم

مِنَ السَّيّاراتِ ، وينصبوا الخِيامَ ، ويشعلوا النّارَ ويطبخوا الطَّعامَ ، كانَ لِكُلٍّ منهم صُنْدوقٌ خشبيٌّ مليءٌ بأغراضٍ شخصيّةٍ ، رَفَعَ غاي ميكلوس غِطاءَ صُنْدوقِه الذي كانَ يحتوى على الثّيابِ ، والصّابونِ ، وفرشاةِ الأسنانِ وعدّةِ الحلاقةِ ، لكنَّ الجزءَ الأكبَرَ مِنَ الصّنْدوقِ كانَ مليئًا بالدَّفاترِ ، والأقلامِ ، وآلةِ تصويرٍ ، ودفاترِ رسمٍ وكُتُبٍ ، أخذَ منها كتابًا ، تمدّدَ على جنبِه بالقُرْبِ مِنَ النّارِ وبدأَ يقرأُ ، كانَ عنوانُ ذلكَ الكتابِ : «الولدُ البرّيُّ في فرنسا» .

لم يفتحْ أيٌّ مِنَ المصوِّرِ السّينمائيِّ ومهندسِ الصَّوتِ صُنْدوقَه ، بلْ أنزلا الصَّناديقَ المعدنيّةَ التي كانَتْ فيها آلاتُ التَّصويرِ والتَّسجيلِ وراحا يتفحّصانِها بقلقٍ ، لقد سارَتِ السَّيّاراتُ في مِنطقةٍ متعرِّجةِ التّضاريسِ في نهايةِ الطَّريقِ ، ممّا جعلَها تقفزُ وتهتزُّ بشدَّةٍ ، ولذَلِكَ أرادا الاطمئنانَ على المعدّاتِ خوفًا مِنْ أنْ تكونَ قد تعطَّلَتْ ، عِندَما اطمأنّا على المعدّاتِ راحا يمسحانِ الغُبارَ وحبّاتِ الرَّمْلِ عنها بِواسِطةِ قطعةٍ مِنَ جلدِ الشَّمواهِ وفرشاتَينِ صَغيرتَينِ ، كانا قلقَينِ من الرَّمْلِ كَثيرًا ،لقد أدركا قَبْلَ أنْ يُغادِرا الولاياتِ المتّحدةَ الأمريكيّةَ أنَّ الكَثيرَ مِنَ المعدّاتِ قد تتعطَّلُ بسببِ الرَّمْلِ ، ولذَلِكَ أحضرا معهُما آلتَينِ للتَّصويرِ ومجموعتَينِ مختلفتَينِ مِنْ معدّاتِ التَّسجيلِ والميكروفوناتِ ، بالرَّغمِ مِنْ ذلكَ اعتراهُما القلقُ .

لم يَنظُرْ بوبٌ الذي كانَ يرأسُهما إليهِما ، كانَ يثقُ بهِما ثقةً عمياءَ ، وكانَ مُقتنعًا بأنَّهُما يحافظانِ على المعدّاتِ وأنَّها لنْ تُصابَ بأذى طالَما كانَتْ في رعايتِهما ؛ لذلكَ أخرجَ دفترًا مِنْ صُنْدوقِه وَراحَ يضعُ الخططَ للفلمِ القادمِ . المشهدُ الأوَّلُ : لوك أوكونر يجلسُ خَلْفَ المقودِ ويقودُ الجيبَ

عبرَ الصَّحراءِ . يتحدَّثُ عن لقائِه الأوَّلِ بالوَلَدِ الذي يعيشُ معَ سربِ النَّعامِ ، ويعرِضُ بعضَ الصُّورِ التي التقطَها والتي تكشفُ آثارَ أقدامِ الوَلَدِ في الرَّمْلِ ، يتبعُ ذلكَ بعضُ اللَّقطاتِ التي تُظهِرُ بحثَهُم عن الوَلَدِ في الصَّحراءِ ، بعدَ ذلكَ مشهدٌ للولدِ وهو يَرْكُضُ وسطَ سربٍ مِنَ طيورِ النَّعامِ ، ثمَّ تأتي ذُروةُ الفلمِ حينَ يصطادونَ الوَلَدَ بِواسِطةِ الشَّبكةِ ، لَمْ يكنْ يَعلَمُ كيفَ سيتِمُّ ذلكَ ، بما أنَّهُ كانَ على علمٍ بأنَّ الوَلَدَ متوحّشٌ وقد يعترضُ على احتجازِ حرّيّتِه ، أحضرَ معهُ أحزمةً مِنَ الجلدِ وسترةً للمجانينِ ليقيَّدَه حينَ يحتجُّ ، تمنّى بوبُ ألّا يضْطَرَّ لاستعمالِ سُترةِ المجانينِ ، لكنَّ استعمالَها سيؤدّي إلى ارتفاعِ الصّفةِ الدِّراميّةِ للفلمِ ؛ أيْ إذا كانَ الوَلَدُ متوحِّشًا إلى درجةٍ تجعلُهم يضطرّونَ إلى اللُّجوءِ إلى السُّترةِ المقيِّدةِ التي تُستعمَلُ لتهدئةِ المجانينِ .

وضعَ منتجُ الفلمِ دفترَه جانبًا ونَظَرَ إلى السّماءِ البرّاقةِ ، لَمْ يسبقْ له رؤيةُ هذا القَدرِ مِنَ النُّجومِ في حياتِه ، شعرَ كأنّ بلايينَ النُّجومِ كانَتْ تعلو هناك في السَّماءِ وأنَّها قريبةٌ لدرجةٍ تمكِّنُهُ مِنْ أنْ يمدَّ يَدَهُ ليلامسَها .

أشرقَ قمرٌ نصفيٌّ في السَّماءِ ، ساعدَ النّورُ الذي سالَ مِنَ القمرِ والنّجومِ والنّارِ غايَ ميكلوس على أنْ يقرأَ بسهولةٍ ، راحَ يقرأُ باهتمامٍ متزايدٍ عن الوَلَدِ البرّيِّ الذي عُثرَ عَلَيهِ في فرنسا .

– لا أظنُّ أنَّكم تدركونَ كم هي فريدةٌ مِنَ نوعِها وكم هي قصَّةُ الوَلَدِ الذي يعيشُ معَ سربِ النَّعامِ هذهِ ممتعةٌ ، قالَ غاي في نهايةِ المَطافِ ، ورَفَعَ نَظَرَه مِنَ الكتابِ ، هُناك الكَثيرُ مِنَ القصصِ عن الأطفالِ البرّيّينَ الذين تمَّ القبضُ عليهم ، لكنْ لَيْسَ هُناك الكَثيرُ مِنَ الحالاتِ التي دُرِسَتْ

بجدّيّةٍ ، الحالةُ الأولى التي تمَّ توثيقُها بشكلٍ معقولٍ حالةُ ولدٍ في فرنسا ، لَمْ يترعرعْ بينَ الحَيَواناتِ على الإطلاقِ ، لكنْ يُعتقَدُ أنَّهُ عاشَ وحيدًا في الغاباتِ ، لُوحِظَ للمَرَّةِ الأولى عامَ 1797 ، ولدٌ عارٍ اخْتَفى راكضًا إلى أعماقِ غابةٍ في مَكانٍ ما وسطَ فرنسا ، خرجَ سكّانُ قرًى مجاورةٍ دَفَعَهُم الفُضولُ إلى البحثِ عنه ورأوهُ وهو يبحثُ عن البلّوطِ والجُذورِ ، تَمَكَّنَ في السَّنةِ التّاليةِ بعضُ الحطّابينَ مِنَ الإمساكِ به . قادُوه إلى القريةِ ، أتى كلُّ سكّانِ القريةِ لمشاهدةِ الوَلَدِ المتوحّشِ الذي عُرِضَ في السّاحةِ العامَّةِ ، لكنَّ النّاسَ ملّوا مِنَ النّظَرِإلى ولدٍ برّيٍّ وسخٍ لَمْ يُسمَعْ له صوتٌ ، لذلكَ لَمْ يحرسوه جيّدًا ، في النِّهايةِ تمكّنَ مِنَ الهربِ .

تمَّ الإمساكُ به ثانيةً بمساعدةِ الكلابِ بعدَ خمسةَ عشرَ شهرًا مِن هروبِه . كانَ الوَلَدُ بينَ 13 و 14 سنةً مِنَ العمرِ ، لَمْ يكنْ يجيدُ الكلامَ ، لَكِنَّهُ كانَ قادرًا على إصدارِ بَعْضِ الأصواتِ ، نقلوه إلى باريسَ حَيْثُ أتَت أعدادٌ هائلةٌ مِنَ النّاسِ لمشاهدتِه ، تكفَّلَ به طبيبٌ . حَاوَلَ الطّبيبُ أنْ يعلِّمَه الكلامَ بشتّى الطَّرائقِ ، لكنْ بعدَ سنواتٍ عديدةٍ لَمْ يتعلَّمْ سوى كلمةٍ واحدةٍ : حليبٍ .

استسلمَ الطَّبيبُ في النِّهايةِ وتكفَّلَتْ امرأةٌ بعنايةِ الوَلَدِ مقابلَ مبلغٍ مِنَ المال ، ماتَ في رعايتِها حينَ كانَ في سنِّ الأربعينَ ، في التَّقريرِ الأخيرِ الذي كُتِبَ عنه وُصِفَ بأنَّه كانَ : «نصفُ متوحِّشٍ ، مخيفٌ لَيْسَ له قدرةٌ على الكلامِ» .

– ها كانَ متخلِّفًا عقليًا؟ تساءلَ بوبُ جونسون .

– لا ، لا أظنُّ ذلك ، قالَ غاي ميكلوس ، يبدو أنَّهُ لَمْ يكنْ يعاني

مِنْ مشكلةٍ ما في الأوتارِ الصَّوتيّةِ ، كانَ يَستَطيعُ أنْ يصرخَ وكانَ في الحقيقةِ يَقُولُ كلمةَ حليبٍ ، لا ، أظنُّ أنَّ الطَّرائقَ التي اتَّبعَها النّاسُ معه كانَتْ طرائقَ خاطئةً . يَقُولُ بعضُهم هنا في هذا الكتابِ : إنَّهُ كانَ يعاني مِنْ مرضِ التَّوحُّدِ بسببِ ضربٍ وقسوةٍ تعرَّضَ لهما في سنٍّ مبكِّرةٍ ، وإنَّ هذا هو السَّببُ الذي جَعَلَهُ يفضِّلُ الحَياةَ في الغاباتِ ، انتقدَ آخرونَ الطَّبيبَ وقالوا : إنَّهُ كانَ يتوجَّبُ عَلَيهِ أنْ يعلِّمَ الوَلَدَ لغةَ الإشاراتِ بدلًا مِنَ أنْ يحاولَ تعليمَه الكلامَ ، لكنّ آخرينَ ظنّوا أنَّ الوَلَدَ كانَ متخلِّفًا عقليًا وأنَّ والدَيهِ حينَ أدركا ذلكَ تركاه في الغابةِ بعدَ أنْ حاولا قتلَه ، كانَ على عُنُقِ الوَلَدِ آثارُ جرحٍ بالفعلِ ، وكأنّ أحَدًا ما حَاوَلَ أنْ يذبحَه في صِغَرِه .

– رُبَّما تستطيعُ أنْ ترويَ هذِه القصَّةَ في فلمِنا ، قالَ المنتجُ بوب .

– رُبَّما تعني أفلامَنا ، هذهِ قصّةٌ مشوِّقةٌ ستكفي لإنتاجِ العديدِ مِنَ الأفلامِ . الفلمُ الأوَّلُ نطاردُ فيهِ الوَلَدَ الذي يعيشُ معَ سربِ النَّعامِ ، يمكنُنا أنْ نقودَ الجيبَ بمُحاذاةِ الوَلَدِ حينَ يَرْكُضُ مع النَّعاماتِ ، وهكذا نصوِّرُه مِنَ الجيبِ . ثمَّ سنصوِّرُه أيضًا حينَ نمسِكُ به وحينَ يحاولُ صاحبُنا نابغةُ اللُّغةِ أنْ يتحدَّثَ معَه جالسًا وإيّاهُ قربَ النّارِ يتحدَّثانِ ، ثمَّ يقصُّ عَلَيهِ الوَلَدُ قصَّةَ حياتِه في البرّيّةِ .

الفلمُ الثّاني سيتحدّثُ بالطَّبعِ عن اصطحابِنا للولدِ إلى نيويورك حَيْثُ سيلتقي بمعجزاتِ الحضارةِ كلِّها ، تخيَّلوا فقطْ فكرةَ الصُّعودِ معَ الوَلَدِ الذي يعيشُ مع النَّعاماتِ ، إلى أعلى مبنى إمباير ستيت .

في الفلمِ الثّالثِ سيكونُ قد تحوَّلَ إلى إنسانٍ عاديٍّ .

– رائعٌ ، رائعٌ تَمامًا بكلِّ بساطةٍ ، قالَ بوبُ .

– لكنْ ، ماذا لو عجزَ ولدُنا هذا عن الكلامِ ، كَما عجزَ ذلكَ الوَلَدُ في فرنسا؟ قالَ مهندسُ الصَّوتِ فَجْأةً ، ذلكَ الرّجُلُ الذي لا يَقُولُ الكَثيرَ ، عِندَما يفتحُ فمَه عادةً ، يَقُولُ أشياءَ مهمَّةً ، لكنْ لَيْسَ الآنَ على ما يبدو .

– أيُّها الغبيُّ ، صاحَ بوب غاضبًا ، لقد سَمِعَ لوكُ الوَلَدَ حينَ تحدَّثَ ، لهذا السّببِ أحضرْنا معنا باحثًا لغويًا ، هذا بالذّاتِ هو ما يجعلُ هذه القصّةَ فريدةً مِن نوعِها ، لَمْ يسبقْ لأحدٍ أنْ صوّرَ مثلَ هذهِ القصّةِ أبدًا .

غفا لوكُ واختلطَ شخيرُه بأصواتٍ مجهولةٍ كانَتْ تأتيهم مِنَ الظَّلامِ ، فحيحُ السَّحالي وهي تركضُ فَوْقَ الرَّمْلِ ، فئرانٌ صحراويّةٌ نشيطةٌ تطاردُ طَعامَها ، وعَقْرَبٌ هنا وآخرُ هناك ، لَكِنَّهُ تَمَكَّنَ قَبْلَ أنْ يغفوَ مِن أنْ يفكّرَ بالضّجةِ التي أثارَها ادعاؤُه البسيطُ أنَّ الوَلَدَ كلَّمَه ، كانَ هذا كذبًا إلى حدٍّ ما ، لَمْ ينطقِ الوَلَدُ بعددٍ ضخمٍ مِنَ الكلماتِ بلغةٍ مجهولةٍ ، كلُّ ما فعلَه ذلكَ المتوحّشُ هو أنَّهُ أرسلَ فحيحًا ، لكنْ لَمْ تَكُنْ لديه نيّةٌ لقولِ هذا للآخرينَ .

أسئلة الفصل

1 . للصَّيّادِ (لوك أوكونور) وللباحِثِ اللُّغوِيّ (غاي ميكلوي) رأْيانِ مُتَباينانِ عَنِ الصَّحراءِ . اقرأ الجُزْءَ الَّذي يعبّرُ عنْ رأيِ (لوك) ، ولْيَقْرأْ زَميلُكَ الجُزْءَ المعبِّرَ عنْ رأيِ (غاي) .

2 . أَيُّ الموقفَينِ تؤيِّدُ؟ اذكُرْ تجارِبَ وخِبْراتٍ شخصيَّةً تفسِّرُ بها رأْيَكَ .

3 . في حديثِ الفَريقِ عنْ قدْرَةِ سِيدي إبراهيمَ على التَّقصّي استخدمِ الفعلَ «يَدَّعي» والفعلَ «زعمَ» إشارَةً إلى الشَّكِّ والرّيبةِ . استخدمِ الفِعْلينِ في جُملتَينِ منْ إنشائِكَ مُشكِّكًا في خبرِ ما سمعْتَهُ .

4 . وَضَعَ المنتجُ (بوب) مُخَطَّطًا لسيناريو الفِلمِ الّذي سيصوِّرونَهُ . ارسُمِ المشاهِدَ الَّتي كانَ (بوب) يضعُ لها مُخطّطًا .

5 . ذكرَ الكتابُ الّذي كانَ يقرؤُهُ (بوب) تَفسيراتٍ مُخْتَلفةً لحالَةِ الولَدِ البرّيِّ الّذي وجَدوهُ في فِرَنْسا . أَيُّ هذهِ التَّفسيراتِ تُؤَيِّدُ . عَلِّلْ رأيَكَ .

6 . تَشتركُ الجُمْلتانِ الآتيتانِ في أنَّهُما تتضمَّنانِ وظيفةً نَحْوِيَّةً واحدةً ، ما هِيَ؟

- كانَ يعضُّ على أسنانِهِ غَيظًا .
- أرادا الاطمئنانَ على المَعَدّاتِ خَوفًا منْ أنْ تكونَ قد تعطّلَتْ .

الفصلُ السّابعُ والعشرونَ

مناقيرُ تحبُّ المساعدةَ

نَهَضَ هَدارةُ مرتعشًا ، لقد حلمَ بذَلِكَ الكابوسِ مجدَّدًا ، كانَ مُطاردًا ، لا يَعلَمُ مَنْ هم الذين طاردوه ، لَكِنَّهُ وقعَ إلى الأمامِ فانقضَّ عَلَيهِ قطيعٌ كاملٌ مِن بناتِ آوى التي راحَتْ تنهشُ ساقيه وقدمَيهِ وذراعَيهِ .

عندَها استيقظَ مِنَ نومِه .

كانَ من عادَتِه أنْ يفتحَ عينيه مستيقظًا تَمامًا مليئًا بالفضولِ باليَومِ الذي كانَ أمامَه ، بدا هذا اليَومُ مختلفًا ، شيءٌ ما سالَ مِنَ عينيهِ ، كانَتْ عيناه ملطَّختَينِ وأجفانُه ملتصقةً ممّا اضطرَّه إلى الاستعانةِ بأصابعِه على فتحِها ، كانَتْ في رأسِه مطرقةٌ مؤلِمَةٌ ، زَحَفَ مِن تحتِ جناحَي ذكرِ النَّعامِ ، وهذه عادَةً الإشارةُ التي جعلَتْ جَميعَ أفْرادِ السِّرْبِ ينَهَضونَ مِنَ النَّومِ ، يقفونَ ، يَنْظُرونَ حولَهم ، ثمَّ يبدؤونَ البحثَ عن الطَّعامِ ، كانوا يبتلعونَ الحِجارةَ الصَّغيرةَ بينَ الحينِ والآخَرِ وهكذا فَعَلَ هَدارةُ أيضًا ، أكلَ حجرًا صَغيرًا فقطْ ، وبعدَ ذلكَ شعرَ بالإرهاقِ فأعرضَ عن متابعةِ البحثِ عن مزيدٍ مِنَ الطَّعامِ ، تمدّدَ على الرَّمْلِ بالقُرْبِ مِنَ حجرٍ ضخمٍ بدلًا مِنَ متابعةِ الأكلِ ، عِندَما تشرقُ الشّمسُ سيكونُ نائمًا في دائرةٍ مِنَ الظِّلالِ ،

هذا ما كانَ يعتقدُه ، لكنّ الغريبَ في الأمرِ أنَّهُ كانَ يَشْعُرُ بحرٍّ شديدٍ بالرّغمِ مِن أنَّ الشَّمسَ كانَتْ على وشكِ أنْ تشرقَ فراحَتْ تلوّنُ السَّماءَ بألوانٍ لؤلؤيّةٍ باهتةٍ وبالرّغمِ مِن أنَّ الهواءَ ما زالَ باردًا ، من أينَ أتى الحرُّ؟ هل أتى هذا الحرُّ الجمريُّ مِن داخلِه هو؟

رَفَعَ يدًا متعبةً وتحسَّسَ وجهَه ، كانَتْ وجنتاهُ ساخنتَينِ كَما تكونُ ساخنةً حينَ يَرْكُضُ عبرَ الصَّحراءِ في أثناءِ حرِّ النَّهارِ الشَّديدِ .

وقفَتْ ماكو ونَظَرَت طويلًا إلى الوَلَدِ النّائمِ فَوقَ الرَّمْلِ ، كانَتْ أنفاسُه قَصيرةً وعنيفةً ، لَمْ يتنفَّسْ هكذا عادَةً ، فأحسَّتْ بالقلقِ ولم تتمكّنْ مِنَ تفسيرِ ما كانَتْ تراهُ ، نومُ هَدارةَ في الوقتِ الذي كانوا يَتَناوَلُونَ فِيهِ عادَةً طَعامَ الصّباحِ أو ينتقلونُ إلى مَكانٍ جديدٍ أو يرقصونَ أخافَها جدّا ، كانَ وجهُه أحمرَ متورّمًا ومنتفخًا ، كادَتْ ألّا تستطيعَ التّعرُّفَ إلى ملامحِه .

طَعامٌ ، فكَّرَتْ ماكو ، يجبُ أنْ يأكلَ .

سحبَتْ بعضَ الجذورِ مِنَ الأرضِ ووضعَتْها على الرَّمالِ بالقُرْبِ مِنْ يدِه ، ثمَّ أحضرَتْ أوراقًا خضراءَ .

دفعتْهُ بمنقارِها لَكِنَّهُ لَمْ يستيقظْ ، دفعتْهُ ثانيةً فتحرَّكَ بعضَ الشَّيءِ ، قامَتْ ماكو في النِّهايةِ بما لَمْ تقمْ به مِن قَبْلُ أبدًا وبما حاولَتْ أنْ تعلِّمَ صغارَها ألاّ يفعلوهُ – قرصَتْ هَدارةَ بقوَّةٍ من ذِراعِهِ بواسِطةِ منقارِها .

فتحَ هَدارةُ عينيهِ وشعرَتْ ماكو بأنَّ منظَرَ عينيهِ قد تغيَّرَ أيضًا ، كانَتْ عيناهُ لامعتَينِ كالماءِ في مُستنقعٍ ، حَنَتْ رأسَها ودَفعَتْ بالجذورِ والأوراقِ الخضراءِ إلى أنْ لامَسَتْ يدَه .

– كُلْ ، أشارَتْ إليه ماكو ذهنيًا ، يجبُ أنْ تأكُلَ .

لم يجبْها هَدارةُ ، لَمْ تَكُنْ لديهِ القوّةُ الكافيّةُ ، كانَ العطشُ يحرقُ حلقَه وكانَ رأسُه يؤلُمه ، كانَتْ ماكو تبدو هائلةَ الحجمِ إلى درجةٍ مخيفةٍ ، حينَ تنحني فَوْقَه ، لَمْ يكنْ يريد شَيْئًا ، نامَ على جنبِه وانزلقَ بَعيدًا في نومٍ عميقٍ .

بقيَ أفْرادُ السِّربِ واقفينَ حَوْلَ الوَلَدِ النّائمِ طَوالَ النّهارِ ، عِندَما لَمْ يعدْ هُناك ظلالٌ تغطّي المَكانَ الذي كانَ ينامُ فيهِ ، حاولوا إيقاظَه لينتقلَ إلى مَكانٍ آخرَ ، لَمْ يكنْ إيقاظُه مُمكِنًا . كانَ العَرَقُ يتصبَّبُ من وجهِه الأحمرِ ومن صدرِه ومن ظهرِه العاري ويرسمُ أشكالًا معقّدةً فَوْقَ جلدِه الوَسِخِ ، بدأ عندَها أفْرادُ السِّرْبِ يتناوبونَ على الوقوفِ ما بينَ الولدِ وما بينَ الشَّمسِ ، كانَ هُناكَ ظِلٌّ رفيعٌ ينصبُّ فَوْقَه ، والنَّعامةُ التي كانَتْ تنتظرُ دورَها لتحميَه بظلِّها كانَتْ ترفرفُ بجناحَيها حتّى تمنحَهُ بعضَ البُرودةِ .

ظلَّ هَدارةُ ممدَّدًا هكذا لمدّةِ ثلاثةِ أيامٍ ، دونَ طَعامٍ ، أسوأُ ما هُناكَ بالطَّبعِ هو أنَّهُ لم يكنْ لديهِ ماءٌ ، كانَتْ ماكو تعلمُ تَمامًا أنَّهُ لَيْسَ لدى هَدارةَ قدرةٌ على تحمُّلِ العَطشِ كَما لدى طائرِ نعامٍ حَقيقيٍّ ، كانَ الولدُ بحاجةٍ للشّربِ أكثَرَ مِن أيّ فَردٍ آخرَ مِنْ أفْرادِ السّربِ ، فتحَ هَدارةُ عينيهِ في اليَومِ الثّالثِ ، ورأى أنَّ طائرَ نعامٍ صَغيرٍ يقفُ أمامَ الشَّمسِ لينامَ هو في الظِّلِّ ، رفرفَ الطّائرُ بجناحَيه فأحسَّ هَدارةُ بنسيمٍ ضعيفٍ مُنعشٍ يصلُ إلى جلدِه ، أدْرَكَ كما لو كانَ خَلْفَ ستارةٍ مِنَ الضَّبابِ أنَّ الطّائرَ الصّغيرَ هو عكوك ، الأُنْثَى الصغيرةُ التي أنقذَها هَدارةُ مِنَ الكائناتِ البشريّةِ .

– ما الَّذي حدثَ؟ تساءلَ هَدارةُ .

– لا عِلمَ لأحدٍ بذلك ، قالَتْ عكوكُ وأشارَت ذهنيًا إلى بقيّةِ أفْرادِ السّربِ . أتَوا راكضينَ بخطواتٍ طويلةٍ متهاديةٍ ووقفوا حَولَ هَدارةَ .

– أنتَ مريضٌ ، قالَ حوجُ .

–أنتَ مريضٌ جدًا ، قالَتْ ماكو ، نظنُّ أنَّهُ يجبُ أنْ تشربَ حتّى تُشفى ، لكنَّ الماءَ الذي كانَ في البَيضاتِ الفارغةِ نفدَ ، يجبُ أنْ نذهبَ إلى البركةِ . جَميعُنا بحاجةٍ إلى الماءِ لكنَّ حاجتَكَ أنتَ هي الأمَسُّ .

حاولَ هَدارةُ أنْ ينَهَضَ مِنْ مَكانِه لَكنَّهُ وقعَ فَوقَ الرَّملِ ثانِيةً ، وَقَفَ على ركبتَيهِ وأحسَّ بأنَّ جَميعَ أعضائِه كانَتْ ترتجفُ وأنَّ البرقَ كانَ يلمعُ أمامَ عينَيهِ ، كانَ الحرُّ يتصاعدُ مِنَ وجنتَيه وأحسَّ كأنَّ جسدَه كانَ يحترقُ كَما أحَسَّ عِندَما حرقَتِ النّارُ يدَه .

وَضَعَ أفْرادُ السِّرْبِ مناقيرَهم تَحْتَ ذراعيهِ وحَولَ جسدِه ورفعوه . وَقَفَ هكذا على قدمَيهِ لَكِنَّهُ كانَ موهَنًا لدرجةِ أنَّهُ لَمْ يقوَ على السَّيرِ بنفسِه .

– هل تريدُ أنْ تركبَ على ظهري؟ سألَهُ حوجُ .

– لا ، أنا مرهقٌ إلى درجةٍ تمنعني من ذلكَ . لا يمكنُني الحفاظُ على توازني فَوْقَ ظهرِكَ ، قالَ هَدارةُ .

– سنسيرُ إذنْ ، قالَتْ ماكو ، سنساعدُك جَميعًا على السَّيرِ .

الشاهدُ الوحيدُ على هذه الأحداثِ كانَ غُرابًا فُضوليًا ، كانَ ذلكَ الغرابُ يحومُ فَوْقَ المجموعةِ التي بدأتْ تتحرّكُ بِبُطءٍ شديدٍ نَحْوَ بركةِ الماءِ ، تسيرُ طيورُ النَّعامِ عادَةً في صفٍّ طويلٍ ، لكنّ أفْرادَ هذا السِّرْبِ لَمْ يسيروا كذلك . كانوا يسيرونَ في مجموعةٍ وكأنَّهم قطيعٌ مِنَ الغزلانِ .

كانَتْ النَّعاماتُ الأكبَرُ سنًّا تسيرُ في الوسطِ ، بينَ هذِه النَّعاماتِ ترنَّحَ كائنٌ بشريٌّ ، ولدٌ أسمرُ عاري الجسدِ طَويلُ الشَّعرِ ، يسيرُ واضعًا ذراعيه حَولَ أعناقِ النَّعاماتِ ، يقعُ أحيانًا فيتجمّعُ أفْرادُ السِّربِ كلُّهم حَولَهُ ويرفعونَه بِواسِطةِ مناقيرِهم العنيدةِ إلى أنْ يسيرَ على قدميهِ ثانيةً . كانَ الوَلَدُ يضعُ ذِراعَهُ حَولَ عنقِ النَّعامةِ الأولى والذراعَ الأُخرى حَولَ عنقِ النَّعامةِ الثّانيةِ ويستمرُ في مسيرتِه المُؤلِةِ .

أسئلة الفصل

1 . ما الَّذي يمكنُ أنْ يوحيَ بهِ تكرارُ أَحْلامِ هدارةَ المُزْعِجَةِ؟

2 . سجِّلْ هُنا العِباراتِ والجُملَ الَّتي تصفُ أعراضَ المرضِ على هدارةَ .

3 . ما الّذي يعكسُهُ موقفُ النَّعامِ مِنْ هدارةَ المريضِ؟ وكيفَ يجعلُكَ ذلكَ تشعرُ نحوَ النّعامِ؟

4 . اقرأ المَشْهَدَ الَّذي يَصِفُ حركَةَ النَّعامِ وَهُمْ يُساعِدونَ هدارةَ لِلْوُصولِ إلى الماءِ .

5 . بدأَ الفَصْلُ الأوَّلُ في الرّوايَةِ بِنَعيقِ غُرابٍ مَشؤومٍ . هلْ تتوقَّعُ أنَّ ذِكْرَ الغُرابِ هُنا وهوَ يَرْقُبُ سِرْبَ النَّعامِ يوحي بِشَيْءٍ؟

6 . أَعربْ ما تحتَهُ خَطٌّ في الجُمْلَةِ الآتيةِ : "أتَوا راكضينَ بِخُطُواتٍ طَويلَةٍ مُتَهاديَةٍ وَوَقفوا حَوْلَ هدارة" .

الفصلُ الثّامنُ والعشرونَ

أكثرُ شُهرةً من كاسبر هاوزر

سيّاراتُ الجيبِ الثَّلاثُ تسيرُ وسطَ حزامٍ مِنَ السَّرابِ ، وكانَتْ تبدو وكأنَّها مسُرْعَةٌ باتِّجاهِ بُحَيرَةٍ لامعةٍ سماويّةِ الزُّرقةِ تتخلَّلُها الجُزُرُ والأشجارُ ، لَمْ يكنْ الغريبُ رؤيةَ بُحَيرَةٍ وسطَ الصَّحراءِ ، بل كانَ انتقالَ البُحَيرَةِ إلى الأمامِ دونَ انقطاعٍ ، كانَتِ السَّيّاراتُ دائمًا على مسافةٍ قَصيرةٍ جِدًّا مِنَ البُحَيرَة لكنَّها لا تصلُ إليها أبدًا .

أوقفَ المصوّرُ السينمائيُّ سيّارتَه فَجْأةً وأجبرَ الآخَرينَ أيضًا على التَّوقُّفِ . كانَتْ عيناهُ تشعّانِ بفعلِ الحماسِ الذي كانَ في داخلِه . .

– يجبُ أنْ أصوِّرَ هذا المَنظَرَ ، قالَ للآخرينَ بصوتٍ عالٍ ، لا بدَّ أنَّ تصويرَ السّرابِ أمرٌ ممكِنٌ .

أخرجَ المصوّرُ العدسةَ الكبرى التي كانَتْ في الصُنْدوقِ المعدنيِّ ، عدسةٌ عملاقةٌ لا تقلُّ عن 600 ملم ، ركَّبَها على إحدى الآلاتِ التَّصويريّةِ التي كانَ قد أوقفَها على مِنْصبٍ ثلاثيِّ الأقدامِ ، ثمَّ راحَ يصوِّرُ .

كانَ غايةً في السّعادةِ .

لا بدَّ أنَّ الذينَ نجحوا في تصويرِ السَّرابِ في السّابقِ قلائلُ جدًّا ، هل

سأنجحُ في هذا يا تُرى؟ لَمْ يسبقْ له أنْ صوّرَ سرابًا فيما مضى ، ولم يعرفْ أحداً فَعَلَ ذلك . لَكِنَّهُ اسْتَمَرَّ بالتَّصويرِ بأكبَرِ عدساتِه وأَمِلَ أنْ يؤدّيَ ذلكَ إلى نتيجةٍ حسنةٍ ، جَعَلَ الكاميرا تعملُ ونسيَ الزَّمانَ والمكانَ .

اقتربَ بوب جونسون في نهايةِ المَطافِ ، لَكَزَهُ على ذِراعِهِ ثمَّ قالَ :

– أنت ، هذا يكفي ، لدينا ما يكفي مِنْ هذهِ الصُّورِ الآنَ .

أقفلَ هارولد جوزيف الكاميرا رغمًا عنه ، فكَّ عنها العدسةَ الهائلةَ ، لفَّها بقطعةِ جلدِ الشَّمواه التّابعةِ لها ، وضعَها في الصُّندوقِ المعدنيِّ بحذرٍ ثمَّ أقفلَ الغِطاءَ بإحكامٍ ، كانَ ظهرُ قميصِه بأكملِه مبلَّلًا بالعَرقِ ، وكانَ أنفُه محروقًا مِنْ أشعَّةِ الشّمسِ معَ أنَّهُ كانَ يرتدي قبَّعةً مِنَ القماشِ ذاتَ طرفٍ عريضٍ .

عِندَما تابعوا مسيرَهم كانَتِ الحرارةُ قد ارتفعَتْ مجدَّدًا ، الحرُّ لا يُطاقُ ، والهواءُ ساخنٌ كاللَّهيبِ الذي يتصاعدُ مِنْ شعلةِ اللِّحامِ 51 درجةً مئويّةً ، قالَ بوب الذي كانَ بحوزتِه ميزانٌ للحرارةِ .

ساروا فاتحينَ نوافذَ السَّيّاراتِ كلَّها ، رغمَ ذلكَ تصبَّبَ العرقُ مِن وجوهِهم وأجسادِهم ، تَسَلّقَ غاي ميكلوس إلى الجزءِ الخلفيِّ مِنَ الجيبِ فَجْأةً وراحَ يبحثُ في صُنْدوقِه الشَّخصيِّ إلى أنْ عثرَ على قطعةٍ طويلةٍ مِنَ القماشِ الأَسْوَدِ . لفَّ بعدَ ذلكَ قطعةَ القماشِ على رأسِه فصارَتْ عمامةً غطَّتْ لَيْسَ شعرَه فحسْبُ بل القِسمَ الأكبَرَ مِن وجهِه أيضًا .

– ما هذِه الحماقاتُ؟ قالَ له لوك ، صارَ منظرُك مثيرًا للضَّحكِ ، صرْتَ تبدو وكأنَّك بدويٌّ .

– ليسَ هُناك ثيابٌ أنسبُ مِنْ هذِه لجوِّ الصَّحراءِ ، تحميني هذه

العمامةُ مِن أشعّةِ الشّمسِ ومن الرَّمْلِ المتطايرِ ، والغريبُ في الأمرِ أنَّها تمنحُني البرودةَ أكْثَرَ مِنْ قبّعةٍ عاديّةٍ ، لديَّ قطعةٌ أُخرى مِنَ القماشِ ، هل تريدُ أنْ تستعيرَها؟

– قلْ شَيْئًا مضحكًا أكْثَرَ مِنْ هذا ، لنْ أضعَ على رأسي شَيْئًا كهذا على الإطلاقِ ، قالَ لوك وأرسلَ واحدةً مِنْ ضحكاتِه المعديةِ في الهواءِ .

في الجيبِ الذي كانَ يسيرُ خَلْفَهُم جلسَ المصوّرُ السّينمائيُّ مملوءًا بالقلقِ على الأفلامِ التي كانَتْ معهم ، هل ستنجو مِنْ هذا الحرِّ؟ ماذا لو خربَتْ جَميعُها؟

في الجيبِ الثّالثِ جلسَ بوبُ جونسون يصفّرُ فَرِحًا ، لقد أتَتْهُ فكرةٌ جيّدةٌ يبدأُ فيها فلمَه ، أَوَّلُ ما سيظهرُ في الفلمِ هو سرابٌ ثمَّ يرى المرءُ شيئًا ما يَتَحَرَّكُ في قلبِ السَّرابِ ، بقعةٌ سوداءُ لامعةٌ تتحرّكُ مقتربةً مِنَ الكاميرا ، لنْ يتمكّنَ المُشاهِدُ في بدايةِ الأمرِ مِن رُؤيةِ ما هُناك ، لكنَّ البُقعةَ القاتمةَ اللَّونِ ستكبُرُ رويدًا رويدًا إلى أنْ يرى المرءُ أنَّها عبارةٌ عن ولدٍ عارٍ يَرْكُضُ وسطَ سربٍ مِنَ النَّعامِ باتِّجاهِ الكاميرا ، يا له مِنْ مطلعٍ رائعٍ .

اسْتَمَرَّ بوبُ جونسون بصفيرِه غايةَ الرِّضا عن نفسِه بالرَّغمِ مِنَ الحَرِّ الشيطانيِّ الذي أطبقَ عليهِم .

لم يرَوا خِيامًا إلّا في اليَومِ الثّالثِ الذي قضَوه في الصَّحراءِ .

– إنَّه مخيّمٌ صَغيرٌ ، قالَ غاي ميكلوس ، يعيشُ البدو في عائلاتٍ كَبيرةٍ تتألَّفُ الواحدةُ مِن عددٍ يتراوحُ بينَ العشرةِ والعشرينَ شخصًا ينتمونَ إلى العائلةِ ذاتِها ، الخيمةُ الكبرى يملكُها دائمًا الرّجُلُ الأكبَرُ سنًّا في العائلةِ وزوجتُه ، كلَّما كبرَ المرءُ سنًّا هنا زادَ احترامُه في المحيطِ ، علينا

أنْ نتكلَّمَ معَ الرّجُلِ الأكبَرِ سنًا .

عوى كلبٌ فخرجَ النّاسُ مِنَ الخِيامِ الثّلاثِ ولوَّحوا بأيديهِم ترحيبًا بالزّوّارِ الأغرابِ ، كانوا يتكلّمونَ اللُّغةَ الحَسّانيّةَ التي كانَ غاي ميكلوس يتقنُها بطلاقةٍ ، دعاهم أهلُ الدّيارِ إلى الدُّخولِ والجلوسِ في الخيمةِ الكبرى ، وقدَّموا لهم الشّايَ في كؤوسٍ مِنَ الزُّجاجِ ، كانَتْ كأسُ الشّاي الأولى تحتوي على كمّيّةٍ ضئيلةٍ جِدًّا مِن السُّكّرِ .

– إنَّه مرٌّ كطعمِ الحَياةِ ، قالَ الرَّجلُ الذي قدَّمَ الشّايَ .

الكأسُ الثّانيةُ كانَتْ أكثَرَ حلاوةً .

– طعمُ هذِه الكأسِ مقبولٌ ، كطعمِ الموتِ ، قالَ الرّجُلُ المُسنُّ .

الكأسُ الثالثةُ كانَتْ تحتوي على كَمّيّةٍ كَبيرةٍ مِنَ السُّكّرِ .

– طعمُه حلوٌ كطَعمِ الحُبّ ، قالَ الرّجُلُ المسِنُّ ، ضَحِكَ وبانَتْ الأسنانُ القليلةُ الباقيةُ في فمِه .

– عِندَما يزورُ المرءُ أحدًا في هذِه البلادِ ، تُقدَّمُ له دائمًا ثلاثُ كؤوسٍ مِنَ الشّاي ، أوضحَ غاي ميكلوس للآخرين ، هذا جُزْءٌ مِن عاداتِ التَّرحيبِ ، بعدَ شربِ الشّايِ يَستَطيعُ المرءُ أنْ يبدأَ الحديثَ ، الأحاديثُ هي الأمرُ الأهمُّ بالنِّسبةِ لأهلِ الصَّحراءِ الكبرى .

بعدَما قالَ غاي ميكلوس هذا لرفاقِه ، راحَ يتحدَّثُ معَ العددِ الكَبيرِ مِنَ النّاسِ الذين تجمَّعوا داخِلَ الخيمةِ ، أحَسَّ الرِّجالُ الآخَرونَ في الفريقِ التصويريِّ بالضَّجرِ بسُرْعَةٍ لأنَّهم لَمْ يفهموا شَيْئًا مِنَ الحديثِ الذي دارَ وكانَ ميكلوس متشوِّقًا إلى التَّحدُّثِ باللُّغةِ الحسّانيّةِ لدرجةِ أنَّهُ نَسِيَ أنْ يترجمَ لهم ما قيلَ .

كانَ لوك أوَّلَ مَنْ وَقَفَ مِنَ مَكانِه فَوْقَ السَّجادةِ الحمراءِ وسارَ عائدًا إلى الجيبِ ، لحقَ به الآخَرونَ بعدَ فَتْرَةٍ قَصيرةٍ وأرادوا المغادرةَ بأسْرَعِ وقتٍ ممكنٍ بدلًا مِنْ إضاعةِ الوقتِ معَ بدوٍ لَمْ يكنْ لديهم أيّةُ نيّةٍ لتصويرِهم ، عِندَما انتهى غاي مِنَ الحديثِ الذي دارَ داخِلَ الخيمةِ ، تمكَّنوا مِنْ متابعةِ قيادةِ سيّاراتِهم آخذينَ معهم اثنَينِ مِنَ الشُّبّانِ ؛ الأوّلُ اسمُه عليٌّ والثّاني فريدٌ ، كَما أخذوا معهم ثلاثةً مِنَ الماعزِ ربطوها في المقعدِ الخلفيِّ لإحدى السَّيّاراتِ .

قالَ غاي إنَّ الرّجُلَ المُسِنَّ أخبرَه بأنَّ أفضلَ متقصٍّ للآثار هو سيدي إبراهيمَ وهو موجودٌ معَ قبيلتِه في مَكانٍ لا يبعدُ كَثِيرًا من هنا ، ذلكَ المَكانُ يقعُ على مسافةِ ثلاثةِ أيّامِ سَيرٍ للجَملِ ، قالَ العجوزُ ، ثلاثةُ أيّامِ سيرٍ للجَملِ ، جنوبًا .

– دعونا نَقُدْ سيّاراتِنا جنوبًا إذنْ ، قالَ بوبُ .

عِندَما حلَّ الظّلامُ تَمَكَّنَ الصّيّادونَ مِنَ الجلوسِ على كراسيِّهم والتّمتُّعِ بالبرودةِ التي كانَتْ تأتي متسلِّلةً كلَّما انحدرَتِ الشَّمسُ صوبَ الأفقِ ، نصبَ الشّابّانِ الخِيامَ ، أوقدا نارًا ، أنزلا المعداتِ مِنَ السَّيّاراتِ وذبحا واحدةً مِنَ الماعزِ ، بينما حَضّرَ عليٌّ وفريدٌ طَعامَ العشاءِ ، الكُسكسي مع لَحْمِ الماعزِ ، تابَعَ غاي حكايتَه عن أشهرِ ولدٍ برّيٍّ في العالمِ ، هُناكَ فلمانِ صُوِّرا عن قصَّةِ ذلكَ الوَلَدِ وكُتبَتْ عنه آلافُ الكتبِ قالَ غاي ، كانَ لديه أحَدُ تِلكَ الكتبِ في صُنْدوقِه الخاصِّ .

– كانَ اسمُه كاسبرَ هاوزر ، في يومٍ مِنَ أيّامِ عامَ 1828 ، أيْ في العامِ نفسِه الذي ماتَ فيهِ فيكتورُ ، الوَلَدُ البرّيُّ في فرنسا ، ظهرَ ولدٌ غريبُ

الأطوارِ في مدينةِ نوريمبرغ في ألمانيا ، كانَ عمرُه ما بين 15 و16 عامًا ، وكانَ يمشي بصعوبةٍ .

كانَ الوَلَدُ قد قضى حياتَه كلَّها محبوسًا في غرفةٍ صَغيرةٍ في قبوٍ ، لَكِنَّهُ كانَ قادرًا على الكلامِ ، كانَتْ قدرتُه اللُّغويّةُ تشملُ مئاتٍ عديدةً مِنَ الكلماتِ وكانَ يجيدُ كتابةَ اسمِه أيضًا : كاسبر هاوزر .

– الأمرُ الغريبُ لديه هو مسألةُ اللُّغةِ في نَظَرَي ، لقد سَمِعَ لوكُ الوَلَدَ الذي يعيشُ مع سربِ النَّعامِ ينطقُ ببَعْضِ الكلماتِ لَكِنَّهُ لَمْ يفهمْ فحواها ، هذا أمرٌ غايةٌ في الأهمّيّةِ . كانَ لدى كاسبر هاوزر قدرةٌ أيضًا على الكلامِ ، كانَ يجيدُ بعضَ الكلماتِ في البدايةِ ، لَكِنَّهُ انتقلَ إلى بيتِ رجلٍ صارَ فيما بعدُ أستاذَه ، حَدَثَ عندَها أمرٌ عجيبٌ أتمنّى مِنْ كُلِّ قلبي أنْ يحدَ حينَ نجدُ ولدَنا هذا ، لقد مرَّ كاسبر هاوزر بعمليَّةِ تطوُّرٍ هائلةٍ ، لقد اكتسبَ اللُّغةَ بسُرْعَةٍ ، تعلَّمَ القراءةَ والكتابةَ والرَّسمَ وصارَ يعزفُ موسيقا موزارت على البيانو ، بعدَ مرورِ ما لا يزيدُ على الخمسةِ أشهرٍ دَوّنَ قصتَه كاملةً .

صمتَ غاي ميكلوس وتسبَّبَتْ له أفكارُه بالدُّوارِ .

سيتمكَّنُ مِنْ جَعلِ ولدِهم ذلكَ الوَلَدِ الذي يعيشُ معَ سربٍ مِنَ النَّعام قادراً على التَّحَدُّثِ ، لا بدَّ أنَّ لغتَه محدودةٌ جِدًّا إذا كانَ قد قضى الجزءَ الأكبَرَ مِن حَياتِه مع الحَيَواناتِ في عُرضِ الصَّحراءِ ، لا بدَّ أنَّهُ سيمرُّ بتطوّرٍ هائلٍ كذَلكَ الذي مرَّ به كاسبر هاوزر . سَوْفَ يُعلِّمُ ولدَ النَّعامِ الكتابةَ أيضًا ، إذا كانَتِ العربيّةُ لغتَه الأمَّ سَوْفَ يَعلِّمُه اللغةَ العربيّةَ بالطَّبعِ .

قاطعَ بوبُ الذي كانَ قد أصغى باهتمامٍ حَبْلَ أفكارِ غاي سائلًا :

– ماذا كانَ مصيرُه؟

– كانَ مصيرُ كاسبر هاوزر مؤلمًا للأسفِ ، تابَعَ غاي حديثَه ، لقد قُتلَ ، وما زالَتْ هُويَّتُه مجهولةً حتّى الآنَ ، لكنْ ما يثيرُ استغرابي هو أنَّهُ بالرَّغمِ مِن أنَّهُ قضى حياتَه سجينًا دُوْنَ أنْ يستطيعَ التَّحَدُّثَ إلى أحَدٍ إلّا فِي الأسابيعِ الأخيرةِ ، إلّا أنَّهُ تعلَّمَ الكلامَ بسُرْعَةٍ ، إذا كانَ ولدُ النَّعامِ يجيدُ بعضَ الكلماتِ القليلةِ بالرَّغمِ مِنْ أنَّهُ قضى حياتَه بينَ طيورِ النَّعامِ ، سأتمكَّنُ مِنْ بناءِ لغتِه على الأساسِ الموجودِ لديه حاليًا ، يجبُ أنْ تكونَ لغتُه عربيّةً ، حسّانيّةً أو لغةَ الطَّوارقِ . أنا أتكلَّمُ هذِه اللغاتِ الثَّلاثةَ بطلاقةٍ ، يجبُ ألّا نبدأَ باللُّغةِ الإنكليزيّةِ حسبَ رأيي ، إذا انطلقْنا مِنْ لغةٍ يجيدُ الوَلَد قدرًا قَليلًا منها سيتمُّ تطوُّره بسُرْعَةٍ .

أشعلَ منتجُ الأفلامِ بوبُ جونسون سيجارةً وابتسمَ حتّى لمعَتْ أسنانُه الصَّفراءُ فِي الظَّلامِ :

– ستكونُ نهايةُ الفلمِ بالطَّبعِ اللَّحظَةَ التي تحصلُ فيها على تواصلٍ معَه ، سَوْفَ تتبادلانِ الحديثَ ويخبرُنا عن حياتِه .

– لكنَّنا سنأخذُه معَنا إلى نيويوركَ أليسَ كذلكَ؟ تساءلَ لوك أوكونر وفكَّرَ بأنَّه فِي حالِ وصولِ الوَلَدِ إلى نيويوركَ سيكونُ ملكَه وحدَه ، سَوْفَ يقومانِ بجولةٍ معًا وسيبدأُ هو بتأليفِ كتابِه ،لَمْ يكنْ لديه أبناءٌ ، قد يتبنّى الوَلَدَ ويأخذُه معَه إلى مونتانا فيعلِّمُه صيدَ الحَيَواناتِ وصيدَ الأسماكِ .

– بالطَّبعِ ، قالَ المُنتجُ ، سَوْفَ نصوّرُ الكَثيرَ مِنَ الأفلامِ عن هذا الوَلَدِ وستصبحُ شُهرتُه أكبَرَ مِنْ شُهرةِ ذلكَ المسمّى بكاسبر هاوزر .

أسئلة الفصل

1 . ما الَّذي يمكنُ أنْ تفهمَهُ منْ حوارِ (لوك) مَعَ (غاي) حولَ ثِيابِ البَدْوِ؟ ما مَوْقِفُ (لوك) مِنَ البَدْوِ؟ وما مَوْقِفُ (غاي)؟

2 . اقرأ المشهدَ الَّذي يُصَوِّرُ تَقاليدَ تَرْحيبِ البَدْوِ بِالضُّيوفِ . ما رأيُكَ بهذهِ التّقاليدِ؟

3 . أَعِدْ سَرْدَ حِكايَةِ (كاسبر هاوزر) كما فَهِمْتَها .

4 . حِكايَةُ (كاسبر هاوزر) رَفَعَتْ مِنْ سقفِ تَوقُّعاتِ الفَريقِ بالنِّسبةِ لهدارةَ . اِشْرَحْ ذلكَ .

5 . ضَعْ عِبارَتَي «إِنَّهُ مُرٌّ كَطَعْمِ الحَياةِ» وَ«إِنَّهُ حُلْوٌ كَطَعْمِ الحُبِّ» في جُمْلَتَينِ مُفيدتَينِ مِنْ إنشائِكَ .

الفصلُ التّاسعُ والعشرونَ

وعاءٌ فخّاريٌّ مليءٌ بالتَّمرِ

كانَ سيدي إبراهيمُ راكبًا على ظهرِ جَملِه المفضَّلِ ومِنْ بعدِه سارَتْ بقيّةُ جِمالِ القبيلةِ ، عندَ الوصُولِ إلى البركةِ شربَتِ الحَيَواناتُ حتّى ارتوَتْ ، ملأَ سيدي إبراهيمُ بعدَ ذلكَ كلَّ أكياسِ الجلدِ الَّتي كانَتْ معهُ بالماءِ ثمَّ ربطَها على ظهورِ الجِمالِ . رَفَعَ أربعَ أكياسٍ مليئةٍ بالماءِ وربطَها على ظهرِ كلِّ واحدٍ مِنَ الجِمالِ ،

عِندَما انتهى مِنْ ذلكَ لَمْ يقدرْ على منعِ نفسِه من البَحثِ عن آثارِ الوَلَدِ الذي يعيشُ معَ سربٍ مِنَ النَّعامِ .

رأى آثارًا لقطيعٍ مِنَ الغزلانِ ، وأُخرى خلَّفَها سربٌ مِنَ الغربانِ وآثارَ طيورٍ أُخرى صَغيرةٍ وعصافيرَ ، لَكِنَّهُ فوجئَ حينَ رأى آثارًا للصّبيِّ وسربِ النَّعامِ ، كانوا قد أتَوا مِنْ جِهَةِ الشَّرقِ لكنْ يبدو أنَّهم كانوا يتصرَّفونَ بطَريقةٍ غريبةٍ ، لَمْ تأتِ طيورِ النَّعامِ سائرةً في طابورٍ طَويل ، بلْ كانَتْ تسيرُ محيطةً بالولدِ ، عِندَما انْحَنى سيدي إبراهيمُ ونَظَرَ إلى الآثارِ عن قُربٍ بدأَتِ الصُّورُ الخياليّةُ تظهرُ في ذهنِه ، كانَتِ المُعجزةُ ذاتُها تتكرَّرُ كلَّما حَدَثَ له ذلكَ ، كانَ يرى لوحةً ، كانَ يرى الوَلَدَ أمامَه بوضوحٍ تامٍّ ،

إنَّهُ الوَلَدُ الذي عُثِرَ على آثارِه مِن قَبْلُ ، كانَتِ المرَّةُ الأولى عِندَما سارَ ذلكَ الوَلَدُ حَوْلَ الفخِّ الذي نصبَه ذلكَ الصَّيّادُ حينَ أرادَ أنْ يصطادَ أسدًا صَغيرًا ، ثمَّ رأى آثارَه حينَ أتى الوَلَدُ إلى مخيّمِهما الصَّغيرِ واستعادَ فَرخَ النَّعامِ الذي أسراه في اليَومِ السّابقِ ، كانَ قد رأى آثارَ ذلكَ الوَلَدِ أيضًا في أثناءِ تنقُّلاتِه معَ سربِ النَّعامِ في الصَّحراءِ ، كانَ قد رأى تِلكَ التَّخيُّلاتِ حينَها أيضًا لَكِنَّهُ لَمْ يخبرِ الصَّيّادَ بشيءٍ مِنَ ذلكَ لأنَّ الصَّيّادَ لَمْ يصدِّقْه وكانَ سيضحكُ من أقوالِه ساخرًا لأنَّهُ لَمْ يكنْ يؤمنُ بقدرتِه على تفسيرِ الآثارِ .

كان سيدي إبراهيمُ يَشْعُرُ بالغضبِ يغلي في صدرِه كلَّما فكّرَ في ذَلِكَ الصَّيّادُ ، ماذا كانَ يُدعى يا تُرى؟ أجلْ ، كانَ يُدعى لوك .

انْحَنى ثانيةً فَوقَ الآثارِ ومرَّةً أُخرى رأى كلَّ شيءٍ يتجسَّدُ أمامَه بوضوحٍ ، الولدَ ، طيورَ النَّعامِ ، أفراخَ النَّعامِ . كَمْ كانَ عمرُ الولدِ؟ 12 سنة أو 13 سنةً ربّما؟ شعرٌ أَسْوَدُ طَويلٌ مُعقَّدٌ ، أسمرُ اللَّونِ ، عارٍ ما عدا قطعةَ قماشٍ يربطُها حَولَ خصرِه ، لَكِنَّهُ واهِنٌ جدًّا ، يكادُ لا يقوى على السَّيرِ ، كانَ يسيرُ بصعوبةٍ مستندًا إلى النَّعامتَينِ الكَبيرتَينِ ، كانَ يقعُ على الأرضِ مرَّةً بعدَ مرَّةٍ لكنَّ النَّعاماتِ كانَتْ تجبرُه على الوقوفِ ثانيةً ، عِندَما وَصَلوا إلى البركةِ شربَ الوَلَدُ الماءَ .

عِندَما عادَ سيدي إبراهيمُ إلى خيامِ عائلتِه بالجِمالِ والماءِ كانَ اللَّيلُ قد حلَّ بظلامٍ أَسْوَدَ كالفحمِ ، رَكَضَ ابنُه الكَبيرُ نحوَه عبرَ الظَّلامِ ، وَراحَ يعتني بقطيعِ الجِمالِ ، كانَ على الوَلَدِ أنْ يُسرِعَ في حَلْبِ بَعْضِ النّاقاتِ ليحصلَ أَفْرادُ العائلةِ على قَدْرٍ مِنَ حليبِ الجِمالِ عندَ تناولِ

طَعامِ العشاءِ ، كانَ سيدي إبراهيمُ سائرًا تِجاهَ خيمتِه عِندَما توقَّفَ فَجْأةً وَراحَ يُحَدِّقُ أمامَه ، رأى ثلاثَ سيّاراتِ جيبٍ واقفةً في الخارِجِ ، ورأى أنَّ زوجتَه قد مدَّتْ سجّادةً فَوقَ الرَّمْلِ ليجلسَ عليها الغُرباءُ ، كانوا خمسةً وعرفَ سيدي إبراهيمُ أحدَهم ، الشّخصُ الذي عرفَه سيدي إبراهيمُ هو ذلكَ الصَّيّادُ ذو الصَّوتِ العالي الذي يضحكُ كثيرًا وعاملَه باحتقارٍ فيما مضى ، وكانَ قد ضَحِكَ عليهِ وسخرَ منه ولم يصدِّقْ أنَّهُ كانَ قادرًا على تفسيرِ الآثارِ .

لكنَّ رجلًا آخرَ كانَ بينَ هؤلاءِ الأغرابِ ، رجلٌ نحيفٌ ضئيلُ الجسدِ ، لَمْ يكنْ يلبسُ قبعةً ، بلْ كانَ يضعُ على رأسِه عمامةً سوداءَ لَمْ يَظهرْ مِنَ تحتِها إلّا جُزْءٌ صَغيرٌ مِنْ وجهِه ، لماذا يرتدي عمامةً كأهلِ الصَّحراءِ؟ عِندَما فتحَ الرَّجُلُ فمَه وتكلَّمَ فهمَ سيدي إبراهيمُ ، لقد سبقَ لهذا الرَّجُلِ أنْ عاشَ بينَ أهلِه وبينَ الطَّوارقِ وكانَ يُجيدُ اللُّغتَينِ ، كانَ موظَّفًا لدى هؤلاءِ الأجانبِ ، لدى فريقِ التَّصويرِ هذا ، ها هم يدَّعونَ أنَّهم سيصوِّرونَ فلمًا عن ولدٍ يعيشُ مع سربٍ مِنَ النَّعامِ .

– سنبحثُ عنه وسنحاولُ أنْ نصوِّرَ حياتَه البرّيّةَ ، إذا صحَّ التَّعبيرُ هَكذا ، قالَ الصَّيّادُ الذي كانَ يبدو وكأنَّه رئيسٌ على البقيّةِ ، قامَ الرَّجُلُ النَّحيفُ بترجمةِ كلِّ ما قالَه إلى اللُّغةِ الحسّانيّةِ بالرَّغمِ مِنْ أنَّ ذلكَ لَمْ يكنْ ضروريًا ، كانَ سيدي إبراهيمُ يجيدُ اللّغةَ الإنكليزيّةَ إلى حدٍّ كافٍ ، فقد عملَ في صِغَرِه على مَتْنِ باخرةٍ إنكليزيّةٍ للصّيدِ فتعلَّمَ اللُّغةَ الإنكليزيّةَ ولم ينسَها بعدَ ذلكَ .

– بعدَ ذلكَ سنلقي القبضَ عليهِ ، غاي ميكلوس الذي يجيدُ لغتَكُم

سيحاولُ التّواصلَ معَه ، سنقومُ بتصويرِ ذلكَ أيضًا ، سنأخذُ الوَلَدَ معنا إلى نيويورك بعدَ ذلكَ بالطَّبعِ ، لكنْ علينا الآنَ أنْ نجدَ الوَلَدَ أوَّلًا ، لقد سمعْنا أنَّك أفضلُ متقصٍّ للآثارِ في الصَّحراءِ الكُبرى بأكملِها ، نريدُ أنْ نوظِّفَك لحسابِنا ، سندفعُ لك خمسينَ دولارًا في اليَوْمِ ، إذا عثرْتَ على الوَلَدِ سنعطيكَ مئةً إضافيّةً .

أحْنى سيدي إبراهيمُ رأسَه باحترامٍ وقَبِلَ العرضَ ، عندَها بدأَتْ زوجتُه ، وأمُّه وبناتُه بحمْلِ الطَّعامِ إلى السُّفرةِ ، وضعَتِ النِّساءُ أوعيةَ طَعامٍ يتصاعدُ منها البُخارُ أمامَ الضُّيوفِ ، سَمِعَ الأجانبُ يعترضونَ قائلينَ : إنَّهم لا يريدونَ تناولَ هذا الطَّعامِ ، لكنَّ الرَّجُلَ النَّحيفَ قالَ لهم إنَّهُ يجبُ عليهم أنْ يأكلوا ممّا وُضِعَ أمامَهم ، أهلُ الصَّحراءِ يعتزّونَ كَثيرًا بإكرامِ الضَّيفِ ، ورَفْضُ تناولِ ما يقدِّمونَه مِن طَعامٍ إهانةٌ لهم . كانَ يبدو للأغرابِ أنَّ تناولَ الطّعامِ بالأصابعِ لَمْ يَرُقْ لهم ، لذلكَ كانوا يتفحَّصونَ الطَّعامَ أكْثَرَ ممّا يأكلونَه ، حليبُ الجِمالِ الذي ما يزالَ ساخنًا كَما في ضرعِ النّاقةِ لَمْ يَرُقْ لهم أيضًا ، الرّجُلُ النَّحيفُ هو الوحيدُ الذي أكلَ بِنَهَمٍ ، شكرَ فيما بعدُ سيدي إبراهيمَ وعائلتَه بأكملِها على الطَّعامِ اللَّذيذِ الذي قدَّموه .

نصبَ الأغرابُ خيامَهم على مسافةٍ قَصيرةٍ مِنَ خيامِ عائلةِ سيدي إبراهيمَ ، عِندَما رأى أنَّ الأغرابَ أطفؤوا مصابيحَهم ، أمْسَكَ بمكنسةٍ وسارَ باتِّجاهِ أسْرَعِ جِمالِه ، اهتدى إلى الطَّريقِ بِواسِطةِ النُّجومِ ، كانَ يقودُ جَملَه عبرَ الظَّلامِ مستهديًا بها ، سارَ الطَّريقَ بأكملِه إلى بركةِ المَاءِ ومسحَ كلَّ الآثارِ التي تركَها الوَلَدُ المريضُ وسربُ النَّعامِ هُناك ، كانَ قد رأى أنَّ

الولدَ تَرَكَ البركةَ وهو مريضٌ ، لَكِنَّهُ لَمْ يقعْ عندها كَثيرًا كما فَعَلَ في طَريقِه إلى البركة ، عِندَما تركوا البركةَ ساروا إلى قلبِ الصَّحراءِ ، نحوَ جِهَةِ الشَّرقِ ، ربَّما إلى ذاتِ المكانِ الذي أتَوا منه .

قبلَ أنْ يعودَ سيدي إبراهيمُ إلى خيامِ عائلتِه ، دفنَ وعاءً فخّاريًّا في الرَّملِ بالقُربِ مِن شجرةِ أكاسيا مسنّةٍ جدًّا .

أتت سيّاراتُ الجيبِ في الصّباحِ الباكرِ ، كانَ أعضاءُ الفريقِ قد طَوَوا خيامَهم وتجهَّزوا للانطلاقِ .

– أينَ نبدأُ البحثَ حسبَ رأيِك؟ سألَ الرَّجُلُ الذي كانَ يبدو أنَّهُ رئيسٌ على الآخَرينَ .

– الأفضلُ أنْ نذهبَ إلى المَكانِ الذي رأى فيهِ مستر لوك الوَلَدَ وصوَّرَ آثارَه . مازالَ الوَلَدُ وسربُ النَّعامِ في جوارِ ذلكَ المكانِ بالتّأكيدِ .

– فكرةٌ عظيمةٌ ، قالَ بوب جونسون . دعونا ننطلقْ في الحالِ .

دلَّهُمْ سيدي إبراهيمُ على الطَّريقِ إلى بركةِ الماءِ حَيثُ ملؤوا غالوناتِهم وصبّوا الماءَ في مبرِّداتِ محرِّكاتِ سيّاراتِهم .

– بأيِّ اتِّجاهٍ نقودُ سيّاراتِنا الآنَ؟ سألَ بوب جونسون .

– لا علمَ لي بذلكَ على الإطلاقِ ، قالَ لوك أوكونر . جَميعُ الأمكنةِ في هذِه الصَّحراءِ الملعونةِ تبدو متشابهةً تَمامًا .

– علينا أنْ نتوجَّه جنوبًا ، قالَ سيدي إبراهيمُ .

سارَتِ السَّيّاراتُ الثَّلاثةُ جنوبًا مخلِّفةً غيمةً مِنَ الرَّمْلِ الأصفرِ المائلِ إلى الحُمرةِ ، ظلَّتْ معلَّقةً في الهواءِ فَتْرَةً قَبْلَ أنْ تعودَ وتهبطَ صوبَ الأرضِ .

ظهرَتْ في الأفقِ غيمةٌ أُخرى وراحَتْ تقتربُ منهم أكْثَرَ فأكثرَ . كانَتْ ريحٌ دوّاميّةٌ نصبَتْ مِنَ الرِّمال عمودًا يحومُ ، يدورُ حَوْلَ نفسِه وينحني . لَمْ ينطقْ سيدي إبراهيمُ بشيءٍ ، كانَ يؤمنُ تَمامًا أنّ ذلكَ كانَ جِنّيًا ، شيطانٌ صحراويٌّ في طَريقِه إليهم لَكِنَّهُ لَمْ يقلْ شَيْئًا . أخرجَ المصوِّرُ هارولد جوزيف آلةَ التَّصويرِ وَراحَ يصوِّرُ الرِّيحَ الدَّواميّةَ عبرَ النّافذةِ المفتوحةِ ،لَكِنَّهُ لَمْ يُدْرِكْ أنَّ الرِّيحِ كانَتْ تنتقلُ بسُرْعَةٍ هائلةٍ ، كانَ مايزالُ منشغِلًا بالتَّصويرِ حينَ انقضَّتِ الرِّيحُ عليهم ودخلَ الرَّمْلُ إليهم عبرَ النّافذةِ المفتوحةِ .

سعلَ الجَميعُ وراحوا يبصقونَ ما عدا المصوِّرِ ، كانَ منهمِكًا بصبِّ اللَّعَناتِ بينَه وبينَ نفسِه لفترةٍ طويلةٍ ، كانَ يخشى مِنْ دخولِ الرَّمْلِ إلى الكاميرا .

لم تدعِ النَّعاماتُ هَدارةَ يعودُ إلى البركةِ وحيدًا ، كانَ قد تحسّنَ ، وبدأتْ قواهُ تعودُ إليه فتمكَّنَ مِنَ السَّيرِ دونَ أنْ يستندَ إليهما ،لكنَّ ماكو وحوجًا كانا مايزالانِ يشعرانِ بالقلقِ عليهِ ويريدانِ أنْ يحرساهُ ؛ لذلكَ تبعَه كلُّ أفْرادِ السِّرْبِ إلى البركةِ هذِه المرّةَ أيضًا وعِندَما وَصَلوا إلى هُناك ملأَ الرّعبُ قلبَ هَدارة ،لقد رأى أنَّ أحَدًا ما مسحَ آثارَهم كلَّها .

لماذا؟

لكنْ ما نَشَرَ صقيعَ الذُّعرِ في قلبِه آثارُ أحذيةٍ ضخمةٍ ودواليبَ سيّاراتٍ عديدةً ، عِندَما رأى تِلكَ الآثارَ عجَّ رأسُه بصورٍ رهيبةٍ تذكَّرَها ، الفخُّ ، فَرْخُ النَّعامِ الأسيرِ ، الكائنُ البشريُّ الغريبُ ذو الأحذيةِ الضَّخمةِ الذي حملَ فَرْخَ النَّعامِ وسارَ به إلى ذلكَ الشَّيْءِ الهَدّارِ ثمَّ اخْتَفى

به الكائنُ البشريُّ الغريبُ الذي كانَ ينامُ جالسًا على كرسيٍّ ، وذلكَ الشَّيْءُ الأحمرُ السّاخنُ الذي قالَتِ اللَّبؤةُ الصَّغيرةُ إنَّ اسمَه نارٌ ويجبُ أنْ يحذرَه في المُسْتَقْبَلِ ، لقد أحرقَ يَدَهُ بالنّارِ مرَّةً . حزَّ الألمُ في جسدِه مرّةً أُخرى وجعلَتْهُ الذِّكرى على وشكِ التَّقيؤِ . نَظَرَ إلى يدِه ، لقد شُفيَ الجُرحُ الذي تركَتْهُ عليه النّارُ ، لكنَّ الجلدَ باتَ قبيحًا وخشنًا ، ثمَّ تذكَّرَ جلدَ اللَّبؤةِ الذي كانَ معلَّقًا على الخيمةِ ، تذكّرَ الرَّجُلَ الذي رَكَضَ وراءَه عِندَما حرّرَ النَّعامةَ الصّغيرةَ عكوكُ مِنَ أسرِها وحملَها بينَ ذراعيهِ ، عِندَما نَظَرَ إلى الخلفِ رأى الرَّجُلَ الغريبَ وهو يقعُ على الأرضِ وحينَ بقيَ مُمَدَّدًا في مكانِه ، ثمَّ تذكَّرَ بوضوحٍ أنَّهُ رأى آثارًا مثلَ هذِه حَولَ ذلكَ المخيَّمِ ، عندَ القَفَصِ وفي أمكنةٍ أُخرى أيضًا .

– هذهِ آثارٌ غايةٌ في الخُطورةِ ، علينا أنْ نرحلَ حالًا ، أشارَ هَدارةُ ذهنيًا إلى أفْرادِ السِّربِ .

– أنفعلُ كَما فَعَلَ قطيعُ الغزلانِ؟

– سنفعلُ كَما فَعَلَ قطيعُ الغزلانِ بالضَّبطِ .

رأى أنَّ عكوكَ الفضوليّةَ كانَتْ تحفرُ في الرَّمْلِ ، اقتربَ هَدارةُ منها ورأى أنَّها وجدَتْ غرضًا تستعملُهُ الكائناتُ البشريّةُ ، شعرَ بتشوّقٍ عظيمٍ وفكّرَ بالأشياءِ التي وجدَها مِنْ قَبْلُ ، فكّرَ بقطعِ القماشِ وبالسِّكينِ ، لكنْ ما هذا؟ جلسَ على ركبتَيهِ وَراحَ يحفرُ في الرَّمْلِ أيضًا ، كانَ ذلكَ الغرضُ مدفونًا حتّى النِّصفِ في الرَّمْلِ .

أظهرَ كلٌّ مِنْ ماكو وحوجٌ استياءَهما عِندَما توقَّفا ونَظَرا إلى الجهةِ الأُخرى ، لكنَّ هَدارةَ شعرَ بسحرِ ذلكَ الغرضِ البشريّ ، كانَتْ لذلكَ

الغرضِ قوّةٌ عجيبةٌ جذبَتْ هَدارةَ إليه ، أبعدَ هَدارةُ الرَّمْلَ الذي كانَ يغطيهِ وإذا به يضعُ يدَيهِ على وعاءٍ فخّاريٍّ كبيرٍ ، رفعه مِنَ الرَّمْل ، شمَّ رائحتَه ودارَ بيدَيهِ فَوْقَ استدارتِه المستويةِ النّاعمةِ الملمسِ ، كانَ ذلك أعلى الوعاءِ ، رفعَه هَدارةُ مِنَ مَكانِه ، رأى داخِلَه ثمارًا بنّيّةَ اللَّونِ مجعَّدةً قليلًا ، إنَّها ثمارُ التَّمرِ ، لَمْ يكنْ هَدارةُ قد رأى تمرًا مِنْ قَبْلُ ، وَضَعَ أنفَه بينَ حبّاتِ التَّمرِ وتنشَّقَ رائحتَها ، صعدَتْ مِنَ الوعاءِ رائحةٌ حلوةٌ عذبةٌ تذكِّرُ برائحةِ بَعْضِ أنواعِ الزُّهورِ ، أمْسَكَ بواحدةٍ مِنْ حبّاتِ التَّمرِ الدَّبِقَةِ ووَضَعَها في فمِه .

انتابَه شعورٌ مفاجئٌ ملأَ جسدَه بأكملِه بالسَّعادةِ والمُتعةِ بذَلِكَ الطَّعمِ الرّائعِ ، لَمْ تكنْ لهـدارةَ معرفةٌ بالطَّعمِ الحلوِ ، مضغَ ثمَّ أكلَ تمرةً أُخرى ثمَّ أُخرى ثمَّ أُخرى .

الغريبُ في الأمرِ أنَّهُ أحَسَّ بأنَّ الضّعفَ الذي كانَ يحسُّ به مِنْ قَبلُ اخْتَفى الآنَ ، وعادَ إليهِ الشُّعورُ بالفرحِ الذي تُمليهِ الحَيَاة ، وَقَفَ في مكانِه ، حملَ الوِعاءَ بين ذراعَيهِ و سارَ إلى ماكو وحوجِ اللَّذَينِ ما انفكّا واقفَينِ بلا حَرَكَة على مسافةٍ منه ، ناظرَينِ إلى الجهةِ المُعاكسةِ .

أعجبَ طعمُ التَّمرِ ماكو وحوجًا والصّغيرةَ عكوكَ الفضوليّةَ والآخَرينَ كلَّهم ، لَمْ يتابعوا سيرَهُم إلّا بعدَما فرغَ الوعاءُ مِنَ التَّمرِ ، كانَ الوعاءُ ضخمًا جِدًّا لا يقدرُ هَدارةُ على حملِهِ مسافةً طويلةً لذلكَ دفنَه مجدَّدًا بالقُرْبِ مِن شجرةٍ ليجدَه فيما لو عادَ هو وعائلتُه إلى هذا المكانِ . عِندَما غادروا بركةَ الماءِ شعرَ هَدارةُ بأنَّه لَمْ يعدْ بحاجةٍ لأنْ يسيرَ في وسطِ السِّرْبِ ليستندَ إلى النَّعاماتِ ، ها هو يسيرُ وحدَه الآنَ ، كانَ قادرًا على

السَّيرِ كعادتِه ، بينَ حوجِ وماكو .

أسْرَعَ حوجٌ في خُطاهُ . كانَ هُناكَ شعورٌ غامضٌ يدفعُ النَّعاماتِ إلى مغادرةِ المَكانِ وكأنَّ شَيْئًا فظيعًا كانَ على وشكِ الحدوثِ ؛ لهذا أحسّوا أنَّ عليهم الابتعادَ عن تلكَ الآثارِ الموجودةِ حَوْلَ البركةِ ، يجبُ أنْ يتابعوا سيرَهُم ، لكنَّهم غادروا الجوارَ ، والحُزنُ يملأُ قلوبَهم على المكانِ الذي كانوا يعتبرونَه جَنّةً لطيورِ النَّعامِ بعدَ هطولِ المطرِ الغزيرِ .

ساروا جنوبًا .

لم يكنْ لديهم أدنى علمٍ بأنّهم ساروا بذاتِ الاتِّجاهِ الذي سارَ فِيهِ الغرباء . لقد اختفت آثارُ السّيّاراتِ الثلاثةِ التي ارتسمَتْ فَوْقَ الرَّمْلِ بسببِ زوبعةٍ عَصفَتْ فَجْأةً .

أسئلة الفصل

1 . ما الأشياءُ الغَريبةُ الَّتي تَعَجّبَ مِنْها سِيدي إبراهيمَ حينَ تقصّى آثارَ هدارةَ والسِّرْبِ؟

2 . كيفَ تصفُ موقفَ سِيدي إبراهيمَ منَ الصَّيّادِ (لوك)؟ هَلْ تَراهُ مُحِقًّا في ذلكَ؟ اِشْرَحْ رَأْيَكَ .

3 . تُصوِّرُ الرِّوايةُ سِيدي إبراهيمَ ذا قُدْرَةٍ خارِقَةٍ على مَعْرِفَةِ تَفاصيلِ أُمورِ ما يَحْدُثُ مِنْ مُجَرَّدِ تَقَصّي الآثارَ . هَلْ تُؤْمِنُ بِمِثْلِ هذهِ القُدُراتِ؟ عَلِّلْ رأيَكَ .

4 . لماذا نَقْبَلُ بوجودِ هذهِ القُدُراتِ الخارِقَةِ في الأدبِ؟ وهلْ تَراها إِضافةً مُهِمَّةً لِلْكتابَةِ الرِّوائِيَّةِ؟

5 . لماذا ، بِرأْيِكَ ، قامَ سيدي إبراهيمَ بِطَمْسِ آثارِ النَّعامِ وهدارة؟

6 . كانَ سيدي إبراهيمَ يُؤْمِنُ بِالخُرافاتِ؟ هاتِ دليلًا على ذلكَ ممّا وردَ في هذا الفصلِ؟

7 . حَمَلَ سيدي إبراهيمَ في اللَّيلِ المظلِمِ جَرَّةَ تَمْرٍ ، ودَفَنَها تَحْتَ شَجَرَةِ أَكاسيا بِالقُرْبِ مِنَ البُحَيرَةِ . لماذا فَعَلَ ذلكَ في رأيِكَ؟ وما الَّذي تستنتجُهُ عَنْ سِيدي إبراهيمَ مِنْ خِلالِ هذا الفِعْلِ؟

8 . ضَعْ «أَسْوَد كالفَحْمِ» و«صَقيع الذُّعْرِ» في جُمْلَتَينِ مُفيدتَينِ مِنْ إنشائِكَ؟

الفصل الثلاثون

شياطينُ الصَّحراءِ تنتقمُ

لم يتسبَّبِ المطرُ الغزيرُ الذي تساقطَ منذُ فَتْرَةٍ قَصيرةٍ بازدهارِ الصَّحراءِ فقطْ ، بلْ أدّى أيضًا إلى أنَّ بَيْضَ الجَرادِ بدأ يفقِّسُ ، كانَ بَيْضُ الجرادِ مخبأً منذُ فَترَةٍ طويلةٍ في الرِّمالِ بانتظارِ الرُّطوبةِ والحرارةِ المناسبَتَينِ ، بدأتِ البيوضُ تفقِّسُ واحدةً تلوَ الأُخرى إلى أنْ بدأتْ ملايينٌ مِنَ الجرادِ تزحفُ وتظهرُ مِن تحتِ الرَّمْلِ ، ستنبتُ لها أَجْنِحةٌ عمّا قريبٍ فتتمكَّنُ مِنَ الطَّيرانِ .

تنقّلَ سربُ النَّعامِ برفقةِ الوَلَدِ بطَريقةٍ تشبهُ الهربَ جنوبًا ، كانوا يتنقَّلونَ بأسْرَعِ ما يمكنُهم ، لَمْ يكنْ أحَدٌ منهم يُدْرِكُ أنَّهم بتلكَ الطَّريقةِ كانوا يقتربونَ مِنَ الرِّجالِ أصحابِ السَّيّاراتِ ، أصحابِ الأحذيةِ الضَّخمةِ الذين كانَتْ معهم شبكةٌ كبيرةٌ ربطوها فَوْقَ سطحِ إحدى سياراتِهم .

وقفَتِ السّيّاراتُ في منطقةٍ كَثيرةِ التِّلالِ ، وكانَ المصوِّرُ منهمِكًا بالعَمَلِ على آلةِ التَّصويرِ التي بينَ يدَيهِ ، لقد تعطَّلَتْ وها هي تُعرِضُ عن العملِ ، هزَّها ، قلَّبَها وشتمَها بعصبيّةٍ ، أخيرًا فتحَها وحاولَ أنْ ينظِّفَها لكنْ دُوْنَ فائدةٍ ، أحضرَ عندَها مفكّاتِه الصَّغيرةَ وفكَّها إلى أجزاءٍ مختلفةٍ ، لزمَ

الآخَرونَ الصَّمتَ وهم يَنْظُرونَ إليهِ .

– ليسَتْ هُناكَ فائدةٌ ، قالَ في نهايةِ المَطافِ وتنهّدَ بعمقٍ ، الكاميرا معطَّلَةٌ ، لقد دخلَها الرَّمْلُ بالطَّبعِ حينَ كنْتُ أصوِّرُ ، أمّا الآنَ فكل شيءٍ فيها معطَّلٌ ، لا بدَّ أنَّ الدَّواليبَ المُسنَّنةَ تكسَّرَتْ داخلَها .

الوحيدُ الذي لَمْ يظهرْ عَلَيهِ الاستغرابُ أو الاستنكارُ هو التَّحرّيُّ الصَّحراويُّ سيدي إبراهيمُ نزلَ مِنَ المقعدِ الأماميِّ للسّيّارةِ التي كانَ يجلسُ داخلَها ثمَّ سارَ قليلًا إلى مكانٍ ركعَ فيهِ على ركبتَيهِ وأدّى صلاتَه ، بما أنَّ الغُرباءَ كانوا مشغولينَ بالحديثِ عن الكاميرا ، تسنّى له أنْ يطيلَ في صلاتِه ، بعدَ الصَّلاةِ العاديّةِ ناجى ربَّه .

حينَ عادَ إلى السَّيّارةِ سَمِعَ المنتجَ بوبَ جونسون وهو يحاولُ مواساةَ المصوِّرِ الحزينِ قائلًا : إنَّ تعطُّلَ الكاميرا لَمْ يكنْ كارثةً ، إذْ إنَّهُ ماتزالُ لديهم واحدةٌ أُخرى . حينَ وَجَدَ سيدي إبراهيمُ أنَّ مِزاجَ أفْرادِ الفريقِ كانَ معكَّرًا ، قالَ إنَّهُ سيشعلُ نارًا ويحضرُ الشّايَ ، هذا ما يَفْعَلُهُ أناسُه عادَةً إذا كانوا يواجهونَ مشكلةً تحتاجُ إلى نقاشٍ ، أو إذا أرادوا أنْ يواسوا أحدًا ، نَهَضَ مِنْ مكانِه وغادَرَ ليبحثَ عن بَعْضِ الوقودِ لإشعالِ النّارِ ، لَمْ يكنْ في هذا المكانِ ما يمكنُ إشعالُه على الإطلاقِ ، كُلُّ ما كانَ هُناكَ هو رملٌ خِشِنٌ وحجارةٌ ، اضْطُرَّ للسّيرِ طويلًا قَبْلَ أنْ يجدَ ما كانَ يبحثُ عنه . تَسَلّقَ أخيراً قمَّةَ التَّلِّ الأعلى ومِنْ هُناكَ رآهم ، سربَ النَّعامِ والوَلَدَ .

كانوا يتنقَّلونَ ببطءٍ .

لم يكنْ يفصلُه عنهم أكْثَرُ مِنَ مئةِ مترٍ .

وقفَ سيدي إبراهيمُ ساكنًا كأنَّه كانَ شجرةً أو حجرًا وتمنّى ألّا تراهُ النَّعاماتُ ،لَمْ يجرؤْ على الحركةِ إلّا بعدَما ابتعدوا ،لَكِنَّهُ لَمْ يسرعِ الخُطى في طَرِيقِ عَودَتِه إلى الآخَرينَ ، سارَ بِبُطءٍ عِندَما نزلَ مِنْ فوقِ التَّلِّ ووجدَ في الجهةِ الأُخرى بعضَ الشُّجيراتِ الجافَّةِ ، كسرَ أغصانَها بِبُطءٍ وبتأنٍّ قَبْلَ أنْ يعودَ إلى الفريقِ برُزمةٍ ضخمةٍ مِنَ الحطبِ ، لَمْ يقلْ شَيْئًا بل جلسَ على مسافةٍ مِنَ السّيّاراتِ ، كسرَ بعضَ الأغصانِ وجمعَ كومةً صَغيرةً مِنَ الحطبِ وأشعلَ فيها النّارَ ، عِندَما اشتعلَتْ جيّدًا وَضَعَ فَوْقَها إبريقًا مليئًا بالماءِ ، عِندَما حضَّرَ الشّايَ ، قدَّمَ لكُلِّ واحدٍ كأسًا ثمّ شربَ هو الشّايَ بعدَ ذلكَ .

لم يُشِرْ ولو بكلمةٍ واحدةٍ أنَّ سربَ النَّعامِ والولدَ كانوا في الجوارِ .

جعلَهم الحرُّ يشعرونَ بالخَدَرِ ، لكنَّ أفْرادَ الفريقِ التَّصويريِّ أرادوا الوُصُولَ إلى المكانِ الذي شاهدَ فيهِ لوكٌ الولدَ ، قالَ الدَّليلُ الصّحراويُّ : إنَّ ذلكَ المَكانَ ليسَ بَعِيداً . هدرَتِ السّيّاراتُ ثمَّ انطلقَتْ ، لَمْ يُرِدِ المصوِّرُ أنْ يقودَ سيّارتَه بل انتقلَ إلى السَّيّارةِ التي قادَها لوكٌ حتّى لا يسمعَ صوتَ مهندسِ الصَّوتِ الذي كانَ يلومُه على تصويرِ تلكَ الزَّوبعةِ الرَّمْليةِ ، الوحيدُ الذي لَمْ يتذمَّرْ هو لوكٌ . لقد اخْتَفى الصُّداعُ الذي أصابَه منذُ الصَّباحِ الباكرِ وكانَ مزاجُه طيّبًا جِدًّا . لقد قالَ سيدي إبراهيمُ : إنَّهم سَيَصِلونَ اليَومَ إلى المكانِ الذي التقى فيهِ بالولدِ . . أرادَ لوكٌ أنْ يواسيَ المصوِّرَ الحزينَ ؛ لذلكَ راحَ يقصُّ عليهم النُّكاتِ ويخبرُهم بحكاياتٍ عن صيدِ الألَكِ الذي كانَ يقومُ به في مونتانا وعنْ دبٍّ أمريكيٍّ دخلَ مرّةً خيمتَه في ألاسكا ، وعن تِلكَ المرَّةِ التي دخَّنَ فيها سرًّا حينَ كانَ في

الثّامنةِ مِنَ العمرِ وتسبَّبَ بحريقٍ التهمَ مَرْجًا بأكملِهِ تحدّثَ وضحكَ كَثِيرًا بصوتٍ عالٍ وجعلَ المصوِّرَ المهمومَ يضحكُ معه بصوتٍ عالٍ أيضًا وينسى آلةَ التَّصويرِ المعطَّلةِ .

لم يستمعْ سيدي إبراهيمُ إلى تِلكَ القِصَصِ ، كانَ يديرُ وجهَه إلى الجهةِ الأُخرى كانَ يفكِّرُ بآلةِ التَّصويرِ وكانَ يَعلَمُ تَمامًا لماذا تعطَّلَتْ ، لقد صوَّرَ المصوِّرُ زوبعةً والكُلُّ يَعلَمُ أنَّ الزوبعةَ ليسَتْ سوى جنّيٍّ ، شيطانٍ ، هذا عملٌ غبيٌّ لا يمكنُ أنْ يقومَ به واحدٌ مِنْ سُكّانِ الصَّحراءِ ، ما أصابَهم لَيْسَ سوى انتقامِ شياطينِ الصَّحراءِ .

لذلكَ لَمْ يستغربْ سيدي إبراهيمُ على الإطلاقِ حينَ علقَتْ إحدى السّيّاراتِ في حُفرةٍ مِنَ الرَّمْلِ ، لَمْ يتمكَّنوا مِنْ قيادةِ السَّيّارةِ إلى خارجِ الحُفرةِ بل اضْطُرّوا إلى سحبِه منها بِواسِطةِ السَّيّارتَينِ الأُخرَيَينِ ، استغرقَ الأمرُ ساعةً كاملةً انقطعَ بعدَها حزامُ المروحةِ .

كانَ لديهم حزامٌ آخرُ لُحسنِ الحظِّ ، دخلوا بعدَ ذلكَ منطقةً مغطّاةً بأحجارٍ حادَّةِ الأطرافِ بنّيّةِ اللّونِ مائلةٍ إلى السَّوادِ . تذكّرَ لوكٌ أوكونر هذا المكانَ الذي رآه في زيارته السّابقةِ ، هُنا انقطعَ حزامُ مروحةِ السّيّارةِ الأُخرى ،لوكٌ الذي أثبتَ أنَّهُ ميكانيكيٌّ ماكرٌ بدَّلَ هذا الحزامَ أيضًا ،عملَ الحزامُ الجديدُ لمدّةِ ساعةٍ فقطْ ، ولمّا لَمْ يعدْ لديهم المزيدُ مِنَ الأحزمةِ ، اضْطُرَّ لوكٌ للارتجالِ ، استعملَ حزامَه الجلديَّ كحزامٍ للمروحةِ ،لَكِنَّهُ لَمْ يعملْ لأكْثَرَ مِنَ رُبعِ ساعةٍ ، تعطَّلَتْ بعدَ ذلكَ العجلةُ الدّافعةُ اليُمنى وعلبةُ التُّروسِ الخلفيّةُ ، قادَ لوكٌ السَّيّارةَ على ثلاثِ عجلاتٍ لفترةٍ قَصيرةٍ تعطَّلَتْ بعدَها السَّيّارةُ كلّيًا .

لم يعدْ ذلكَ الجيبُ صالحًا للاستعمالِ .

– علينا أنْ نتركَه هنا ، قالَ بوبُ جونسون منقبضًا ، لَيْسَ أمامَنا حلٌّ آخرُ . هذهِ ليستْ كارثةٌ . هُناكَ متّسعٌ لنا وللمعدّاتِ في السَّيّارتَينِ الأُخريَينِ .

بعدَما قالَ ذلكَ وأعطى أوامرَ للآخرينَ ليحملوا المعدّاتِ إلى السّيّارتَينِ الأُخريَينِ ، فتحَ لوكُ أوكونر بابَ السَّيّارةِ ، وقعَ على الأرضِ وبقيَ ممدَّدًا في مكانِه .

– قُبيلَ الغروبِ فرغَ أحدُ الإطاراتِ مِنَ الهواءِ ، بدَّلوه بإطارٍ آخرَ ، شخرَ لوكُ بصوتٍ عالٍ في مؤخِّرةِ السَّيّارةِ ، عِندَما حَاوَلوا قيادةَ الجيبِ عَلِقَ في الرِّمالِ مجدَّدًا لكنَّهم تمكَّنوا هذِه المرَّةَ مِنْ أنْ يقودوه خارجَ الفخِّ الرَّمْليِّ .

مصائبُ ذلكَ اليَوْمِ كلُّها ؛ السَّيّاراتُ الَّتي علقَتْ في الرَّمْلِ ، حزاماتُ المراوحِ التي انقطعَتْ وتوجَّبَ عليهم تغييرُها ، السَّيّارةُ التي اضْطُرّوا لتركِها وسطَ الصَّحراءِ ، نقلَ الأمتعةَ والمعداتِ إلى السَّيّارتَينِ الأُخريَينِ ، الإطارُ الذي نُفِّسَ ، كلُّ تِلكَ الأحداثِ صوَّرها هارولد جوزيف ، شيءٌ مِنَ المصاعبِ وبعضُ الفشلِ أمرانِ ليسا مُضِرَّينِ ، سَوْفَ نُظهِرُ هذِه الأمورَ في الفلمِ بالطَّبعِ ، سيكونُ الفلمُ مشوِّقًا أكثَرَ إذا تخلَّلَه الكَثيرُ مِنَ المصاعبِ والمتاعبِ قَبلَ أنْ نجدَ الوَلَدَ البرّيَّ ونلقي القبضَ عليه .

أحسَّ المصوّرُ السّينمائيُّ بأنَّ يديه كانَتا ترتجفانِ في المساء ، كانَ يَشْعُرُ بالقلقِ كُلَّما أخرجَ آلةَ التَّصويرِ مِن مَكانِها ليصوِّرَ حدثًا ما ، كانَ يحاولُ أنْ يمنعَ وقوعَ أيِّ مكروهٍ لآلةِ التَّصويرِ الأخيرةِ التي كانَتْ في حوزتِه .

قالَ مُتقصّي الآثارِ سيدي إبراهيمُ إنَّهم سيصلونَ إلى القاعدةِ القديمةِ التي سكنَها هو ولوكُ في المساءِ . عِندَما حلَّ الظّلامُ واضْطُرّوا للقيادةِ مُهتَدينَ بالضَّوءِ الذي أرسلَتْه مصابيحُ سيّاراتِهم ، شعرَ سيدي إبراهيمُ بأنَّه لَمْ يعدْ متأكِّدًا مِن الطَّريقِ ، طلبَ منهم التَّوقُّفَ ونزلَ مِنَ السَّيّارةِ . رأوه يمسِكُ بحفنةٍ مِنَ الرَّمْلِ ، تحسّسها بينَ يديهِ وشمَّ رائحتَها ، أشارَ لهم بعدَ ذلكَ بيدِه نَحْوَ الاتِّجاهِ الذي يجبُ أنْ يسيروا به ، وَصَلوا إلى القاعدةِ القديمةِ بعدَ نصفِ ساعةٍ ، نصبَ عليٌّ وفريدٌ وسيدي إبراهيمُ الخِيامَ وحضَّروا طَعامَ العشاءِ ، كانَ لوكُ ما يزالُ مستغرقًا في نومٍ عميقٍ .

قرفصَ المنتجُ بوبٌ بالقُربِ مِنَ متقصّي الآثارِ .

– هل أنت متأكّدٌ مِنْ أنَّ هذا المكانَ هو المَكانُ الذي بقيتم فيهِ في السّابقِ؟

– متأكدٌ تَمامًا ، هنا بالضَّبطِ ، هنا كانَتْ خيمةُ مستر لوك وهُناكَ كنتُ أنامُ أنا ، قالَ سيدي إبراهيمُ وأشارَ بيدِه في الظَّلامِ .

– ماذا جرى تِلكَ اللَّيلةَ عِندَما رأى ولدَ النَّعامِ؟ لقد كنْتَ هنا أليسَ كذلكَ؟

– أجلْ ، طبعًا .

– هل رأيتَ الوَلَدَ أنت أيضًا؟

– لا .

– لم ترَ الوَلَدَ بنفسِك إذنْ؟

–لا . لَمْ أقلْ أبدًا إنَّني رأيتُ الولدَ .

– لكنَّكَ رأيتَ الآثارَ التي تركَها .

– رأيتُ آثارًا تركَها ولدٌ ، نعمْ . لقد أتى ولدٌ وسرقَ فَرْخَ النَّعامِ ، هذا أكيدٌ .

– لكنْ ماذا عن تِلكَ الآثارِ التي صوَّرها لوكٌ؟ إنَّها تُظهِرُ أنَّ الوَلَدَ رَكَضَ برفقةِ سربٍ مِنَ النَّعامِ .

– ليسَ بالتّأكيدِ .

– ماذا؟

– ربَّما مَرَّتِ النَّعاماتُ مِنَ هُناك أوَّلًا ثمَّ سارَ الوَلَدُ في الطّريقِ ذاتِها وداسَ فَوْقَ آثارِ أقدامِها . هلْ في الدُّنيا شخصٌ ما سَمِعَ عن إنسانٍ يعيشُ مع طيورِ النَّعامِ؟ أنا لَمْ أسمعْ بمثلِ هذا قَطُّ .

– لكنْ باستطاعتِك تفسيرُ الآثارِ ، ماذا كَشَفَتْ لكَ الآثارُ؟

– لا شيءَ ، قالَ سيدي إبراهيمُ ، لا شيءَ على الإطلاقِ ، أعذرْني ، عليَّ أنْ أنتبهَ للطَّعامِ الآنَ ، أريدُ أنْ أخبزَ ، هلْ تريدُ خبزًا يُخبَزُ في الرَّمْلِ؟

أخرجَ سيدي إبراهيمُ كيسًا يحتوي على الطَّحينِ ، خلطَ الطَّحينَ بالماءِ ، رشَّ عَلَيهِ بعضَ الملحِ وجعلَ العجينَ على شكلِ كعكةٍ كَبيرةٍ ، أبعدَ بعدَ ذلكَ الجمرَ عن الموقدِ ، وَضَعَ العجينَ فَوقَ الرَّملِ السّاخنِ ثمّ عادَ وغطّاهُ بالرَّملِ والجمرِ .

كمعظمِ أهلِ الصَّحراءِ عرفَ سيدي إبراهيمُ تلقائيًّا عِندَما استوى الخبزُ تَمامًا ، أخرجَه مِنْ تحتِ الرَّملِ وإذا به رغيفٌ ساخنٌ لذيذُ الطَّعمِ والرّائحةِ ، نفضَ الرَّملَ عن الرَّغيفِ بيدِه ، نفخَ عنه بقايا الرَّمْلِ الأخيرةِ وقدَّمَهُ ساخنًا إلى الغرباءِ .

أكلَ الغرباءُ بصمتٍ ، كانَ الخبزُ لذيذًا لكنَّ حباتِ الرَّملِ كانَتْ

تصطكُّ بينَ أسنانِهم ، لَمْ يحاولْ أحَدٌ أنْ يوقظَ لوكَ أوكونر الذي اسْتَمَرَّ بالشَّخيرِ القويِّ غيرِ المنتظمِ .

نامَ الجَميعُ وهمْ يظنّونَ أنَّهم وحيدونَ في ذلكَ المكانِ .

لكنَّهم لَمْ يكونوا وحيدينَ .

لم يُدْرِكْ متقصّي الآثارِ سيدي إبراهيمُ أنَّ سربًا مِنْ طيورِ النَّعامِ المُنهكةِ التي سارَت طويلًا في أثناءِ النَّهارِ ، آوَتْ إلى النَّومِ في الجهةِ الأُخرى مِنَ التَّلِّ الرَّمْليِّ الذي نصبَ عَلَيهِ الأغرابُ خيامَهم .

كانَّ ذلكَ هو سربَ النَّعامِ الذي ينتمي إليه هَدارةُ .

أسئلة الفصل

1 . كانَ سيدي إبراهيمَ مُتَعاطِفًا مَعَ هدارةَ . اذكرْ دليلًا على هذا مِنْ أحداثِ الفصلِ .

2 . مَرّ فريقُ التَّصويرِ بِصُعوباتٍ شتّى في هذا الفَصْلِ . اُذْكُرْها .

3 . لماذا بِرَأْيِكَ حاوَلَ المنتجُ (بوب) أنْ يتأَكَّدَ مِنْ مَوضوعِ الولَدِ الوَحْشِيِّ الّذي يعيشُ مَعَ النّعامِ مِنْ سيدي إبراهيمَ؟

4 . ولماذا قَدّمَ سِيدي إبراهيمُ مَعْلوماتٍ مُضَلِّلَةً لِلْمُنتجِ؟

5 . على ضَوْءِ ذلكَ : ما مَوْقِفُ سِيدي إبراهيمَ منْ فِكْرَةِ التَّصويرِ كُلِّها؟

6 . ما الوَظيفةُ النَّحويَّةُ لما تَحْتَهُ خَطٌّ في الجُمَلِ الآتيةِ :» نامَ الجَميعُ وهمْ يَظنّونَ أنَّهُمْ وَحيدونَ في ذلكَ المكانِ ، لكنَّهُمْ لَمْ يَكونوا وَحيدينَ «؟

الفصلُ الواحدُ والثّلاثونَ

بضعةُ ملايينَ مِنَ الجرادِ

نامَ حوجٌ قلقًا طَوالَ اللّيلِ ، وهكذا نامَ بقيّةُ أفْرادِ السِّربِ أيضًا ، الوحيدُ الذي لَمْ يستيقظُ مرارًا ليرفعَ رأسَه ويصغي السَّمعَ هو هَدارةُ ، لَمْ يكنْ لديهِ حِسٌّ دقيقٌ مثل حِسِّ طيورِ النَّعامِ ، لكنَّ طيورَ النَّعامِ كانَتْ تحسُّ كالكَثيرِ مِنَ الحَيَواناتِ التي تعيشُ في الصَّحراءِ أنَّ شَيْئًا ما كانَ على وشكِ الحدوثِ ، كَما كانَتْ تحسُّ بأنَّ ذلكَ الشَّيْءَ عظيمٌ وربَّما خطرٌ جِدًّا أيضًا .

كانَ الموقدُ مشتعلًا عِندَما خرجَ أفْرادُ الفريقِ مِنَ خيامِهم في الصَّباحِ الباكرِ . كانَ لوكُ آخرَ المستيقظينَ ، كانَ يلتزمُ الصّمتَ ، وعِندَما سألَه رئيسُ الفريقِ إذا ما كانَ هذا المَكانُ هو الذي أقامَ فيه المرّةَ الماضيةَ ، اكتفى لوكُ بهزِّ رأسِه . عِندَما سألَه عن الجهةِ التي أتى منها الوَلَدُ عِندَما سرقَ فرخَ النَّعامِ أشارَ بصمتٍ إلى جِهَةٍ معيَّنةٍ .

– سنجعلُ مِنَ هذا المَكانِ قاعدةً لنا ، قالَ بوبُ جونسون . بعدَ تناولِ الفطورِ سننطلقُ بالسّيّارتَينِ ، أريدُكَ أنْ تدلَّنا على المَكانِ الذي صوَّرْتَ فيهِ آثارَ الوَلَدِ والنَّعاماتِ ، أريدُكَ أنْ تريَني المكانَ الذي نصبْتَ فيهِ الفخَّ كَما أريدُ أنْ أرى البُحَيْرَةَ الصَّغيرةَ .

إذا كانَ الوَلَدُ وسربُ النَّعامِ في الجوارِ ، لا بدَّ أنَّهم يسكنونَ بالقُرْبِ مِنَ الماءِ . يمكنُنا أنْ نبنيَ هُناكَ مَكانًا نختبئُ فيهِ ونصوِّرُ مِنْ داخلِه .

كان المنتجُ بوبُ جونسون سعيدًا وابتسمَ للجَميعِ ، لقد حَاوَلَ نسيانَ الشَّكِّ الذي زرعهُ في قلبِه سيدي إبراهيمُ البارحةَ . يجبُ أنْ تكونَ القصّةُ التي رواها لوكُ أوكونر عن الوَلَدِ الذي يعيشُ مع سربِ النَّعامِ حَقِيقيّةً ، بكلِّ بساطةٍ ،

يجبُ أنْ يكونَ الوَلَدُ الذي يعيشُ مع سربِ النَّعامِ حَقِيقيًّا .

سارت السَّيّارتانِ في منطقةٍ مسطَّحةٍ مِنَ الصَّحراءِ وأشارَ لوكُ إلى المكانِ الذي ظنَّ أنَّهُ التقطَ فيهِ صورًا لآثارِ الوَلَدِ والنَّعاماتِ ، نَظَرَ الجَمِيعُ حولَهم ورأوا الرَّمْلَ ، بعضَ الشُّجيراتِ ، لا غيرَ ، قادوا سيّارتَهم إلى البُحَيْرَةِ الصّغيرةِ ووجدوا أنَّها لَمْ تعدْ بُحَيرَةً ، كلُّ ما تبقّى منها هو مستنقعٌ ضحلٌ ، لكن مازالَ فيهِ بعضُ الماءِ ، لَمْ يجدوا آثارًا لطيورِ النَّعامِ أو الولدِ ، أشارَ عندَها لوكُ إلى أحَدِ الكُثبانِ الرَّمْليةِ وقالَ إنَّ ذلكَ هو المَكانُ الذي نصبَ فيهِ الفخَّ الذي عَلِقَ فِيهِ فَرْخُ النَّعامِ .

– في ذلكَ المكانِ رأيتُ آثارًا خلَّفَها ولدٌ للمَرَّةِ الأولى .

تركوا السّيّارتَينِ وساروا نَحْوَ المَكانِ الذي كانَ يَقِفُ فيه ، كانَ هارولدُ جوزيف يَقِفُ جانبًا ويصوّرُ ما يحدثُ ، ومهندسُ الصَّوتِ واقفًا إلى جانبِه كعادتِه حاملًا آلَةَ التَّسجيلِ وميكروفونًا يسجّلُ الأصواتَ .

وصلَ الرِّجالُ إلى نصفِ الطَّريقِ صعودًا إلى أعلى الكَثيبِ عِندَما رأوا شَيْئًا ضخمًا يتدفّقُ فَوْقَ القمةِ وينسابُ باتِّجاهِهم ، إنَّها غيمةٌ كثيفةٌ يميلُ لونُها ما بينَ البنّيِّ والذَّهبيِّ والزَّهريِّ . رَفَعَ المصوِّرُ آلَةَ التَّصويرِ ورأى أنَّ السَّماءَ كانَتْ مليئةً بالنِّقاطِ ، أخفضَ آلَةَ التَّصويرِ ونجحَ في تسجيلِ

لقطةِ للوكٍ الذي كانَ يسيرُ في الطَّليعةِ والذي صرخَ عِندَما أصابَتْه طلائعُ الجرادِ ، لكنَّ صرختَهُ الحادّةَ اختفَتْ في خِضَمِّ حفيفِ ملايينِ الأَجْنِحةِ الصَّغيرةِ .

غيمةٌ هائلةٌ مِنَ الجـرادِ ، عاليةٌ كبيتٍ مؤلَّفٍ مِن ثلاثةِ طوابقَ ، اندفعَتْ فَوْقَ الصَّحراءِ ، إنَّها حشراتٌ متعدِّدةُ الألوانِ ، طويلةٌ كإصبعِ الشّاهِدِ ، جائعةٌ جدًا ، كانَتْ قد شاهدَتِ المستنقعَ والأشجارَ والأدغالَ المحيطةَ به فأرادَتْ أنْ تحطَّ هُناكَ ، لكنَّ الرِّجالَ كانوا في طَريقِها فارتطمَتْ بهم ، عَلِقَتْ في شُعورِهم ، أمسكَتْ أرجلُها بثيابِهم . لوَّحَ الجَميعُ بأيديهم ليتخلَّصوا منها وعادوا هاربينَ إلى السّيّارتَينِ .

لوكُ أوكونر ، المغامرُ الصَّيّادُ ، أُصيبَ بالهستيريا ، أمْسَكَ بعصًا وَراحَ يضربُ الهواءَ مِنَ حولِه ، عِندَما وَجَدَ أنَّ ذلكَ لَمْ ينفعْ ، راحَ يقذفُ الجرادَ بالحجارةِ .

المصوِّرُ فقطْ كانَ مليئًا بالسّعادةِ ، كانَ يَقِفُ وسطَ الحشراتِ التي كانَتْ ترتطمُ به مصوِّرًا إيّاها ، اضْطُرَّ بينَ الحينِ والآخَرِ لأنْ ينزعَ جرادةً عالقةً بآلةِ التَّصويرِ ، لَكِنَّهُ ظلَّ في مَكانِه حتّى سَمِعَ أنَّ الفلمَ علقَ في الكاميرا وبدأَ يتوقَّفُ عن العملِ .

رَكَضَ نَحْوَ إحدى السَّيّارتَينِ وشعرَ بأنَّ الرُّعبَ جَعَلَهُ يَشْعُرُ بالبردِ بينَما كانَتْ حشراتٌ سمينةٌ وثقيلةٌ مِنَ الجرادِ ترتطمُ به ، عِندَما أغلقَ بابَ السَّيّارةِ فتحَ آلةَ التَّصويرِ ووجدَ أنَّ الفلمَ قد تشربكَ داخلَها ، لَكِنَّهُ وَضَعَ فيها فلمًا آخرَ وخرجَ ليتابعَ التّصويرَ في الحالِ .

جلسَ الآخَـرونَ داخِلَ السَّيّاراتِ ساكِنينَ واستمعوا إلى صوتِ

الجَراداتِ التي كانَتْ تصطدمُ بزجاجِ النَّوافذِ بأصواتٍ عاليةٍ وتَنْسَحِقُ بطَريقةٍ شَنيعَةٍ .

تحوَّلَتِ النَّوافذُ بعدَ فَتْرَةٍ قَصيرةٍ إلى طبقٍ مِنَ مزيجٍ أصفرِ اللَّونِ سبّبَتْه أجسادُ الجـراداتِ الميّتةِ ممّا جَعَلَ الرؤيةَ مِنْ داخلِ السّيّاراتِ صعبةً جدًّا . عبرَ ذلكَ الغشاءِ الأصفرِ لمحوا المصوِّرَ ، رأوه يحملُ آلةَ التَّصويرِ إلى المستنقعِ ، كانَ يسيرُ فَوْقَ الجرادِ الذي كانَ يتحطَّمُ تَحْتَ وقعِ حذائِه .

اسْتَمَرَّ جُزْءٌ مِنَ سربِ الجرادِ بالطَّيرانِ نَحْوَ الجنوبِ بينَما حطَّتِ البقيّةُ فَوْقَ الأشجارِ والأدغالِ المحيطةِ بالمستنقعِ ، امتلأتْ فَجْأةً الأوراقُ والأغصانُ كلُّها بالجرادِ ، كانَتِ الحشراتُ تتنافسُ على المكانِ ، تتدافعُ وتأكلُ ، كانَ صوتُ أحناكِها الجائعةِ يُسمَعُ بوضوحٍ . لوَّحَ المصوِّرُ بيدِه مشيرًا إلى مهندسِ الصَّوتِ بالخروجِ وتسجيلِ الصَّوتِ . هذا أمرٌ رائعٌ يجبُ تسجيلُه ، لكنَّ مهندسَ الصَّوتِ بقيَ في مَكانِه داخِلَ السَّيّارةِ وهكذا فَعَلَ الآخَرونَ أيضًا .

طيورُ النَّعامِ التي كانَتْ قد أحسَّتْ بأنَّ شيئًا ما كانَ على وشكِ الحُدوثِ ، لَمْ تتركْ مَكانَها في ذلكَ الصَّباحِ . عِندَما أتى الحرُّ أتى معهُ الجرادُ كضبابٍ رماديٍّ ملأ اهتزازُه الهواءَ الحارَّ . عِندَما اقتربَ سربُ الجرادِ رآهُ هَدارةُ كغيمةٍ هائلةٍ مِنَ النِّقاطِ ، تمدَّدَتِ النَّعاماتُ ومدَّتْ أعناقَها بمُحاذاةِ الأرضِ في الحالِ ، كذَلِكَ فَعَلَ هَدارةُ ، تمدَّدَ على بطنِه موجِّهًا وجهَه نَحْوَ الأرضِ ، لَمْ يعلمْ ما الذي كانَ يجري مِنْ حولِه بالضَّبطِ ، لَمْ يكنْ قد رأى أسرابَ الجرادِ مِن قَبْلُ ، لَكِنَّهُ فَعَلَ كَما فَعَلَ بقيّةُ أفْرادِ

السِّرْبِ وأحسَّ بينَ الحينِ والآخَرِ بجرادةٍ ترتطمُ بظهرِه . عِندَما نَظَرَ إلى أعلى رأى غيمةً مِنَ النِّقاط فَوْقَ رأسِه تُتابعُ تنقُّلَها إلى البُحَيْرَةِ الصّغيرةِ التي كانوا ينوونَ الذَّهابَ إليها بعدَ ظهرِ ذلكَ اليَومِ ليَشْرَبوا .

سيدي إبراهيمُ صلّى بصوتٍ مسموعٍ وحدَه وتمتمَ إلى الآخَرينَ أنَّ الموقفَ لَيْسَ خطيرًا .

– إنَّهُ سربُ جرادٍ عاديٌّ جِدًّا ، هذا يحدثُ بينَ فَتْرَةٍ وأُخرى ، هذِه هي المرَّةُ الثّالثةُ التي أرى فيها سربَ جرادٍ في حياتي .

عَبْرَ النَّوافذِ الملطّخةِ رأوا المصوِّرَ يأتي راكضًا ، حاملًا آلَةَ التَّصويرِ والمِنْصبَ فَوْقَ كتفِه ، فتحوا له البابَ لِيَتَمَكَّنَ مِنَ الدُّخولِ بسُرْعَةٍ ليتخلَّصَ مِنَ الحشراتِ الطّائرةِ . كانَ المصوّرُ قد انتهى مِنْ تصويرِ شريطٍ كاملٍ ، وبدا سعيدًا بذَلِكَ لَكِنَّهُ كانَ حانقًا على مهندسِ الصّوتِ .

–هيّا ، اخرجْ وسجِّلِ الأصواتَ ، صوري تحتاجُ إلى صوتٍ .

أنزلَ مهندسُ الصَّوتِ أطرافَ القُبَّعةِ فَوقَ عينيهِ ونزلَ مِنَ السَّيّارةِ رُغمًا عنه ، وَضَعَ نظّارةً شمسيّةً فَوقَ عينيهِ ورَكَضَ بآلةِ التَّسجيلِ والميكروفونِ . ارتطمَ الجرادُ بظهرِه وبذراعَيهِ . لَكِنَّهُ تغلّبَ على القَرَفِ وسجَّلَ أصواتَ الجرادِ الطائرِ واقتربَ مِنَ بَعْضِها وسجَّلَ أصواتَها وهي تأكلُ بأحناكٍ تصطكُّ بصوتٍ عالٍ ، بينَما كانَ يَقِفُ هُناكَ موجِّهًا ميكروفونَه إلى بَعْضِ الجراداتِ طارَ السِّرْبُ بأكملِه وتابعَ رحلتَه نَحْوَ الجنوبِ ، تَرَكَ الجرادُ خَلْفَهُ أغصانًا عاريةً وجذوعًا قُضِمَتْ ، و كلَّ ما كانَ لونُه أَخْضَرَ .

قادوا سيارتَهم إلى القاعدةِ ببُطءٍ ، متأثِّرينَ بما حدثَ ، التزمَ الجَميعُ بالصَّمتِ ولم يردْ أَحَدٌ منهم أنْ يتناولَ طَعامَ العشاءِ ، دخلَ كلٌّ منهم

خيمَته ، خلعَ ملابسَه الملطَّخةَ وتمدّدَ فَوْقَ سريرِه دُوْنَ أنْ يتفوَّه بكلمةٍ .

على مسافةٍ قَصيرةٍ مِنَ هُناكَ قامَتْ وليمةٌ .

كانَتِ الأرضُ مغطّاةً بآلافِ الجرادِ الذي وقعَ ربَّما بسببِ الإرهاقِ وربَّما بسببِ الجوعِ . أمّا الأمرُ بالنِّسبةِ لطيورِ النَّعامِ والغربانِ وكلِّ الطُّيُورِ الأُخرى كانَ كالسَّيرِ فَوْقَ مائدةِ عشاءٍ مليئةٍ بالأطباقِ . أكلوا ثمَّ أكلوا ، أكلَتِ الغربانُ لدرجةِ أنَّها لَمْ تقوَ على الطَّيرانِ بلْ كوَّرَتْ نفسَها فَوْقَ الرَّمْلِ ، سمينةً ومنتفخةً .

اشتركَ هَدارةُ أيضًا في الوليمةِ ، كانَ ينزعُ الأرجلَ والأَجْنِحةَ والرّأسَ عن كلِّ جرادةٍ يلتقطُها منَ الأرضِ ويأكلُها الواحدةَ تلوَ الأُخرى ، أحَسَّ فيما بعدُ بأنَّه صارَ سمينًا ومنتفخًا كالطُّيُورِ هو أيضًا ، تَمَدَّدَ فَوقَ الرَّمْلِ ثمَّ نامَ .

أسئلة الفصل

1 . اِتَّخذَ أَعضاءُ فريقِ التَّصويرِ مَواقِفَ مُخْتَلِفَةً مِنَ الجرادِ . تَتبَّعْ هذهِ المواقفِ ، وسجِّلْها هُنا .

2 . ظهورُ الجرادِ في هذا الوقتِ أنقذَ هدارةَ . فسّر ذلكَ .

3 . كيفَ تعاملَ سربُ النَّعامِ وهدارةَ معَ الجرادِ؟

4 . أعربْ (شَفويًا) كلَّ كلماتِ الجُملتَينِ الآتيتَينِ :

- نامُ (حوجٌ) قلِقًا طَوالَ اللَّيلِ .
- جلَسَ الآخَرونَ داخلَ السّيّاراتِ ساكِنينَ .

الفصلُ الثّاني والثّلاثونَ

كارثةٌ

كانَتْ قافلةُ الطَّوارقِ في طَريقِها إلى المغربِ ، وبدَتْ جِمالُهم طويلةَ السّيقانِ وبيضاءَ كالثَّلجِ ، يحملُ كلٌّ منها تعويذةً في عقدٍ وُضِعَ حَوْلَ رقبتِه .

كانَ الرِّجالُ يحملونَ مثلَها أيضًا ، لكنْ ما لفتَ الأنظارَ إليهم أكْثرَ هو أنَّهم جَميعًا كانوا طِوالَ القامةِ ويجلسونَ بظهورٍ مستقيمةٍ مرتدينَ ملابسَ زرقاءَ ،

أمّا الأقمشةُ فقد تركَتْ آثارَ لونِها على جلودِهم التي تحوَّلَتْ إلى الأزرقِ الفاتحِ ، ولذَلِكَ كانَ الطّوارقُ يُدعونَ بالرِّجالِ الزُّرْقِ ، لكنَّ الجلدَ الأزرقَ لَمْ يظهرْ إلّا في فتحةٍ صَغيرةٍ حَوْلَ العينَينِ ، السّببُ أنَّ رجالَ الطَّوارقِ يلبسونَ النِّقابَ ، الرّجالُ لا النساءُ ، هم الذين يرتدونَ النِّقابَ في قبيلتِهم ، لا يعرّي الرِّجالُ وجوهَهم إلّا أمامَ أقربِ الأقرباءِ .

كانَتْ قافلةُ الرِّجالِ الزُّرقِ قد جلبَتْ معها الملحَ مِنَ مناجمِ الملحِ في الجنوبِ وسيوفًا وحلًى فضّيّةً صنعَها الحرفيونَ مِنْ قبيلتِهم . حينَ يصلون إلى المغربِ سيبدِّلونَ ما لديهِم مِنْ سلعٍ مقابلَ التَّمرِ والأقمشةِ الزَّرقاءِ

والصَّنادلِ البلاستيكيّةِ ليعودوا بها إلى تمانراست وجبالِ الأهقار .

لقد ساروا حتّى الآنَ لمدّةِ شهرَينِ عبرَ الصَّحراءِ .

يُسمّي الرِّجالُ الزُّرقُ جِمالَهم سفنًا ويطلقونَ اسمَ البحرِ على الصَّحراءِ . كانوا بارعينَ في تحديدِ مسارِهم مهتدينَ بالنُّجومِ ولذَلِكَ يتنقَّلونَ ليلًا .

كانوا يتنقَّلونَ في الصَّحراءِ ليلًا كعادتِهم ، وهذِه اللَّيلةَ أيضًا ، حينَ رأوا نارًا عن بُعدٍ ، أوقفوا جِمالَهم وجعلوها تَلزَمُ الصَّمتَ ، تسلّلَ أربعةٌ مِنَ الرِّجالِ الطِّوليينَ مقتربينَ مِنَ النّارِ ، عادوا حاملينَ صُنْدوقَينِ ضَخمَي الحجمِ لونُهما فضّيٌّ ، ربطوا الصُّنْدوقَينِ الفضّيَّينِ بسُرْعَةٍ وببراعةٍ على ظهرِ جَمَلَينِ وتابعوا مَسيرَهم ، قادوا جمالَهم بسُرْعَةٍ وساروا متسلِّلينَ حَوْلَ قاعدةِ الأغرابِ .

حينَ وجدوا سَيّارةَ جيبٍ متروكةً وسطَ الصَّحراءِ في اليَوْمِ التّالي أوقفوا جِمالَهم مُجدّدًا وعملوا بكدٍّ ساعاتٍ عديدةً ، فكّوا المصدَّ الأماميَّ ومرايا الرُّؤيةِ الخلفيّةِ وكلَّ ما أمكنَ فكُّه . سيستعملُ حرفيُّهم قطعَ السَّيّارةِ فيما بعدَ لتصنيعِ السُّيوفِ والحُليِّ التي يبيعونَها للسّيّاحِ على أنَّها حليٌّ أصليّةٌ مِنَ صُنعِ الطَّوارقِ ، في أسواقِ المغربِ وتونسَ .

عِندَما تابعَتِ القافلةُ سيرَها شمالًا ، تنقَّلَتْ بِبُطءٍ شديدٍ بسببِ الأحمالِ الجديدةِ التي كانَتْ معَها .

استيقظَ هَدارةُ في صباحِ اليَومِ الذي تلا هجومَ سربِ الجرادِ ، لَكِنَّهُ لَمْ ينَهَضْ مِنَ مَكانِه ، ولم تنَهَضْ طيورُ النَّعامِ أيضًا مِنَ مَكانِها ، كانوا متخمينَ بعدَ تناولِ تِلكَ الكمّيّةِ الهائلةِ مِنَ الجرادِ ، ولذَلِكَ بقوا مُمَدَّدينَ في المنحدرِ الذي اختاروه للنَّومِ في المساءِ الماضي .

نَهَضَ في الوقتِ ذاتِه أعضاءُ فريقِ التَّصويرِ الذينَ كانوا قد نصبوا خيامَهم في الجِهةِ الأُخرى مِنَ المنحدرِ الذي نامَ فِيهِ هَدارةُ وسربُ النَّعامِ ، خرجَ الرِّجالُ مِنَ الخِيامِ واحدًا تلوَ الآخَرِ ، متكدِّرينَ ومتعبينَ بعدَ لقائِهم أمسِ بسربِ الجرادِ .

كانَ مهندسُ الصَّوتِ أوَّلَ مَنْ صرخَ .

لقد رأى أنَّ بابَ الجيبِ كانَ مفتوحًا وأنَّ الصُّنْدوقَ المعدنيَّ الذي خبَّأ فيهِ آلةَ التّسجيلِ والميكروفوناتِ قد اخْتَفى . هارولد جوزيف ، المصوّرُ السّينمائيُّ ، أتى راكضًا وهو يصرخُ أيضًا حينَ رأى أنَّ الصُّنْدوقَ الثّاني قد اخْتَفى أيضًا ، كانَ قد وَضَعَ الأفلامَ الفارغةَ داخلَه .

لنْ يتمكَّنوا مِنَ التَّصويرِ دُونَ أفلامٍ ،ومن دُونِ آلةِ تسجيلٍ وميكروفوناتٍ لن يتمكَّنوا مِنَ تسجيلِ الأصواتِ .

بكى المنتجُ حينَ أدْرَكَ ما حَدَثَ ، ثمَّ صبَّ حَنَقَه على لوكِ أوكونر . أمْسَكَ بقميصِه وقالَ له إنَّهُ كذّابٌ متغطرسٌ مخادعٌ ، قالَ إنَّ لوكًا اخترعَ قصّةَ الوَلَدِ الذي عاشَ مع سربٍ مِنَ النَّعامِ ، وأنَّه لو كانَ ذلكَ الصّبيُّ موجودًا فعلًا لعلمَ سيدي إبراهيمُ وكلُّ سكّانِ الصَّحراءِ الآخَرينَ بوجودِه . عِندَما مَرَّتْ عاصفةُ غضبِه أعطى المنتجُ أمرًا للصَّحراويّينَ بفكِّ الخِيامِ ، عملَ سيدي إبراهيمُ وعليٌّ وفريدٌ بصمتٍ وبجهدٍ وحزموا الأغراضَ كلَّها ووَضَعوها داخِلَ السّيّاراتِ ليتمكّنوا مِنَ المغادرةِ .

– هذهِ كارثةٌ ماليّةٌ ، هلْ تستطيعُ استيعابَ ذلكَ؟ صرخَ المنتجُ بوبُ جونسون بلوكِ أوكونر الذي كانَ يجلسُ خَلْفَ مِقودِ السَّيّارةِ الأُخرى ، وكلُّ هذا خطؤكَ أنت ، ها أنا أستسلمُ للواقعِ ، سنعودُ إلى تيندوفَ ونطيرُ

مِن هُناكَ إلى بلادِنا ، آهٍ كمْ أمقُتُ اللَّحظةَ التي استمعتُ فيها إليكَ ، ليسَ هُناكَ ولدٌ يعيشُ معَ سربٍ مِنَ النَّعامِ ، هل سمعْتَ ذلكَ؟ لَيْسَ هُناكَ ولدٌ يعيشُ مع سربٍ مِنَ النَّعامِ!

أدارَ بوبُ جونسونَ مفتاحَ الإشعالِ وداسَ على دوّاسةِ البنزينِ فانطلقَتِ السَّيّارةُ بزئيرٍ حانقٍ ، قادَ مغادرًا المكانَ بأسْرَعِ ما أمكنَه فتبعَتْهُ السَّيّارةُ الأُخرى .

لم يرَ أحَدٌ منهم سرباً صَغيرًا مِنَ النَّعامِ في أسفلِ المنحدرِ ، ولمْ يروا الوَلَدَ الذي وَقَفَ في مَكانِه فَجْأةً وحَدَّقَ إليهِم .

-إنَّهم يُغادِرونَ ، نستطيعُ الآنَ أنْ نعودَ إلى البُحَيْرَةِ ونشربَ مِنْ مائِها .

شعرَ هَدارةُ بأنَّ صحّتَه عادَتْ إليه تَمامًا بعدَ المرضِ الذي أصابَه ، باتَ قويًا ، سعيدًا وتمكَّنَ مِنَ الرَّكْضِ دُوْنَ أنْ يلهثَ ، كانَ مُشتاقًا إلى البُحَيرَةِ الصَّغيرةِ . كانَ يريدُ أنْ يغطسَ في الماءِ ويغسلَ شعرَه الطَّويلَ ويسبحَ مِنْ جديدٍ ، أكْثَرُ ما تشوّقَ إليه هو السِّباحةُ ، منذُ أنْ سبحَ في البُحَيرَةِ فكَّرَ بذَلِكَ وتشوَّقَ إلى السِّباحةِ ثانيةً ، كانَ يتخيَّلُ كلَّ مساءٍ قَبْلَ النَّومِ ذلكَ الشُّعورَ الذي منحَه إيّاهُ العومُ في المَاءِ الدّافِئِ ، لَمْ يكنْ في حاجةٍ لأكْثَرَ مِنْ أنْ يفتحَ فمَه حينَ أرادَ أنْ يَشْرَبَ ، ستتحقّقُ الآنَ تخيُّلاتُه اللَّيلةَ مِنْ جديدٍ وتصبحُ حقيقةً .

رَكَضوا بسُرْعَةٍ وحماسٍ تجاهَ البُحَيْرَةِ الصَّغيرةِ .

أُصيبَ هَدارةُ بخيبةٍ عظيمةٍ حينَ وصلوا إلى قمَّةِ تلٍّ ونَظَرَوا إلى أسفلَ ، لَمْ تَعُدْ هُناكَ بُحَيرَةٌ ، بلْ مستنقعٌ ضحلٌ صَغيرٌ ، لكنَّ طيورَ النَّعامِ

كانَتْ سعيدةً . ركضَتْ بخطًى كَبيرةٍ متمايلةٍ إلى الماءِ وراحَتْ تشربُ ، سارَ الوَلَدُ بِبُطءٍ نَحْوَ المستنقعِ الضّحلِ ، لَكِنَّهُ حينَ تَمَدَّدَ على الأرضِ وغطَّسَ فمَه في الماءِ وشربَ السّائلَ الفاترَ شعرَ بأنَّ ذلكَ المكانَ مازالَ مَكانًا جيّدًا .

كانَ قد تعرَّضَ هنا لهجومٍ مِنْ أسدٍ ضخمٍ ونجا منه حينَ رمى بِنَفسِهِ في الماءِ ، وهنا أيضًا رأى كائناتٍ بشريّةً عن قُربٍ ، أُصيبَ برجفةٍ حينَ تذكَّرَ الرَّجُلَ الذي قتلَ الأسَدَ بعصًى ثقيلةٍ ، قطعَ رأسَه وأطرافَه ودفنَها جَميعًا في الأرضِ ، تذكَّرَ أيضًا أمرًا مُفرحًا وهو أنَّهُ في هذا المكانِ تعرَّفَ إلى صديقَينِ حميمَينِ هما الغزالةُ ظبيٌ واللَّبُؤةُ الصَّغيرةُ نانابولوكا ، هلْ هما في الجِوارِ يا تُرى؟ لَمْ يعتقدْ ذلكَ ،لو كانا في الجِوارِ لأفرحَه ذلكَ لأنَّه كانَ يودُّ أنْ يلعبَ معَ اللَّبُؤةِ الصَّغيرةِ مُجدَّدًا .

لم تتأثَّرْ طيورُ النَّعامِ بتقلُّصِ البُحَيرَةِ إلى مستنقعٍ ضحلٍ لا يصلحُ للسِّباحةِ ، بلْ قلقَتْ لأنَّ الجرادَ كانَ قد أكلَ كلَّ ما كانَ حَولَ البُحَيرَةِ مِنْ خُضرةٍ ، لقد تابَعَ سربُ الجرادِ طيرانَه ، لكنَّ الخرابَ الذي خلَّفَه في المكانِ كانَ عظيمًا .

– علينا أنْ نعودَ إلى المكانِ الذي وُلدْتُم فيه ، قالَتْ ماكو لأفراخِ النَّعامِ التي كبرَتْ الآنَ فكادَتْ تكونُ كبارًا ، لقد كانَ ذلكَ المَكانُ جيّدًا .

عادَتِ الحَيَاةُ إلى مجراها مِنْ جديدٍ وسارَتْ دونَ وقوعِ أحداثٍ دراميّةٍ ، كانَ الجرادُ قد التهمَ كلَّ ما كانَ في الواحةِ مِنْ خُضرةٍ . لكنْ على مسافةٍ قليلةٍ مِن هُناك وجدوا مَكانًا لَمْ يحطَّ فيهِ الجرادُ ، ولذَلِكَ بقيَ فيهِ بعضُ الجذورِ وبعضُ النَّباتاتِ . لَمْ يكنْ هَدارةُ يعاني مِنْ نقصٍ

في الطَّعام ، كانَ قطيعٌ مِنَ الغزلانِ قد وَصَل إلى المستنقعِ الذي كانَ في السّابقِ بُحَيرَةً ، كانَ ذلكَ قطيعَ ظبيٍ ، فتمكَّنَ هَدارةُ مِنْ شُرْبِ حليبِها وحليبِ بَعْضِ الإناثِ الأُخْرياتِ ، كانَ يَشْرَبُ حليبَ الغزلانِ كلَّ يوم ، وأحيانًا يحلبُ إحدى الغزالاتِ في نصفِ قشرةِ بَيْضةٍ ، ويجعلُ أفراخَ النَّعامِ يَشْرَبونَه . بدأ هَدارةُ يقومُ بجولاتٍ وحدَه في الجوارِ أيضًا ، لكنْ في منتصفِ النَّهارِ ، حينَ يكونُ الجوُّ ساخنًا جدًّا ، كانَ يعودُ إلى السِّرْبِ فيبحثونَ عن مَكانٍ مظلَّلٍ تحتَ شجرةِ أكاسيا وينامونَ لساعاتٍ عديدةٍ .

كانَ هَدارةُ وأفْرادُ السِّرْبِ يركضونَ إلى المستنقعِ ليَشْرَبوا كلَّ ثلاثةِ أيّامٍ ، وفي أحَدِ تِلكَ الأيّامِ رَأَهُمُ راعٍ كانَ يرعى ماعزَه في المكانِ ذاتِه .

أسئلة الفصل

1 . تحدَّثْ عنِ الطّوارِقِ وطَبيعَةِ حَياتِهِمْ مُسْتَعينًا بِما وَرَدَ في مُقدِّمَةِ هذا الفصلِ؟

2 . ساعَدَ الطَّوارِقُ منْ دونِ أنْ يُشعروا هدارةَ ، كما فَعَلَ الجَرادُ بِالضَّبطِ . اِشْرحْ ذلكَ .

3 . يُقالُ في المَثَلِ «مَصائِبُ قَوْمٍ عِنْدَ قَوْمٍ فَوائِدُ» اُرْبُطْ مَعنى هذا المَثَلِ بِما حدثَ في هذا الفَصلِ .

4 . كيفَ تغلَّبَ هدارةُ وَسِرْبُ النَّعامِ على القَحْطِ الّذي خَلّفَهُ الجَرادُ؟

5 . هلْ تُنْبِئُ نِهايةُ هذا الفصلِ عنْ شيءٍ؟ اِشْرَحْ ذلكَ .

الفصلُ الثّالثُ والثّلاثونَ

أسيرٌ

رَكَضَ الرّاعي باتّجاهِ سربِ النَّعامِ ملوِّحًا بذراعَيهِ ، رآه هَدارةُ ورأتْه طيورُ النَّعامِ أيضًا ، وكانَتْ رَدّةُ فعلِهم مثلَ ردّاتِ فعلِ كلِّ الحَيواناتِ التي تعيشُ في سربٍ أو قطيعٍ ، ركضوا بسُرعَةٍ مُبْتَعِدينَ عن ذلكَ الإنسانِ الذي لوّحَ بيديهِ بأقصى سُرعةٍ .

لم يتوقَّفوا حتّى وصلوا إلى شجرةِ الأكاسيا الضَّخمةِ ، ركضوا مسافةً طويلةً ولذَلِكَ أُنهكوا تَمامًا ، كانَ الجوُّ حارًا جِدًّا وحانَ موعدُ قيلولتِهم فتمدَّدوا في مكانِهم المُعتادِ واستغرقوا في النَّومِ .

نامَ الجَميعُ بقلقٍ ، وبينَ الحينِ والآخرِ ينهَضُ حوجٌ مِنْ مَكانِه ويدورُ بنَظرةٍ مِنْ عينَيهِ الحادَّتَينِ حَولَ الأفقِ بأكملِه ، حينَ رأى أنَّه لَمْ يكنْ هُناكَ ما يثيرُ القلقَ ، تَمَدَّدَ وغَفا ثانيةً .

عندَ العصرِ وبعدَ مرورِ السّاعاتِ الأكثَرِ حرًّا نَهَضَ الجَميعُ مِنَ النَّومِ وبدؤوا يَتَحَرَّكونَ بِبُطءٍ بَعيدًا عن المكانِ بحثًا عن الطَّعامِ ، لكنَّهم لَمْ يشعروا برَغبَةٍ في الرّقصِ في عصرِ هذا اليَومِ .

كانَ الجوُّ مملوءًا بنوعٍ غريبٍ مِنَ القلقِ وحتّى هَدارةُ أحَسَّ بذلكَ .

بنى الرّاعي الذي رأى الوَلَدَ وسطَ سربٍ مِنَ النَّعامِ سياجًا مِنَ النَّباتاتِ الشّائكةِ لماعزِه بسُرْعَةٍ ، حينَ انتهى مِنْ ذلكَ تَرَكَ قطيعَ الماعزِ وانطلقَ في جولةِ صيدٍ ، كانَ قد تعجَّبَ ممّا رأى ، وأصرَّ على أنْ يمسكَ بالولدِ ، تبعَ آثارَ طيورِ النَّعامِ والولدِ ، عِندَما وَصَلَ إلى شجرةِ الأكاسيا ورأى الحفرَ الصَّغيرةَ في الرِّمالِ ، فهمَ أنَّ سربَ النَّعامِ قد نامَ هُناكَ ، رأى أيضًا ممرًّا عريضاً فَوْقَ الرَّملِ أحدثَتْه أقدامُ طيورِ النَّعامِ ، بدا وكأنَّهم يأتونَ إلى ذلكَ المكانِ يوميًّا لينامُوا تَحْتَ الشّجرةِ .

أفاقَتْ ماكو مِنْ نومِها عدَّةَ مرّاتٍ خلالَ اللَّيلِ الذي تلا ، وراحَتْ تُحَدِّقُ بالظَّلامِ وتصغي السّمعَ ، غيرَ أنَّها لَمْ ترَ ولم تسمعْ شَيْئًا غيرَ عاديٍّ . مِنْ بَعِيدٍ أتى الرّاعي سائرًا على الأقدامِ ، مكَّنَه ضوءُ القمرِ مِنْ تَتبُّعِ آثارِه وآثارِ سربِ النَّعامِ بسهولةٍ ، حتَى وَصَلَ إلى الشَّجرةِ الضَّخمةِ الشّائكةِ ، عِندَما وَصَلَ إلى الشَّجرةِ تَسَلَّقَها ، لفَّ نفسَه ببطّانيّةٍ أحضرَها معه ليحميَ نفسَه مِنْ بردِ اللَّيلِ ، وأمْسَكَ بحزمٍ بسكّينٍ وحبلٍ غليظٍ أحضرَهما معَه أيضًا ، حَاوَلَ أنْ يبقى ساهرًا .

اضْطُرَّ الرّاعي إلى الانتظارِ طَوالَ اللَّيلِ وطَوالَ فَتْرَةِ قَبْلَ الظُّهرِ ، زحفَتِ السّاعاتُ بِبُطءٍ إلى الأمامِ ، كانَ قد علَّقَ كرشَ ماعزٍ مجفَّفٍ فَوقَ الشَّجرةِ مليئًا بالماءِ ، راحَ يَشرَبُ منه بينَ الحينِ والآخَرِ ثمَّ يأكُلُ تمرةً مجفَّفةً ببطءٍ ، في منتصَفِ النَّهارِ أشعَّتِ الشّمسُ مِنْ فَوقِ الشَّجرةِ مباشرةً رأى عن بُعدٍ بُحَيرَةً ترتجُّ ببطءٍ في الهواءِ رغمَ أنَّه كانَ يَعلَمُ أنَّه ليسَ مِنْ بُحَيرَةٍ هُناكَ ، كانَ الضَّوءُ اللّامعُ حادًّا إلى درجةٍ أجبرَهُ على أنْ يغمضَ عينَيهِ التي شعرَ ببَعْضِ الحُرقةِ فيهما ، عِندَما فتحَ عينَيهِ مجدَّدًا رأى نقاطًا سوداءَ ظهرَتْ

مِنْ بعيدٍ في وسطِ السَّراب . هلْ كانَ هذا سرابًا أيضًا؟ أو كانَ شيئًا آخرَ؟ دقَّ قلبُه بعنفٍ داخِلَ صدرِه حينَ حَدَّقَ إلى تِلكَ البُقعِ السَّوداءِ التي راحَتْ تكبُرُ شيئًا فشيئًا حتّى تَمَكَّنَ مِنْ رؤيتِها بوضوحٍ ، مِنْ لمعانِ السَّرابِ ظهرَ سربُ النَّعامِ وولدٌ عاري الجسدِ .

انقبضَ الرّاعي على نفسِه فَوْقَ الشَّجرةِ ، كانَ يَعلَمُ أنَّ لطيورِ النَّعامِ حاسّةَ نَظَرٍ قويّةً جدًا ، لكنَّهُ لَمْ يكنْ يَعلَمُ إذا ما كانَتْ لها حاسّةُ شمٍّ قويّةٌ أيضًا أمْ لا . حتّى لا يكتشفَ أفْرادُ السِّرْبِ وجودَه حاولَ أنْ يجلسَ ساكنًا تمامًا ، امتنعَ حتَى عن مسحِ العرقِ عن وجهِه ، فانحدرَتْ حبّاتُ العرقِ على أنفِه ونقَّطَتْ فَوْقَ يدَيهِ .

كانَتْ طيورُ النَّعامِ تسيرُ بِبُطءٍ في الحرِّ .

كذَلِكَ فَعَلَ الولدُ .

كانَ للولدِ في نَظَرِ الرّاعي مظهرُ النَّعامةِ أيضًا ، بطَريقةٍ ما ، كانَ يَتَحَرَّكُ مثلَما تتحرَّكُ طيورُ النَّعامِ تمامًا . ماذا لو لَمْ يكنْ إنسانًا حقيقيًا؟ تَمَدَّدَتِ الطُّيورُ الضّخمةُ في الظِّلِّ تحتَ الشَّجرةِ ، رمى الوَلَدُ نفسَه فَوْقَ الرَّمْلِ أيضًا بالقُرْبِ مِنَ النَّعاماتِ ، تنهَّدَ ثمَّ مالَ على جانبِه لينامَ .

جلسَ الرّاعي بسكونٍ تامٍّ ، فقد أُصيبَ بالخوفِ ، ما الذي نوى فعلَه حقًّا؟ مازالَ العرقُ يسيلُ فَوْقَ خدَّيهِ وفَوقَ رقبتِه ، كانَتْ حبّاتُ العرقِ تنزلقُ بلا انقطاعٍ مِنْ فَوقِ أنفهِ الضَّخمِ وتختفي في لحيتِه ، اضْطُرَّ في النِّهايةِ إلى أنْ يمسحَ وجهَه بكُمِّه . بما أنَّه ظنَّ أنَّ الحركةَ ستوقظُ الطُّيورَ أو الوَلَدَ فَعَلَ كلَّ شيءٍ دفعةً واحدةً ، قفزَ مِن الشَّجرةِ حاملًا عودًا شائكًا في يدِه وغرسَه في شعرِ الوَلَدِ الطَّويلِ ، دارَ بالعودِ الشّائكِ مرَّةً تلوَ الأُخرى في

شعرِ الوَلَدِ وأيقنَ أنَّ الوَلَدَ لن يتمكَّنَ مِنَ الإفلاتِ منه .

استيقظَ هَدارةُ بسببِ الألمِ الحادِّ الذي أحَسَّ به في رأسِه ، رأى رَجُلًا يَقِفُ فَوْقَه يشدُّ شعرَه ، حاولَ هَدارةُ الإفلاتَ لَكِنَّهُ كلَّما حاولَ التَّحرُّكَ زادَ الألمُ في رأسِه ، ضربَ بيدَيهِ وساقَيهِ وزأرَ بوجه الرَّجُلِ ، وقعَ على الأرضِ وعضَّه في ساقِه .

انتصبَتْ طيورُ النَّعامِ واقفةً على ساقَيها وحاولَتْ أنْ تعضَّ الرَّجُلَ ، لكنَّ الرّجُلَ أمْسَكَ بيدَي هَدارةَ وربطَهُما بحبلٍ بسُرْعَةٍ ، صرخَ الرّجُلُ في وجهِ هَدارةَ وأمْسَكَ مجدّدًا بالعودِ الشّائكِ ، أدارَ العودَ مجدّدًا في شعرِ الوَلَدِ ورآه يتداعى تحتَ وطأةِ الألمِ ، وقفَ بعدَ ذلكَ خَلْفَ الوَلَدِ وأجبرَه على الوقوفِ ، أمْسَكَ العودَ الشائكَ الذي التفَّ حَولَ شعرِ الوَلَدِ الطَّويلِ بيدٍ وباليدِ الأُخرى أمْسَكَ بسكينٍ . أرادَ أن يجبرَ الوَلَدَ على السَّيرِ بعيدًا عن سربِ النَّعامِ لكنَّ الوَلَدَ رفضَ أنْ يفعلَ ذلكَ ، نخزَ عندَها الرَّجُلُ ظهرَ الوَلَدِ برأسِ سكّينِه ، رفسَ قدمَي الوَلَدِ وأجبرَه على السَّيرِ ، وكلَّما حاولَ الوَلَدُ التَّوقُّفَ عن السَّيرِ أدارَ الرّجُلُ العودَ الشّائكَ في شعرِه ، وغرزَ السِّكّينَ أعمقَ فأعمقَ في ظهرِه فرأى الدَّمَ يسيلُ فَوْقَ ظَهرِ ولدِ النَّعامِ الهزيلِ .

أجبرَ الرّجُلُ الوَلَدَ على السّيرِ باتِّجاهِ المستنقعِ ، وكلَّما حاولَ الوَلَدُ التوقُّفَ عن السَّيرِ أدارَ الرّجُلُ العودَ الشّائكَ في شعرِه وغرزَ السِّكينَ أعمقَ فأعمقَ في ظهرِه .

تبعَتْهُما النَّعاماتُ هائجةً مِنَ الغضبِ .

سارَ الرّاعي بالولدِ إلى المستنقعِ ، لكنْ ماذا سيفعلُ به هُناكَ؟ لا شكَّ أنَّ للولدِ مظهرًا غريبًا ، هو لَيْسَ ولدًا حقيقيًا بالتّأكيدِ ، ربَّما هو

شيطانٌ متنكِّرٌ . تنفَّسَ الرّاعي الصُّعداءَ حينَ رأى قطيعًا مِنَ الجِمالِ عندَ المستنقعِ ، ورأى صاحبَ القطيعِ الذي عرفَه مِنْ قَبْلُ ، صاحبُ القطيعِ هو بوبوطُ ، الرَّجلُ المعروفُ في الصَّحراءِ ، معروفٌ بقوَّته وبأنَّه قتلَ في يومٍ ما أسدًا في هذا المكانِ بالذّاتِ .

رأى بوبوطُ الرّاعي قادمًا يدفعُ أمامَه ولدًا متوحِّشًا وعاريًا ، رمى الوَلَدُ رأسَه إلى الأمامِ وإلى الخلفِ وزأرَ ، لكنَّهُ لَمْ يَنْجَحْ في إصدارِ أيِّ صوتٍ حَقِيقيٍّ .

خَلْفَ الرَّجُلِ والولدِ سارَ سربٌ مِنَ النَّعامِ .

كانَ يبدو أنَّهم حاولوا تحريرَ الولدِ دُوْنَ أنْ يعرفوا كيفَ يفعلونَ ذلكَ .

وقفَتِ النَّعاماتُ على بُعدِ مئاتِ الأمتارِ مِنَ المخلوقاتِ البشريّةِ ، كانَ كلٌّ مِن أفرادِ سربِ النَّعامِ متجمِّدًا في مَكانِه ورأسُه متَّجهٌ نحوَ الولدِ والرَّجُلِ .

– اللهُ أكبَر ، قالَ بوبوطُ ، اللهُ أكبَرُ .

– انْظُرْ ، هلْ ترى بماذا أمسكْتُ؟ هل رأيتَ في حياتِك منظرًا بهذِه الغرابةِ؟

– كلّا ، قالَ بوبوطُ الضَّخمُ البُنيةِ ، لكنّي أظنُّ أنَّني أعْرِفُ مَنْ هو ، أخبرَني أخي دولةُ في يومٍ ما ، أظنُّ أنَّ ذلكَ حَدَثَ منذُ عشرةِ أو اثني عشرَ عامًا .

فقد أتَتْ في يومٍ ما امرأةٌ إلى صلاةِ الجمعةِ التي يؤمُّها ، كانَ اسمُها فاطمةَ واسمُ زوجِها محمّدًا ، وتعرَّضا لعاصفةٍ رمليّةٍ عنيفةٍ اخْتَفى فيها ابنُهما البكرُ ، كانَتْ أمُّه قد وضعَتْهُ بالقُرْبِ مِنْ عددٍ مِنَ بَيضاتِ النَّعامِ ،

عِندَما مَرَّتِ العاصفةُ لَمْ يعثُرا على الوَلَدِ وعلى بَيضاتِ النَّعامِ . أخي الذي يقيمُ صلاةَ الجمعةِ في مَكانٍ يتواجدُ فيهِ في الصَّحراءِ ، توسَّلَ إلى اللّهِ أنْ ينجّي الولدَ مِنَ الهلاكِ ، انتظرَ بعدَ ذلكَ إشارةً مِنَ اللّهِ لكنَّهُ لَمْ يحزْ على تِلكَ الإشارةِ ، لا بدَّ أنَّه هذا الولدُ . يمكنُني أنْ آخذَه إليه ، سأحاولُ أنْ أجدَ أهلَه .

اللهُ أكبَرُ .

– اللهُ أكبَرُ ، قالَ الرّاعي وشعرَ بالرّاحةِ في الحالِ .

حاولَ هَدارةُ الذي لَمْ يفهمْ شَيْئًا مِنَ الحديثِ الذي دارَ بينَ الرّجُلَينِ أنْ يحرِّرَ نفسَه ، كانَ الهلعُ يملأُ نفسَه ، فراحَ يرمي برأسِه في جَميعِ الجهاتِ ، رفسَ الرَّجُلَينِ بعنفٍ وحاولَ أنْ يعضَّهما كلَّما حاولا الاقترابَ منه .

– حوجُ ، وماكو ، ساعِداني ، هذا ما حَاوَلَ أنْ يقولَهُ لهُما ، لكنَّهُ مهما فعلَ ، لَمْ يأتِ والداهُ ، طائرا النَّعامِ لتحريرِه .

تعاونَ الرَّجُلانِ على ربطِ قدمَيهِ ، وعلى مسافةٍ قريبةٍ وَقَفَ سربُ النَّعامِ وَراحَ كلٌّ منهُم يرفسُ الأرضَ بقلقٍ ، كانوا خائفينَ مِنَ البشرِ ، لَمْ يجرؤوا على الاقترابِ ، ولهذا كانوا في أشدِّ التَّعاسةِ . بُعيدَ الظَّهيرةِ رأوا الرَّجُلَ الضَّخمَ الأسودَ وهو يرفعُ هَدارةَ ويضعُه على ظهرِ أحَدِ الجمالِ حَيْثُ ربطَ يدَيهِ إلى عِقالِ الجَملِ ،وربطَ قدمَيهِ بحبلٍ لفَّه حَولَ بطنِ الجَملِ .

عِندَما سارَتِ القافلةُ الصَّغيرةُ ، ركضَ خلفَها كلُّ أفرادِ سربِ النَّعامِ ،

ركضوا ليومَينِ متواصِلَينِ قَبلَ أنْ يستسلِموا .

أسئلة الفصل

1 . وقعَ هدارة أَسيرًا في يدِ الرّاعي . حاوِلْ أنْ تَصِفَ وَقْعَ هذا الحَدَثِ على هدارة نفسِهِ ، وعلى سِربِ النَّعامِ .

2 . «عندَما سارَتِ القافِلَةُ الصَّغيرَةُ رَكَضَ خَلْفَها كُلُّ أَفْرادِ سِرْبِ النَّعامِ . رَكَضوا لِيَومَينِ مُتَواصِلَينِ قبْلَ أنْ يَسْتسلموا» . ما أثرُ هذهِ النِّهايةِ عَليكَ كقارئٍ؟ اكتُبْ واصِفًا إحساسَكَ وأنتَ تُنهي هذا الفصلَ بهذهِ الكلماتِ .

3 . اكتُبْ سَطرًا أو سطرَينِ تصِفُ فيها شَخْصًا خائِفًا ، وضمِّنْ ما سَتَكتبُهُ جُملةَ "كانَ الهَلَعُ يَمْلأُ نَفْسَهُ" .

الفصلُ الرّابعُ والثّلاثونَ

هذا بُنيَّ! هذا هَدارةُ

من بينِ كلِّ ما حدثَ في حياتِه ، كانَ ما حدثَ في الأيّامِ التّاليةِ أصعبَ ما كانَ على هَدارةَ الحديثُ عنه .

الأسْـرُ .

العودُ الشّائكُ الذي تشبَّثَ في شَعْرِه .

السّكينُ الذي غُرِزَ في ظهرِه .

الرّجُلُ الذي أدارَ العودَ الشّائكَ في شَعرِه والذي رفسُه على قدمَيهِ وأجبرَه على السَّيرِ .

ثمَّ ظهرَ إنسانٌ آخرُ وقد عرفَه هَدارةُ ، الرَّجُلُ الذي قتلَ الأسدَ بعصًا ، شعرَ هَدارةُ بالرُّعبِ مِنْ ذلكَ الرَّجُلِ الضَّخمِ ، أخرجَ الرَّجُلُ الغليظُ البُنْيَةِ العودَ الشّائكَ مِنْ شَعرِ هَدارةَ ، أرادَ هَدارةُ أنْ يصرخَ لكنَّ الصوتَ لَمْ يغادرْ حنجرتَه ، الدُّموعُ وحدَها سالَتْ فَوْقَ خدَّيهِ ، رأى خُصَلًا كَثيرةً مِنَ الشَّعرِ الذي عَلِقَ على العودِ الشّائكِ ، رأى مقاومتَه التي انتهَتْ بأنْ رفعَهُ الرَّجُلانِ وربطاهُ إلى عِقالِ جَملٍ .

سارَتْ قافلةُ الجِمالِ واسْتَمَرَّتْ دموعُه بالسَّيلِ فوقَ خدَّيهِ ، كانَ يَنظُرُ

إلى الخلفِ بينَ حينٍ وآخرَ ويرى أفرادَ عائلتِه ، عائلةَ النَّعامِ ، تسيرُ خَلْفَهُ عن بُعْدٍ .

لا بدَّ أنْ يفلتَ .

لا بدَّ أن يعودَ إلى عائلتِه .

حينَ تابعوا مَسيرتَهُم في اليومِ الثّالثِ ، رأى أنَّ عائلتَه ، سربَ النَّعامِ ، قد اختفَتْ .

لقد باتَ الآنَ وحيدًا تَمامًا .

فيما بعدُ شكَّلَتْ هذِه الأحداثُ حدًّا بينَ حياتَينِ مختلفتَينِ تَمامًا ؛ حياةِ النَّعامِ وحياةِ البشرِ ، كانَتْ هذِه أحداثًا غيَّرَتْ مجرى حياتِه ولم يكنْ في يومٍ مِنَ الأيّامِ متأكِّدًا ممّا إذا كانَتْ قد غيَّرتْه إلى الأفضلِ . خلالَ بقيّةِ حياتِه أرادَ أنْ يتحاشى الحديثَ عن هذهِ الأسابيعِ الكريهةِ ، لكنَّهُ عجزَ عن منعِها مِنْ أنْ تعودَ إليهِ على شكلِ كوابيسَ .

في كلِّ مساءٍ كانَ الرَّجُلُ الضّخمُ البُنيةِ يرفعُه مِنْ فوقِ ظهرِ الجَملِ ويضعُه على الأرضِ ، كانَ يسمعُ مِنْ حَولِهِ أصواتًا مخيفةً لَمْ يقدرْ على تفسيرِها ، أصواتًا بشريّةً وكلماتٍ لَمْ يفهمْها . كانَتْ رائحةُ الجِمالِ والبشرِ قويّةً إلى درجةٍ جعلَتْه على وشكِ التَّقيُّؤِ . كانَ الرَّجُلُ الضَّخمُ البُنيةِ يفكُّ الحبلَ الذي رُبِطَتْ به يداه ثمَّ يناولُه وعاءً مليئًا بالطَّعامِ ، عِندَما حدثَ ذلكَ للمرَّةِ الأولى مدَّ هَدارةُ يَدَهُ إلى الوعاءِ ، التقطَ منه شيئًا وضعَهُ في فمِه ثمَّ بصقَه ثانيةً .

– لا يريدُ أنْ يتناولَ لَحْمَ الجِمالِ المُجفَّفِ ، قالَ الرَّجُلُ عظيمُ البُنيةِ ، انْظُروا إلى الكشراتِ التي تبدو على وجهِه .

ناولَه الرَّجُلُ عظيمُ البُنيةِ وعاءً آخرَ ، كانَ في هذا الوعاءِ قطعٌ مِنْ شيءٍ له لونُ رملٍ مِن نوعٍ ما ، رَفَعَ هَدارةُ الوعاءَ بحذرٍ إلى أنفِه وشمَّ رائحتَه ، لَمْ تَكُنْ رائحةُ هذا الوعاءِ كريهةً ، عضَّ بحذرٍ على قطعةٍ ومضغَها ، يمكنُه أنْ يأكُلَ هذا الطَّعامَ ؛ لذلكَ أكلَ كلَّ ما كانَ في الوعاءِ .

– خبزٌ ، قالَ الرَّجُلُ الضّخمُ البُنيةِ ، هلْ تستطيعُ أنْ تَقُولَ خُبزًا؟

تابعَ هَدارةُ صمتَه وحَدَّقَ إلى الظَّلام .

كلُّ ما كانَ يشغلُ بالَه هو مغادرةُ ذلكَ المكانِ .

عِندَما ملأ الرَّجُلُ الضَّخمُ البُنيةِ الوعاءَ بالماءِ شربَ هَدارةُ كلَّ ما كانَ فيه ، أمْسَكَ بالوعاءِ وناولَه للرَّجلِ ثانيةً ، ملأ الرَّجُلُ الوعاءَ بالماءِ مجدَّدًا ، في اللَّحظَةِ التي أفرغَ فيها هَدارةُ الوعاءَ أرادَ الحُصولَ على المزيدِ .

– هذا الوَلَدُ يَشرَبُ كالجمالِ ، قالَ الرّجُلُ العظيمُ البنيةِ وضحكَ بصوتٍ عالٍ .

لكنَّ هَدارةَ لَمْ يكنْ يروي عطشَه فحسبُ بلْ كانَ يحضِّرُ نفسَهُ لمسيرةِ العَودةِ الطَّويلةِ عبرَ الصَّحراءِ .

نَهَضَ الرَّجُلُ الضّخمُ البُنيةِ مِنْ مَكانِه وابتعدَ في الظَّلام ، كانَت تِلكَ هي اللَّحظَةَ التي انتظرَها هَدارةُ طويلًا ، راحَ يشدُّ ويحاولُ تمزيقَ الحبلِ المربوطِ حَولَ قدمَيهِ ، تمكَّنَ مِنْ فكِّها ثمَّ ركضَ ، لكنْ يبدو أنَّ الرَّجُلَ الضَّخمَ البُنيةِ أحَسَّ بأنَّ هَدارةَ نوى الهروبَ فإذا به أمامَه فَجْأةً ، أمْسَكَ شعرَه بيدٍ ضخمةٍ وأعادَه إلى مكانِه .

حاولَ الهربَ ثلاثَ مرّاتٍ وثلاثَ مرّاتٍ أُعيدَ إلى مكانِه .

كمْ يومًا ساروا؟ لَمْ يُدْرِكْ هَدارةُ ذلكَ على الإطلاقِ ، لَمْ يتمكَّنْ مِنَ النّومِ مِنْ دُونِ أنْ يغطّيَه جناحُ نَعامَةٍ ناعمٍ ودافئٍ ، لَكِنَّهُ تعلّمَ أنْ يفعلَ مثلَما يفعلُ البشرُ ، لفَّ حَولَ جسمِه بطّانيّةً وتقوقعَ على نفسِه ، رغمًا عن إرادتِه تعلّمَ أنْ يحبَّ سيرَ الجَملِ المتأرجحِ ، أحبَّ الرّائحةَ القويّةَ التي تصدرُها تِلكَ الحَيَواناتُ وأحبَّ أصواتَها المُتنافِرةَ وأدركَ أنَّهُ قد ركبَ الجِمالَ مِنْ قَبْلُ . شعرَ بدفءٍ داخِلَ جسدِه وسَمعَ أغنيةً داخِلَ رأسِه ، تذكّرَ سَجادةً حمراءَ اللَّونِ وسَمعَ أصواتًا بشريّةً .

كما أنَّ الرَّجُلَ الضَّخمَ البُنيةِ أرغمَه على ارتداءِ سروالٍ وجلّابةٍ طويلةٍ واسعةٍ ، حاولَ في البدايةِ أنْ ينزعَ تِلكَ الثّيابَ عن جسدِه لأنَّ القماشَ كانَ خشنًا جِدًّا على جسدِه ولأنَّه شعرَ بأنَّه كادَ أنْ يختنقَ ، لكنَّهُ لَمْ يتمكَّنْ مِن نزعِ ثيابِه عنه طالَما كانَتْ يداهُ وقدماهُ مربوطةً بحبلٍ . في اليَوْمِ التّالي لَمْ يَشْعُرْ أنّ الثّيابَ ضايقَتْه كَثيرًا ، وتذكّرَ الشُّعورَ بالملابسِ تغطّي جسدَه .

هل كانَ يرتدي الثّيابَ فيما مضى؟ لكنْ كيفَ يمكنُ هذا؟

رأى فريقًا عن بُعْدٍ ، أيْ تجمُّعًا صَغيرًا لبَعْضِ الخيامِ ، سَمعَ نباحَ كلبٍ ورأى بعضَ الماعزِ ترعى على مسافةٍ قريبةٍ ، خرجَ مِنْ كلِّ خيمةٍ عددٌ مِنَ المخلوقاتِ البشريّةِ .

– هل محمّدُ فاضلُ وفاطمةُ موجودانِ؟ نادى الرَّجُلُ الضَّخمُ البُنيةِ عن بُعْدٍ ، لكنَّ هَدارةَ لَمْ يفهمْ تِلكَ الكلماتِ ، راحَ يُحَدِّقُ إلى مجموعةِ البشرِ الذينَ كانوا يُحَدِّقونَ إليه ، لَمْ يكنْ مظهرُهم يشبهُ مظهرَ الرَّجُلِ

الضَّخم ، لَمْ يكونوا طِوالَ القامةِ ولا سودَ البَشرةِ ، كانوا أقصرَ وذوي لونٍ حنطيٍّ مثلَ لونِه هو .

بدأ الرَّجُلُ الضّخمُ البُنيةِ بالحديثِ فَجْأةً .

– هلْ أضعْتُما ولدًا في عاصفةٍ رمليّةٍ في يومٍ ما؟ لقد أخبرَني أخي دَولةُ عن ذلكَ .

– نعمْ ، قالَ الرَّجُلُ الذي يُدعى محمَّدًا ، لكنَّ ذلكَ حدثَ منذ سنواتٍ طويلةٍ .

– يبدو أنَّ هذا الوَلَدَ المربوطَ على ظهرِ الجَملِ قد عاشَ معَ سربٍ مِنَ النَّعامِ ، وربّما مع حَيَواناتٍ أُخرى أيضًا ، ليسَ قادرًا على الكلامِ ، إنَّه أخرسُ ، أظنُّ أنَّه ربَّما يكونُ ولدَكُما . . .

وقفَ محمّدٌ وفاطمةُ جنبًا إلى جنبٍ وكأنَّهما أُصيبا بالشَّللِ ، كانا يَنْظُرانِ إلى شابٍّ يافعٍ له عينانِ وحشيَّتانِ وشعرٌ طَويلٌ مربوطٌ إلى عقالِ أحَدِ الجِمالِ .

جعلَ بوبوطٌ الجملَ يبركُ على الأرضِ وراحَ يفكُّ الحَبلَ الذي ربطَ به قَدمَيْ الولدِ ، فكَّ بعدَ ذلكَ الحبلَ الذي ربطَ به اليدَينِ . حتّى لا يَرْكُضَ الوَلَدُ هاربًا مِنَ المكانِ ظلَّ بوبوطٌ ممسكًا بشعرِه بقبضةٍ مُحكمةٍ ثمَّ قادَه إلى مجموعةِ البشرِ .

حَدَّقَ هَدارةُ بوجهٍ تلوَ الآخَرِ لكنَّ نَظَراتِه انجذبَتْ إلى المرأةِ الواقفةِ في المُقدِّمةِ بينَما كانَتِ الكلمةُ التي ردّدَتْ نفسَها في ذاكرتِه تقرعُ الآنَ بقوَّةٍ داخِلَ رأسِه ، تِلكَ الكلمةُ التي طالما أرادَتِ الخُروجَ مِنْ فمِه . فاطمةُ ، فاطمةُ ، فاطمةُ ، قرعَتْ في رأسِه .

اقتربَتِ المرأةُ منه ببطءٍ ، كانَتْ ترتدي قماشًا أزرقَ سماويَّ اللَّونِ غطّى شعرَها وتركَ ذراعَيها المكتنزتَينِ الحنطيَّتي اللَّونِ عاريتَينِ ، رفعَتِ المرأةُ جلّابةَ هَدارةَ ووضعَتْ يدَها على العلامةِ السَّوداءِ الموجودةِ على الجِهةِ اليُسرى مِنْ بَطْنِ هَدارةَ .

بقيَتِ اليدُ في مَكانِها ودفَّأتْه ، وَقَفَ هَدارةُ متسمِّرًا في مكانِه وحَدَّقَ إلى اليدِ التي وُضِعَتْ على بطنِه وسَخَّنَتْ مَكانَها ، رأى الأساورَ حولَ رسغِها وتذكّرَ السِّوارَ الذي وجدَه منذُ وقتٍ طَويلٍ ثمَّ أضاعَه في أثناءِ ليلةٍ ما . كلمةُ فاطمةَ كانَتْ تغنّي نفسَها في داخلِه تريدُ الخروجَ مِن فمِه لكنْ دُونَ جدوى .

– إنَّه بُنَيَّ! صاحَتِ المرأةُ : إنَّهُ هَدارةُ! أُصبْتُ بالذُّعرِ مرّةً في أثناءِ حملي به ولذَلِكَ ارتسمَتْ هذِه العلامةُ السَّوداءُ على بطنِه مِن قَبلِ ولادتِه ، هذا هو!

هذا بُنَيَّ ، لا أحَدَ يحملُ علامةً مثلَ هذِه .

راحَتْ تبكي وأمسكَتْ بيدَيهِ ، داعبَتْ وجهَهُ واحتضنَتْه بذراعَيها ، بكَتْ ثمّ بكَتْ وداعبَتْ يدَيهِ مجدَّدًا .

لم يحاولْ هَدارةُ الهربَ معَ أنَّ كلَّ شيءٍ كانَ مخيفًا بالنِّسبةِ له .

بدأَتْ كلمةُ فاطمةَ تتردَّدُ بصوتٍ أعلى فأعلى في داخلِه ، أدركَ فَجْأةً أنَّ فاطمةَ هي تلكَ المرأةُ الواقفةُ أمامَه ، التي تمسكُ بيدَيه وتداعبُهُما .

جعلَتْ بضعُ كلماتٍ لفظَتْها فاطمةُ النِّساءَ الأُخَرياتِ يذهَبْنَ لإشعالِ النّارِ وتسخينِ الماءِ ، عِندَما سخنَ الماءُ قالَتْ للجَميعِ إنَّها تريدُ أنْ تبقى وحيدةً مع ابنِها ، أمسكَتْ بيدِه وسارَتْ به بَعيدًا عن الخيمةِ إلى بعضِ

الأوعيةِ المليئةِ بالماءِ الدّافئِ ، هُناك راحَتْ تغسلُ جسمَه ثمَّ أمسكَتْ بمقصٍّ وراحَتْ تقصُّ شعرَه الطويلَ الأشعثَ ، تركَها هَدارةُ تفعلُ كلَّ ذلكَ دونَ أنْ يحاولَ الهربَ بَعيدًا ، رأى شعرَه مرميًّا فَوقَ الرِّمالِ ، رفعَ يَدَهُ ولمسَ بها رأسَه ، لَمْ يعدْ شعرُه هُناك ، هزَّ رأسَه فإذا به يفعلُ ذلكَ بكلِّ سهولةٍ . كانَت المرأةُ تتحدَّثُ إليه طَوالَ الوقتِ بصوتٍ حنونٍ ، ثمَّ رفعَتْ صوتَها وصاحَتْ ، بعدَ ذلكَ اقتربَ رجلٌ حاملًا سروالًا أبيضَ نظيفًا وجلّابةً رجّاليّةً مصنوعةً مِنْ قماشٍ لونُه أزرقُ سماويٌّ ، سمحَ لها هَدارةُ أنْ تُلبسَه السِّروالَ الأبيضَ والجلّابةَ الزَّرقاءَ ، أمسكَتْ بعدَ ذلكَ بقطعةِ قماشٍ طويلةٍ ولفَّتْها عمامةً حَوْلَ رأسِه ، عندئذٍ أُصيبَ بالذُّعرِ ، كادَتْ تِلكَ الملابسُ تخنقُه ، راحَ يشدُّ ويمزِّقُ الملابسَ التي ألبسَتْه إيّاها ، لا يريدُ أنْ يكونَ كائنًا بشريًّا ، يريدُ أنْ يهربَ مِنَ هنا وأنْ يكونَ طائرَ نعامٍ مِنْ جديدٍ .

تمكَّنَتِ المرأةُ التي سمّاها فاطمةَ مِنْ تهدئتِه في نهايةِ المطافِ . كانَ مُنهكًا تمامًا مِنَ التَّعبِ حينَ قادَتْه إلى إحدى الخيامِ ، عندَ مدخلِ الخيمةِ توقَّفَ وحَدَّقَ إلى السَّجّادةِ . لقد تذكَّرَ السَّجّادةَ الحمراءَ ، تذكَّرَتْ قدماهُ ملمسَ السَّجّادةِ النّاعمَ وتذكَّرَتْها عيناه أيضًا ، تَمَدَّدَ على السَّجّادةِ وأدركَ أنَّها ليسَتْ المرّةَ الأولى التي يتمدَّدُ عليها . جلسَتِ المرأةُ التي يدعوها فاطمةَ بالقُرْبِ منه واضعةً يدَها على كتفِه حتّى غفا .

استيقظَ هَدارةُ في الخيمةِ وأحسَّ كأنَّه سجينٌ ، لكنَّ المرأةَ فاطمةَ كانَتْ مستلقيّةً بجانِبه ، عِندَما استيقظَ وضعَتِ المرأةُ يدَها على صدرِها وقالَتْ : فاطمةُ ، وضعَتْ بعدَ ذلكَ يدَها على ذِراعِهِ وقالَتْ : هَدارةُ .

ردّدَتِ الكلمتَينِ : فاطمةُ ، هَدارةُ ، فاطمةُ ، هَدارةُ . فهمَ أنَّها تريدُه أنْ يردِّدَ تِلكَ الكلماتِ لكنَّهُ غيرُ قادرٍ على النُّطقِ .

حاولَ أنْ يوصلَ إليها الكلماتِ ذهنيًّا ، حاولَ أنْ يتحدَّثَ إليها بِواسِطةِ أفكارِه كَما كانَ يفعلُ مع طيورِ النَّعامِ والغزلانِ لكنَّها لَمْ تجبْه .

لم يكنْ هُناكَ أيُّ حوارٍ بينَهما .

أسئلة الفصل

1 . «منْ بينِ كلِّ ما حدَثَ في حياتِهِ كانَ ما حدثَ في الأيّامِ التّاليةِ أَصْعَبَ ما كانَ على هدارة الحديثُ عنهُ» . تحدَّثْ عنْ هذهِ الصُّعوباتِ ، وَصِفْ حالَ هدارة في هذهِ الأيّامِ .

2 . في أَثناءِ رِحْلَةِ الأسرِ استطاعَ هدارة أنْ يَتقبَّلَ جوانِبَ منْ حياةِ البشرِ . ما هذهِ الجَوانِبُ؟

3 . أيُّ مَشاهدِ هذا الفصلِ أثَّرَتْ فيكَ؟ اقرأْ على زُمَلائِكَ هَذا المشهدَ ، واستمعْ للمَشاهِدِ الَّتي سيقرؤُها زُملاؤُكَ . وتأمَّلْ هَلْ هناكَ تشابُهٌ بينَكمْ أمِ اخْتِلافٌ؟

4 . « . .لكنَّ صوتًا لَمْ يغادِرْ حنجرَتَهُ» تَخيّلْ مَوقِفًا مُناسِبًا وَوَظِّفْ فيهِ هذهِ العِبارةَ .

الفصل الخامس والثلاثون

التَّحوُّلُ إلى إنسانٍ

لن ينسى أبدًا تِلكَ اليقظةَ ، كانَتِ امْرأةٌ تجلسُ بالقُرْبِ منه مغنّيةً لِطفلِها الذي كانَتْ تحملهُ على صدرِها ، تذكَّرَ هَدارةُ ذلكَ اللَّحنَ ، ظهرَ عددٌ مِنَ الصُّوَرِ في مخيّلتِه وفي تِلكَ اللَّحظَةِ اقتنعَ هَدارةُ أنَّ فاطمةَ حملَتْه هكذا في يومٍ مِنَ الأيّامِ ، وأنَّ تِلكَ الأغنيةَ التي كانَتْ تتردَّدُ في أعماقِه هي أغنيتُها .

ازدادَ قناعةً بذَلِكَ عِندَما جلسَتْ فاطمةُ أمامَهُ وقالَتْ إنَّها كانَتْ تغنّي له كذَلِكَ عِندَما كانَ صَغيرًا .

– هكذا كنْتُ أغنّي لكَ ،

أنتَ ولدي البِكرُ

أنتَ ولدي الوَحيدُ

اسمكَ هو هَدارةُ

أنتَ تملؤني بفرحٍ

كَبيرٌ كالصَّحراءِ

شعرَ هَدارةُ بفرحٍ عظيمٍ لا يُوصف ، كانَت تِلكَ هي الأغنيةُ التي

حملَها دائماً في أعماقِه حينَ كانَ يعيشُ مع سربِ النَّعامِ والتي كانَ يتذكَّرُها قَبلَ أنْ ينامَ .

– أنا أمُّك ، قالَتِ المرأةُ ، هل تستطيعُ أنْ تقولَ أمّي؟ حاوِلْ ، قُلْ أمّي .

ظلَّ هَدارةُ صامتًا .

كانَ هَدارةُ قد خلعَ ثيابَه في أثناءِ اللَّيلِ . قالَ له الرَّجُلُ الذي يُدعى محمّدًا والذي قالَ إنَّهُ أبوه ، أنْ يعودَ ويرتدي ملابسَه . دارَ بينَهما صراعٌ ، لَمْ يكنْ هَدارةُ يريدُ ارتداءَ الملابسِ لكنَّ محمدًا أجبرَه على ذلك .

في ذلكَ الصّباحِ أمْسَكَ والدُه بذِراعِهِ وقادَه باتِّجاهِ قطيعِ الغنمِ ، ألقى هَدارةُ التَّحيةَ عليهم لكنْ لَمْ يتلقَّ جوابًا مِنَ الغنمِ . عندَها حَدَثَ أمرٌ جَعَلَهُ يَشْعُرُ بالكراهيةِ تجاهَ ذلكَ الرَّجُلِ الذي ادّعى أنَّهُ أبوه ، بجرّةٍ سريعةٍ مِنْ سكّينِه ذبحَ محمدٌ إحدى الأغنامِ ، سالَ الدَّمُ أحمرَ وتجمَّعَ في بقعةٍ صَغيرةٍ مثيرةٍ للذُّعرِ فَوْقَ الرِّمالِ ، حَدَّقَتْ عينا الغنمةِ الميتةِ إليهِ ، رَكَضَ هَدارةُ مِنَ هُناك مذعورًا إلى داخلِ الخيمةِ الحاميةِ ، جلسَ متقوقعًا على نفسِه في إحدى الزّوايا وَراحَ يمصُّ إبهامَه .

رأى عندَها امرأتَينِ مسنَّتَينِ تقفانِ وتغادرانِ الخيمةَ ، جلسَتا في الخارجِ على ركبتَيهما وراحَتا تشعلانِ نارًا ، رأى هَدارةُ ألسِنةَ اللَّهيبِ الحمراءَ والصَّفراءَ وهي تتراقصُ ، نَظَرَ إلى يدِه وتذكَّرَ الألمَ الذي أحَسَّ به حينَ أحرقَ يدَه ، رَكَضَ خارجَ الخيمةِ باتِّجاهِ النّارِ وداسَها بقدمَيه حتّى أطفأها ، قادَه الرَّجُلُ الذي قالَ إنَّهُ والدُه بَعيدًا مِنْ هُناك ، كانَ صوتُه غاضبًا حينَ فَعَلَ ذلكَ .

– سنحتفلُ اليَومَ بعودةِ ابنِنا ، قالَ الأبُ لاحقًا في ذلكَ اليَومِ .

جلسوا جَميعًا على الأرضِ وكانَ هُناك وعاءٌ كَبيرٌ مستديرٌ أمامَ الرّجالِ وآخرُ أمامَ النِّساءِ ، كانَ في الوعائَينِ أرزٌّ وكسكسي وفَوْقَها قطعةٌ كَبيرةٌ ودَسِمةٌ مِنَ لَحْمِ الغنمةِ المَشويِّ . أجلسَ الأبُ هَدارةَ أمامَ الوِعاءِ المُخصَّصِ للرِّجالِ وناولَهُ عظمةً عليها لحمٌ ، كانَتْ رائحتُها كافيةً بالنِّسبةِ لهَـدارةَ ، فكّرَ بالغنمةِ التي رآها سابقًا في أثناءِ النَّهارِ ، فكّرَ بالأغنامِ الحيّةِ التي كانَتْ قد رحَّبَتْ به في البدايةِ ، لَمْ يكنْ قادرًا على تناولِ لحومِها ، وَقَفَ مِنْ مَكانِه وأرادَ أن يركضَ مسرعًا مِنَ هُناكَ ، لكنَّ والدَه أمْسَكَ به ، جلسَ هَدارةُ مجدَّدًا في نهايةِ المطافِ وأكلَ مثلَ الآخَرينَ ، لَكِنَّهُ رفضَ أنْ يتذوَّقَ اللَّحمَ .

اعترى القلقُ والدَيهِ ؛ تحويلُ ولدِهما المتوحِّشِ إلى إنسانٍ لَم يَعُدْ يبدو سهلًا ، أصعبُ ما في الأمرِ كانَ عجزُه عن النُّطقِ .

– لكنّي أعْرِفُ أنَّهُ كانَ يتكلَّمُ كَثيرًا في صغرِه ، قالَتْ أمُّهُ فاطمةُ .

– بالطَّبعِ كانَ يتحدَّثُ ويصرخُ مثلَ جَميعِ الأطفالِ ، لَمْ يكنْ يعاني مِنْ شيءٍ في ذلكَ الحينِ ، قال والُده ، لَكِنَّهُ الآنَ نَعامَةٌ أكثَرُ مِنْ أنْ يكونَ إنسانًا ، إذا كانَ سيصبحُ إنسانًا لا بدَّ له مِنْ أنْ يبدأَ بالنُّطقِ مِنْ جديدٍ .

لكنَّ هَدارةَ لَمْ ينطقْ ، كانوا يحاولونَ يوميًا ، لكنَّه اسْتَمَرَّ بصمْتِه . لَمْ يصدرْ قطُّ صوتًا واحدًا إلّا أحيانًا عِندَما كانَ يشتاطُ غضبًا فيرسلُ فحيحًا كذَكَرِ نعامٍ حانقٍ .

أخيرًا غادَرَتْ عائلةُ هَدارةَ باحثةً عن الشَّيخِ معالينَ وهو رجلٌ مسنٌّ شديدُ الإيمانِ معروفٌ بأنَّه أحكمُ رجلٍ في الصَّحراءِ . كانَ يجولُ الصَّحراءَ وأينَما حلَّ كانَ البدوُ يقصدونَه ؛ ليعرضوا عَلَيهِ مشاكلَهم وخلافاتِهم .

كان يُعتبرُ الرّجُلَ الأكثَرَ إيمانًا ووقارًا وحكمةً في الصَّحراءِ الغربيّة .

بما أنَّ هَدارةَ رفضَ أنْ ينطقَ بكلمةٍ وأنْ يصبحَ إنسانًا مِنْ جديدٍ أخذتَه عائلتُه إلى الشّيخِ معالينَ . قدمّوا جملَينِ كهديّةٍ إلى الشّيخِ ، ذبحَ الجملَينِ وراحَ أهلُه يطهونَ أطباقًا عديدةً مِنْ لَحمِ الجَملَينِ المذبوحَينِ ، الطَّعامُ كانَ مخصّصًا للشَّيخِ وحاشيتِه ولزوّارِه الذينَ يطلبونَ العونَ أيضًا .

دخلَ محمدٌ وزوجتُه فاطمةُ باحترامٍ غرفةَ الرَّجُلِ المُسِنِّ وأخبراه بقصّةِ ابنِهما الذي ضاعَ منهما في أثناءِ عاصفةٍ رمليّةٍ والذي تمَّ العثورُ عَلَيهِ بعدَ سنواتٍ عديدةٍ حيًّا في سربٍ مِن النَّعامِ .

– أحضِروا الوَلَدَ إليَّ ، قالَ الرّجُلُ الوقورُ .

قِيدَ هَدارةُ إلى الرَّجُلِ المسِنِّ مدركًا أنَّ هذا الرّجُلَ مميزٌ جدًّا . كانَ للرَّجلِ المسِنِّ لحيةٌ بيضاءُ طويلةٌ ، واعتَمَرَ على رأسِهِ عمامةً بيضاءَ ، كانَ يرتدي جلّابتَينِ الأولى بَيْضاءُ والثّانيةُ زرقاءُ ، ويحملُ عقدًا ضخمًا حَوْلَ رقبتِه .

كان الرَّجُلُ المسِنُّ يجلسُ وظهرُه مستوٍ تَمامًا ناظرًا إلى هَدارةَ الذي وَقَفَ عندَ مدخلِ الخيمةِ طويلًا .

ابتسمَ الرّجُلُ المُسنُّ فَجْأةً ولم يكنْ بمقدورِ هَـدارةَ إلّا أنْ يردَّ له الابتسامةَ بمثلِها ، عِندَما أشارَ الرّجُلُ المسِنُّ إلى هَدارةَ أنْ يقتربَ منهُ سارَ هَدارةُ حتّى مَثُلَ أمامَه ثمَّ انْحَنى على ركبتَيهِ احترامًا . لَمْ يكنْ هَدارةُ يعرفُ لماذا فَعَلَ ذلكَ . وَضَعَ الرّجُلُ المسِنُّ يَدَهُ على رأسِ هَدارةَ وَراحَ يباركُه هامِسًا ، جَعَلَ بعدَ ذلكَ الوَلَدَ يجلسُ مستقيمًا ثمَّ عانقَه .

توجَّهَ الرَّجُلُ المسِنُّ إلى الوالدَينِ اللَّذين كانا يقفانِ على بُعْدٍ يتوافقُ

مع الاحترامِ الذي كانا يشعرانِ به قائلًا :

– يجبُ أنْ تبحثا عن البئرِ الأكْثَرِ عمقًا في الصَّحراءِ بأكملِها ، عِندَما تجدانِه عليكُما أنْ تربطا ساقَي الوَلَدِ بحبلٍ ثمَّ تنزلانِه إلى عُمْقِ البئرِ .

لم يجرؤْ والدَا هَدارةَ على طرحِ الأسئلةِ ، لقدأُصيبا بالدَّهشةِ عِندَما نطقَ الشّيخُ بكلماتِه ، أمسكا بيدِ ابنِهما وخرجا به مِنَ الخيمةِ التي اكتظَّ أمامَها الكثِيرونُ الذين ينتظرونَ دورَهم للدُّخولِ على الرَّجُلِ المسنِّ .

جلسَ هَدارةُ طَوالَ تِلكَ اللَّيلةِ معَ جَميعِ الذين أتَوا بحثًا عن خيامِ الرَّجُلِ المسِنّ ، كانَتِ النُّجومُ تشعُّ بقوَّةٍ في عرضِ السَّماءِ ، وكانَتْ ألسِنةُ النّارِ تتصاعدُ مِنْ كَثيرٍ مِنَ المواقدِ . عِندَما انتهوا مِنْ تناولِ الطَّعامِ راحَ الجَميعُ يرقصونَ ، وعزفَ العازفونَ على الطَّبلاتِ وعلى الرَّبابةِ .

– إنَّهم يرقصونَ رقصةً تقليديّةً ، همسَتِ الأمُّ ، رقصةَ الإنسانِ ، صفَّقَ الجَميعُ مِنْ حولِهما وراحَتِ النِّساءُ تزغردُ بلا انقطاعٍ ، أخذَ العديدُ مِنَ النّاسِ ينضمّونَ إلى الرَّقصةِ .

جلسَ هَدارةُ ملتصقًا بأمِّه ، كانَ الجلوسُ بينَ حشدٍ مِنَ النّاسِ يخيفُه . نهضَتْ أمُّه مِنْ مَكانِها وراحَتْ ترقصُ ثمَّ مدَّتْ يدَها نَحْوَ هَدارةَ تريدُه أنْ يقومَ ويُشَارِكَ بالرّقصِ هو أيضًا ، نَظَرَ الجَميعُ إليهِ وصفَّقوا ؛ ليشجِّعوه وراحَتْ النِّساءُ تزغردُ بحدَّةٍ ، لكنَّ هَدارةَ لَمْ يُرِدْ أنْ يرقصَ ، تحرّرَ مِنْ قبضةِ أمِّه وَراحَ يَركضُ بخطى النَّعامِ مُبْتَعِدًا عن المَكانِ ، رَكَضَ ركضًا متعزِّجًا بينَ الجالسينَ على الرِّمالِ متَّجهًا نَحْوَ الظَّلامِ ؛ ليحميَه ، عِندَما ابتعدَ إلى حدٍّ أنَّه لَمْ يعدْ يرى ألسنةَ النّيرانِ بسطَ ذراعَيهِ في الهواءِ وَراحَ يرقصُ ، راحَ يرقصُ ويدورُ حَوْلَ نفسِه كَما كانَ يفعلُ عِندَما كانَ يرقصُ

مع طيورِ النَّعامِ .

أعمقُ بئرٍ في الصَّحراءِ ، كانَ الرّجُل المسِنُّ قد قالَ ، كانَتْ هُناكَ آبارٌ محفورةٌ في الصَّحراءِ هنا وهُناكَ ، كانَ حافرو الآبارِ محترفينَ مِنْ نوعٍ خاصٍّ ، وكانَتْ حرفتُهم تُتوارَثُ مِنَ الأبِ لابنِه ، كانَ حفرُ الآبارِ مهنةً خطيرةً جدًّا ، وعلى حافِري الآبارِ أنْ يحفروا الأرضَ بأيديهم إلى أنْ يصلوا إلى الماءِ الدَّفينِ ، وفي بَعْضِ الأحيانِ تنهالُ الرّمالُ عليهم فتدفنُهم أحياءَ .

أخذَ أهلُ هَدارةَ ابنَهم إلى إحدى الآبارِ المحفورةِ ، نَظَرَوا داخِلَ البئرِ ورأوا جدرانَها والماءَ اللّامعَ في قعرِها ، ظنَّ هَدارةُ أنَّهم يريدون إحضارَ الماءِ فحسبُ . أُصيبَ بالهلعِ حينَ أمْسَكَ به أبوه وجدُّه فَجْأةً ، وألقيا به إلى الأرضِ وربطا قدمَيهِ بحبلٍ .

شعرَ أنَّهما رفعاه فَوْقَ فتحةِ البئرِ ، بِبُطءٍ وحذرٍ أخفضاهُ إلى عمقِ البئرِ رأسًا على عقبٍ ، ظنَّ أنَّهما يريدانِ قتلَه ، ازدادَ الذُّعرُ في قلبِه عِندَما وَصَلَ رأسُه إلى سطحِ المَاءِ صرخَ .

عندَها رفعاه إلى الأعلى خارجَ البئرِ .

– هل سمعْتُم؟ سألَ والدُه والفرحُ يشعُّ مِنْ ملامحِه ، لقد صرخَ الولدُ ، لقد استعملَ صوتَه!

نَظَرَ هـدارةُ الذي كانَ مازالَ مصعوقًا مِنَ الذُّعْرِ إلى وجوهِ النّاسِ التي يعلوها الفرحُ مِنْ حولِه ، الناسِ الذين تجمَّعوا مِن حَوْلِهُ وحاولوا لمسَه ، قرفصَ جدُّه وجلسَ على ركبتَيهِ وَراحَ يفكُّ الحبلَ الذي رُبِطَ حَوْلَ كاحلَيهِ ، أمّا هو فنَظَرَ إلى أمِّه ، فتحَ فمَه وحرّكَ شفتَيه بصمتٍ ، ثمَّ علَتِ الكلمةُ شفتَيه ، الكلمةُ التي كانَ قد حملَها معَه طويلًا .

قالَ :

– فاطمةُ .

أسئلة الفصل

1 . اختلفَتِ الأحداثُ بِالنِّسبةِ لِهدارة بَينَ حدثٍ يُفرِحُهُ ، وحَدَثٍ يُحزِنُهُ ، وحدثٍ يُغضِبُهُ . حاوِلْ أنْ تُصنِّفَ أحداثَ هذا الفصلِ بحسَبِ تأْثيرِها في هدارة . اِعْقدوا حَلْقَةَ نِقاشٍ مُوَسّعةً ، واقرؤوا بعضَ المقاطعِ إذا رأيْتُمْ ذلكَ .

2 . ما رأيُكَ بشخصيَّةِ الرَّجلِ المُسِنِّ؟ هلْ يوجدُ لِمِثْلِ هذهِ الشَّخصيَّةِ شبيهٌ في واقِعِكَ؟ ناقِشِ الأمْرَ مَعَ زُمَلائِكَ .

3 . أعربْ شَفويًّا الكلماتِ الَّتي تحتَها خَطٌّ فيما يأْتي :

- «جلسَ **هدارة** **طَوالَ** تلكَ اللَّيلةِ مَعَ جَميعِ الَّذينَ أَتَوا **بَحثًا** عَنْ خِيامِ الرَّجُلِ المُسِنِّ» .
- «أحسَّ بقَطَراتِ العَرَقِ تَتَصبّبُ **فوقَ** رَأْسِهِ»
- ركضَ رَكْضًا **مُتَعرِّجًا** بينَ الجالسينَ على الرِّمالِ مُتّجهًا **نحوَ** الظِّلامِ لِيَحميَهُ»

الفصلُ السادسُ والثلاثونَ

فتاةٌ عيناها كالنّجومِ

مضى كلُّ شيءٍ بسُرْعَةٍ بعدَ ذلك . أخذَتْهُ أمُّه بيدِه وسارَت به في جَميعِ أنحاءِ المُخيّم ، تشيرُ إلى كلِّ ما ترى وتلفظُ اسمَه ليكرّرَ هَدارةُ ما تقولُ : أمّي ، أبي ، جَملٌ ، كلبٌ ، ماعزٌ ، غنمٌ ، سراجٌ ، خيمةٌ . . .علقَتِ الكلماتُ في ذهنِه . ربَّما كانَ يعرفُ كلَّ تِلكَ الكلماتِ في صغرِه . لَمْ يمضِ كَثِيرٌ مِنَ الوقتِ قَبلَ أنْ يتَمَكَّنَ هَدارةُ مِن لفظِ جملٍ مفيدةٍ . عندَها اعتنى الرّجُلُ الأكبَرُ سنًّا به أيْ كَبيرُ القبيلةِ . كانَ ذلكَ الرّجُلُ مُعَمَّرًا ، وكانَ لديه كَثِيرٌ مِنَ الوقتِ . كانا يجلسانِ معًا في الخيمةِ الكبرى . أحيا الرّجُلُ المسنُّ الكلماتِ التي كانَ هَدارةُ يعرفُها في صغرِه وعلّمَه كَثِيرًا مِنَ الكلماتِ والألفاظِ الجديدةِ .

لِيَتَمَكَّنَ هَدارةُ مِنَ التّحولِ إلى إنسانٍ ، وحتى لا يبقى طائرَ نعامٍ تحتّمَ عَلَيهِ أن يقضيَ أوقاتَ قَبلِ الظّهرِ معَ كَبيرِ القبيلةِ . كانا يتحدّثانِ ، وهكذا تعلّمَ هَدارةُ كلماتٍ جديدةً كلَّ يومٍ . كانَ كَبيرُ القبيلةِ يحدّثُه عن حياتِه . حدّثَهُ عن المرّةِ التي التقى فيها بإحدى بناتِ آوى وخافَ مِنَ أنيابِها لدرجةِ أنَّهُ ما زالَ يراها في كوابيسَ حتّى أيامِه هذه . وحدّثَه أيضًا

عن فاجعةِ حياتِه الكُبرى ، حينَ قضى أفْرادُ عائلتِه كلُّهم في وباءٍ خطيرٍ . قالَ :

– لم أكنْ أريدُ أنْ اسْتَمَرَّ بالعيشِ لسنواتٍ طويلةٍ بعدَ ذلكَ . لكنّ الزّمنَ مرَّ ومرَّ معَه الحُزنُ ثمّ صارَ لي عائلةٌ جديدةٌ .

كانَ الرّجُلُ المسنُّ ينهي حديثَه بقصِّ أسطورةٍ جديدةٍ على هَدارةَ . كانَت تِلكَ الأساطيرُ تداعبُ الخيالَ وتتحدّثُ عن أنبياءَ ، عن ملوكٍ وعفاريتَ وأميراتٍ وجِمالٍ مسحورةٍ وعن بساطِ الرِّيحِ ، وكانَ يجعلُ هَدارةَ يعيدُ قصَّ الأسطورةِ ليتمرّنَ على استخدامِ اللّغةِ .

كانَت أوقاتُ قَبْلِ الظّهرِ تِلكَ أحبَّ الأوقاتِ على قلبِ هَدارةَ ، وكانَت أفضلَ ما كانَ في حياتِه ككائنٍ بشريٍّ . ينتظرُها بفارغِ الصّبرِ تلك الأسطورةَ الجديدةَ التي يسمعُها معَ كلِّ يومٍ جديدٍ .

أوّلَ مرّةً أعادَ سردَ إحدى أساطيرِ الرّجُلِ المسنِّ ، قصَّ حكايةً قَصيرةً قلّت فيها الكلماتُ . كانَ الرّجُلُ المسنُّ يثني عَلَيهِ ، ويقولُ له إنَّهُ بارعٌ جِدًّا ، وكلَّ يومٍ حتّى صارَت القصصُ التي يرويها طويلةً وغنيّةً بالكلماتِ .

عِندَما تعلّمَ هَدارةُ ما يكفي مِنَ لغةِ قومِه الذين يُدعونَ الحسّانيّةِ ، في نَظَرِ الرّجُلِ المسنِّ ، أحضرَ له القرآنَ وقالَ له إنَّ هذا هو الكتابُ المقدّسُ وهو مكتوبٌ باللُّغةِ العربيّةِ .

– سأعلّمُكَ قراءةَ القرآنِ . وسَوْفَ أعلّمُكَ الكتابةَ أيضًا . لكنْ عليك أوّلًا أنْ تحفظَ بعضَ الآياتِ القرآنيّةِ عن ظهرِ قلبٍ .

قرأَ كَبيرُ القبيلةِ الآياتِ أوّلًا وأعادَها هَدارةُ مِنْ بعدِه .

– بسم اللّهِ الرّحمنِ الرّحيم ، اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (255) . صدقَ اللّهُ العظيمُ .

لم يفهمْ هَدارة تلكَ الكلماتِ .لَمْ تَكُنْ تِلكَ الآياتُ مكتوبةً بلغتِه بلْ باللّغةِ العربيّةِ . عِندَما ترجمَها الرّجُلُ المسنُّ إلى اللّغةِ الحسّانيّةِ لَمْ يفهمْ منها هَدارةُ أيَّ شيءٍ أيضًا .لَكِنَّهُ شعرَ بفخرٍ عظيمٍ عِندَما تَمَكَّنَ مِنَ ترديدِ آيتِه الأولى مِنَ القرآنِ الكريمِ عن ظهرِ قلبٍ .

أمّا بقيّةُ حياتِه ككائنٍ بشريٍّ فقد كانَت أكثَرَ صعوبةً .

كانَ النّاسُ يُحَدِّقونَ إليه طَوالَ الوقتِ وقطعَ كَثيرونَ مسافاتٍ طويلةً عبرَ الصَّحراءِ ليروه فحسبَ . كانَ الصّبيانُ مِن سِنّه يسخرون منه على بُعدٍ مِن مَسمعِ الكِبارِ . كانوا يسخرونَ مِنَ حركاتِه وطَريقتِه في الرَّكضِ . كانوا يقولونَ إنَّهُ يشبهُ النَّعامةَ . وكانوا يقلّدونه وهو يضعُ إبهامَه في فمِه . هذا ما كانَ يَفْعَلُهُ دائمًا في الصَّحراءِ خاصةً حينَ كانَ العطشُ يغالِبُه . فهمَ بسُرعَةٍ أنّ البشرَ لا يفعلونَ ذلكَ عادةً .

كما أدْرَكَ أنّ عَلَيهِ الامتناعَ عن التَّحَدُّثِ كَثيرًا عنِ الأمورِ التي تعلّمَها مِنَ النَّعاماتِ . فقد كانَ في إحدى اللّيالي واقفًا معَ أحَدِ أبناءِ عمِّه الصّغارِ في الظّلامِ يَنْظُران إلى النّجومِ عِندَما قالَ ابنُ عمِّه :

– ما أكثَرَ النّجومَ اللّيلةَ! هلْ تعلمُ ما هي النّجومُ؟

– نعمْ ، أعْرِفُ ذلك . إنها أرواحُ النَّعاماتِ الميّتةِ ، قالَ هَدارةُ بسُرْعَةٍ

لأنَّ ذلكَ هو ما تعلّمَه عن النّجومِ في السّابقِ .

– أنتَ غبيٌّ جدًّا ، قالَ ابنُ عمِّه وانفجرَ ضاحكًا . الكُلُّ يعرفُ أنّ النّجومَ هي أرواحُ الأمواتِ مِنَ النّاسِ .

كانَ كلُّ يومٍ كِفاحًا بالنّسبةِ لهـدارةَ في تِلكَ الفترةِ . أرادَ أن يعودَ إلى عائلتِه ، سربِ النَّعامِ ، رغمَ ذلكَ بقيَ في مَكانِه . الأمرُ الذي صَعُبَ عَلَيهِ للغايةِ كانَ رؤيةَ الحَيَواناتِ حينَ تُذبحُ على أيدي البشرِ .

– لماذا تفعلونَ هذا؟ كانَ يسألُ في كلِّ مرّةٍ . لَمْ تؤذِكم هذه الحَيَواناتُ في يومٍ مِنَ الأيّامِ . هل تريدونَ أن يُذبحَ أبناؤُكم في يومٍ مِنَ الأيّامِ؟

اسْتَمَرَّ في رفضِه لأكلِ اللّحومِ ، وكانَ ذلكَ أكثَرَ ما أثارَ استغرابَ الآخَرينَ . كانَ تناولُ اللّحمِ أكثَرَ ما يتوقُ إليه بدوُ الصَّحراءِ ، وإذا أتاهُم زائرٌ كانوا دائمًا يذبحونَ إحدى الأغنامِ أو الماعزِ ، وإذا وُلدَ لهم صبيٌّ كانوا يذبحونَ جَملًا ويحتفلونَ لأيّامٍ عديدةٍ .

أصرَّ الجَميعُ في البدايةِ على أن يجعلُوه يأكُلُ اللّحمَ ، لَكِنَّهُ أصرَّ على رفضِه . إذا زادوا إصرارَهم كانَ يغضبُ ، ينَهَضُ مِنَ مَكانِه ويباشرُ الرَّكْضَ إلى عُرْضِ الصَّحراءِ . لَمْ يقدرْ أحَدٌ على الرَّكْضِ بالسُّرْعَةِ التي كانَ يَرْكُضُ بها .

كان يَرْكُضُ إلى عُرْضِ الصَّحراءِ إذا فرحَ أيضًا . كانَ يبسطُ ذراعيه في الهواءِ ويرقصُ كأنّهُ نَعامَةٌ .

بعد فَتْرَةٍ وجيزةٍ لاحظَ والدُه محمّدٌ وكَبيرُ القبيلةِ والكُلُّ أنَّ لهـدارةَ صلةً غريبةً بالحَيَواناتِ . كانَتِ الحَيَواناتُ كلُّها تطيعُه ، الجِمالُ والماعزُ والكلابُ . كانَتِ الحَيَواناتُ كلُّها تنفّذُ ما يطلبُ إليها . تعلّمَ بسُرْعَةٍ

الأسماءَ التي كانَ البشرُ يطلقونها على كلِّ أنواعِ الطُّيُورِ ، وكانَ يَستَطيعُ تقليدَ أصواتِها لدرجةِ أنّ الطُّيُورَ كانَت تجيبُه حينَ يخاطبُها .

كانَ مظهرُه يتحوّلُ بسُرْعَةٍ إلى مظهرِ إنسانٍ عاديٍّ ليصبحَ ابنَ محمّدٍ وفاطمةَ الكَبيرَ مُجدّدًا . لَكِنَّهُ لَمْ يكنْ يَعلَمُ في أعماقِه ما إذا كانَت هذه الحَيَاةُ هي الحَيَاةَ المناسبةَ له . كانَ الشّوقُ إلى الصَّحراءِ يؤلِمُه في الدّاخلِ . كانَ حزينًا وصامتًا في بَعْضِ الأَيّامِ ؛ في الأَيّامِ التي كانَ شوقُه إلى عائلتِه ، أيْ إلى سربِ النَّعامِ ، يغلبُه .

وَضَعَهُ والداهُ تَحتَ المراقبةِ طَوالَ السّنةِ الأولى . كانا خائفين مِنَ أن يهربَ . لكنّ هَدارةَ بقيَ عندَهما . عِندَما أدركَت فاطمةُ ومحمّدٌ أنَّهُ أجادَ الكلامَ مثلَ أيِّ واحدٍ منهم قالوا له أنْ لا حاجةَ به للذّهابِ إلى كَبيرِ القبيلةِ بعدَ ذلك . كانَ عَلَيهِ أن يعتنيَ بقطيعِ جِمالِ العائلةِ بدلًا مِنَ ذلك . كانَ ذلكَ شَرفًا عظيمًا له وشعرَ هَدارةُ بالفخرِ من ثقتِهمُ العظيمةِ به .

كانَ يحلبُ الجمالَ عندَ الفجرِ كلَّ يومٍ ، ثمّ يسيرُ بها لترعى في الجوارِ . في أثناءِ تجوالِه معَ الجِمالِ صارَ لديه الوقتُ الكافي للتّفكيرِ ولأحلامِ اليَقظةِ . مِن كلِّ ما كانَ في حياتِه البشريّةِ كانَ يفضّلُ الجلوسَ والحديثَ معَ الرّجُلِ المُسنِّ . لَمْ يضحكْ الرّجُلُ المسنُّ عَلَيهِ قطّ ، وكانَ يحبَّ رعيَه للجِمالِ أيضًا . كانَ يعودُ في المساءِ فيلقاهُ والدُه عندَها ويتسلَّمُ رعايةَ الجِمالِ عنه .

– أنت راعي جِمالِ بارعٌ ، كانَ والدُه يَقُولُ له دائمًا . ادخلْ إلى فاطمةَ وتناولْ طَعامَك . سأحلبُ الجِمالَ أنا وأربطُها لتأوي إلى النّومِ .

كانَ هَدارةُ يحبُّ أمرًا آخرَ وهو الجلوسُ والنّظَرُ إلى أمِّه . إنّه يحبُّها

تقريبًا كَما يحبُّ ماكو ، أمَّه النَّعامةَ .

انتشرتِ الإشاعاتُ في قبيلةِ هَدارةَ وفي هذا الجزءِ مِنَ الصَّحراءِ . قيلَ إنَّهُ منذُ تسلُّمِ هَدارةَ رعايةَ الجِمالِ ، لَمْ يُقتلْ منها جملٌ واحدٌ على يدِ حَيَوانٍ متوحّشٍ . قيلَ إنَّهُ حينَ يقتربُ ابنُ آوى أو أسدٌ أو فهدٌ صيّادٌ مِنَ القطيعِ ، لَمْ يكنْ هَدارةُ بحاجةٍ لأنَّ يرميَ الحجارةَ باتِّجاهِه أو الصّراخِ عَلَيهِ ، ولم يكنْ بحاجةٍ لإطلاقِ نارٍ بندقيّةٍ مثلَما كانوا يفعلونَ جَميعًا . بل كانَ هَدارةُ يقتربُ مِنَ ذلكَ الحَيَوانِ المُفْتَرِسِ ، يضعُ يَدَهُ حَوْلَ عنقِه ويقودُه بَعِيدًا عنِ الجِمالِ .

حينَ سألَ النّاسُ إذا كانَ ذلكَ صحيحًا أجابَ هَـدارةُ بضحكةٍ فحسْبُ .

لم يكنِ الحديثُ عن قيادتِه الأَسْوَدَ والفهودَ الصيّادةَ صحيحًا فعلًا . لَمْ يكنْ قد ظهرَ في طَرِيقِ القطيعِ أَسْوَدٌ أو فهودٌ صيّادةٌ أصلًا . بناتُ آوى ظهرَتْ في طَرِيقِه بضعَ مرّاتٍ ، ولم يكنْ به حاجةٌ سوى أن يَقُولَ لها أن تسيرَ في سبيلِها .

حدثَ في يومٍ مِنَ الأَيّامِ شيءٌ جَعَلَهُ يودُّ البقاءَ بينَ البشرِ . كانَ في هذا اليَومِ يقودُ قطيعَ الجِمالِ شرقًا . مِنَ أعلى كَثيبٍ رمليٍّ رأى مجموعةً مِنَ الخِيامِ . كانَت عائلةٌ جديدةٌ قد نصبَتْ خيامَها هُناك . لَمْ يكنْ لديه أيّةُ رَغْبَةٍ بالاقترابِ منهم ليلقيَ عليهمُ التّحيّةَ . كانَ يُخيّلُ إليه أنّ الجَميعَ يُحَدِّقونَ إليهِ وكأنّه حَيَوانٌ عجيبٌ كلّما عرفوا أنَّهُ هَدارةُ ، الوَلَدُ الذي عاشَ معَ سربٍ مِنَ النَّعامِ . لَكِنَّهُ تَمَدَّدَ على الأرضِ في الحالِ وَراحَ ينظُرُ إلى الغُرباءِ . رأى فَجْأَةً فتاةً تخرجُ مِنَ إحدى الخِيامِ . كانَت ترتدي قماشًا

أخضرَ لامعًا ، وكانَت حركتُها ناعمةً جميلةً . شعَرَ وكأنّها كانَت تشدُّه إليها . زَحَفَ هَدارةُ مِنَ خَلْفِ شُجيرةٍ إلى أُخرى حتّى صارَ قريبًا جِدًّا مِنَ الفتاةِ .

رأى عندَها عينَي الفتاةِ .

بقيَ هُناكَ حتى لَمْ يعدْ لديه جرأةٌ على البقاءِ . لا بدَّ أنّ جمالَه كانَت تتفرّقُ إلى جَميعِ الجهاتِ وعليه أن يجمعَ القطيعَ ثانيةً . لَكِنَّهُ امتلأَ منذُ ذلكَ اليَوم بشوقٍ . كانَ ذلكَ الشّوقُ شبيهًا بشوقِه إلى سربِ النَّعام . رغمَ ذلكَ كانَ هذا الشّوقُ مختلفًا ، إذ إنَّهُ شوقٌ لَمْ يَشْعُرْ به مِن قَبْلُ ، وهو شوقٌ إلى كائنٍ بشريٍّ . إلى فتاةٍ . الفتاةِ ذاتِ العيونِ التي تشبهُ النّجومَ .

فهمَ هَدارةُ أنَّهُ لا بدّ أنَّهُ أصيبَ بذَلِكَ الشُّعورِ الذي حدّثَه عنه الرّجُلُ المسنُّ كَثيرًا في أساطيرِه .

لقدْ أُصيبَ بالحُبِّ . صارَ مُغرمًا . لقد أحبَّ الفتاةَ ذاتَ العيونِ الشبيهةِ بالنّجوم .

كانَ يقودُ قطيعَ الجِمالِ كلَّ يومٍ إلى جوارِ خِيامِ أهلِ الفتاةِ . ويقضي كلَّ يومٍ ساعةً على الأقلِّ في أعلى الكَثيبِ الرَّمليِّ حَيْثُ يستطيعُ رؤيةَ الخِيامِ بوضوحٍ . كانَ قد حفرَ لنفسِه حُفرةً وتَمَدَّدَ على بطنِه فَوقَ الرّملِ النّاعمِ . لقد نجحَ في معرفةِ اسمِ تِلكَ الفتاةِ . خرّوبةَ ، كانَ اسمُها . لَمْ يكن قادرًا على منعِ نفسِه مِنَ لفظِ اسمِها بصوتٍ عالٍ . خروبةُ ، خروبةُ ، خروبةُ .

حينَ تَمَكَّنَ مِنَ رؤيتِها فعلًا أحَسَّ بدفءٍ ينتشرُ في جَميعِ أنحاءِ

جسمِه . رآها أحيانًا تسيرُ باتِّجاهِ الماعزِ لتقدّمَ لها بعضَ الملحِ ، أو لتحلبَها . في يومٍ آخرَ رآها تجمعُ القمامةَ مِنَ حَولِ الخِيامِ ومرّةً أخرى رآها وهي تخبزُ الخبزَ في الرَّمْلِ .

كانَ يتخيّلُ في الأَيّامِ التي لَمْ تتسنَّ له رؤيتُها فيها بأنّها كانَت نائمةً داخِلَ الخيمةِ بجانبِ النّساءِ الآخَرياتِ والأطفالِ .

في الأَيّامِ التي يتمكنُّ من رؤيتِها كانَ يعودُ إلى عائلتِه بشفاهٍ تبتسمُ ابتسامةً مبهمةً .

في يومٍ لن ينساه طَوالَ حياتِه رآها وهي خارجةٌ مِنَ الخيمةِ . كانَت ترتدي ذلكَ القماشَ الأخضرَ الجميلَ الرّائعَ . كانَت تبدو كزهرةٍ جميلةٍ في نَظَرِه . أرادَ هَدارةُ أن يَرْكُضَ هاربًا حينَ رأى ما حدثَ ، لأنّهُ رآها سائرةً باتِّجاهِه . لَمْ يكنْ مستعدًّا . لَمْ يخطرْ في ذهنِه قطُّ إمَكانيّةُ وقوعِ هذا . ياألله يا رحمنُ ، يا رحيمُ . دعْها تأتي إلى هنا . لا ، لا أريدُ ذلك . لا ، لا .

تصبّبَ العرقُ مِنَ جبينِه ووَضَعَ إبهامَه في فمِه كَما كانَ يفعلُ حينَ كانَ صَغيرًا ، عِندَما كانَ يَشْعُرُ بالظّمأِ الشديدِ أو الذّعرِ ، لَكِنَّهُ أخرجَ إبهامَه مِن فمِه بسُرْعَةٍ . لَمْ يكنِ البشرُ يحبّونَ مظهرَ الإبهامِ في الفمِ وهذا أمرٌ كانَ الشبّانُ مِنَ سنِّهِ يسخرون منه كلّما نَسِيَ نفسَه ووَضَعَ إبهامَه في فمِه .

سارَتِ الفتاةُ مباشرةً باتِّجاهِ الكَثيبِ الرَّمليِّ الذي كانَ قد حفرَ لنفسِه حُفرةً فَوْقَه . سارَتْ بعناءٍ عبرَ الرَّملِ النّاعمِ المُكدَّسِ إلى أن وَصَلَتْ إليه ، وجلسَتْ بالقُرْبِ منه ضاحكةً . لَمْ يجرؤْ على النَّظَرِ إليها ، لَكِنَّهُ أدارَ رأسَه باتِّجاهِها بِبُطءٍ وحذرٍ بعدَ حين ، ورأى عينيها اللتين تشبهانِ النّجومَ . رأى

فمَها . كَما رأى القماشَ الأخضرَ اللاّمعَ . هكذا عن قُربٍ رأى أنَّهُ كانَ مزركشًا بالأزهارِ . كانَ القماشُ قد انزلقَ جانبًا فتسنّى له أن يرى شعرَها الأَسْوَدَ النّاعمَ . أدْرَكَ أنّ شعرَها كانَ يتدلّى طويلًا فَوقَ ظهرِها مِن تحتِ القماشِ .

تبادلا التّحياتِ الصّحراويّةَ دُونَ أنْ يَنظرَ أحدُهما إلى الآخَرِ كَما يفعلُ الآخَرونَ مِنْ قومِه حينَ يلتقون .

سألَها بعدَ ذلكَ عنِ اسمِها بالرّغمِ مِن أنَّهُ كانَ يعرفُه تمامَ المعرفةِ .

– اسمي خرّوبةُ ، قالَتْ . وأنتَ هَدارةُ . الكُلُّ يعرفُ ذلكَ ويتحدّثُ عنك .

أرادَ أن يطيلَ اللّقاءَ . أحبَّ أنْ يستلقيَ هنا على مقربةٍ منها وأنْ يَشْعُرَ بأنّها قريبةٌ منه . أرادَ أن يتحدّثَ إليها .

أرادَ في الواقعِ أنْ يسألَها إذا كانَت رأَتْه بقيّةَ الأَيّامِ حينَ كانَ يستلقي هنا ويَنْظُر إليها . هل كشفَت أمرَه؟ لكنْ ها هي قد أَتَتِ الآنَ . بمحضِ إرادتِها . لقدْ أَتَتْ لأنّها تريدُ أن تلتقيَ به . أليسَ كذلك؟ خطرَ له فَجْأةً أنّها ربّما قد أَتَتْ لتطلبَ إليه أنْ يكفَّ عن متابعتِها بهذه الطَريقةِ .

صَمَتَ ، لَكِنَّهُ استطاعَ أنْ يسألَ في نهايةِ المطافِ :

–هل أنتِ وحيدةٌ؟

– بالطّبعِ ، قالَتِ الفتاةُ . الرجالُ غادروا والنّساءُ ذهبْنَ إلى خيامِكم ليتحدثّنَ معَ أمِّكَ . تركوني وحدي هنا . لذلكَ تجرأتُ على المجيءِ إلى هنا .صَمَتَ كلٌّ منهما مجدّدًا .

– يقولُ الجَميعُ أنّك نشأْتَ معَ سربٍ مِنَ النَّعامِ . هلْ هذا صحيحٌ حقًّا؟

– أجلْ ، أجابَ هَدارةُ .

أرادَ في الحقيقةِ أنْ يحدّثَها عنِ السنينَ التي قضاها في الصَّحراءِ لَكِنَّهُ لَمْ يجرؤْ على ذلك . لا بدَّ أنَّها ستظنُّ أنَّهُ غريبُ الأطوارِ كما يظنُّ الآخَرونَ جَميعًا .

– يقولُ الجَميعُ إنّ الحَيَواناتِ لا تخافُكَ ، هلْ هذا صحيحٌ؟

– نعمْ ، أجابَ هَدارةُ .

– ويقولونَ أنّك تفهمُ ما تقولُه الحَيَواناتُ .

– نعمْ ، هذا صحيحٌ . لَكِنَّهُ بعدَ أنْ قالَ ذلك سرعانَ ما أحَسَّ بالنّدمِ . كانَ يريدُ أنْ يخبرَها بأنّه يحبُّها لَكِنَّهُ لَمْ يكنْ يعرفُ كيفَ يَقُولُ ذلك .

– عن ماذا تحدّثُكَ الحَيَواناتُ؟ سألَتْهُ الفتاةُ وظهرَ في صوتِها أثرُ السُّخريةِ .

– عنْ كلِّ شيءٍ ، قالَ هَدارةُ .

ضحكَتِ الفتاةُ لكنَّ ضحكتَها كانَت خاليةً مِنَ اللُّؤمِ . كانَت ضحكتُها عذبةً . وقفَتْ وراحَتْ تنفضُ الرَّمْلَ عنْ ثوبِها الأخضرِ ثمّ بدأَتْ تسيرُ باتِّجاهِ أسفلِ الكَثيبِ .

عِندَما سارَتْ نصفَ المسافةِ التفتَتْ نحوَه وقالَتْ :

– عُدْ غدًا وأخبرْني بشيءٍ قالَه لك حَيَوانٌ ما .

أسئلة الفصل

1 . وضّحْ طريقةَ كبيرِ القَبيلَةِ في تَعليمِ هدارة اللُّغةَ . ما رأْيُكَ بهذهِ الطَّريقةِ؟

2 . «كلَّ يومٍ كانَ كِفاحًا بِالنِّسبةِ إلى هدارة» . وضِّحْ بعضَ المصاعِبِ الّتي كانَتْ تواجِهُهُ .

3 . في أثناءِ اعْتِيادِ هدارة حَياةَ البَشَرِ أحبَّ ثَلاثةً مِنَ الأشياءِ . سجِّلْها هُنا :

4 . هناكَ ما يشيرُ في هذا الفصلِ إلى أنَّ خَرّوبَةَ فتاةٌ ذَكيَّةٌ . ما هوَ في رأيِكَ؟

5 . اقرأ الجُمَلَ الآتيةَ ، وحدِّدِ اسْمَ كانَ وخبرَها في كلِّ واحدةٍ منْها :

- كانَ الرَّجلُ المسنُّ يُنهي حديثَهُ بقصِّ أُسطورةٍ جَديدةٍ على هدارة .
- كانَتْ أوقاتُ بعدَ الظُّهْرِ تلكَ أحبَّ الأوقاتِ على قَلْبِ هدارة .
- كانَ كلُّ يومٍ كِفاحًا بالنِّسبةِ لِهدارة في تلكَ الفترةِ .
- لَمْ يَكُنِ الحديثُ عنْ قيادَتِهِ الأسودَ والفُهودَ الصَّيّادَةَ صَحيحَةً فعلًا .

الفصلُ السابعُ والثلاثونَ

يومُ السّعدِ ربَّما

انتظرَ هَدارةُ الفتاةَ ثلاثةَ أَيّامٍ على التوالي . أتتَ في اليَومِ الرّابعِ ، فأرادَ أن يقفزَ مِنَ مَكانِه ويرقصَ كَما ترقصُ طيورُ النَّعامِ ، لَكِنَّهُ امتنعَ عن ذلك . كانَت ترتدي الثّوبَ الأخضرَ الجميلَ ذاتَه اليَومَ أيضًا . عِندَما تَمَدَّدَت على الرَّملِ بالقُربِ منه قالَ :

– قلتِ إنّكِ تريدين معرفةَ ما تقولُه الحَيَواناتُ . سأخبرُكِ بقصّةٍ أخبرتني بها الطُّيُورُ .

لم يكنْ ذلكَ صحيحًا لأنَّ هَدارةَ كانَ على وشكِ أنْ يخبرَها بأسطورةِ قصّها عَلَيهِ الرّجُلُ المسنُّ وطلبَ إليه أنْ يعيدَ قصَّها ليتمرّنَ على لغةِ البشرِ . لكنّ هَدارةَ ذكرَ الطُّيُورَ حتّى يبهرَ الفتاةَ .

لم تعرفِ الفتاةُ إذا كانَ بمقدورِها أنْ تصدّقَه أم لا . هل مِنَ المعقولِ أن يجيدَ لغةَ الطُّيُورِ؟ كانَت ممدّدةً بلا حَرَكَةٍ ، كانَ فمُها مفتوحًا مِنَ الدّهشةِ وهي تنظرُ إلى الوَلَدِ الذي راحَ يقصُّ عليها :

– كانْ يا ما كانْ في قديمِ الزّمانْ ولدٌ يعيشُ في هذا الجزءِ مِنَ الصَّحراءِ . كانَ اسمُه عَلِيٌّ . كانَت عائلتُه بدويّةً مثلَ عائلتَينا تَمامًا . كانوا يتّبعونَ

المطرَ . كانوا يتنقّلون هنا وهُناك في عُرْضِ الصَّحراءِ بحثًا عن المَاءِ والعشبِ الذي تقتاتُ به ماشيتُهم . في ليلةٍ مِنَ اللّيالي حلمَ عليٌّ بفتاةٍ . كانَت للفتاةِ عينانِ تبرقُ كنجومِ اللَّيلِ ، وكانَت ترتدي ثوبًا أخضرَ ، لكنّ ثوبَها كانَ غريبًا لَمْ يرَ مثلَه مِن قَبْلُ . أدْرَكَ أنّ تِلكَ الفتاةَ تنحدرُ مِنَ عائلةٍ تسكنُ جزءًا آخرَ مِن الصَّحراءِ ، أو ربّما كانَت مِن بلادٍ أخرى . عِندَما استيقظَ عليٌّ مِنَ نومِه أحَسَّ بأنّهُ كانَ مغرمًا بشدّةٍ بتلكَ الفتاةِ ، ولم يتمكّنْ طَوالَ النّهارِ من التّفكيرِ بشيءٍ آخر سوى الفتاةِ التي رآها في حلمِه ، صاحبةِ العيونِ التي تشبهُ النّجومَ والثوبَ الأخضرَ . وفي اللَّيلةِ التّاليةِ حلمَ عليٌّ بالفتاةِ ثانيةً . وفي اللَّيلةِ التّاليةِ أيضًا . لَمْ يقوَ على احتمالِ الألمِ إلى ما لا نهايةَ ، لذلكَ وَضَعَ عقالاً على جَملٍ وركبَه مغادِرًا . كانَ ينوي البحثَ عنِ الفتاةِ التي رآها في حلمِه . كانَ متأكّدًا مِنَ أنّ الفتاةَ صاحبةَ العيونِ التي تشبهُ النّجومَ موجودةٌ فعلًا في مَكانٍ بَعيدٍ ما ، أو ربما في بلادٍ أخرى .

اسْتَمَرَّت مسيرتُه لأَيّامٍ ثمّ أشهرٍ . بدَتِ الصّحراءُ وكأنَ لا نهايةَ لها .

في يومٍ مِنَ الأيّامِ ، حينَ كانَ يعبرُ سهلًا خاويًا ، فوجئ برؤيةِ امرأةٍ مسنّةٍ جِدًّ تجلسُ متداعيةً على حجرٍ ضخمٍ .

أوقفَ عليٌّ جَملَه وألقى التّحيّةَ على المرأةِ العجوزِ ثمّ سألَها عن حالِها .

– إنّني منهكةٌ تَمامًا ، قالَتِ المرأةُ المسنّةُ .

حملَ المرأةَ العجوزَ بينَ ذراعَيه ثمّ رفعَها ووَضَعَها فَوْقَ ظهرِ الجملِ . أحَسَّ كأنّه كانَ يحملُ حفنةً مِنَ الرَّملِ الجافِّ .

سارَ عليٌّ بمُحاذاةِ الجَملِ وقادَه .

عِندَما نَظَرَ إلى المرأةِ المسنّةِ رأى أنّها ما تزالُ منهكةً .

– كيفَ حالكِ؟ سألَها مجدّدًا .

– إنّني جائعةٌ جدًا ، أجابَتِ المرأةُ المسنّةُ . لَمْ أتناولْ طَعامًا منذُ أسبوعٍ .

– لا تقلقي ، قال عليٌّ مبتسمًا . في الحقيقةِ ، ما زالَ لديّ بعضُ حبّاتِ التّمرِ .

ناولَ عليٌّ حبّاتِ التّمرِ الأخيرةَ التي كانَت بحوزتِه للمرأةِ المسنّةِ التي التهمَتْها في الحالِ .

لكنّها ما لبثَتْ تبدو منهكةً .

– ما بكِ؟ سألَها عليٌّ مجدّدًا .

– أحسُّ بعطشٍ شديدٍ ، قالَتِ المرأةُ المُسنّةُ . خضَّ عليٌّ عندَها كيسَ المَاءِ الذي كانَ قد ربطهُ في عقالِ الجَملِ . كانَ ما زال فِيهِ قليلٌ مِنَ الماءِ . ناولَ المرأةَ المسنّةَ كيسَ المَاءِ فشرِبَتِ القطراتِ الأخيرةَ التي كانَت داخلَه .

في تِلكَ اللَّحظَةِ حَدَثَ أمرٌ مروّعٌ . قفزَتِ المرأةُ المسنّةُ مِنَ فوقِ ظهرِ الجملِ وتحوّلَتْ إلى جنّيّةٍ ، إلى واحدةٍ مِنَ عفاريتِ الصَّحراءِ الضّخمةِ الخطيرةِ .

– أنتَ إنسانٌ غيرُ عاديٍّ ، قالَتِ العفريتةُ وتكوّمَتْ أمامَ الشّابِّ . لقد حوّلتُ نفسي إلى امرأةٍ عجوزٍ حتى أتمكّنَ مِن معاقبتِك . لكنكَ سمحتَ للعجوزِ بأنْ تمتطيَ الجَملَ وأعطيتَها تمراتِك الأخيرةَ والقطراتِ القليلةَ مِنَ المَاءِ التي كانَت ما تزالُ بحوزتِك . هذه أفعالٌ ترضي اللّهَ لذلكَ لن أتمكّنَ مِنَ معاقبتِك . سَوفَ أمنحُكَ شَيْئًا بدلًا مِنَ العقابِ . سَوفَ أمنحُكَ سِوارًا سحريًّا . ما دامَ ذلكَ السّوارُ بحوزتِك تَستطيعُ أن تحوِّلَ نفسَك إلى

أيِّ نَوعٍ مِنَ الحَيَواناتِ ، وسَوفَ تعيشُ إلى الأبدِ ، لكنّكَ لن تعودَ إنسانًا بعدَ ذلك . نعمْ ، وسَوفَ أمنحُكَ فرصةً أنْ تتمنّى أمنيتَينِ . يمكنُك أنْ تتمنّى أيَّ شيءٍ كانَ ما عدا أن تعودَ إنسانًا ثانيةً .

أعطتِ الجنّيّةُ السوارَ للولدِ وفي اللّحظَةِ ذاتِها تحولَّتْ إلى زوبعةٍ رمليّةٍ واختفَتْ باتِّجاهِ الأفقِ وكأنّها عمودٌ مِنَ الرَّمالِ يدورُ حَولَ نَفسِه .

ظنَّ عليٌّ في البدايةِ أنَّهُ غفا على ظهرِ الجملِ وحلمَ طَوالَ الوقتِ . لكنْ عِندَما نَظَرَ إلى ساعدِه ورأى السِّوارَ أدرَكَ أنّ ما حدثَ كانَ حقيقةً وليسَ حلماً .

اسْتَمَرَّ عليٌّ في مسيرِته ، وكعادتِه حلمَ بالبنتِ صاحبةِ العيونِ التي تشبهُ النّجومَ والثّوبَ الأخضرَ . تابَعَ مَسيرَتهُ لأيّام ثمّ لأشهرٍ .

والحقيقةُ أن تِلكَ الفتاةَ كانَت موجودةً بالفعلِ . لكنّها لَم تَكُنْ فتاةً عاديّةً ، بلْ كانَت ابنةَ ملكٍ ، وابنتَه الوحيدةَ أيضًا . لَمْ يجدِ الملكُ شخصًا يقارنُهُ بابنتِه جَمالًا وحكمةً ، فقدْ كانَ يحبُّها أكثَرَ ممّا كانَ يحبُّ مملكتَه الواسعةَ بأكملِها . تقدّمَ كَثيرٌ مِنَ الشّبّانِ لطلبِ يدِها لكنْ لا أحَدَ بينَهم حازَ على إعجابِ الملكِ ولذَلِكَ بقيَتِ ابنتُه عزباءَ .

حين وَصَلَ عليٌّ إلى مملكةِ ذلكَ الملكِ وسَمِعَ عنِ ابنتِه ذاتِ العيونِ التي تشبهُ النّجومَ ، والتي كانَت أجملَ مِن كلِّ بناتِ العالَم ، بدأَ يعتقدُ أنّها ربَّما تكونُ فتاةَ أحلامِه . أرادَ مِنّ كلِّ قلبِه أنْ يراها . لكنّ ولدًا فقيرًا مثلَه عاجزٌ عن أنْ يطلبَ إذنًا بدخولِ القصرِ . كيفَ يمكنُه أن يفعلَ ذلك؟ استعملَ عندَها عليٌّ السّوارَ الذي أعطتهُ إيّاه الجنّيّةَ وحوّلَ نفسَه إلى طائرٍ . دخلَ حديقةَ الملكِ طائرًا ، وهُناك تَمَكَّنَ مِن رؤيةِ ابنةِ الملكِ .

كانَت بالفعلِ هي صاحبةَ العيونِ التي تشبهُ النجومَ ، والتي كانَ يراها في أحلامِه . عندَها فقط تذكّرَ ما قالَتْه الجنّيّةُ ، وهو أنَّهُ يَستَطيعُ أنْ يحوّلَ نفسَه إلى حَيَوانٍ لَكِنَّهُ لنْ يستطيعَ أنْ يعودَ ويحوّلَ نفسَه إلى إنسانٍ ثانِيةً . لكنْ ، لا بأسَ في هذا ، فكّرَ عليٌّ . ها أنا الآنَ طائرٌ وأستطيعُ أنْ أراها كلَّ يومٍ .

كان عليٌّ ، الوَلَدُ راعي الجِمالِ قد حَوّلَ نفسَه إلى طائرٍ فريحة ، وهو طائرٌ لونُه أبيضُ وأَسوَدُ . كانَ يَقِفُ على غُصنٍ مِنَ أغصانِ شُجيرة الوردِ الجُوريِّ في حديقةِ الملكِ ويغرِّدُ للأميرةِ . كانَ يلاحظُ أحيانًا أنّ الأميرةَ تقفُ لتستمعَ ، وتنظرَ إلى ذلكَ الطّائرِ الذي يغرّدُ ذلكَ التغريدَ الرائعَ .

ما حَدَثَ بعدَ ذلكَ هو أنّ المملكةَ أُصيبَتْ بموجةِ جفافٍ عنيفةٍ جدًّا . لَمْ يهطلِ المطرُ طَوالَ السّنةِ . جفَّتِ الآبارُ كلُّها في النّهايةِ ، ولم يعدْ هُناك نقطةُ ماءٍ واحدةٌ في نهرٍ أو بُحَيرَةٍ . بدأَتِ الأزهارُ والأشجارُ تذبلُ ، وبدأَتِ الماعزُ والأغنامُ والجِمالُ تموتُ مِنَ العطشِ . ثمّ أتى دورُ البشرِ فراحوا يموتون عطشًا أيضًا . أُصيبَ الملكُ بالفجيعةِ التي سبّبَتْها تِلكَ الكارثَةُ . دعا أئمّةَ المملكةِ بأكملِها إليه وطلبَ إليهم أنْ يصلّوا ، ويتوسّلوا إلى اللّهِ –عزَّ وجلَّ– أنْ يرسلَ إليهمُ المطرَ . لكنَّ المطرَ لَمْ يهطلْ . دعا عندَها الملكُ حكماءَ المملكةِ كلَّهم ، لكنّهم عجزوا أيضًا عنْ إيجادِ طَريقةٍ لجعلِ المطرِ ينهمرُ . في يومٍ مِنَ الأيّامِ ، وبعدَما غصّتِ المقابرُ بالموتى ، أتى رسولٌ راكضًا ودخلَ القصرَ . قالَ للملكِ إنّ رَجُلًا غريبًا وَصَلَ المدينةَ لتوّه وهو ساحرٌ بارعٌ . قالَ السّاحرُ لِكُلٍّ مِنَ التقى به إنّ هُناكَ لعنةً منصبّةً على المملكةِ . ثمّ قالَ لهم إنَّهُ قادرٌ على إزالةِ تِلكَ اللّعنةِ .

دعا الملكُ الرّجُلَ الغريبَ إلى القصرِ . قالَ الرّجُلُ الغريبُ إنَّهُ ساحرٌ بالفعلِ ، وإنَّه يملكُ مرآةً سحريّةً . إذا نَظَرَ في المرآةِ سيرى اللّعنةَ التي أصابَتِ المملكةَ وسيرى الطَريقةَ التي ستمكّنُه مِنَ إزالةِ اللّعنةِ .

أمرُه الملكُ أن يحضرَ مرآتَه وأن يَنظُرَ إليها . أخرجَ الرّجُلُ مرآةً صَغِيرةً بسيطةً مِنَ جيبِه ، لَكِنَّهُ عِندَما نَظَرَ إليها اصفرَّ لونُه ذعرًا ورفضَ أن ينطقَ بحرفٍ . انْحَنى الرّجُلُ الغريبُ أمامَ الملكِ وطلبَ إليه أنْ يسمحَ له بمغادرةِ القصرِ . لَمْ يردِ الإفصاحَ عمّا رآهُ في المرآةِ .

جُنَّ جنونُ الملكِ مِنَ شدّةِ غضبِه ، نادى على أحَدِ حرّاسِه وطلبَ إليه أن يقطعَ رأسَ الرّجُلِ الغريبِ . عِندَما رَفَعَ الحارسُ سيفَه المعقوفَ صرخَ الرّجُلُ الغريبُ قائلًا :

– توقّفْ ، لا تفعلْ ذلك . سَوفَ أتكلّمُ . رأيتُ في المرآةِ أنكم قد عاقبتُم رَجُلًا مِنَ تونسَ بعدَ أنِ اتّهمتموه بسرقةِ قطيعٍ مِنَ الجِمالِ .

– أجلْ ، هذا صحيحٌ . أجابَ الملكُ . أذكرُ ذلكَ جيّدًا . كانَ ذلكَ الرّجُلُ مِن أسوأ لصوصِ الجِمالِ .

– المرآةُ تَقُولُ إنّ ذلكَ الرّجُلَ كانَ بريئًا . لقدْ أعدمتموه ، لَكِنَّهُ قَبْلَ أن يموتَ نطقَ بلعنةٍ على مملكتِكم بأكمَلِها . هو السّببُ في الجفافِ الذي أصابَ بلادَكم .

– لكنْ ، ما السّبيلُ إلى إزالةِ تِلكَ اللّعنةِ؟ تساءلَ الملكُ .

– إنّني أعْرِفُ الجوابَ ، لكنْ قَبلَ أنْ أقولَه لك عليكَ أنْ تعدَني بألّا تعاقبَني على إخبارِكَ به .

وعدَهُ الملكُ بذلك .

– في الحقيقةِ ، قالَ الرّجُلُ الغريبُ ، عليكَ أن تضحّيَ بابنتِك . عليكَ أن تتركَها وحيدةً في الغابةِ لتأكلَها الحَيَواناتُ المُفتَرِسةُ . عِندَما تموتُ ستزولُ اللّعنةُ وسيبدأُ المطرُ بالتّساقطِ ثانيةً .

بكى الملكُ ،لَكِنَّهُ أدرَكَ أنَّهُ كانَ مجبرًا على أن يضحّيَ بابنتِه مِنَ أجلِ إنقاذِ حياةِ رعاياهُ كلِّهم الذين كانوا على وَشكِ الموتِ بسببِ العطشِ . بما أنَّهُ كانَ قد وعدَ الرّجُلَ الغريبَ بألاّ يعاقبَه ، أطلقَ سراحَه فركبَ السّاحرُ حصانَه وغادَرَ المدينةَ بأسرَعِ ما أمكنَه .

عِندَما سَمِعَ النّاسُ في المملكةِ أنّ على بنتِ الملكِ أنْ تموتَ ، بكَوا هم أيضًا .

في الصّباحِ الباكرِ مِنَ اليَومِ التّالي ركبَ الملكُ حصانَه برفقةِ ابنتِه إلى قلبِ الغابةِ حَيثُ ربطَها هُناكَ إلى شجرةٍ ، ثمّ أسرَعَ مغادرًا وهو مُجهِشٌ بالبُكاءِ . قَبلَ أن يُغادِرَ سَمِعَ الملكُ أصواتَ العواءِ والزئيرِ والهَمْرِ التي أرسلَتْها الحَيَواناتُ التي كانَت تعيشُ في تِلكَ الغابةِ .

بكَتِ الأميرةُ المسكينةُ ، نادَتْ على والدِها لَكِنَّهُ لَمْ يعدْ إليها . اقتربَ منها أسدٌ ضخمٌ يسيلُ اللّعابُ مِنَ فكّيه . مِنَ بعدِه ظهرَ قطيعٌ مِنَ بناتِ آوى الجائعاتِ مكشِّرةً عن أنيابِها الحادّةِ . لكنّها سمعَتْ فَجْأةً ألحانًا جميلةً في أرجاءِ الغابةِ . إنّها موسيقا الحولِ المشهورةِ في بلادِ عليٍّ . كانَ عليٌّ قد تبعَ الفتاةَ إلى قلبِ الغابةِ ورأى الأسَدَ وبناتِ آوى وهي تقتربُ مِنَ الفتاةِ المربوطةِ إلى الشّجرةِ . كانَ عليٌّ يَعلَمُ أنَّهُ يَستَطيعُ أنْ يتمنّى أمنيتين . الأمرُ الوحيدُ الذي خطرَ له أنْ يتمنّاهُ في شديدِ حزنِه هو انتشارُ صوتِ الموسيقا في الغابةِ . بدا وكأنَّ الموسيقا نبعَتْ مِن قلبِ الغابةِ .

موسيقا بطيئةٌ ناعمةٌ عذبةٌ إلى درجةٍ جعلَتِ الحَيَواناتِ كلَّها تتمدّدُ على الأرضِ .

استمعَتِ الحَيَواناتُ .

ثمَّ نامَتْ .

استغلَّ عندَها عليٌّ أمنيتَه الأخيرةَ فجعلَ الحبلَ الذي رُبطَتْ به الأميرةُ يتقطّعُ فتحرَّرَتْ منه . باشرَتِ الأميرةُ بالسّيرِ بَعيدًا عنِ الشّجرةِ والأسدِ وبناتِ آوى . لَمْ تَكُنْ تدري كيفَ ستجدُ طَريقَ العودةِ إلى قصرِ أبيها ،لكنّها تبعَتْ عصفورًا صَغيرًا لونُه أبيضُ وأَسوَدُ . لَمْ تتوقّفِ الموسيقا عنِ العزفِ وكلُّ الحَيَواناتِ المُفترِسةِ التي صادفتها في طَريقِها أتَت إليها ولعقَتْ يديَها بألسنتِها الدافئةِ .

سارَت الأميرةُ طَوالَ اللَّيلِ . وَصَلَتْ في الصّباحِ إلى قصرِ والدِها . اسْتَمَرَّت الموسيقا ، ولم تتوقّفْ عنِ العزفِ إلّا بعدَما دخلَتِ الأميرةُ القصرَ . في تِلكَ اللَّحظَةِ بدأَ المطرُ ينهمرُ .

حطَّ العصفورُ على الشّجرةِ القريبةِ مِنَ نافذةِ غرفةِ نومِ الأميرةِ ، ومن هُناكَ صارَ يغنّي لها كلَّ يومٍ . لَمْ تتزوّجِ الأميرةُ في يومٍ ما ، بل حوّلَتْ نفسَها إلى عصفورةٍ صَغيرةٍ . هي أيضًا تحوّلَتْ إلى طَائرِ الفريحةِ ذي اللّونينِ الأبيضِ والأَسْوَدِ ، فصارَت مثلَ عليٍّ تَمامًا . تركا القصرَ معًا وطارا حتى وَصَلا إلى هنا . رُزِقا بكَثيرٍ مِنَ الصّغارِ . لهذا يمكنُنا سماعُ تغريدِ تِلكَ العصافيرِ حتّى اليَومِ .

طيورُ الفريحةِ هي التي أخبرَتْني بهذه القصّةِ . لهذا تعيشُ تِلكَ الطُّيُورُ أزواجًا . يسمّيها البعضُ طيورَ الفرحِ . إذا سمعَها المرءُ وهي تغنّي في

الصّباحِ الباكرِ يُدرِكُ أنّ يومَه سيكونُ سعيدًا . يُدرِكُ أنّ يومَه سيكونُ مليئًا بالحظِّ . يومَ لا تشعُّ فِيهِ الشّمسُ بحدّةٍ ولا تهبُّ به رياحٌ عاتيةٌ لتحدِثَ عاصفةً رمليّةً . بلْ هو يومٌ لا تقعُ فِيهِ إلّا الأحداثُ السّعيدةُ .

– أعرِفُ ذلك ، قالَتْ خرّوبةُ . لا نرحلُ معَ حَيَواناتِنا في يومٍ لَم نسمعْ به تغريدَ طائرِ الفرحِ .

– سمعْتُ تغريدَ طائرِ الفرحِ هذا الصّباحِ ، قالَ هَدارةُ فَجْأةً . عيناكِ جميلةٌ كالنّجومِ في نَظَرَي . ثمّ أسرَع مضيفًا : وفستانُك الأخضرُ هذا رائعُ الجمالِ .

لم يجرؤْ على النَّظَرِ في عينَي الفتاةِ بعدَما قالَ ذلك . كانَ يُدْرِكُ أنّ عَلَيهِ أنْ يؤلّفَ قصيدةً لها ، غيرَ أنَّهُ لَمْ يكنْ قادرًا على ذلك . لذلكَ راحَ يرسمُ في الرَّملِ بإصبعِه كَما كانَ يفعلُ طَوالَ سنواتِه في الصَّحراءِ . في أثناءِ ظهورِ أشكالِ النَّعامِ والعصافيرِ في الرَّملِ هَمَسَ سائلًا :

– هلْ تقبلينَ بي زوجًا لكِ؟

أسئلة الفصل

1 . أَعِدْ على زُملائِكَ الحِكايَةَ الّتي حَكاها هدارة على خَرّوبَةَ .

2 . «أحسَّ كأنَّهُ يحملُ حَفْنَةً مِنَ الرَّمْلِ الجافِّ» اكتبْ وَصْفًا لِلْمَرأةِ العَجوزِ مُسْتَعينًا بِهذا التَّشبيهِ؟

3 . بعضُ النّاسِ يَتَفاءَلونَ أو يتشاءَمونَ مِنْ أشياءَ في الحياةِ ، تَناقَشْ مَعَ زُملائِكَ في صِحَّةِ هذا السُّلوكِ ، وأثَرِهِ على حياتِنا ، وعلى الطَّريقَةِ الّتي نتَّخِذُ فيها قَراراتِنا؟

4 . حينَ نُحبُّ فلا بدَّ مِنْ أنْ نُضحّيَ . ما التّضحيةُ الّتي قدَّمها كُلٌّ لِلآخَرِ عليٌّ ابنةُ الملكِ؟

5 . ما رأيُكَ في اختيارِ هدارةَ لهذهِ القِصَّةِ بالذّاتِ لِيَحكيَها لِخَرّوبَةَ؟

6 . «غَصّتِ المقابرُ بالموتى» ما المعنى الّذي تفهمُهُ منْ هذهِ الجملةِ؟

الفصلُ الثامنُ والثلاثونَ

آثارُ طيورِ النَّعامِ

فكّرَتِ الفتاةُ التي كانَت تجلسُ بالقُربِ مِن هَدارةَ على الرَّملِ ، بأنَّه لَيْسَ مثلَ باقي الشّبّانِ . كانَ الكُلُّ يقولونَ إنَّهُ غريبُ الأطوارِ . والحقُّ أنَّهُ كانَ ينطلقُ أحيانًا راكضًا إلى عَرْضِ الصَّحراءِ ليرقصَ كطيورِ النَّعامِ . وقيلَ أحيانًا إنَّهُ يضعُ إبهامَه في فمِه ويمصُّه . وأنّه يأكُلُ الحصى وقطعًا صَغِيرةً مِنَ الزّجاجِ . وكانَ يشتاطُ غضبًا أحيانًا ، عِندَما يرى نارًا يهجمُ عليها محاولًا إطفاءَها . لَكِنَّهُ أيقظَ فيها حبَّ المعرفةِ . ثمّ أنّها أحبّتِ البريقَ اللامعَ في عينيهِ كَما أحبّتِ ابتسامَتَهُ العريضةَ الجميلةَ .

– تقولُ إنّكَ تفهمُ لغةَ الحَيَواناتِ وأنّ الحَيَواناتِ لا تخشاكَ ، قالَتِ الفتاةُ . لذلكَ لنْ أطلبَ مِن أهلكِ ثلاثينَ جَملًا مهرًا لي . لا ، لا أريدُ ثلاثينَ ولا خمسينَ جملًا . أريدُ أنْ يكونَ مهري غزالةٌ .

كانَت الفتاةُ تدركُ أنّ الغزالَ هو أكثَرُ حَيَواناتِ الصَّحراءِ خجلًا وخوفًا مِنَ الإنسانِ .

– أريدُ أن تُحضِرَ لي غزالةً . لا أريدُ غزالةً مَيْتةً . ولا أريدُ أنْ توقِعَها

في فخٍّ ثمّ تأسرَها ؛ لأنّني لا أريدُ أن يكونَ في جسدِها خدشٌ واحدٌ . إذا أتيتَ لي بغزالةٍ تتبعُك بمحضِ إرادتِها سَوفَ أقبلَ بكَ زوجًا لي .

انتَشَرَ خبرُ الشرطِ الذي وَضَعَتْهُ الفتاةُ لهـدارةَ بينَ جَميعِ أهلِ الصَّحراءِ الذين يعيشونَ في الجوارِ . ظنَّ معظمُهم أنّ الفتاةَ لا تريدُ الزّواجَ مِنَ الوَلَدِ الذي عاشَ معَ سربٍ مِنَ النَّعامِ ، ولذَلِكَ وَضَعَتْ له شرطًا تعجيزيًّا لتتهرّبَ مِنَ الأمرِ . قالوا إنَّهُ لا يمكنُ لأيِّ إنسانٍ أنْ يمسكَ بغزالةٍ دُونَ أن يضعَ لها فخًّا . لا يمكنُ لهـدارةَ غريبِ الأطوارِ هذا أنْ يعودَ بغزالةٍ . الكُلُّ يعرفُ أنّ الغزلانَ حَيَواناتٌ خجولةٌ تخشى البَشرَ .

الشّخصُ الوحيدُ الذي لَمْ يشكَّ بتحقيقِ ذلكَ هو هَدارةُ . لذلكَ غادَرَ إلى الصَّحراءِ في اليَومِ التّالي . لَمْ يركبْ جملًا بل سارَ كَما كانَ يفعلُ حينَ كانَ ولدَ النَّعامِ هَدارةَ . أخذَ معَه بعضَ المَاءِ وبعضَ الخُبزِ . شعرَ بسعادةٍ عارمةٍ حينَ سارَ عبرَ الصَّحراءِ التي لا نهايةَ لها . سارَ بسُرعَةٍ ثمّ راحَ يركضُ . رَفَعَ ساقَيه وَراحَ يَركُضُ كأنّه طائرُ نعامٍ . طالما حَاوَلَ الامتناعَ عن ذلكَ حينَ كانَ يعيشُ بينَ البشرِ لأنَّ أبناءَ جيلِه كانوا يضحكونَ عَلَيهِ حينَ يفعلُ ذلك .

فكّرَ لفترةٍ قَصيرةٍ بأنّه لا يريدُ العودةَ بلِ البقاءَ في الصَّحراءِ . لكنّ شوقَه إلى الفتاةِ صاحبةِ العيونِ التي تشبهُ النّجومَ كانَ أقوى منه .

هكذا عادَ بعدَ ثلاثةِ أيّامٍ . بجانبِه سارَت غزالةٌ . كانَت تِلكَ صديقتَه القديمةَ ، الغزالةَ ظبيًا . وَضَعَ يَدَهُ برفقٍ على رأسِ ظبيٍ حتى لا تُصابَ بالرّعبِ . سارَتِ الغزالةُ إلى الفتاةِ مباشرةً وتوقّفَتْ أمامَها .

صارَ لهـدارةَ عرسٌ تحدّثَ عنه النّاسُ لسنواتٍ طويلةٍ فيما بعد . أتى

النّاسُ راكبينَ حَيَواناتِهم مِن بَعِيدٍ ومن قريبٍ ليلقوا نَظرَةً على الشّابِّ العجيبِ الذي تربّى معَ سربٍ مِنَ النَّعامِ . دامَ العرسُ لمدّةِ سبعةِ أَيّامٍ وسبعِ ليالٍ .

ولَدَتْ زوجةُ هَدارةَ طفلَها الأوّلَ بعدَ سنةٍ ، وكانَ المولودُ صبيًا . رغمَ ذلكَ لَمْ تتمّ سعادةُ هَدارةَ . كانَ يخرجُ كلَّ ليلةٍ مِنَ الخيمةِ لِيُحَدِّقَ في عمقِ الظلامِ . كانَت زوجتُه تسمعُه أحيانًا وهو يهمسُ : ماكو ، حوج ، آكوكو .

كانَ في أشدِّ شوقِه إلى عائلتِه ، سربِ النَّعامِ .

حينَ سألَتْهُ خرّوبةُ عن حالِه أجابَ بأنّهُ كانَ حزينًا لأنّهُ لَمْ يتسنَّ له أنْ يودّعَ سربَ النَّعامِ بطَريقةٍ لائقةٍ .

قالَتْ له خرّوبةُ في نهايةِ المطافِ :

-أراكَ تعيسًا . الأمرُ الوحيدُ الذي سيُخرجكَ مِنَ تعاستِكَ هو أنْ تخرجَ إلى الصَّحراءِ بحثًا عن نعاماتِك وتودّعَها .

هذا ما حَدَثَ بالفعلِ ، رحلَ هَدارةُ وهو يكادُ يطيرُ مِنَ الفرحِ بالرّغمِ مِن أنَّهُ حَاوَلَ إخفاءَ ذلك . لَمْ يأخذْ معهُ جملًا بلْ سارَ على قدمَيهِ . كانَ يريدُ أنْ يبحثَ عن عائلتِه ، سربِ النَّعامِ ، ليقولَ لهم وداعًا .

مرَّتْ سبعةُ أعوامٍ قَبْلَ أنْ يعودَ .

لم يخبرْ هَدارةُ أحدًا بما حَدَثَ خلالَ السّنواتِ السّبعِ تلك ، ولا حتّى خرّوبةُ . لَكِنَّهُ حينَ عادَ بعدَ سنواتِه السبعِ في الصَّحراءِ كانَ راضيًا بكونِه إنسانًا ، وعاشَ معَ عائلتِه بقيّةَ حياتِه . كانَ أحيانًا يَركُضُ في عُرْضِ

الصَّحراءِ وأحيانًا يرقصُ . بقيَ نباتيًا لا يَتَناوَلُ اللّحومَ بقيّةَ حياتِه . كانَ يأكُلُ الأرزَّ والخبزَ والكُسْكُسي ثمّ أوراقَ الشجرِ والأجمةِ وبعضَ الجذورِ التي كانَ يحفرُ في الأرضِ بحثًا عنها ، والبِطّيخَ البرّيَّ الذي لَمْ يأكُلْ منه إنسانٌ آخرُ .

كان يحبُّ طيورَ النَّعامِ . لَمْ يجرؤْ أحَدٌ على النّطقِ بكلمةِ سوءٍ عنها بالقُربِ مِنَ هَدارةَ خشيةً مِنَ غضبِه الحادّ . احتفظَ ببَعضِ عاداتِه التي كانَ قدِ اكتسبَها خلالَ فَتْرَةِ حياتِه كنعامةٍ . اسْتَمَرَّ طَوالَ حياتِه بتناوُلِ الحصى وقطعٍ صَغيرةٍ مِنَ الزّجاجِ أحيانًا ، لأنَّ هذا ما تفعلُه طيورُ النَّعامِ كلُّها ، حسْبَما قالَ للآخرينَ . لَمْ يسمحْ لأحدٍ بقتلِ طيورِ النَّعامِ أو سرقةِ بَيضِها . كانَ بَيضُ النَّعامِ شهيًّا في نَظرِ النّاسِ ، وكانَ قادرًا على شفائِهم مِنْ كَثيرٍ مِنَ الأمراضِ . لكنّ أحدًا لَم يجرؤْ على أخذِ البيضِ مِنَ النَّعامِ طالما كانَ هَدارةُ في الجوارِ . ولم يحبَّ أحدٌ الحَيَواناتِ بالقدرِ الذي كانَ يحبُّها هَدارةُ ، الوَلَدُ الذي عاشَ معَ سربٍ مِنَ النَّعامِ .

أنجبَ هَدارةُ أربعةَ أطفالٍ آخرينَ مِن خروبةَ ، الفتاةِ صاحبةِ العيونِ التي تشبهُ النّجومَ . رُزقَ بثلاثةِ صبيانٍ وبنتينِ . تعلّمَ الصّبيانُ كَثيرًا مِن والدِهم . كانوا يركضونَ إلى عَرْضِ الصَّحراءِ هم أيضًا ويرقصونَ رقصةَ النَّعامِ . تعلّموا أكلَ أوراقٍ ونباتاتٍ لَمْ يأكلْها النّاسُ العاديّونَ . كانوا يستمعونَ إلى والدِهم وهو يتحدّثُ عن طيورِ النَّعامِ مرارًا . كانَ دائمًا يقولُ : يمكنُ للمرءِ دائمًا أنْ يثقَ بطيورِ النَّعامِ . طيورُ النَّعامِ لا تخونُ أبدًا . النَّعاماتُ هي أُمّي . كانوا يحبّونَني كَثيرًا ، وكنْتُ ابنَهم المفضَّلَ .

كانَ الأجانبُ يأتونَ أحيانًا بحثًا عنِ الرّجُلِ الذي نشأَ معَ سربٍ مِنَ

النَّعام . كانَ حينَها يَرْكُضُ في عُرْضِ الصَّحراءِ ويختبئُ هُناك . رَفضَ أهلُ الصَّحراءِ الإجابةَ عنِ الأسئلةِ التي طرحَها الأجانبُ . كانوا يقولونَ فقطْ : ولدٌ عاشَ معَ سربٍ مِنَ النَّعامِ؟ يا له مِنَ أمرٍ عجيبٍ . لَمْ نسمعْ بهذا مِن قَبْلُ .

عُرفَ هَدارةُ فيما بعدُ كرجلٍ حكيمٍ ورجلِ دِينٍ . كانَ كَثِيرونَ يأتونَ إليه لسماعِ حديثِه وليطلبوا منهُ النّصائحَ .

حينَ أُصيبَ بالمرضِ في نهايةِ المطافِ ، وأدركَ أنَّهُ على أبوابِ الموتِ ، جَمَعَ أفْرادَ عائلتِه مِنَ حَولِهُ ثمّ قالَ :

– لا أريدُكم أنْ تدفنوني في مقبرةٍ بعدَ موتي . أريدُ أن تدفنوني هنا حَيْثُ أموتُ لأنّني لن أكونَ وحيدًا بعدَ ذلك .

كانَ الأمرُ غريبًا في نَظَرِ زوجةِ هَدارةَ وأولادِه ، لَكِنَّهُم نفّذوا وصيتَه . دفنوه في وسَطِ الصَّحراءِ . وَضَعوا فَوْقَ قبرِه حجارةً ضخمةً . ثمّ انطلقَتِ العائلةُ معَ جِمالِها في بحثِها الأبديِّ عنِ المَاءِ والعُشبِ . كلَّ مرّةٍ كانوا يمرّونَ بها مِنَ ذلكَ القسمِ مِنَ الصَّحراءِ كانوا يتوقّفونَ لزيارةِ قبرِ والدِهم .

كانوا دائمًا يجدون آثارًا لطيورِ النَّعامِ قُربَ القبرِ .

أسئلة الفصل

1 . ثلاثةُ أشياءَ أحبَّتْها خَرّوبَةُ في هدارة . اُذْكُرْها .

2 . طلبَتْ خَرّوبةُ مِنْ هدارة أنْ يُحْضِرَ لها غَزالَةً . ما رأيُكَ بِهذا الطَّلبِ؟ وعَلامَ يدلُّ؟

3 . رغْمَ أَنّ هدارةَ تزوَّجَ مِنَ الفَتاةِ الَّتي أحبَّها ، وأنْجَبَ منها ابنًا إلّا أنَّهُ ظَلّ تَعيسًا . هَلْ تَرى هذا الأمْرَ مُبرَّرًا؟ اِشْرَحْ وُجْهَةَ نظرِكَ .

4 . بقيَ هدارةُ وَفيًّا للنَّعامِ بعدَ عودتِهِ إلى وقتِ مَماتِهِ . سجِّلْ بعضَ مظاهرِ هذا الوفاءِ .

5 . وبقيَ النّعامُ وفيًّا لِهدارة حتّى بعدَ أنْ رحلَ عنْ هذهِ الدُّنيا . ما الدَّليلُ على ذلكَ منَ الرِّوايَةِ .

6 . أعربْ (شَفويًّا) الكلماتِ الَّتي تحتَها خَطٌّ فيما يأْتي :

- لَنْ أَطْلُبَ مِنْ أهْلِكَ ثلاثينَ **جَمَلًا** مَهْرًا لي .
- كانَتِ الفتاةُ تدركُ أنَّ الغَزالَ هُوَ أكثرُ حَيواناتِ الصَّحْراءِ **خَجَلاً** .
- دامَ العُرسُ **سَبعةَ** أيّامٍ وسبعَ لياٍل .
- كانَ الأجانِبُ يأتونَ **أحْيانًا بَحْثًا** عَنِ الرَّجُلِ الّذي نَشَأَ مَعَ سِرْبٍ مِنَ النَّعامِ .

كلماتٌ أخيرةٌ

لقاءٌ بأحدِ أبناءِ هَدارةَ

زرْتُ الصَّحراءَ الغربيّةَ عامَ 1993 برفقةِ المصوّرِ (كيم نايلور) . كنّا بصددِ كتابةِ بضعِ مقالاتٍ صحفيّةً لصحيفةِ غلوب عن حُسنِ الضّيافة هناك . كنّا قد سمعنا أنّ لا أحَدَ يحسنُ إكرامَ الضّيفِ مثلَ بدوِ الصَّحراءِ الغربيّةِ . وجدْنا أنّ ذلكَ كانَ صَحيحًا بالفعلِ . كنّا نتنقّلُ في سيارةِ جيبٍ . كلّما رأينا خِيامًا في الصَّحراءِ أسْرَعَ أصحابُها بالإشارةِ إلينا ملمّحينَ أنَّهُ يمكنُنا التوقّفُ عندَهم إذا أردْنا . كلّما نزلْنا مِنَ الجيبِ قادونا إلى الخيمةِ الأجملِ وقدّموا لنا ثلاثةَ كؤوسٍ مِنَ الشّايِ . بعدَ ذلكَ قصَّ علينا أحدُهم ، كَبيرُ القبيلةِ غالبًا ، قصّةً ما . القصةُ التي يحسنُ قصُّها هي أَوَّلُ هديةٍ يقدّمونها لضيوفِهم .

سمعتُ القصّةَ ذاتَها تُروى مرّتينِ . كانَت قصّةً تتحدّثُ عن ولدٍ ضاعَ في الصَّحراءِ وترعرعَ معَ سربٍ مِنَ النَّعام . في كلتا المرَّتينِ انتهَتِ القصّةُ بجُمْلَتينِ : كانَ اسمُه هَدارةُ . هذه قصّةٌ حَقيقيّةٌ .

لم أُصدقْ ذلكَ على الإطلاقِ ، لكنّ القصّةَ كانَت جميلةً .

لذَلِكَ نشرتُها في الصحيفةِ كمَثَلٍ على فنِّ القصصِ المنتشرِ في

الصَّحراءِ . حينَ نشرْتُ المقالةَ دُعيتُ إلى غَداءٍ في (ستوكهولم) مِن قِبَلِ رَجُلَينِ مِنَ الصَّحراءِ الغربيّةِ . شكرانَي على المقالةِ وقالا لي :

– لقدْ فرحْنا خاصّةً لكتابتِكِ عن قصّةِ هَدارةَ . لا بدَّ أنّكِ التقيتِ بابنِه؟

لم أُصَبْ في حَياتِي بمثلِ تِلكَ الدّهشةِ .

أَكدَّ لي كلٌّ مِنَ الرّجُلينِ بِجدّيّةٍ أنَّ تِلكَ القصّةَ حَقِيقيّةٌ . كانَ هَدارةُ قد ماتَ بالفعلِ ، لكنّ ابنَه يعيشُ في الجَزائرِ . ثمّ بدأَ أَحَدُ الرَّجُلينِ يَرقُصُ رَقصةَ النَّعاماتِ . كانَ أنيقًا جِدًّا يرتدي بَدْلةً جَميلةً ، وحِينَ رَقَصَ تطايرَتْ ربطةُ عنقِه . قالَ إنَّ هَدارةَ هو الذي علّمَ النّاسَ رقصةَ النَّعامِ ، ولذَلِكَ يجيدُ كلُّ أهلِ الصَّحراءِ الغربيّةِ هذه الرّقصةَ اليَوْمَ .

منذُ ذلكَ الوقتِ وأنا أحملُ قصّةَ الوَلَدِ الذي عاشَ معَ سربٍ مِنَ النَّعامِ في داخلي . حَاوَلَت بكلِّ الطّرائقِ التأكّدَ مِنَ أنّ القصّةَ واقعيّةٌ وأنَّ لهدارةَ ابنًا يعيشُ فعلًا في الجزائرِ . كانَ الرّجُلانِ اللّذانِ عاشا في السّويدِ قد غادَرَا فطاردْتُهما بالرسائلِ والفاكس دُوْنَ أن أحصلَ على جوابٍ . حصلْتُ في النّهايةِ على رقمِ هاتفِ أحدِهما وكانَ حينَها موجودًا في الهندِ . اتّصلْتُ بهِ في الهندِ . أجابَ في الحالِ وقالَ : هي قصّةٌ واقعيّةٌ بالتّأكيدِ ، وبالتّأكيدِ له ابنٌ في الجزائرِ . لَكِنَّهُ لَمْ يكنْ يَعلَمُ اسمَ ذلكَ الابنِ أو عنوانَه .

لم أتمكّنْ مِنَ ضبطِ نفسي في النّهايةِ . في خريفِ عامِ 2000 سافرْتُ إلى الجزائرِ مصمّمةً على معرفةِ إذا كانَ هُناك مثقالُ ذرّةٍ مِنَ الحقيقةِ في

قصّةِ الوَلَد الذي عاشَ معَ سربٍ مِنَ النَّعام .

بدأْتُ هُناكَ بالسّؤالِ عن هَدارةَ .كانَ الجَميعُ قد سمعوا بقصّةِ هَدارةَ الذي نشأَ مع سربٍ مِنَ النَّعامِ . وفي النّهايةِ حصلْتُ على إثباتاتٍ بأنّ ابنَه هو فعلًا واحدٌ مِن أولئك الذين يعيشونَ في الصحراءِ ، لكنّ الابنَ لَم يكنْ هُناك ، بلْ كانَ يقودُ شاحنةً تحملُ الماءَ عبرَ تلك الصَّحراءِ الشاسعةِ . انتظرْتُ عَودَتَه . عادَ أخيرًا فتوجّهْتُ إلى خيمتِه بآلةِ تسجيلٍ وبرفقةِ مُترجِم . بعدَما جلَسْتُ على السّجّادةِ وشربْتُ الكؤوسَ الثلاثَ الإجباريّةَ مِنَ الشّايِ بدأَ الابنُ يحدّثُني عن أبيه ، هَدارةَ ، ابنِ النَّعامِ .

– أنا فخورٌ جِدًّا بأبي ، قالَ (أحمدو هَدارةَ) بعدَ ساعاتٍ عديدةٍ مِنَ السّردِ لقصّةِ أبيه . علّمَني وعلّمَ إخوتي حبَّ الحَيَواناتِ .أذكرُ أنّني رأيتُ مرّةً في صِغَري بعضَ الأشخاصِ وهم يصيدونَ نَعامَةً . بكيْتُ بحدّةٍ إلى أن أخلوا سبيلَها .

للأسفِ ، لَيسَ لديَّ صورةٌ لأبي . لَمْ يتسنَّ لأحدٍ تصويرُه ، وحِينَ أتى أجانبُ يريدونَ لقاءَه كانَ يهربُ ويختبئُ . هذه قصّةٌ معروفةٌ جِدًّا بينَ أهلِ الصَّحراءِ الغربيّةِ ، وقد تلوتُها بنفسي آلافَ المرّاتِ ، وأكثَرُ ما قصصتُها على أولادي . لكنّها المرّةُ الأولى التي أرويها لشخصٍ أجنبيٍّ .

يزورُ (أحمدو هـدارةُ) قبرَ والدِه في الصَّحراءِ . لكنْ لا توجدُ آثارٌ لطيورِ النَّعامِ عندَ القبرِ . لقدِ انقرضَتْ طيورُ النَّعامِ تَمامًا منَ الصَّحراءِ . لَمْ يعدْ هُناك سوى آثارِ الجِمالِ .

لقدْ بنيتُ هذا الكتابَ مِن كلِّ التفاصيلِ العجيبةِ التي زوّدني بها ابنُ هَدارةَ ، أمّا الباقي فقد تخيّلتُه بنفسي . لقدِ التقيتُ براعي الجِمالِ دولةَ

المذكورِ في هذا الكتابِ عامَ 1993 . كانَ دولةُ رَجُلًا مسنًّا حكيمًا مشهورًا بخطبةِ الجمعةِ التي يلقيها ، وبالعلاقةِ الخاصّةِ التي تربطُه باللّهِ . لَسْتُ متأكدّةً مِنَ أنَّهُ التقى بفاطمةَ والدةِ هَدارةَ ، لَكِنَّهُ جعلْتُهُ يفعلُ ذلكَ في هذا الكتابِ . لكنّي لَمْ التقِ بأخيه بوبوطٍ الذي قتلَ الأسَدَ لأنّهُ كانَ قد تُوفّيَ قَبْلَ عامَ 1993 . أخبرْني ابنتُه (عايشيتو) بقصّةِ قتلِ والدِها للأسدِ .

التحرّي الصّحراويُّ ومتقصّي الآثارِ المسنُّ سيدي إبراهيمُ ما يزالَ حيًا . لكنَّ اسمَه الحَقِيقيّ هو سيدي محمَّدٌ . أخبرَني عنْ 136 حالة مِنَ الحالاتِ الغامضةِ التي حلَّها أثناءَ حياتِه الطّويلةِ ، وعن مقدرتِه التي لا تفسيرَ لها ، أيْ مقدرتِه على رؤيةِ الإنسانِ أو الحَيَوانِ الذي سبقَ وتركَ الآثارَ فَوقَ الرّمالِ . لقاؤه بهـدارةَ مِنَ صُنعِ خيالي أنا ، لكنّ ابنَ هَدارةَ أخبرَني عنِ ولاءِ أهلِ الصَّحراءِ الغربيّةِ لهـدارةَ وعن حمايتِهم له وإخفائِه عنْ أعينِ الأجانبِ الذين أتَوا باحثينَ عنِ الوَلَدِ الذي عاشَ معَ سربٍ مِنَ النَّعامِ .

في الختامِ ، أودُّ أن أشكرَ أشخاصًا ثلاثةً ساعدوني كَثِيرًا على إنجازِ هذا الكتابِ عنْ ولدِ النَّعامِ ؛ دليلي الممتازُ (أحمد فضل) الذي ترجمَ لي كلَّ الأحاديثِ الكَثِيرةَ والطويلةَ التي أجريتُها معَ مختلفِ النّاسِ في أثناءِ إقامتي هناك وفي أثناءِ رحلاتِنا . أودُّ أنْ أُشيرَ أيضًا إلى الإمامِ أحمدَ غانم الذي ساعدَني في كتابةِ الصلواتِ والآياتِ القرآنيّةِ الموجودةِ في الكتابِ . كَما أودُّ أنْ أشكرَ مُزارِعَ النَّعامِ (غونار سالين) في مدينةِ (بورلنغه السويديّةَ) الذي علّمني أغلبَ ما أعرفُه عن النَّعامِ اليَومَ .

أسئلةٌ عامّةٌ على الرِّوايةِ

1 . هلْ كانَ عنوانُ الرّوايةِ جاذبًا لكَ؟ لو وجدْتَ الرّوايَةَ في مَعْرِضِ الكتابِ هلْ كُنْتَ سَتشتَريها؟

2 . عاشَ هدارة ضمْنَ مُجْتمعَينِ مُخْتلفَينِ ، في مرحلتَينِ مُخْتَلفتَينِ : أيُّ مرحلةٍ كانَتْ شائقةً أكثرَ بالنّسبةِ لكَ؟ وَلماذا؟

3 . حياةُ الصَّحراءِ فيها مَشقَّةٌ ، وفيها جَمالٌ . من خِلالِ قِراءتِكَ للرِّوايةِ ما أوجُهُ مَشقَّةِ الحَياةِ في الصَّحراءِ ، وما أَوْجُهُ جَمالِها؟

4 . قامَتْ (ماكو) بِدَورِ الأُمِّ لهدارة في مرحلةٍ مهمَّةٍ مِنْ حياتِهِ ، هَلْ تُصَدِّقُ أنَّ هذا يمكنُ أنْ يحدثَ في الواقِعِ ، أمْ أنَّهُ أقربُ للخيالِ والخُرافةِ؟

5 . أحدثَ الإنسانُ خَللًا في عَلاقتِهِ بالطّبيعةِ ومُكوِّناتِها الحيّةِ . ما الأفعالُ الّتي قامَ بها الإنسانُ وأظهرَتْ عُدوانيَّتَهُ لِلطَّبيعةِ؟ ما مَوقفُكَ أنتَ شخصيًا من ذلكَ؟

6 . تكرَّرَ في مواضعَ منَ الرِّوايةِ أنَّ الحيواناتِ تحلُمُ ، تأكَّدْ منْ صحَّةِ المعلومةِ بالرّجوعِ إلى مُستَنَداتٍ علميَّةٍ .

7 . ما أثرُ الرّوايةِ فيكَ بوصفك قارئًا؟ صِفْ شعورَكَ وأنتَ تقرأُ آخِرَ سَطْرٍ فيها .

8 . ما المشهَدُ العالِقُ بذهنِكَ منَ الرِّوايةِ ، وتعتقدُ أنَّكَ لنْ تَنْساهُ أبَدًا؟ ولماذا؟

9 . هَلْ شجَّعَتْكَ قراءَةُ هذهِ الرِّوايةِ على أنْ تقرأَ روايةً أُخْرى؟ وضِّحْ سببَ إجابَتِكَ .

10 . ما الصُّعوباتُ الّتي واجهَتْكَ في أثناءِ قراءتِكَ الرِّوايَةَ؟

11 . في الرِّوايةِ العديدُ منَ الشَّخصيّاتِ : مَنِ الشَّخصيَّةُ الَّتي أحببْتَها وأثَّرَتْ فيكَ أَكْثَرَ؟ ومَنِ الشَّخْصيَّةُ الَّتي كَرِهْتَها؟ وَلماذا؟

12 . هَلْ تصدِّقُ ما جاءَ في الرِّوايَةِ مِنْ أحداثٍ؟ أمْ أنَّها مجرَّدُ خيالٍ ، لا عَلاقةَ لها بالواقِعِ؟

لِيُصْغوا (فعل) أَصْغَى: (فعل)
أصغى إلى / أصغى لـــ يُصْغي، أَصْغِ، إصغاءً، فهو مُصْغٍ،
أصغى إلى حديثه / أصغى لحديثه: أنصت، أمال رأسَه واهتمّ وأحسن الاستماعَ إليه، يُصْغِي إلى تَوْجِيهاتِهِ: يَسْتَمِعُ إِلَيْها مُهْتَمّاً، كلِّي آذان مُصغية: مُصْغٍ بانتباه.
(توقفَ أفرادُ تلك المجموعةِ مِن النّاسِ عن العملِ **لِيُصْغوا** السّمعَ)

جُمْلَتِي:

لتُمْعِنَ (فعل) أَمعَنَ: (فعل)
أمعنَ / أمعنَ في يُمْعِن إمعانًا فهو مُمْعِن،
أَمْعَنَ فلانٌ: تباعد، أمعن النَّظرَ في الأمر / أمعن في الأمر: جدَّ وبالغ في استقصائه وأطال التفكيرَ فيه
أَمْعَنَ النَّظَرَ في أُمورِهِ: اِسْتَقَصاها، تَأَمَّلَ فيها بِرَوِيَّةٍ وَتَفْكيرٍ، دقّقَ، تَدَبَّرَ يُمْعِنُ في أُمورِهِ قَبْلَ أَنْ يَتَّخِذَ قَراراً.
(لفت نظرها لمعان أبيض في الرمل جعلها تستيقظ من حلمها وتتوقف عن الغناء **لِتُمْعِنَ** النظر)

جُمْلَتِي:

كَثيب (اسم) كَثيب: (اسم)
الجمع: أَكْثِبة وكُثْبان وكُثُب
الكَثِيبُ: تلّ أو مرتفع من الرِّمال كوَّمته الرياحُ في الصَّحاري، أو على شواطئ المحيطات والبحيرات، يَكثُر تكوُّن الكُثْبان في المناطق الرمليّة.
(فقد ركض جملها حتى اختفى وراء أول **كَثيب** رملي كونته الريح)

جُمْلَتِي:

لِجام (اسم) لِجام: (اسم)
الجمع: أَلجِمَةٌ، ولُجُمٌ، ولُجْمٌ،
اللِّجَامُ: الحديدةُ في فم الفرس، ثمَّ سَمَّوْها مع ما يتصل بها من سُيور وآلة لجامًا، سَيْر اللِّجام: طوق جلديّ طويل متّصل بنهاية كلِّ طرف من اللِّجام، يستخدمه الرَّاكب أو السَّائق للسَّيطرة والتّحكُّم في الفرس.
(شدت فاطمة لِجامَ جملها، وجعلته يتوقف ويبرك على الأرض)

جُمْلَتِي:

نَحيلَة (اسم) نَحَلَ : (فعل (
نَحَلَ يَنْحُل، نُحولاً، فهو ناحِل ونَحيل
نَحَل فلانٌ: دقّ، وهُزِل، وضَعُف جِسمُه.
(جمالنا باتت **نَحيلَة**، لم يعد هناك عشب ترعاه)

جُمْلَتِي:

معجمُ الفصلِ الثاني (مدفونٌ في الرّمالِ)

تومئ (فعل) أَوْمَأَ (فعل)
أَوْمَأَ لـــ يُومِئ، إيماءً، فهو مُومِئ،
أومأ إليه / أومأ له: أشار إليه بيده أو بعينه أو بحاجبه أو برأسه أو غيرها، كدلالة على الموافقة أو المعرفة، إيماءً إلى كذا: إشارة إليه.
(وكانت تومِئُ بفرح إلى زوجها كلما رأت الصّبيَّ يأكل طعامه)
جُمْلَتِي:

أجهش (فعل) أَجْهَشَ: (فعل)
أجهشَ بـــ / أجهشَ لـــ يُجْهِش، إجهاشًا، فهو مُجْهِش،
أجهش بالبكاء / أجهش للبكاء: همَّ أو بدأ فيه، أجهش باكيًا: اغرورقت عيناه وذرفت دموعه.
(لم تكد النعامة تنتهي من جملة «أحشى أن يباشر البكاء مجددا «حتّى **أَجْهَشَ** الصّبيُّ بالبكاء)
جُمْلَتِي:

لَكَزَتْه (فعل) لَكَزَ: (فعل)
لكَزَ يَلْكُز، لَكْزًا، فهو لاكِز،
لكَزه في صدره: لكمَه، ضربه بجُمْعِ كَفِّه.
(لم تكن تعلم ماذا ستفعل لتسكته، لكنها **لَكَزَتْه** بمنقارها، وجعلته يقف على قدميه)
جُمْلَتِي:

واهنًا (اسم) وَهَنَ: (فعل)
وهَنَ يَهِن، هِنْ، وَهْنًا، فهو واهِن
وهَن الشَّخصُ: ضعُف في الأمر أو العمل أو البدن، أوهن من بيت العنكبوت: ضعيف جدًّا، واهِن العزيمة: ضعيفها، وهَنه الكِبَرُ: أضعفه وهَنه الدَّاءُ.
(وقف الصبي **واهِنًا**، وحين سارت لم يتبعها كما يفعل أي فرخ نعام)
جُمْلَتِي:

معجمُ الفصلِ الثّالثِ (حينَ طلبتْ أمُّ هدّارةَ.....)

يتوسّل (فعل) توسَّلَ (فعل)
توسَّلَ إلى / توسَّلَ بـــ يَتَوَسَّل، توسُّلاً، فهو مُتوسِّل،
توسَّل فلانٌ إلى الله تعالى: ترجّاه، دعاه بحرارة، تضرّع إليه وابتهل، التمس منه العطف، والرَّحمة. توسَّل فلانٌ إلى رئيسه: تقرَّب إليه لمساعدته.
(طلبت من دولة أن يَتَوَسَّلَ إلى الله، في ذلك المساء وأن يسأله حفظ حياة ولدها)
جُمْلَتِي:

للعِيان (اسم) عايَنَ: (فعل)
عايَنَ يُعايِن، معاينةً وعِيانًا، فهو مُعايِن،
عايَنَ الموقِعَ: رآه أو شاهده بعينه، تحقَّق منه بنفسه بنظرة عامَّة أو شاملة عليه، عاين حالةَ المريض: فحصها، رآه عِيانًا: رآه مشاهدة، ووقف عليه، شاهد عِيان: شاهد يشهد بشيء رآه، ظهَر للعِيان: اتّضح، بدا للنظر.
(كانت تنظر لترى ما إذا كان هدارة سيظهر **للعِيان**)

جُمْلَتِي:

معجمُ الفصلِ الرّابعِ (في مواجهَةِ الموتِ)

المُكْتَنِزَة (اسم) اِكتَنَزَ: (فعل)
اكتنزَ / اكتنزَ بـــ / اكتنزَ في يَكْتَنِز، اكْتِنازًا، فهو مُكتنِز ،
اِكْتَنَزَ الْمَالَ: جَمَعَهُ، رَاكَمَهُ، كَنَزَهُ، اكْتَنَزَ الشيءُ: اجتمع وامتلأ، اكتنز اللحمُ: اجتمع وصَلُب، اِكْتِنَازُ الْمَالِ أَوِ الذَّهَبِ: جَمْعُهُ، مُرَاكَمَتُهُ.
(انحنت ماكو فوقه، وتحسست ذراعه الصغيرة المُكْتَنِزَةَ بمنقارها بلطف)

جُمْلَتِي:

يَحُطُّ (فعل) حطَّ (فعل)
حطَّ بـــ / حطَّ من يَحُطّ، حَطًّا وحَطاطًا، فهو حاطّ،
حطَّ الشَّخصُ أو الشَّيءُ وغيرُهما: نزَل، انحدر، هبط من عُلُوٍّ إلى سُفل، حَطَّ الكِتَابَ عَلَى الطَّاوِلَةِ: وَضَعَهُ.
(كان الطائر قد قرر الانتظار على ما بعد موت الفريسة؛ حتى يَحُطَّ عندها ويباشر بالتهامها)

جُمْلَتِي:

سَرابات (اسم) السَّراب (اسم)
ما لا حقيقة له، وهْم أو مظهر مُغرٍ وخادع، هباء. وهو ظاهرة طبيعيّة تُرى كمسّطحات ماء تلصق بالأرض عن بُعد، تنشأ عن انكسار الضوء في طبقات الجوّ عند اشتداد الحرّ، وتكثر بخاصّة في الصحراء، ما يُرى نصفَ النهار لاصقًا بالأرض كأنّه ماءٌ جارٍ: هو أخدع من سَراب [مثل]: يضرب في الكذب والخداع.
(بدأت الصّحراء تعجُّ **بسَرابات** لامعةٍ)

جُمْلَتِي:

سوّت (فعل) سَوَّى: (فعل)
سوَّى يُسَوِّي، سَوٍّ، تسويةً، فهو مُسَوٍّ،
سَوَّاهُ: قوّمه وعدّله، جعله سويًّا لا عِوَج فيه.
(**سَوّتْ** بعد ذلك قوامها، وبدا عليها بوضوح أنها كانت راضية عن نفسها)

جُمْلَتِي:

تَعِجُّ (فعل) عَجَّ: (فعل)
عَجَّ بـــ عَجَجْتُ، يَعِجّ، اعْجِجْ / عِجَّ، عَجًّا وعَجِيجًا، فهو عاجٌّ، وعَجَّاجٌ،
عَجَّ إِلَى اللَّهِ بِالدُّعَاءِ: ضَجَّ، رَفَعَ صَوْتَهُ، عَجَّ الطَّرِيقُ: غَصَّ، امتلأ، عجّت الرِّيحُ: اِشْتَدَّتْ فَأَثَارَتِ الْغُبَارَ.
(بدأت الصّحراء **تعِجُّ** بسرابات لامعة)

جُمْلَتِي:

العَزْم (اسم)عَزَمَ: (فعل)
عَزَمَ يَعْزِم عَزْماً، عَزِيماً، وعَزِيمَةً، فهو عازِم،
عزَم الشَّخصُ: قصَد ونَوَى، العَزْمُ: الصَّبْرُ والجِدُّ وأُولُو العَزْم من الرُّسُلِ: الذين صبروا وجَدُّوا في سبيل دعْوَتهم.
(كان الذكر حوج يسير موطّد **العَزْم** إذ كان يبحث عن مكان يبني فيه عشه الجديد)

جُمْلَتِي:

وبَّخت (فعل) وَبَّخَ: (فعل)
وبَّخَ يُوَبِّخ، توبيخًا، فهو مُوَبِّخ،
وبّخ الشّخصَ: لامَه على خطأ أو تصرُّف بُغْية رَدْعه وإصلاحه.
(كانت ماكو تشعر كأن بكاءه سكّين يقطع جسدها؛ لذلك **وَبَّخَتْ** زوجها والإناث الثلاث)

جُمْلَتِي:

مُوَطَّد (اسم) وطَّدَ (فعل)
وطَّدَ يُوَطِّد، تَوْطيدًا، فهو مُوطِّد ومُوَطَّد،
وطَّد الشَّيءَ: وطدَه؛ ثبّته وقوّاه ودعّمَه، منعه من التَّقلُّب، موطَّد الأركان: ثابت لا يتزعزع، وطَّد أقدامَه في: سيطر على، وطَّد العزمَ أن: قرّر بقوّة وثبات.
(كان الذكر حوج يسير **مُوَطَّدَ** العزم؛ إذ كان يبحث عن مكان يبني فيه عشه الجديد)

جُمْلَتِي:

معجمُ الفصلِ الخامسِ (الأفعى السّامّةُ)

يَسْتَوْعِب (فعل) اِستَوعَبَ: (فعل)
استوعبَ يَسْتَوْعِب، استيعابًا، فهو مُستوعِب،
اِسْتَوْعَبَتْ كُلَّ حِكاياتِ جَدَّتِها: فَهِمَتْها، استوعبَ عطفُه جميعَ معاونيه: شَملهم وأحاطَ بهم.
(رأى هدارة الآن تلك الطريقة، دون أن يسْتَوْعِبَ ما رآه)

جُمْلَتِي:

تَكْتَرِث (فعل) اِكتَرَثَ: (فعل)
اكترثَ بـــ / اكترثَ لـــ يَكْتَرِثُ، اكْتِراثًا، فهو مُكترِث،
اِكتَرَثَ لِلْحَوَادِثِ الأَخِيرَةِ: اِهْتَمَّ بِهَا اكْتَرَثَ له: حَزِنَ، عَدَمُ الاكْتِرَاثِ: قِلَّةُ الاهْتِمَامِ، اللاَّمُبَالاَةُ.
(لم تكن تَكْتَرِثُ لتلك السّرابات التي كانت تبدو كمستنقعات ماء ضخمة لامعة وسط الرمال)
جُمْلَتِي:

بَراثِن (اسم)بَراثِنُ (اسم)
مفرد بُرْثُن: مخالب السَّبُع أو الطَّير الجارح وتستعمل مجازًا في سياق ما يضرّ من العلل أو الظّروف الاجتماعيّة، أو في الدّلالة على العدوان والشّراسة، وقع في بَراثِن الجهل.
(شمّ رائحة البيضات اللذيذة وراح يضربها **بِبَراثِنه**)
جُمْلَتِي:

تَسُدّ (فعل) سدَّ (فعل)
سَدَدْتُ، يَسُدّ، اسْدُدْ / سُدّ، سَدًّا، فهو سادّ،
لاَ يَجِدُ مَا يَسُدُّ بِهِ رَمَقَهُ: مَا يَقْتَاتُ بِهِ، سَدَّ رَمَقَ الجَائِع: أَطْعَمَهُ، سار في طريق مسدود: سلك سلوكًا لا يوصّل إلى المطلوب، سدَّ مسدَّه: قام مقامه، سدّ حاجته: حقّق له ما يريد.
(كان لا بد لماكو من أن تبحث عن بعض الطعام الذي **تَسُدُّ** به جوعها)
جُمْلَتِي:

لِيَتَفادى (فعل) تَفادَى: (فعل)
تفادى يَتَفادى، تفادَ، تفاديًا، فهو مُتفادٍ،
تَفَادَى خُصُومَتَهُ: تَجَنَّبَهَا، تَحَاشَاهَا، تَلاَفَاهَا، تَفَادَى كُلٌّ مِنْهُمَا شَرَّ الآخَرِ: اِتَّقَى أَحَدُهُمَا الآخَرَ، تفادى الخَطَر: تحاماه، تجنّبه.
(غادر حوج المكان **لِيَتَفادى** حَنَقَها)
جُمْلَتِي:

تَوْقَها (اسم) تاقَ: (فعل)
تاقَ يَتُوق، تُقْ، تَوْقًا وتَوَقَانًا، فهو تائق
تَاقَتْ نَفْسُهُ إِلَيْهِ: اِشْتَاقَتْ إِلَيْهِ، نَزَعَتْ نَفْسُهُ إِلَيْهِ، تاق إلى الشّيء: خفّ إليه وهمّ بفعله.
(ازداد **تَوْقُها** كلما اقتربت من المكان الذي تركت فيه حوجا والصّبي)
جُمْلَتِي:

مُحاذاة (اسم) حاذَى: (فعل)
حاذى يُحاذي، مُحاذاةً وحِذاءً، فهو مُحاذٍ،
حاذَاه: وازاه وصار مقابلاً أو موازيًا له، كان بإزائه أو بحذائه بمحاذاته / على محاذاته / في محاذاته: إزاءه بجواره، على بعدٍ ثابتٍ منه.

(انخفض نسر إلى **مُحاذاةِ** الأرض والتقط حجا بمنقاره)

جُمْلَتِي:

حَنَقَها (اسم) حَنِقَ: (فعل)

حنِقَ على يَحْنَق، حَنَقًا، فهو حانِق وحَنِق،

حنِق على فلان: سخط عليه واشتدَّ غيظُه.

(غادر حوج المكان ليتفادى **حَنَقَها**)

جُمْلَتِي:

صَافِقَة (اسم) صفَقَ: (فعل)

صفَقَ / صفَقَ بـــ يَصْفِق، صَفْقًا وصفقةً وتصفاقًا، فهو صافِق،

صفقَ الشيءَ: ضربهُ ضرباً يسمع له صوتٌ، صَفَق البابَ: رَدَّهُ بعنف، صفقَ الريحُ الثوب، والشجر والماء: ضربته وحرّكتْهُ، صفقَ الطائرُ جناحيه، وبهما: حرَّكهما.

(لكنّه رأى حين لوّح بذراعيه، أن النسور طارت **صافِقَةً** غاضبة)

جُمْلَتِي:

أَلَدّ (اسم) لدَّ: (فعل)

لدَّ، يَلَدّ، لَدَدًا، فهو لادّ،

لدَّ الشَّخْصُ: اشتدّت خصومتُه، كَانَ مِنْ أَلَدِّ أَعْدَائِهِ: مِنْ أَشَدِّهِمْ خُصُومَةً.

(تعدّ النّسور المصريّة مِن **أَلَدّ** أعداء طيور النّعام؛ لأنها كانت تأكل بيضها)

جُمْلَتِي:

معجمُ الفصلِ السّادِسِ (الابنُ المُفَضّلُ)

أَفْزَعَ (فعل) أَفْزَعَ: (فعل)

أفزعَ يُفْزِع، إفزاعًا، فهو مُفزِع،

أفزع فلانًا أخافه، روّعه وأرهبه، إفْزَاعُ الرَّجُلِ: إخَافَتُهُ.

(غير أنّ أمرا غير عاديّ كان قد حدث بفضله؛ لقد **أَفْزَعَ** أعداءَهم)

جُمْلَتِي:

يحزُّ (فعل) حَزَّ: (فعل)

حزَّ / حزَّ في حَزَزْتُ، يَحُزّ، احْزُز / حُزَّ، حَزًّا، فهو حازّ،

حزَّ الشَّيءَ / حزَّ في الشَّيء: قطعه و لم يَفْصِله، حزَّ الأمرُ في صدره أو في قلبه أو في نفسه: أثّر فيه، آلمه وأحزنه يحزّ في النَّفس استمرارُ الخلافات.

(كان منظره وهو يبكي **يَحُزُّ** في قلب ماكو)

جُمْلَتِي:

قَيْلولَةُ (اسم) قال (فعل)
قالَ يَقِيل، قِلْ، قَيْلاً وقَيْلولةً، فهو قائلٌ والجمع: قُيّلٌ، وقُيَّالٌ،
قال الشَّخصُ: نام في منتصف النّهار.
(الأمر الذي لم تتساهل فيه هو قَيْلولَةُ بعد الظّهر)

جُمْلَتِي:

معجم الفصلِ السّابعِ (المكانُ المنوعُ)

مُبْهَمَة (اسم) أَبْهَمَ (فعل)
أَبْهَمَ يُبْهِم، إبهامًا، فهو مُبهِم، والمفعول مُبهَم،
أبهم الأمرُ خَفِيَ وأشكل واشتبه، كان غيرَ واضحٍ، تعقّدت القضيّة وأُبْهِمت، أَبْهم فلانٌ الأمرَ: أخفاه وأشكله، وجعله غامضًا غيرَ مفهوم.
(أُصيبَ جسمُه فجأةً بتَشَنُّجاتٍ تلقائيّةٍ **مُبْهَمَةٍ**)

جُمْلَتِي:

بتَشَنُّجاتٍ (اسم) تَشَنَّجَ: (فعل)
شَنَّجَ يَتَشَنَّج، تشنُّجًا، فهو مُتشنِّج،
تَشَنَّجَ الوَلَدُ: انْقَبَضَتْ، وَتَقَلَّصَتْ عَضَلاَتُهُ بِشَكْلٍ لاَ إِرَادِيٍّ.
(أُصيبَ جسمُه فجأةً **بتَشَنُّجاتٍ** تلقائيّةٍ مُبْهَمَةٍ)

جُمْلَتِي:

تِلْقائيّةٍ (اسم) تِلْقائيّ: (اسم)
اسم منسوب إلى تِلْقاء،
ما يجيء نتيجة استجابة مباشرة وبشكل عفويّ بدون إلزام وإكراه، عَمَلٌ تِلْقائِيٌّ: عَفْوِيٌّ طَوْعِيٌّ،
تِلْقَائِيّاً مُبادَرَةٌ تِلْقائِيَّةٌ.
(أُصيبَ جسمُه فجأةً بتَشَنُّجاتٍ **تلقائيّةٍ** مُبْهَمَةٍ)

جُمْلَتِي:

فاتِرًا (اسم) فَتَرَ: (فعل)
فَتَرَ / فَتَرَ إلى / فَتَرَ عن / فَتَرَ في يَفْتُر ويَفْتِر، فُتُورًا، فهو فاتِر،
فتَرت هِمَّتُه: سكنت بعد حدّة ونشاط، ضعفت، خفّت، فَتَرَتْ مَفَاصِلُهُ: لاَنَتْ وَضَعُفَتْ، استقبال فاتر: خالٍ من الحرارة والحماس، فتَر الماءُ الحارُّ: سكن حرُّه وصار بين الحارّ والبارد.
(الشمس عندما ترتقي في الأفق يصبح هواء الليل البارد **فاتِرًا** مُمتِعًا)

جُمْلَتِي:

معجمُ الفصلِ الثّامنِ (بدونِ ماءٍ)

آوَوْا (فعل) أَوَى: (فعل)
أوَى / أوَى إلى يَأْوِي، إيوَاءً، اٰوٍ، أُوِيًّا، فهو آوٍ،
أَوَى إلَى غُرْفَةِ نَوْمِهِ: انْتَقَلَ، ذَهَبَ، أوَى البيتَ / أوَى إلى البيت: احتمى، نزل فيه واتّخذه مأوًى له، أوَى لَهُ أوْ إلَيْهِ: رَقَّ لَهُ وَرَحِمَهُ.
(أثناء حرّ الظُّهر الذي لا يُطاق **آوَوْا** إلى النّوم)

جُمْلَتِي:

انْتابَه (فعل) انتابَ: (فعل)
انتابَ يَنْتاب، انْتَبْ، انتيابًا، فهو مُنتاب،
اِنْتابَهُ غَضَبٌ شَديدٌ: أَصابَهُ، اِسْتَوْلى عَلَيْهِ نادِراً ما يَنْتابُهُ الغَضَبُ، اِنْتابَتْهُ رَعْشَةُ حُمَّى في اللَّيْلِ: حَلَّتْ بِهِ.
(حاول أن يتذكر الإحساس الذي **انْتابَه** حين غطّس يديه في الماء البارد)

جُمْلَتِي:

تَخْدِشُ (فعل) خَدَشَ: (فعل)
خدَشَ يَخدِش، خَدْشًا، فهو خادِش،
خَدَشَ وَجْهَهُ: خَمَشَهُ بِأَظَافِرِه، خَدَشَ سُمْعَتَهُ: عَابَهَا، خَدَشَ حَيَاءهُ: أَحْجَلَهُ، خَدَشَ الجِلْدَ: قَشَّرَهُ.
(أحسّ هدارة بالحجارة حين راحت **تَخْدِشُ** جلد ظهره)

جُمْلَتِي:

معجمُ الفصلِ التّاسعِ (هجومُ بناتِ آوى)

يَتَشَبَّثُ (فعل) تَشَبَّثَ: (فعل)
تشبَّثَ بـــ يَتَشَبَّث، تشبُّثًا، فهو مُتشبِّث،
تَشَبَّثَ بِمَقْعَدِهِ: تَعَلَّقَ بِهِ، يَتَشَبَّثُ بِرَأْيِهِ: يَتَمَسَّكُ بِهِ.
(قالت ماكو، وانحنت في محاولة لاقتلاع جذر كان **يَتَشَبَّثُ** بالأرض)

جُمْلَتِي:

حَدَّقَ (فعل) حَدَّقَ: (فعل)
حدَّقَ إلى / حدَّقَ بـــ / حدَّقَ في يُحَدِّق، تَحْديقًا، فهو مُحدِّق،
حَدَّقُوا بِالْمَريضِ: أَحاطوا بِهِ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ، حَدَّقَ إليه: شدَّد النَّظر.
(**حَدَّقَ** إلى يديه. لماذا كان شكله على ما هو عليه)

جُمْلَتِي:

دَهَمَهم (فعل) دَهَمَ: (فعل)
دهَمَ يَدْهَم، دَهْمًا، فهو داهم،
دهَم الأمرُ فلانًا: فَجَأه، أتاه غشِيه وفاجأه، دَهَمَتْهُ مُصيبَةٌ: ضَرَبَتْهُ، فاجَأَتْهُ بَغْتَةً.

(سرعان ما **دَهَمَهم** العطشُ مجدَّدا)

جُمْلَتِي:

السِّرْب (اسم) سِرْب: (اسم)

الجمع: أسْرابٌ

السِّرْب: الفريق مِن الطيرِ والحيوان، السِّرْب: النَّفْسُ والقَلْبُ، هو آمِن السِّرْب، وآمن في سِرْبِهِ: آمِنُ النفْس والقلْب، أو آمِنٌ على ما لهُ من أهْلٍ ومال، السِّرْب: الصّدْر، السِّرْب: الطريق والوِجْهَةُ.

(انطلق **السِّرْبُ** في مسيرته)

جُمْلَتِي:

غَرَزَ (فعل) **غَرَزَ: (فعل)**

غَرَزَ يَغْرِز، غَرْزًا، فهو غارز،

غَرَز فلانًا بالإبرة ونحوها: نخسه بها، غَرَز الإبرةَ في الثّوب: أدخلها فيه وأثبتها، ظُفر غارز: داخل في القدم أو اللحم.

(مما جعل هدارة يحسُّ بألم لا يطاق في أصابعه التي **غَرَزَها** في ثقب كل من البيضتين)

جُمْلَتِي:

وَخيمَة (اسم) وَخيم: (اسم)

الجمع: أوخام ووِخام ووَخَامَى، صفة مشبّهة تدلّ على الثبوت من وخُمَ، طعامٌ وخيمٌ: غيرُ موافقٍ لآكله، أَرْضٌ وَخِيمَةٌ: وَبِيئَةٌ، بَيْتٌ وَخِيمٌ: غَيْرُ مُلاَئِمٍ لِلسَّكَنِ، خَطَأٌ وَخِيمٌ: فَادِحٌ، عَمَلٌ وَخِيمُ العَاقِبَةِ: مُضِرٌّ، رَدِيءٌ، ضَارٌّ، عواقب وخيمة: جسيمة.

(لا بدّ أن تكون عاقبة هذه المسيرة **وَخيمَةً**)

جُمْلَتِي:

الفصلُ العاشرُ (هل تعنينَ أنّني لستُ طائرَ نعامٍ حقيقيٍّ)

باشْمِئْزاز (اسم) اِشْمَأَزَّ: (فعل)

اشْمَأَزَّ يَشْمَئِزّ، اشمئزازًا، فهو مُشمئِزّ ،

تَشْمَئِزُّ نَفْسُهُ: تَتَقَبَّضُ، تَنْفُرُ، اِشْمَأَزَّ مِنْهُ: نَفَرَ مِنْهُ كَراهَةً، اِنْقَبَضَ، ضاقَ بِهِ، فِعْلُهُ يُثيرُ الاشْمِئْزازَ: أَي التَّقَزُّزَ، الاحْتِقار، يَنْظُرُ إِلَيْهِ بِكُرْهٍ وَاشْمِئْزاز.

(كان يشدها حتى تفلت قبضتها عن جلد ماكو، ثم ينظر إليها **باشْمِئْزاز**)

جُمْلَتِي:

اصْطَكَّ (فعل) اِصْطَكَّ: (فعل)

اصطكَّ يَصْطَكّ اصطكاكًا، فهو مُصْطَكّ،

اصْطَكَّ الشيئان: صَكَّ أَحدُهما الآخر، اصطكّت ركبتاه وقدماه: اضطربتا، اِصْطِكاكُ الأَسْنانِ: اِهْتِزازُها، اِصْطِفاقُها.

(وراح جسدُه يرتجفُ، وأسنانُه **تصْطَكُّ** من البرْدِ)

جُمْلَتِي:

يَحُثُّهم (فعل) حَثَّ: (فعل)

حثّ، يَحُثّ حَثًّا، فهو حاثّ وحَثيث،

حثَّ الشَّخصَ: أعجله إعجالاً متّصلاً، حثَّ خطاه: أسرع فيها، حثَّه على الشَّيءِ: حضَّه عليه، شجَّعه، بعث فيه النَّشاط.

(أرسل حوج إشارة إلى الآخرين **يَحُثُّهم** فيها على إسراع خطاهم)

جُمْلَتِي:

الرَّذاذ (اسم) رَذَّ: (فعل)

رَذَّ يَرُذّ رَذًّا ورَذاذًا، فهو راذّ،

ردَّت السَّماءُ: أمطرت رَذاذًا، أي مطرًا خفيفًا، الرَّذَاذُ بالفتح: المطر الضعيف.

(كان المطر قد خفَّ، وتحوّل إلى **رَذاذٍ** ناعمٍ)

جُمْلَتِي:

معجمُ الفصلِ الحادي عشرَ (في جزيرةٍ مقطوعةٍ وسطَ الصَّحراءِ)

مَرْصوصَة (اسم) رَصَّ (فعل)

رَصَّ البُنْيانَ يَرُصّه رَصّاً، فهو راصّ،

رَصّ البناء: أَحْكَمَه وجَمَعه وضمّ بعضَه إلى بعض، وكلُّ ما أُحْكِمَ وضُمَّ، فقد رُصَّ.

(لكنّ الأرضَ **المَرْصوصَةَ** لم تتمكّن من امتصاص كلّ المياه)

جُمْلَتِي:

الفَوّارَة (اسم) فارَ: (فعل

فار يَفور، فُرْ، فَوْرًا وفَوَرانًا، فهو فائر،

فَارَتِ الْقِدْرُ: غَلَتْ، اِرْتَفَعَ مَا فِيهَا، فَارَ النَّبْعُ والماء: تَدَفَّقَ مَاؤُهُ مِنَ الأَرْضِ، فَارَ الْمِسْكُ فِي الْبَيْتِ: فَاحَ، اِنْتَشَرَتْ رَائِحَتُهُ.

(هكذا تكوّنت الأنهار الغزيرة **الفَوّارَةُ**)

جُمْلَتِي:

معجمُ الفصلِ الثاني عشرَ (ثلاثُ خيامٍ مهجورةٍ)

لم يَتَسَنَّ (فعل) تَسَنَّى: (فعل)

تسنَّى لـــ يَتَسَنَّى، تَسَنَّ، تسنّيًا، فهو مُتَسنٍّ،

تَسَنَّى الأَمْرُ: تَهَيَّأَ، أُتِيحَ، تَيَسَّرَ لَهُ.

(أحسَّ برغبة بأن يلمسَ أحدَها لكنّ ذلك لم **يَتَسَنّ** له؛ الغزلانُ حيواناتٌ حذِرةٌ)

جُمْلَتِي:

فَصيلَة (اسم) فَصيلة: (اسم)
الجمع: فَصَائِلُ
الفَصيلَة: عشيرةُ الرَّجُل ورَهْطُهُ الأدنَوْن، وأقربُ آبائِه إليه، الفَصيلَة (في النبات والحيوان): جملةُ أَجْناسٍ لها صفاتٌ مشتركة، الفَصيلَة: فرقة من الجيش، فصيلة الدَّم: (طب) واحدة من أربع فصائل يُصنَّف إليها دم الإنسان حسب خصائص كيميائيّة معيَّنة، جَاءوا بِفَصِيلَتِهِمْ: بِأَجْمَعِهِمْ.
(لم تكن سوى حيوانات صغيرة من **فَصيلَةِ** الأيل)
جُمْلَتِي:

فاغِر (اسم) فَغَرَ: (فعل)
فغَرَ يَفْغَر ويَفْغُر، فَغْرًا، فهو فاغِر،
فَغَرَ فَمَهُ: فَتَحَهُ، رأيته فاغر العينين: ذو عينين مفتوحتين بشكل كامل كما هو الحال عند التعجُّب.
(زحف بعد ذلك داخلا إحدى الخيام، ونظر حوله **فاغِرَ** الفم)
جُمْلَتِي:

معجم الفصلِ الثالثَ عشرَ (اليدانُ في المغارَةِ)

أَقَرَّتْ (فعل) أَقَرَّ: (فعل)
أقرَّ بـــ / أقرَّ لـــ يُقِرّ، أقْرِرْ / أقِرَّ، إقرارًا، فهو مُقِرّ،
أقرَّ المجرمُ / أقرَّ المجرمُ بالشَّيءِ: اعترف به، أقرّ بانتصار خصمه عليه، أقرَّ الرَّأيَ: رضيه وقبِله، أقرَّ لفان بحقِّه: اعترف له به، أقرَّ له بذنبه.
(عندها **أَقَرَّتْ** ماكو أنّ قطعة من القماش قد تكون مفيدة)
جُمْلَتِي:

مُنْهَمِكين (اسم) اِنْهَمَكَ: (فعل)
انهمكَ بـــ / انهمكَ على / انهمكَ في يَنْهَمِك، انهماكًا، فهو مُنهمِك،
اِنْهَمَكَ في الأَمْرِ: اِهْتَمَّ بِهِ، حاضَ فِيهِ، جَدَّ فِيهِ اِنْهَمَكَ فِي شُغْلِهِ، وَلَمْ يُبَالِ بِأَحَدٍ، يَنْهَمِكُ فِي شُؤُونِهِ الخَاصَّةِ، انْهَمَكَ فلانٌ في الأمر: جدَّ وثابر فيه برغبة وحرص.
(لم يكونوا **مُنْهَمِكين** بصيد الحيوانات)
جُمْلَتِي:

لتوّه (اسم) التَّوُّ (اسم)
تَوُّهُ: السَّاعَةُ، جاءَ تَوّاً: إذا جاءَ قاصداً لا يُعَرِّجُهُ شيءٌ، فإنْ أقامَ بِبَعْضِ الطَّريقِ، فَلَيْسَ بِتَوٍّ.
(كان حوج قد بنى **لتوّه** عشًّا جديدا)
جُمْلَتِي:

دَبٌّ (اسم) دَبَّ: (فعل)
دبَّ على / دبَّ في دَبَبْتُ، يَدِبّ، دَبًّا ودبيبًا وهو دابٌّ،
دَبَّ الفَسَادُ فِي الإِدَارَةِ: انْتَشَرَ، دَبَّ فِيهِ دَبِيبُ الحَيَاةِ: انْتَعَشَتْ فِيهِ الحَرَكَةُ، سَرَتْ فِيهِ الحَيَوِيَّةُ، دَبَّ الضَّعْفُ فِي أَعْضَائِهِ: سَرَى رُوَيْداً رُوَيْداً.
(كان قد تعلّم من سربه أنّه يجب **دَبُّ** الذّعرِ في الافاعي لتهرب)
جُمْلَتِي:

يَروقُ (فعل)راقَ (فعل)
راقَ لـــ يَروق، رَوْقًا ورَوَقانًا رَيْقاً وَرُيوقاً، فهو رائق،
راق من غضبه: ذهب عنه الغضبُ، سكَن غضبُه، راق الشَّيءُ فلانًا / راق الشَّيءُ لفلان: أعجبه وسرّه.
(كان **يَروقُ** له التَّمدّدُ على الأرض)
جُمْلَتِي:

الصُّعَداء (اسم) صُعَداء: (اسم)
الصُّعَدَاءُ: المَشَقَّةُ، تَنَفَّسَ الصُّعَدَاءَ: انْفَرَجَ هَمُّهُ وَضِيْقُهُ، تَنَهَّدَ تَنَهُّداً مَمْدُوداً بِعُمْقٍ.
(عندما رأى هدارة أنّهما ما زالا في مكانيهما تنفّسَ **الصُّعَداءَ**)
جُمْلَتِي:

ماهِيَّة (اسم)ماهِيَّة (اسم)
ماهيّة الشّيء: كُنْهُهُ وحقيقتُه (نِسْبَةً إِلَى مَا هُوَ)، مَاهِيَةُ الأَمْرِ: حَقِيقَتُهُ وَطَبِيعَتُهُ وَصِفَاتُهُ الجَوْهَرِيَّةُ
(لم يكن أفراد سرب النعام على علمٍ **بماهِيَّةِ** النّجوم)
جُمْلَتِي:

معجمُ الفصلِ الرّابعَ عشرَ (أخيرًا كائنٌ يُشبهني)

مَبْحوحًا (اسم) بَحَّ: (فعل)
بحَّ بَحَحْتُ، يَبَحّ بُحاحًا، فهو أبحّ ومَبْحوح،
بحَّ الشَّخصُ: غَلُظ صوتُه وخَشُن، صار أجشّ، بحَّ صوتَه لإقناع أخيه: بالغ في إقناعه.
(أطلقَ الحيوانُ الضّخمُ أنينًا **مَبْحوحًا**)
جُمْلَتِي:

التُّخْمَة (اسم) تَخِمَ: (فعل)
تَخِمَ يَتْخَم، تَخَمًا، فهو تخِم،
تَخِمَ الضَّيْفُ بَعْدَ أَكْلٍ دَسِم: أَصَابَتْهُ التُّخَمَةُ، أَيْ ثَقُلَ عَلَيْهِ الأَكْلُ، تخِم الشَّخْصُ: أصيب بتُخَمة، وهي داءٌ يصيبُ الإنسانَ من امتلاء المعدة.
(عزم على أن يأكل حتى **التُّخَمَة**)
جُمْلَتِي:

مُسَمَّرًا (اسم) سَمَّرَ: (فعل)
سَمَّرَ يُسَمِّر، تَسْميرًا، فهو مُسَمِّر ومُسَمَّر،
سَمَّر الخَشبَ ونحوَه: شدّه بالمسمار وثبّته بدقّه فيه، سمّره المرضُ في الفراش: منعه من الحركة، سَمَّرَه في مكانه: جمّده ومنعه من الحركة.
(لكنّه ظلّ مستلقيا، وكان **مُسَمَّرا** فوق صخرة)
جُمْلَتِي:

مَعْقوفَة (اسم) عَقَفَ (فعل)
يَعْقِف، عَقْفًا، فهو عاقف ومعقوف،
عَقَفَ العُودَ: عَوَّجَهُ، حَنَاهُ، لَوَاهُ.
(كانت السِّكّينُ طويلةً **ومَعْقوفَةً**)
جُمْلَتِي:

قاحِلَة (اسم) قَحَلَ (فعل)
قَحَلَ يَقْحَل، قُحُولاً، فهو قاحِل،
قَحِلَتِ الأَرْضُ: لَمْ تَعُدْ تُنْبِتُ نَبَاتاً بِسَبَبِ قَحْطٍ أَوْ جَفَافٍ: قَحَلتِ البحيرةُ بعد نضوب مائها.
(كانت المنطقة الممتدة في الجهة الأخرى من سلسلة الجبال جافة **وقاحِلَةً**)
جُمْلَتِي:

قَصَبَة (اسم)قَصَبة: (اسم)
الجمع: قَصَبات وقَصَب
القَصَبَةُ: كلّ أنبوبة في ساق الشجرة تنتهي بعُقدتين، القَصَبَةُ: كلّ عظم مستدير أجوف ذي مُخّ
القَصَبَةُ من البلاد: مَدِينتُها.
(عندما وجد **قَصَبَةً** قطّعها وحملها معه)
جُمْلَتِي:

يانِعَة (اسم) يَنَعَ: (فعل)
يَنَعَ يَيْنَع، يَنْعًا ويُنوعًا، فهو يانِع،
يَنَع الثَّمرُ: نضج، طاب وحان قِطافه، يَنَع الوَرَدُ: اشتدّت حُمْرتُه، اليَانِعُ: الثَّمَرُ الناضج.
(رأى في مخيلته أشجارا كثيرة تكسوها أرواق خضراء، وبراعم **يانِعَةٌ**)
جُمْلَتِي:

معجمُ الفصلِ الخامسَ عشرَ (الهجومُ)

الأَجَمَة (اسم) أجَمة: (اسم)
الجمع: أَجَمات وآجام وأَجَم،
الأَجَمَة: الشجر الكثير الملتفّ، أرض برّيّة غير مترعة تتكاثف فيها الأشجار.

(لم يطق الأسد فكرة البلل بالماء؛ ولذلك توقف عن مطاردة الفريسة عاد بعد ذلك أدراجه واختفى في **الأَجَمَة** الكثيفة)

جُمْلَتِي:

مُتَهادِيَة تَهادَى (فعل)

تهادى يَتَهادَى، تَهادَ، تهاديًا، فهو مُتهادٍ،

تَهَادَى فلانٌ بينَ رجلين: اعتمد عليهما من ضَعف، يقال: جاءَ فلانٌ يتهادى بين اثنين، وتَهَادَى القومُ: أَهدى بعضُهم إلى بعض، وتَهَادَت المرأَةُ: تمايَلَتْ في مِشيتها من غير أَن يماشيَها أَحد.

(كان قد حاول طوال حياته أن يركض كأفراد عائلته النعامات بخطوات طويلة **مُتَهادِيَةٍ**)

جُمْلَتِي:

يتَوَغَّل (فعل) تَوَغَّلَ: (فعل)

توغَّلَ في يَتَوَغَّل، توغُّلاً، فهو مُتَوغِّل،

تَوَغَّلَ فِي أَدْغَالِ الغَابَةِ: وَلَجَ فِي دَاخِلِهَا، تَوَغَّلَ فِي أَقَاصِي البِلاَدِ: تَغَلْغَلَ فِيهَا، ذَهَبَ فِيهَا وَبَالَغَ وَأَبْعَدَ، تَوَغَّلَ فِي العُلُومِ: نَالَ مِنْهَا نَصِيباً وَافِياً.

(تخبّط بسرعة **لِيَتَوَغَّلَ** في عمق الماء)

جُمْلَتِي:

معجمُ الفصلِ السّادسَ عشرَ (الهجومُ)

يَتَعاطى (فعل) تَعاطى (فعل)

تعاطى يَتَعاطى، تعاطَ، تعاطيًا، فهو مُتعاطٍ،

تعاطى القومُ الشَّيءَ: ناول بعضُهم بعضًا، أعطاه بعضُهم لبعضٍ أو تناولوه، تعاطَوا الهدايا، تَعَاطَى فَنَّ الرَّسْم: اِشْتَغَلَ وَخَاضَ فِيهِ، يَتَعَاطَى وَالِدُهُ مِهْنَةَ الْمُحَامَاةِ: يُزَاوِلُهَا، يُمَارِسُهَا، تعاطى الشِّعْرَ: انقطع إليه وانصرف.

(قرّر وهو جالس فوق شجرة الأكاسيا ألا **يَتَعاطى** مع الكائنات البشرية على الإطلاق)

جُمْلَتِي:

رَتيبَة (اسم) رَتَبَ: (فعل)

رتَبَ يَرْتُب، رُتوبًا ورَتابةً ورَتْبًا، فهو راتِب ورَتيب،

رتَب الأمرُ أو الشَّيءُ: ثبت واستقر و لم يتحرّك، رَتَبَ الرَّجُلُ: ثَبَتَ، اِسْتَقَرَّ فِي الْمَقَامِ الصَّعْبِ، برتابة: بطريقة نظاميّة أو روتينيّة أو ميكانيكيّة، وثبات، حالة من التعب تصيب الإنسان نتيجة التعرُّض لمؤثِّر منقطع يتوالى على وتيرة واحدة كالحركات أو الأصوات أو الأضواء الرتيبة.

(كان هناك الكثير من الطعام بعد المطرالغزير. كانت الحياة طيبة **ورتيبَةً**)

جُمْلَتِي:

كطابور (اسم) طابور (اسم)

جمع طَوابيرُ:

صفٌّ من أيّ شيء: اصطفّ الطُّلاب في طابور الصباح، طابور من السيارات، مجموعة من الجنود من ثمانمائة إلى ألف، وقف الطابورُ في الميدان، الطَّابور الخامس: جماعة من المواطنين تساعد العدُوَّ في السِّرّ بالتجسس لصالحه.

(أربعة عشر من الجمال تحمل البضائع، وأربع تحمل فرسانا، ظهروا جميعا في بداية الأمر **كطابورٍ** من النّمل)

جُمْلَتِي:

مُلَطَّخَة (اسم) لطَّخَ: (فعل)

لطَّخَ يُلَطِّخ، تلطيخًا، فهو مُلطِّخ، والمفعول مُلطَّخ،

لطّخ ثيابَه بالدّهن: لطَخها، لوّثها ووسّخها، غيّرها وأفسد لونَها، لطّخ يديه بالدَّم: ارتكب جريمة قتل لطّخ سمعةَ جارِه: أساء إلى شرفه بتصرُّف شائن لطّخ شرف العائلة بسوء سلوكه.

(عندما وضع رأس الأسد على الأرض ثانية، كانت ملابسه **مُلَطَّخَةً** كلّيًّا بالدماء)

جُمْلَتِي:

معجمُ الفصلِ السّابعَ عشرَ (غزالةٌ على وشكِ الموتِ)

أُحْتَضَر (فعل) أُحتُضِرَ: (فعل)

أُحتُضِرَ يُحْتَضَر، احتضارًا، والمفعول مُحْتَضَر،

أُحْتُضِرَ الْمَرِيضُ: حَضَرَهُ الْمَوْتُ، يَعِيشُ لَحْظَةَ الاحْتِضَارِ: لَحْظَةَ الْمَوْتِ، النَّزْعَ الأَخِيرَ، لَحْظَةَ خُرُوجِ الرُّوحِ.

(لا، قالت ظَبي. لقد بكيت لأنني كنت **أُحْتَضَرُ**؛ الغزلان كلُّها تبكي حبن تكون علة عتبة الموت)

جُمْلَتِي:

عارِم (اسم) عَرَمَ: (فعل)

عرَمَ يَعْرُم، عَرْمًا، فهو عارِم،

عَرَمَ الرَّجُلُ/ الشّيء: اِشْتَدَّ وَخَرَجَ عَنِ الْحَدِّ، عَرَمَ الرَّجُلُ: خَبُثَ وكان شِرِّيرًا، سَيْلٌ عَرِم: الّشديدُ الجارِفُ الذي لا يُحْتَمَلُ.

(كانت الغزالة تُحْتَضَرُ، فشعر هدارة بحزن عارِمٍ يفور من أعماقه)

جُمْلَتِي:

مُهَشَّم (اسم) هشَّمَ (فعل)

يُهَشِّم، تَهْشيمًا، فهو مُهشِّم، والمفعول مُهشَّم،

هَشَّمَ الْحَطَبَ: كَسَّرَهُ، زُجَاجٌ مُهَشَّمٌ: مُكَسَّرٌ، مُحَطَّمٌ، مُهَشَّمُ الرَّأْسِ: مُصَابٌ فِي رَأْسِهِ بِجُرُوحٍ.

(محا بعد ذلك صورة يده بسرعة، وصوَّب بحجر، ورماه على جذع شجرة مُهَشَّمٍ)

جُمْلَتِي:

معجمُ الفصلِ الثامنَ عشرَ (هجومُ اللبؤةِ)

كَثَب (اسم) **كَثَب: (اسم)**
قُرْب وتمكُّن، رماه من كَثَبٍ: أَي قُرْبٍ وتمكُّن.
(ما عدا ماكو التي كانت ترقد فوق العش. كانت تراقب المكان عن **كَثَبٍ**)
جُمْلَتِي:

العَرين (اسم) **عَرين: (اسم)**
الجمع: عرائِنُ وعُرُن
العَرِينُ: مأْوى الأسدِ والضَّبُع والذِّئبِ والحيَّةِ العظيمة، العَرِينُ: جماعة الشجر، العَرِينُ: فِناءُ الدار والبَلَدِ والجمع: عُرُنٌ، العَرِينُ: العِزُّ والمَنَعَةُ.
(عزمت على قتْل واحد منها لتعود بها إلى صغارها في **العَرينِ**)
جُمْلَتِي:

ماسَّة (اسم) **ماسّ: (اسم)**
فاعل من مَسَّ، خَطٌّ مَاسٌّ: خَطٌّ لاَمِسٌ لِشَيْءٍ، مَاسٌّ: عاجل متأكِّد، ضروريّ، ملحّ، حاجة ماسَّة: مُهِمَّة أو مُلِحَّة، رَحِم ماسّة: قرابة قريبة.
(هدارة كان أيضا بحاجة **ماسَّةٍ** إلى الماء)
جُمْلَتِي:

معجمُ الفصلِ التّاسعَ عشرَ (صيّادٌ ومتحرٍّ صَحراويٌّ)

ادّعاءات (اسم) **اِدَّعَى (فعل)**
اِدَّعَى، يَدَّعِي اِدِّعَاءٌ فهو مدّع،
اِشْتَدَّ بِي التَّعَبُ فادَّعَيْتُ الرَّاحَةَ: تَمَنَّيْتُهَا، اِدَّعَى عَلَيْهِ: حَاكَمَهُ عِنْدَ القَاضِي، اِدَّعَى بِأَنَّ الكِتَابَ لَهُ: زَعَمَ أَنَّهُ لَهُ حَقّاً أَوْ بَاطِلاً.
(لكنّه كان يضحك في أعماقه، يا لَها من **ادِّعاءاتٍ** سخيفة)
جُمْلَتِي:

مُنْقَرِضًا (اسم) **اِنقَرَضَ: (فعل)**
انقرضَ / انقرضَ عن يَنْقَرِض انقراضًا، فهو مُنْقَرِض،
انْقَرَضَ الشيءُ: انقطع، انْقَرَضَ القومُ: ذهبوا و لم يبقَ منهم أَحدٌ، اِنقراض: اختفاء نوع من الأحياء من فوق وجه الأرض كلّه بدون رجعة.
(لهذا كان يظن أن اللبؤة تنتمي إلى فصيلة الأسد الأطلسيّ الذي كان **مُنْقَرِضًا** تقريبًا)
جُمْلَتِي:

تَحَرٍّ (اسم) تَحَرّى: (فعل)
تحرّى / تحرّى عن / تحرّى في يَتَحَرّى، تَحرّ، تحرّيًا، فهو مُتحرٍّ ،
تَحَرّى الحَقِيقَةَ: بَحَثَ عَنْهَا، يَتَحَرّى الأُمُورَ قَبْلَ البَدْءِ فِي أَيِّ مَشْرُوعٍ: يَتَقَصَّاهَا بِالبَحْثِ وَالتَّنْقِيبِ وَالتَّفْتِيشِ، مِهْنَةُ الصِّحَافِيِّ تَدْعُوهُ إِلَى أَنْ يَتَحَرّى صِحَّةَ الأَخْبَارِ: أَنْ يَتَأَكَّدَ مِنْهَا وَمِنْ مَصَادِرِهَا مُبَاشَرَةً.
(عندما سألت عن متقصّي آثار في عاصمة موريتانيا ذكر الجميع اسمك، حتى أن البعض قال إنك **تَحَرٍّ** صحراويّ)
جُمْلَتِي:

مُتَقَصٍّ (اسم) تَقَصّى: (فعل)
تقصّى / تقصّى عن / تقصّى في يتقصّى تقصّيًا، فهو مُتقصٍّ،
تَقَصّى الْمَوْضوعَ: بَحَثَ فيهِ بَحْثاً مُسْتَفيضا، جاءَ يَتَقَصّى الحَقائِقَ في عَيْنِ الْمَكانِ: يَبْحَثُ في تَفاصيلِها عَنْ قُرْبٍ وبدقة، تقصى خُطاه: تابعه، اقتدى به.
(إذا أراد أن يعثر على **مُتَقَصٍّ** للآثار ما عيه سوى أن يوظّف سيدي إبراهيم لحسابه)
جُمْلَتِي:

يُخَضْخِضُ (فعل) خَضخَضَ: (فعل)
خضخضَ يُخَضْخِض، خَضْخَضَةً، فهو مُخَضْخِض،
خَضْخَضَ الشيءَ: حَرَّكَهُ ورَجْرَجَهُ.
(كان الجيب يقفز هنا، **ويُخَضْخِضُ** هناك)
جُمْلَتِي:

عاتِق (اسم) عاتِق: (اسم)
الجمع: عواتق، وعُتَّق
العَاتِقُ: ما بينَ المَنْكِب والعُنُق، أخَذ الأمرَ على عاتقه: تكفَّل بالقيام به، على نفسه، ألقى على عاتق فلان: كلَّفه به وألزمه، تقع المسئوليّة على عاتقه: يتحمّل المسئوليّة، لا يضع العَصَا عن عاتقه: كثير الأسفار.
(لكنه لم يتمكن من الدخول إلى خيمته، وترك تلك المهمة الصعبة على **عاتِقِ** العربيِّ وحده)
جُمْلَتِي:

مُقَرْفِصًا (اسم) قَرفَصَ: (فعل)
قرفصَ يُقَرْفِص، قرفصةً، فهو مُقَرْفِص،
قرْفص الشَّخصُ: جلس على الأرض شادًّا يديه تحت رِجْلَيه.
(لم يوافق لوك على أن يجلس **مُقَرْفِصًا** بالقرب من الموقد)
جُمْلَتِي:

يَسْتَدْرِج (فعل) **اسْتَدْرَجَ (فعل)**
يَسْتَدْرِجُ، استدراجًا، فهو مُسْتَدْرِج،
اِسْتَدْرَجَهُ فِي أَثْنَاءِ الحَدِيثِ: حَاوَلَ أَنْ يَجْعَلَهُ يَعْتَرِفُ بِتَحَايُلٍ، استدرج فلانًا إلى كذا: خَدَعه حتى أطاعه، حمله على أن يفعل ما يريد بالإغراء أو الحيلة.
(لم تشكّل بنات آوى تذكارات صيد قيّمة، لكنّه قد يستفيد من اللّحم فيستعمله كطعم **يَسْتَدْرِجُ** به الشِّبل الصغيرَ)

جُمْلَتِي:

جيفَة (اسم) جِيفة (اسم)
جمع جِيفَات وجِيَف، جمع الجمع أجياف،
جُثَّة الميّت إذا أنتنت، ما يسبِّب النَّتانة والرَّائحة الخبيثة من أوساخ ونحوه.
(انتصب واقفا بكامل طوله، ومشى باتّجاه **جِيفَةِ** الحيوانِ)

جُمْلَتِي:

الطُّعْم (اسم) **طُعْم: (اسم)**
الجمع: طُعُومٌ، أَطْعَامٌ،
الطُّعْمُ: الطَّعَامُ، الطُّعْمُ: ما يُلْقَى للسمكِ وغيرِه لاصطيادِه، ويُطلَقُ مجازًا على كل ما يُتَوَصَّلُ به إلى شيءٍ، كالرَّشوة والهبة والهَدية، الطُّعْمُ: المَصْل يُحْقَن به الجسمُ ليكتسب مناعةً من المرض، بلَع الطُّعْمَ: انخدع وجازت عليه الحيلة.
((لم تشكّل بنات آوى تذكارات صيد قيّمة، لكنّه قد يستفيد من اللّحم فيستعمله **كَطُعْمٍ** يَسْتَدْرِجُ به الشِّبل الصّغيرَ)

جُمْلَتِي:

بالعواقِب (اسم) **عاقِبة: (اسم)**
الجمع: عواقبُ،
العَاقِبَةُ: الولدُ والنَّسْل، العَاقِبَةُ: الجزاءُ بالخير، أمرٌ وخيم العاقبة: مُضِرّ، رديء سيّئ، العاقبة عندكم في المسرَّات: عبارة تذيَّل بها بطاقات الدّعوة لحفلات الزِّفاف، عبارة تستخدم في المجاملة وردّ التهنئة.
(لقد أحضر هدارة صديقته الجديدة إليهم دون أن يفكر **بالعَواقِبِ**)

جُمْلَتِي:

جَناه (فعل) جنَى (فعل)
يَجْني، اجْنِ، جِنايةً، فهو جانٍ،

جَنَى الشَّخْصُ: أذنب، ارتكب جُرْمًا، جَنَى ثِمَارَ مَا غَرَسَ: قَطَفَهُ، غَنَمَهُ، على نفسها جَنَتْ براقش: يُقال لمن كان سببًا في أذى، جَنَى عَلَى نَفْسِهِ: أَسَاءَ إِلَيْهَا.
(كان الصَّيّاد لوك أوكونر سعيدًا جدّا بما **جَناه** ذلك اليوم)

جُمْلَتِي:

دَغَل (اسم) دَغَل (اسم)
جمع الجمع أَدْغال ودِغال،
شجر كثيرٌ ملتفٌّ يُتَخفَّى فيه، منطقة حيويّة كالصَّحراء تتميّز بصيف حارّ وجافّ وشتاء بارد ورطب، وتتميّز بنموٍّ كثيف لجنبات خضراء صغيرة الأوراق.
(نقر بعض الحجارة أوّلا، ثمّ شدّ ببعض الجذور من الأرض، وراح يأكل من **دَغَلٍ** أوراقًا خضراء)

جُمْلَتِي:

فَحيحًا (اسم) فَحَّ (فعل)
فَحَّ فَحَحْتُ، يَفُحّ ويفِحّ فَحًّا وفحيحًا، فهو فاحّ،
فحَّتِ الأفعى: صوّتت من فمها، صوّتت بشدّة فخرج الصّوتُ من جوفها كأنّها تتنفّس.
(رأى الأمريكيّ الولد العاري الذي وجّه إليه **فَحيحًا** مليئًا بالغضب)

جُمْلَتِي:

هَدير (اسم)هَدَرَ (فعل)
يَهْدِرُ هَدْر، هَديراً. فهو هادِر،
هَدَرَ الْحَمَامُ: قَرْقَرَ، أَيْ كَرَّرَ صَوْتَهُ فِي حَنْجَرَتِهِ، هَدَرَ الْبَعِيرُ: رَدَّدَ صَوْتَهُ فِي حَنْجَرَتِهِ، هدر محرك السيارة: أَحْدَثَ صَوْتاً مُدَوِّياً.
(وصل إلى مسمعه صوت **هَديرٍ** من بعيد)

جُمْلَتِي:

معجمُ الفصلِ الثّاني والعشرينَ (الهربُ)

مُبَرِّح (اسم) بَرَّحَ: (فعل)
برَّحَ بـــ / برَّحَ عن / برَّحَ في يُبَرِّح تَبْرِيحًا، فهو مُبَرِّح،
بَرَّحَ بِهِ الْمَرَضُ: أَتْعَبَهُ وآذاهُ، بَرَّحَ اللهُ عَنْهُ: كَشَفَ عَنْهُ الأَذَى والعَذابَ الشَّديدَ وَنَفَّسَ عَنْهُ، بَرَّحَتْ بِهِ الحُمَّى: أَصابَتْهُ بُرَحاؤُها، أَي شِدَّتُها، بَرَّحَ به الضربُ: اشْتدَّ، بَرَّحَ بفلان الأمرُ: جَهَده وشق عليه، ومنه: بَرَّحت به الحمَّى: أصَابته بُرحاؤها.
(شعر هدارة بألم **مُبَرِّحٍ** حين لامس لسان اللبؤة الخشن يده المحروقة)

جُمْلَتِي:

المُتَوَرِّمَة (اسم) تورَّمَ (فعل)
تورَّمَ يَتورَّم، تورُّمًا، فهو مُتورِّم،
تورَّمت عَيْنُه: انتفخت وتغلَّظت من مَرَضٍ بها؛ تورَّم الجلدُ، تورَّم إصبعه.

(كانت يد هدارة الحمراء **المُتَوَرِّمَةُ** تؤلمه كثيرًا)

جُمْلَتِي:

العاتِيَة (اسم) **عَتا: (فعل)**

عتا يَعْتو، اعْتُ، عُتُوًّا، فهو عاتٍ،

عَتَا عَلَى جِيرَانِهِ: اِسْتَكْبَرَ وَجَاوَزَ الْحَدَّ فِي مُعَامَلَتِهِمْ، عَتَتِ الرِّيحُ: اِشْتَدَّتْ، قَوِيَتْ.

(سوف ينتشر ذلك الفيلم كالنّيران **العاتِيَة** في جميع أنحاء المعمورة)

جُمْلَتِي:

الهَلَع (اسم) هلعَ (فعل)

يَهْلَع، هَلَعًا وهُلوعًا، فهو هَلِع وهَلوع،

هلِع فلانٌ: جزِع، خاف خوفًا شديدًا.

(تذكّر **الهَلَعَ** الذي أصابه عندما رأى جلد اللبؤة معلّقًا على أحد جوانب الخيمة)

جُمْلَتِي:

معجمُ الفصلِ الثالثِ والعشرينَ (جنّةٌ لطيورِ النّعامِ)

لوّحَتْه (فعل) **لَوَّحَ: (فعل)**

لوَّحَ بـــ يُلَوِّح، تلويحًا، فهو مُلوِّح، والمفعول مُلوَّح،

لَوَّحَ بالشيء: أظهره ولمع به، لوّح بالشَّيء في كلامه: لمّح؛ أشار إشارات خفيّة، لَوَّحَ البردُ أَو السُّقْمُ أَو الحزنُ فلاناً: غيَّره وضمَّره، لوّحته الشمسُ: غيَّرتْه وشفَعت وجهَه، لَوَّحَ الشَّيبُ فُلاناً: بيَّضَه، لَوَّحَهُ بِالعَصا: ضَرَبَهُ بِها.

(رأى سيدي إبراهيم ذلك الجسد المكتنز العضلات، والذي **لوَّحَتْه** أشعّة الشمس)

جُمْلَتِي:

بِمَثابَة (اسم) **مَثابة: (اسم)**

اسم مكان من ثابَ / ثابَ إلى،

بيت أو موضع أو ملجأ يُرجَع إليه مرّةً بعد أخرى: مجتمعًا ومترلاً ومرجعًا يرجعون إليه، بمَثابة: بمترلة أو مرتبة، كبديل مساوٍ، أو عوضًا عن؛ كان فلان لي بمثابة أبٍ.

(هذا مكان رائع، إنّه **بِمَثابَةِ** جنّةٍ لطيور النعام)

جُمْلَتِي:

مُشَعَّث (اسم) **شَعَّثَ: (فعل)**

شعَّثَ يُشَعِّث، تشعيثًا، فهو مُشعِّث ومُشعَّث،

شعّث الشّيءَ: فرّقه، شعر مُشَعَّث: مُتلبِّد، غير نظيف.

(شعر طويل ناعم أسود لكنّه **مُشَعَّثٌ** للغاية)

جُمْلَتِي:

باهِظًا (اسم) **باهِظ: (اسم)**

الجمع: بَواهِظُ، المؤنث: باهِظة، اسم فاعل من بَهَظَ،

تَحَمَّلَ ثَمناً باهِظاً: غالياً مُفْرِطاً كَلَّفَهُ العُرْسُ نَفَقَاتٍ باهِظَةً، كَلَّفَهُ أَمْراً باهِظاً: شاقّاً، كانَتِ الأَسْعَارُ بَاهِظَةً: مُرْتَفِعَةً جِدّاً.

(وقد اشترى لنفسه بدلة جديدة بلون الرَّمل، كان ثمن البدلة **باهِظًا**)

جُمْلَتِي:

يَتَذَمَّر (فعل)تذمَّرَ (فعل)

تذمَّرَ على / تذمَّرَ من يَتَذَمَّر، تذمُّرًا، فهو مُتذمِّر،

تَذَمَّرَ مِنْ مُسْتَوَاهُ: لامَ نَفْسَهُ لَوْماً شَدِيداً، تَذَمَّرَ مِنَ الأَوْضَاعِ السَّيِّئَةِ: تَشَكَّى، تَوَجَّعَ، تَذَمَّرَ: غضب وتعصَّب.

(كان دائما ينسحب إلى الزوايا المظلمة، **ويَتَذَمَّرُ** كذئبٍ صغير)

جُمْلَتِي:

يترَعْرَعون (فعل) **تَرَعرَعَ: (فعل)**

ترعرعَ يَتَرَعْرَع، تَرَعْرُعًا، فهو مُترعرِع،

تَرَعْرَعَ الطِّفْلُ فِي حِضْنِ وَالِدَيْهِ: نَشَأَ وَشَبَّ، تَرَعْرُعُ الطِّفْلِ: نَشْأَتُهُ، شَبُّهُ.

(هناك كتاب عن الأطفال الذين **يترَعْرَعون** مع الحيوانات)

جُمْلَتِي:

مِثْقال (اسم) **مِثقال: (اسم)**

الجمع: مَثاقيل،

المِثْقال: وزنٌ مقداره درهم وثلاثة أسباع درهم، ألقى عليه مثاقيله: تكاليفه وهمومه.

(لكنّها قصص قديمة جدا، ولا يمكننا معرفة إذا كان هناك **مِثْقالُ** من الحقيقة في إحداها)

جُمْلَتِي:

مَرْموق (اسم) **مَرْموق: (اسم)**

مَرْموق: اسم المفعول من رَمَقَ،

رَجُلٌ مَرْمُوقٌ: ذُو مَكَانَةٍ، ذُو مَنْزِلَةٍ عَالِيَةٍ أَثَرٌ مَرْمُوقٌ مَكَانَةٌ مَرْمُوقَةٌ.

(يجلس الآن في واشنطن؛ ليحاضر لثلاثة من الرجال ذوي المركز **المَرْموقِ** في مؤسسة ناشونال جيوغرافيك)

جُمْلَتِي:

يَأْبَه(فعل) أَبَهَ: (فعل)
أَبَهَ إلى / أَبَهَ بـــ / أَبَهَ لـــ يَأْبَه، أَبْهًا، فهو آبه،
أَبَه له: فطن له وتنبَّه، عُني به واهتمَّ له، أَبَهَ لِحَرَكَاتِهِ: فَطِنَ بِهَا، هَذَا الأَمْرُ لا يأبه لَهُ أَوْ بِهِ: لاَ يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ.
(تسلّق شجرة عالية، كانت الشجرة شائكة وجرحته، لكنّه لم **يَأْبَهْ** للأمرِ)

جُمْلَتِي:

مُحْدِق (اسم) أحدقَ(فعل)
أحدقَ / أحدقَ بـــ يُحْدِق، إحداقًا، فهو مُحدِق،
أحدَقَ به: حدَق، أحاطَ به من كُلِّ جهة، أحدقت به الهمومُ والشَّدائدُ / المنيَّةُ / الأخطارُ.
(لقد شعرت بوجود خطر **مُحْدِقٍ** أتى من الخلف، ودب الذعر فيها)

جُمْلَتِي:

دَبْقَتَين(اسم)دَبقَ: (فعل)
دَبَقَ، يَدْبَقُ دَبَقًا
دَبِقَ الوَرَقُ: لَصِقَ، دَبِقَ بِالشَّيْءِ: لَصِقَ بِهِ وَلَمْ يُفَارِقْهُ.
(ثم اقترب الشيء الأسود أكثر، وأمسكت به يدان، أحسّ بيدين باردتين **دَبِقَتَيْنِ** تلامسان ظهره)

جُمْلَتِي:

رَخْوَة(اسم) رَخَا (فعل)
يَرْخو، رَخاءً ورَخاوةً، فهو رَخِيّ وهو رَخْو،
رخا العيشُ: اتَّسع وكان هنيئًا، رَخَاوَةُ العَيْش: اتِّسَاعُهُ، رَخَاوَةُ مَادَّة مَّا: هَشَاشَتُهَا، لِينُهَا.
(صارت الأرض تحت أقدامه رَخْوَةً، وكأنّها تحوّلت إلى رمال متحرّكة)

جُمْلَتِي:

يَفْقَه(فعل) فقِهَ (فعل)
فقه عن يَفْقَه، فِقْهًا وفَقَهًا، فهو فَقِه،
فقِه الرَّجُلُ: علم وكان فقيهًا، فقِه الأمرَ: فهِمه بعد جهل وأدركه بعد تفكير، أحسن إدراكه، فقِه عنه: فهِم.
(لم **يَفْقَهْ** هدارة شيئا. لماذا يختفون فجأة هكذا؟)

جُمْلَتِي:

قَطيع(اسم) قَطِيع: (اسم)
الجمع: أقاطيعُ وقُطْعان،
القَطيعُ من الشجرة: الغصنُ يُقطعُ منها، القَطيعُ: الطائفةُ من الغَنم والنَّعم وغيرها، القَطيعُ: المثْلُ والنَّظير والجمع: قُطَعاء، فلانٌ قطيعُ فلان: شبيهه في خَلْقه، هذا الثوبُ قطيعُ هذا: نظيرُه.
(لم يكن يريد إخافة **القَطيعِ**؛ لذلك توقّف عندما رأى أنّ قائدة القَطيعِ رأته)

جُمْلَتِي:

يُتاح(فعل) أَتَاحَ: (فعل)
أتاحَ يُتيح، أَتِحْ إتاحَةً، فهو مُتِيح، والمفعول مُتاح،
أتاح له الفرصةَ قدّرها له وهيّأها، يسّرها له وجعلها في متناول يده أتاحت له الظروف النجاح في مسعاه، أمرٌ مُتاح للجميع، أَتاحَ اللهُ خَيْراً عَمِيماً: قَدَّرَهُ، في حدود المُتاح: على قدر الموجود.
(أتمنّى أن **يُتاحَ** لي البقاء هنا لمدّة ثلاث سنوات أخرى)
جُمْلَتِي:

اعْتَراهما(فعل) اعترى (فعل)
يَعتري اعتراءً، فهو مُعتَرٍ،
يَعْتَرِيهِ الزُّكامُ مِنْ حينٍ لآخَرَ: يُصيبُهُ، إعْتَراهُ الخَوْفُ: اِسْتَوْلى عَلَيْه لا يَعْتَريها الخَوْفُ.
(ولذلك أحضرا معهما آلتين للتصوير، ومجموعتين مختلفتين من معدّات التسجيل والميكروفونات. بالرغم من ذلك **اعْتَراهما** القلق.)
جُمْلَتِي:

انطباعًا(اسم) انطَبَعَ: (فعل)
انطبعَ / انطبعَ بـــ / انطبعَ في يَنْطَبِع، انطباعًا، فهو مُنطبِع،
انطبع بالأخلاق الحميدة: اتّسم بحُسْن الخُلُق انطبع بحُسن التصرّف في الأمور، اِنْطَبَعَ الخَتْمُ: رُسِمَ، انطبعت الفكرةُ في ذهنه: ترسّخت وثبتت، خَلَّفَ لَدَيْهِ انْطِباعاً خاصّاً: إدْراكاً، إحْساساً.
(استعمال الشبكة سيضفي طابعًا دراميًا على الإمساك بالولد، وسيترك **انْطِباعًا** ناجحًا على الفيلم)
جُمْلَتِي:

المُتداوَلَة(اسم) تَداوَلَ: (فعل)
تداولَ / تداولَ في يَتَداوَل، تَداوُلاً، فهو متداوِل، والمفعول متداوَل،
تَدَاوَلُوا نَتَائِجَ الامْتِحَانِ: تَبَادَلُوا مَا يَتَعَلَّقُ بِهَا فِيمَا بَيْنَهُمْ، سَيَّارَةٌ تَدَاوَلَتْهَا الأَيْدِي: قَادَتْهَا، اِسْتَعْمَلَتْهَا أَيْدٍ مُخْتَلِفَةٌ، أَيِ انْتَقَلَتْ مِنْ يَدٍ إِلَى أُخْرَى، تَدَاوَلَ النَّاسُ آخِرَ الأَخْبَارِ: تَنَاقَلُوهَا وَتَبَادَلُوا فِيهَا الرَّأْيَ، تَدَاوَلَتِ الأيدي الشيءَ: أخذته هذه مرة، وهذه مرة، تداول النّقد: انتقاله من يد إلى يد في البيع والشّراء، الكلام المتداوَل: المستخدم في لغة الحياة اليوميّة.
(كان غاي قد عاش ثلاث سنوات في الصحراء، وتعلّم ثلاثا من اللغات **المُتداوَلَة** في الصحراء الكبرى)
جُمْلَتِي:

طابعًا(اسم) طابعًا(اسم)
طبيعة، صفة غالبة، ما يُتأثّر به من خُلق الإنسان وسجاياه: مُعلِّم له طابع خاصّ، يَتَمَيَّزُ شِعْرُهُ بِطَابِعٍ تَقْلِيدِيٍّ: الصِّفَةُ، العَلامَةُ الْمُمَيِّزَةُ لِشِعْرِهِ، هَذَا طَابِعُهُ: طَبِيعَتُهُ، سَجِيَّتُهُ الَّتِي جُبِلَ عَلَيْهَا، فِي وَجْهِهِ طَابِعُ حُسْنٍ: عَلامَةُ حُسْنٍ، طَابِعٌ سِيَاسِيٌّ: صِيغَةٌ سِيَاسِيَّةٌ، تَوَجُّهٌ سِيَاسِيٌّ طَابِعٌ اِقْتِصَادِيٌّ طَابِعٌ اِجْتِمَاعِيٌّ.

((استعمال الشبكة سيضفي **طابعًا** دراميًّا على الإمساك بالولد، وسيترك انْطِباعًا ناجحًا على الفيلم)

جُمْلَتِي:

فَريدَة(اسم) فَريد: (اسم)

الجمع: فَرائدُ،

الفَرِيدُ: الفَرَدُ، واحد، نادر، لا نظير له، لا مثيل له، الفَرِيدُ: الحَبُّ من فِضَّةٍ وغَيرِها يَفْصِلُ بين حبّاتِ الذَّهب واللُّؤْلؤِ في العِقْد، الفَرِيدُ: الجوهرة النَّفيسة، عَمَلٌ فَرِيدٌ: عَمَلٌ لاَ نَظِيرَ لَهُ، مُتَمَيِّزٌ قَوْلٌ فَرِيدٌ فَرِيدٌ فِي بَابِهِ فَرِيدَةٌ فِي صِنَاعَتِهَا، أَتَى بِالْفَرَائِدِ: بِأَلْفَاظٍ فَصِيحَةٍ جَزْلَةٍ.

(هذا بالذات هو ما يجعل هذه القصّة **فَرِيدَةً** من نوعها)

جُمْلَتِي:

معجمُ الفصلِ السّابعَ والعشرينَ (مناقيرُ تحبُّ المساعدَةَ)

تَرَنَّح(فعل) تَرَنَّحَ: (فعل)

ترنّحَ يَتَرَنّح، ترنُّحًا، فهو مُترنّح،

ترنَّح الشَّخصُ: تمايل من مرضٍ أو من شيء يفقد التوازن، تَرَنَّحَ عَلَيْهِ: تَطَاوَلَ عَلَيْهِ، تَرَنَّحَ لِلْفَوْزِ: تَحَرَّكَ وَسَعَى إِلَيْهِ وَطَلَبَهُ، تَرَنَّحَ على فلان: مال عليه بالتطاوُل، اِسْتَمَرَّ فِي تَرَنُّحِهِ: فِي تَمَايُلِهِ شِمَالاً وَيَمِيناً، مِشية مضطربة مميّزة لأنواع معيَّنة من الاضطرابات العصبيّة.

(بين هذه النعامات **تَرَنَّحَ** كائن بشريّ)

جُمْلَتِي:

فُضولِيّ(اسم) فُضول: (اسم)

مصدر فَضَلَ، هُوَ كَثِيرُ الْفُضُولِ: يَسْعَى إِلَى التَّدَخُّلِ فِيمَا لاَ يَعْنِيهِ فِيهِ حُبُّ الاطِّلاَعِ أَوالاِسْتِطْلاعِ، عَمَلٌ أَثَارَ فُضُولَهُ: اِسْتَغْرَابَهُ وَدَهْشَتَهُ، الفُضُولُ: ما لا فائدة فيه، الفُضُولُ: اشتغال المرءِ أو تدخُّله فيما لا يعنيه، تطفُّل فُضوليّ: اسم منسوب إلى فُضول، مُتطَفِّل؛ من يتدخل فيما لا يعنيه لا تكن فضوليًّا.

(الشّاهد الوحيد على هذه الأحداث كان غرابًا **فُضوليًّا**)

جُمْلَتِي:

وَجْنَتاه(اسم) وَجْنَة: (اسم)

الجمع: وَجَنات ووَجْنَات،

الوَجْنَةُ: خدّ، جزء لحميّ موجود على جانبي الوجه، أسفل العين وبين الأنف والأذن، ما ارتفع من الخَدّ.

(رفع يدًا متعبة وتحسّس وجهه، كانت **وَجْنَتاه** ساخنتين)

جُمْلَتِي:

الضَّجَر(اسم) **ضجِرَ(فعل)**
ضجر بـــ / ضجِرَ من يَضْجَر، ضَجَرًا، فهو ضَجِر،
ضَجِرَ بالأَمْرِ ومنه: ضَاق وتَبَرْمَ ضَجِرَ المكانُ: ضَاق بمن فيه.
(أحسَّ الرّجال الآخرون في الفريق التّصويريّ **بالضَّجَرِ** بسرعة)
جُمْلَتِي:

الأطْوار(اسم) **طَوْر: (اسم)**
الجمع: أَطْوار،
الطَّوْرُ: المرّةُ والتّارَة، الطَّوْرُ: الصّنفُ والنّوْعُ، الطَّوْرُ: الحالُ والهيئة، حرَج عن طوره: فقد سيطرته على نفسه، غريب الأطوار: ذو سلوكٍ غريب.
(ظهر ولدٌ غريب **الأَطْوارِ** في مدينة نوريمبرغ في ألمانيا)
جُمْلَتِي:

عُرْض(اسم)عُرض: (اسم)
الجمع: أَعْراض،
وعُرْضُ البَحْر والنهر: وسَطُهُ، وعُرْض الحديث: مُعْظَمُهُ، عُرْض الشّيء: وسطُه، ضرَب بكلامه عُرْضَ الحائط: أهمله و لم يهتمّ به.
(كان قد قضى الجزء الأكبر من حياته في **عُرْضِ** الصحراء)
جُمْلَتِي:

فَحْواها(اسم) **فَحوَى: (اسم)**
الجمع: فَحَاوٍ، وفَحَاوَى،
فَحْوَى القَوْلِ: مضمونه ومَرْماهُ الذي يتّجه إليه القائل، مفهوم مضمون، معنى، مغزى، جوهر.
(لقد سمع لوك الولد الذي يعيش مع سرب النعام ينطق ببعض الكلمات، لكنّه لم يفهم فَحْواها)
جُمْلَتِي:

قَبْو(اسم) **قَبو: (اسم)**
الجمع: أَقْبَاء وأَقْبِيَة،
القَبْوُ: الطّاقُ المعقودُ بعضه إلى بعض في شكل قوس، القَبْوُ: بناءٌ تحت الأرض تنخفض حرارته في الصيف فيحفظ فيه الجُبن والزُّبد والفواكه وغيرها.
(كان الولد قد قضى حياته كلها محبوسا في غرفة صغيرة في **قَبْوٍ**)
جُمْلَتِي:

مِنْصَب (اسم) **المِنْصَبُ(اسم)**
آلة من معدن تُنصب تحت الوعاءِ للطبخ أَو غيره.
(عدسة عملاقة لا تقل عن ٦٠٠ ملم، ركّبها على إحدى الآلات التصويرية التي كان قد أوقفها

على **مِنْصَبٍ** ثلاثيّ الأقدام)

جُمْلَتِي:

معجمُ الفصلِ التّاسعِ والعشرينَ (وعاءٌ فخّاريٌّ مليءٌ بالتّمرِ)

انْتابَه(فعل) اِنتابَ: (فعل)

انتابَ يَنْتاب، انْتَبْ، انتيابًا، فهو مُنتاب،

اِنْتابَهُ غَضَبٌ شَديدٌ: أَصابَهُ، اِسْتَوْلى عَلَيْهِ نادِراً ما يَنْتابُهُ الغَضَبُ، اِنْتابَتْهُ رَعْشَةُ حُمّى في اللَّيْلِ: حَلَّتْ بِهِ، اِنْتابَ صَاحِبَهُ: قَصَدَهُ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ.

(**انْتابَهُ** شعور مفاجئ ملأ جسده بأكمله بالسعادة والمتعة)

جُمْلَتِي:

الدُّوّامِيّة(اسم) دُوّامِيّة: (اسم)

اسم مؤنّث منسوب إلى دُوّامة،

ريح دُوّاميّة: زوبعة؛ إعصار مصحوب بمطر ورعد وبرق.

(راح يصوّر الرّيح **الدُّوّامِيّةَ** عبر النافذة المفتوحة)

جُمْلَتِي:

زَوْبَعَة(اسم) زَوْبَعَةٌ(اسم)

جمع: زَوابِعُ،

هَبَّتْ زَوْبَعَةٌ: الإعْصارُ الشَّديدُ، وَهُوَ عِبارَةٌ عَنْ تَصاعُدِ الرِّياحِ إلى السَّماءِ، زَوْبَعَةٌ في فِنْجانٍ: هَيَجانٌ مَحْدودُ الأَثَرِ في وَقْتٍ مُعَيَّنٍ.

(لقد اختفت آثار السيارات الثلاث التي ارتسمت فوق الرمل بسبب **زَوْبَعَةٍ** عصفت فجأة)

جُمْلَتِي:

نَهَم(اسم) نَهِمَ (فعل)

يَنْهَم، نَهَمًا ونَهَامةً، فهو نَهِمٌ، ونَهِيمٌ،

نَهِمَ في الشّيءِ: أفرط الشّهوةَ أو الرّغبةَ فيه، شخصٌ نَهِم: شَرِه ذو شهوة لا تقاوَم.

(الرجل النّحيف هو الوحيد الذي أكل **بِنَهَمٍ**)

جُمْلَتِي:

معجمُ الفصلِ الثّلاثينَ (شياطينُ الصّحراءِ تنتقمُ)

مُعَكِّرًا(اسم)عَكَّرَ: (فعل)

عكّرَ يُعَكِّر، تعكيرًا، فهو معكِّر، والمفعول معكّر،

عَكَّرَ مَاءَ النَّهْرِ: صَيَّرَهُ عَكِراً، أَيْ رَمَى فِيهِ قَاذُورَاتٍ وَمَا شَابَهَ ذَلِكَ، عَكَّرَ صَفْوَ حَيَاتِهِ: أَقْلَقَهُ، أَيْ جَعَلَ حَيَاتَهُ مُضْطَرِبَةً حَجَبَ النُّورَ وَعَكَّرَ الصَّفَاءَ، عكّر الجوّ: أثار بلبلة، عكّر عليه عيشَه: نغّصه عليه.

(حين وجد سيدي إبراهيم أن مزاج أفراد الفريق **مُعَكَّرًا**، قال إنه سيشعل نارًا، ويحضّر الشّاي)

جُمْلَتِي:

مَرْج(اسم) مَرْج: (اسم)

مَرْج: مصدر مَرَج الجمع: مُرُوجٌ،

المَرْجُ: أَرضٌ واسعةٌ ذاتُ نبات ومَرْعًى للدَّوابِّ.

(حين كان في الثّامنة من العمر، وتسبّب بحريقٍ التهمَ **مَرْجًا** بأكمله)

جُمْلَتِي:

مِزاج(اسم) مِزَاجٌ(اسم)

جمع: أَمْزِجَةٌ،

مِزَاجُ العَصِيرِ: مَا يُمْزَجُ بِهِ كَالْمَاءِ أَوِ الْحَلِيبِ وَنَحْوِهِ، لَهُ مِزَاجٌ حَادٌّ: مَا جُبِلَتْ عَلَيْهِ النَّفْسُ مِنْ أَخْوَالٍ وَطَبَائِعَ هَذَا لاَ يُوَافِقُ مِزَاجَهُ: لَطِيفُ المِزَاجِ، عَصَبِيُّ المِزَاجِ.

((حين وجد سيدي إبراهيم أنّ **مِزاجَ** أفراد الفريق مُعَكَّرٌ، قال إنّه سيشعل نارًا، ويحضّر الشّاي)

جُمْلَتِي:

يُواسِي(فعل) واسى(فعل)

واسى يُواسي، واسٍ، مُواساةً، فهو مُواسٍ،

واسَى فلانًا؛ عزّاه وسلاّه، شاطره الأسى؛ واسِ هذه الأُمَّ فقد فقدت ابنها الوحيد، جَاءَ لِمُوَاسَاتِهِ: جَاءَ لِتَعْزِيَتِهِ وَالتَّخْفِيفِ مِنْ حُزْنِهِ وَمُصَابِهِ.

(أراد أن **يُواسِيَ** المصوّرَ الحزينَ؛ لذلك راح يقصّ عليهم النُّكات)

جُمْلَتِي:

معجمُ الفصلِ الواحدِ والثّلاثينَ (بِضعةُ ملايينَ منَ الجرادِ)

الفخّ(اسم) فَخّ: (اسم)

الجمع: فِخاخ وفُخوخ،

مِصْيَدة، أداة ذات لولب تُصاد بها الطيور والقوارض، والحيوانات الثّديّة الصّغيرة، خُدعَة أو طريقة ملتوية لوضع شخصٍ ما في أزمة أو خطر.

(أريدك أن تريني المكان الذي نصبت فيه **الفَخَّ**)

جُمْلَتِي:

الهِسْتيريا(اسم) هِستيريا: (اسم)

هِسْتيريا: جنون، هياج شديد، هِسْتيريا :(علوم النفس) عُصاب يتميّز بانفعالات تشنُّجيّة وهَذَيان، ينشأ عن صراع داخليّ واضطرابات نفسيّة، نوع من الاضطراب العقليّ، القلق الهِسْتيريّ: (علوم النفس) نمط من الأنماط النّفسيّة التّحليليّة التي تصاحب مريض القلق، حيث تنتابه بعض النّوبات في المواقف التي يمرّ بها كالبكاء الشّديد والمخاوف، ويفسّر المحلّلون هذا التّصرُّف بأنه نتيجة لكَبْت

الصِّراعات داخل النفس البشرية.
(لوك أوكونر المغامر الصّيّاد أُصيب **بالهِسْتيريا**؛ أمسك بعصا وراح يضرب الهواء من حوله)
جُمْلَتِي:

معجمُ الفصلِ الثّاني والثّلاثينَ (كارثةٌ)

تَعْويذَة(اسم) **تَعْويذَة(اسم)**
الجمع تَعْويذات وتَعاويذُ: اسم مرّة من عوَّذَ: تعويذ، اسم بمعنى الرُّقية تُقرأ أو تُكتب وتُعلَّق لتقي من الشَّرِّ؛ للاعتقاد أنّ لها تأثيرًا سحريًّا، علّق تعويذةً على صدره، لا يؤمن بالتعاويذ.
(وبدت جمالهم طويلة السّيقان وبيضاء كالثّلج، يحمل كلٌّ منها **تَعْويذَةً** في عقد وضع حول رقبته)
جُمْلَتِي:

مُتَغَطْرِس(اسم) **تَغَطْرَسَ: (فعل)**
تغطرسَ على / تغطرسَ في يَتَغَطْرَس، تغطرُسًا، فهو مُتغطرِس،
تَغَطْرَسَ الرَّجُلُ: تَكَبَّرَ، تَغَطْرَسَ فِي مِشْيَتِهِ: تَبَخْتَرَ تِيهاً وَإِعْجَاباً.
(بكى المنتج حين أدرك ما حدث، ثم صبَّ حنقه على لوك أوكونر وقال له إنّه كذّاب **مُتَغَطْرِسٌ** مخادع)
جُمْلَتِي:

الحِرْفِيّون(اسم) حِرْفِيّ: (اسم)
اسم منسوب إلى حِرْفَة،
حِرْفِيّ: مَنْ يكسب عيشَه بالعمل في حرفةٍ بصفةٍ مستمرّة ومنتظمّة.
(كانت قافلة الرجال الزّرق قد جلبت معها الملح من مناجم الملح في الجنوب، وسيوفا، وحلى فضّيّة صنعها **الحِرْفِيّون** من قبيلتهم)
جُمْلَتِي:

معجمُ الفصلِ الثّالثِ والثّلاثينَ (أسيرٌ)

يَتَداعى(فعل) **تَداعَى: (فعل)**
تداعى / تداعى على يَتَداعَى، تَداعَ، تداعيًا، فهو مُتداعٍ،
تَدَاعَى النَّاسُ: دَعَا بَعْضُهُمْ بَعْضاً لِلاجْتِمَاعِ، تَدَاعَى القَوْمُ عَلَيْهِمْ: تَجَمَّعُوا عَلَيْهِ بِالخُصُومَةِ وَتعَاوَنُوا
تداعتِ الأفكارُ: تواردت، تواترت واستدعى بعضُها بعضًا تداعتِ الذكرياتُ / المعانِي، تَدَاعَتِ الْمَاشِيَةُ: هَزَلَتْ، ضَعُفَتْ، تَدَاعَى الشيءُ: تصدَّعَ وآذَنَ بالانهيار والسُّقوط.
(أدار العود مجدَّدا في شعر الولد ورآه **يَتَداعى** تحت وَطْأَةِ الألم)
جُمْلَتِي:

تَنَهَّد(فعل) **تَنَهَّدَ: (فعل)**
تَنَهَّدَ يَتَنَهَّد، تنهُّدًا، فهو مُتنهِّد،

تنهّد الشّخصُ: أخرج نَفَسَه بعد مَدِّه ألمًا أو حُزنًا.
(رمى الولد نفسه فوق الرّمل أيضًا بالقرب من النّعامات، **تَنَهَّدَ** ثم مال على جانبه لينام)
حُمْلَتِي:

الرَّعْيَة(اسم)الرَّعْيَة (اسم)
الرَّعْيَة: الهرش والحكاك.
(فانحدرت حبّات العرق مسببة **الرَّعْيَةَ** على أنفه، ونقّطت فوق يديه)
حُمْلَتِي:

عِقال(اسم) عِقال: (اسم)
الجمع: عُقُل،
العِقالُ: الحَبلُ الذي يعقَلُ به البعيرُ، العِقالُ: جَديلة من الصُّوف أو الحرير المقصَّب تُلَفُّ على الكوفية فتكونان غطاء للرأس، أطلقه من عِقاله: فكّ قيده، ترك له حرّيّة التصرُّف.
(رأوا الرجل الضّخم الأسود وهو يرفع هدارة، ويضعه على ظهر أحد الجمال حيث ربط يديه إلى **عِقالِ** الجمل)
حُمْلَتِي:

نَخَزَ(فعل) نَخَزَ: (فعل)
نَخَزَ يَنْخَز، نَخْزًا، فهو ناخِز،
نَخَزه بدبّوس ونحوه: شكّه ووخزه به، نَخَزه بكلمةٍ: أوجَعه بها.
(لكنّ الولد رفض أن يفعل ذلك، **نَخَزَ** عندها الرجل ظهر الولد برأس سكّينه)
حُمْلَتِي:

وَطْأَة(اسم) وَطْأة(اسم)
جمع وَطَآت ووَطْآت، اسم مرّة من وطَأَ ووطِئَ،
أَخْذة أو ضغطة شديدة، أو تأثير، حرّ شديد الوطأة، اشتدّت وطأة المرض عليه: تفاقم وازداد خطورة، سقط تحت وطأة الخبر: شدة الوقع والتأثير، تحت وطأة كذا: في شدّة وضيق، تأثير، شديد الوطأة: عنيف صَعب التحمُّل، غاشم.
(أدار العود مجدّدا في شعر الولد ورآه يتداعى تحت **وَطْأَةِ** الألم)
حُمْلَتِي:

معجمُ الفصلِ الرّابعِ والثّلاثينَ (هذا بُنَيّ! هذا هدارة)

يَتَحاشى(فعل) تَحاشَى: (فعل)
تحاشى / تحاشى عن يَتحاشى تَحاشيًا، فهو مُتحاشٍ،
يَتَحَاشَى كُلَّ مَا لاَ يُعْجِبُهُ: يَتَجَنَّبُ، يَتَلاَفَى تَحَاشَى عَنْهُ: تَجَنَّبَهُ.
(خلال بقية حياته أراد أن **يَتَحاشى** الحديث عن هذه الأسابيع الكريهة)
حُمْلَتِي:

مُنْهَكًا(اسم) أَنْهَكَ: (فعل)
أنهكَ يُنْهِك، إنهاكًا، فهو مُنهِك، والمفعول مُنهَك،
أَنْهَكَ وَلَدَهُ: بَالَغَ فِي عِقَابِهِ، أَنْهَكَهُ العَمَلُ: أَضْنَاهُ، أَجْهَدَهُ يُنْهِكُهُ التَّعَبُ يُنْهِكُ قُوَاهُ بِمَا لاَ طَاقَةَ لَهُ بِهِ.
(تمكّنت المرأة التي سمّاها فاطمة من قدمته في نهاية المطاف، كان **مُنْهَكًا** حين قادته إلى إحدى الخيام)

جُمْلَتِي:

تَقَوْقَع(فعل) تَقَوْقَعَ(فعل)
تقوقعَ يَتَقَوْقَعُ، تَقَوْقُعًا، فهو مُتَقَوْقِع،
تقوقعَ الحيوانُ دخل في صدفته، تقوقع الشَّخصُ: انعزل عن بيئته، انطوى على نفسه، وانقطع عن الناس والتواصل.
(لفّ حول جسمه بطّانيّة، **وَتَقَوْقَعَ** على نفسه)

جُمْلَتِي:

الكِشْرات(اسم) كَشَّر: (فعل)
كشَّرَ عن يُكَشِّر تكشيرًا، فهو مُكَشِّر كَشَّر مبالغة كَشَر، والاسمُ: الكِشْرَةُ،
كشَّر الشخصُ: أظهر استياءً وعدم رضى عن أمر، كشَّر عن أسْنانه: بالغ في إظهارها والكشف عنها عند الضّحك وغيره، تعبيرًا عن تهديد أو انفعال نفسيّ، كشَّر عن أنيابه: أبدى استياءه، هدّد، استعدّ للقتال.
(انظروا إلى **الكِشْراتِ** التي تبدو على وجهه)

جُمْلَتِي:

الكَوابيس(اسم) كَابُوسٌ(اسم)
جمع: كَوَابِيسُ،
عَرَاهُ كَابُوسٌ وَهُوَ مُسْتَغْرِقٌ فِي نَوْمِهِ: أَيْ مَا يَسْتَوْلِي عَلَى الإِنْسَانِ فِي نَوْمِهِ وَيُفْقِدُهُ القُدْرَةَ عَلَى الْحَرَكَةِ، وَيُطْلَقُ عَلَيْهِ أَيْضاً جَاثُومٌ، ما هَذَا الكَابُوسُ: مَا هَذَا الْجَوُّ الْخَانِقُ: بَدَتْ لَهُ الأَيَّامُ الْمَاضِيَةُ مُجَرَّدَ كَابُوسٍ انْتَهَى.
(خلال بقية حياته أراد أن يتحاشى الحديث عن هذه الأسابيع الكريهة، لكنه عجز عن منعها من أن تعود إليه على شكل **كَوابيس**)

جُمْلَتِي:

يافع(اسم) يَافِعٌ(اسم)
جمع: يَفَعَةٌ، يُفْعَانُ، يَافِعَاتٌ اسم فاعل مِن يَفَعَ،
شَابٌّ يَافِعٌ: بَالِغٌ، أَيِ الْوَاصِلُ سِنَّ الْفُتُوَّةِ وَالْمُرَاهَقَةِ، شَرَفٌ يَافِعٌ: شَرَفٌ رَفِيعٌ سَامٍ، جِبَالٌ يَافِعَاتٌ: شَامِخَةٌ، عَالِيَةٌ.
(كانا ينظران إلى شابّ **يافِعٍ**)

جُمْلَتِي:

معجمُ الفصلِ الخامسِ والثّلاثينَ (التّحوّلُ إلى إنسانٍ)

يشتاط(فعل) **اِشْتاطَ: (فعل)**

اشتاطَ على يَشْتاط، اشْتَطْ، اشتياطًا، فهو مُشتاط،

اشتاط على فلان: اشتدّ غضبه عليه.

(لم يصدر ولا حتّى صوتًا واحدًا إلا أحيانًا عندما كان **يَشْتاطُ** غضبًا)

جُمْلَتِي:

حاشِيَتِه(اسم) **حاشِية: (اسم)**

الجمع: حاشيات وحَواشٍ،

الحَاشِيةُ من كلِّ شيءٍ: جانبُه وطرفُه، الحَاشِيةُ من الإبل: صغارُها التي لا كبار فيها، الحَاشِيةُ: الأَهْل والخاصّة، كلامٌ رقيق الحواشي: ليّنٌ، الحَاشِيةُ: ما علّق على الكتاب من زيادات وإيضاح، عيشٌ رقيقُ الحواشي: ناعمٌ في دعة، ورجلٌ رقيق الحواشي: لطيفُ الصحبة، حاشية الملك والشيخ: أعوانه المقربون.

(الطّعام كان مخصّصا للشّيخ **وحاشِيَتِهِ** ولزوّاره الذين يطلبون منه العون أيضا)

جُمْلَتِي:

مَصْعوقًا(اسم) **صَعَقَ: (فعل)**

صعَقَ يَصْعَق، صَعْقًا وصاعِقةً، فهو صاعِق،

صَعَقَتْهُمُ الصّاعِقَةُ: ضَرَبَتْهُمْ بِعُنْفٍ، صَعَقَهُ التّيّارُ الكَهْرَبائِيُّ: أَصَابَهُ، صعَقتِ الكارثةُ النّاسَ: أذهلتهم، كان لها وقع شديد عليهم صعقه نبأ مفجع، صعَقه النَّبأُ السَّيِّئُ: نزل عليه كالصَّاعقة.

(نظر هدارة الذي كان ما زال **مَصْعوقًا** من الذّعر على وجوه النّاس التي يعلوها الفرح)

جُمْلَتِي:

مَثُلَ(فعل) **مَثُلَ: (فعل)**

مثُلَ / مثُلَ لـــ يَمْثُل، مُثولاً، فهو ماثل،

مثُل الشَّخصُ بين يدي فلان: مثَل؛ قام بين يديه منتصبًا، مثُلت الجريدةُ للطّبع: أعدّت وهيّأت للطّباعة.

(عندما أشار الرّجل المسنّ إلى هدارة حتّى مَثُل أمامه، ثم انحنى على ركبتيه احترامًا)

جُمْلَتِي:

معجمُ الفصلِ السّادسِ والثّلاثينَ (فتاةٌ عيناها كالنّجومِ)

مُبْهَمَة(اسم) **أَبْهَمَ: (فعل)**

أبهمَ يُبْهِم، إبهامًا، فهو مُبهِم ومُبْهَم،

أَبْهَمَ فلاناً عن الأَمْرِ: نحّاه، أَبْهَمَ الكلامَ: أَخْفَاهُ وأَشْكَلَهُ، أَبْهَمَ عَلَيْهِ الموضوعَ: لَمْ يَجْعَلْ لَه وَجْها يُعَرِّ.

(فِي الأيّام التي يتمكّن من رؤيتها كان يعود إلى عائلته بشفاه تبتسم ابتسامة **مُبْهَمَةً**)

جُمْلَتِي:

يُثْني(فعل) أَثْنَى: (فعل)

أثنى على يُثْنِي، إثناءً وثَناءً، فهو مُثْنٍ،

أَثْنَى عَلَيْهِ ثَنَاءً عَاطِراً: مَدَحَهُ، أشَادَ بِهِ، أَطْرَاهُ، وَذَكَرَ مَزَايَاهُ.

(كان الرّحل المسنُّ **يُثْني** عليه، ويقول إنّه بارع)

جُمْلَتِي:

عَناء(اسم) عَناء: (اسم)

الْعَنَاء: التَّعَب، الْمَشَقَّة.

(سارت **بِعَناءٍ** عبر الرّمل المُكَدَّسِ إلى أن وصلت إليه)

جُمْلَتِي:

المُكَدَّس(اسم) كَدَّسَ: (فعل)

كدَّسَ يُكدِّس، تكديسًا، فهو مُكدِّس، والمفعول مُكدَّس،

كَدَّسَ الأَكْيَاسَ: جَعَلَ بَعْضَهَا فَوْقَ بَعْضٍ، كدَّسَ المالَ: خزَنه، أَكْدَاسُ الرَّمْلِ: أَكْوَامُهُ الْمُتَرَاكِمَةُ.

(سارت بعناء عبر الرّمل **المُكَدَّسِ** إلى أنْ وصلت إليه)

جُمْلَتِي:

بِمَحْض(اسم) مَحْضٌ(اسم)

لَبَنٌ مَحْضٌ: لَبَنٌ خَالِصٌ لَمْ يُخَالِطْهُ غَيْرُهُ.

عَرَبِيٌّ مَحْضٌ: عَرَبِيٌّ خَالِصُ النَّسَبِ، جَاءَ بِمَحْضِ اخْتِيَارِهِ: بِمِلْءِ إِرَادَتِهِ، بِرِضَاهُ الكَامِلِ.

(هل كشفت أمره؟ لكن ها هي قد أتت الآن **بِمَحْضِ** إرادتها. لقد أتت لأنّها تريد أن تلتقي به)

جُمْلَتِي:

معجمُ الفصلِ السّابعِ والثّلاثينَ (يومُ السّعدِ ربّما)

يُبْهِر(فعل) أَبْهَرَ(فعل)

أبهرَ يُبْهِر، إبْهارًا، فهو مُبْهِر،

أبهر النَّاسَ أدهشهم، أثار إعجابَهم: أبهر العالِمُ الناسَ باختراعه، شيء يُبهر الأبصار: يثير الدهشة والإعجاب، أبهره الضَّوءُ: خَطَفَ بصرَه لشدّة سطوعه: أبهر البصرَ، ضوءٌ مُبْهِرٌ: قوي يخطف الأبصار.

(لكنّ هدارة ذكر الطّيور؛ **لِيُبْهِرَ** الفتاةَ)

جُمْلَتِي:

تَقْتات(فعل) اقتاتَ

اقتاتَ / اقتاتَ بـــ يَقْتات، اقْتَتْ، اقْتِياتًا، فهو مُقْتات،

اقتات المريضُ تَغَذّى حتى يستقيم بدنُه، اقتات فلانٌ تمرًا / اقتات فلانٌ بالتَّمْرِ: جعله قُوتَه، أي ما يأكله ويعيش به، اقتات بالسَّمكِ / باللّحم، اقتات الحبوبَ.

(كانوا يتنقّلون هنا وهناك في عرض الصّحراء؛ بحثًا عن الماء والعشب الذي **تَقْتاتُ** به ماشيتهم)

جُمْلَتِي:

مُرَوِّع(اسم)رَوَّعَ: (فعل)

روَّعَ يُرَوِّع، تَرويعًا، فهو مُروِّع،

روَّع فلانًا: أراعه، أفزعه، أخافه؛ جريمة مروِّعة.

(في تلك اللحظة حدث أمرٌ **مُرَوِّعٌ**)

جُمْلَتِي:

غصَّت(فعل) غَصَّ: (فعل)

غصَّ ب غَصَصْتُ، يَغُصّ، غَصًّا، فهو غاصّ وغصّانُ،

غصَّ بالطَّعام أو الماءِ ونحوِهما: اعترض في حلقه فمنعه التَّنفّس والبلع، غصَّ المكانُ بالنَّاسِ: امتلأ بهم وضاق عليهم غصّ المنزلُ بالقوم.

(وبعدما **غَصَّت** المقابر بالموتى أتى رسولٌ راكضًا ودخل القصر)

جُمْلَتِي:

الفَجيعَة(اسم) فَجَعَ(فعل)

فَجَعَ، يَفْجَعُ، فَجْعا فهو فاجع،

فَجَعَهُ فِي أَعَزِّ النَّاسِ إِلَيْهِ: أَوْجَعَهُ بِفَقْدِ الَّذِي يُحِبُّهُ وَيُعِزُّهُ، آلَمَهُ إِيلاَماً شَدِيداً. فَجيعة: الجمع: فجيعات وفجائعُ: نَكْبة، فاجعة؛ مصيبة مؤلمة.

(أُصيب الملك **بالفَجيعَة** التي سبّبتها تلك الكارثة)

جُمْلَتِي:

معجم الفصل الثّامن والثلاثين (آثار طيور النّعام)

أَبَدِيّ(اسم) أَبَدِيّ: (اسم)

اسم منسوب إلى أَبَد،

ما لا نهاية له، باقٍ بلا نهاية هلاك / حُبّ أَبَديّ، الحياة الأَبَديَّة: الحياة الآخرة.

(ثمّ انطلقت العائلة في بحثها **الأَبَدْيِّ** عن الماء والعشب)

جُمْلَتِي:

طَرَحَها(فعل) **طَرَحَ: (فعل)**

طرَحَ / طرَحَ بـــ يَطْرَح، طَرْحًا، فهو طارح،

طَرَحَ الوَلَدَ أَرْضاً: رَمَاهُ، قَذَفَهُ، طَرَحَ عليه شيئًا: أَلْقَاهُ وبَسَطهُ، طرحه جانبًا: أهمله وتركه، طرح له الوسادة: هيأ له الجوّ، طَرَحَتْ به النّوى كلَّ مَطْرَح: باعَدَتْ به، طرَح المسألةَ / طرَح عليه المسألةَ: قدّمها، عرضها للبحث والدّرس والمناقشة طرَح علَيه وجهةَ نظر / سؤالاً، طرح المشروع في المناقصة: عرضه على الرّاغبين في القيام به؛ للمنافسة على تقديم عروضهم.

(رفض أهل الصّحراء الإجابة عن الأسئلة التي **طَرَحَها** الأجانب)

جُمْلَتِي: